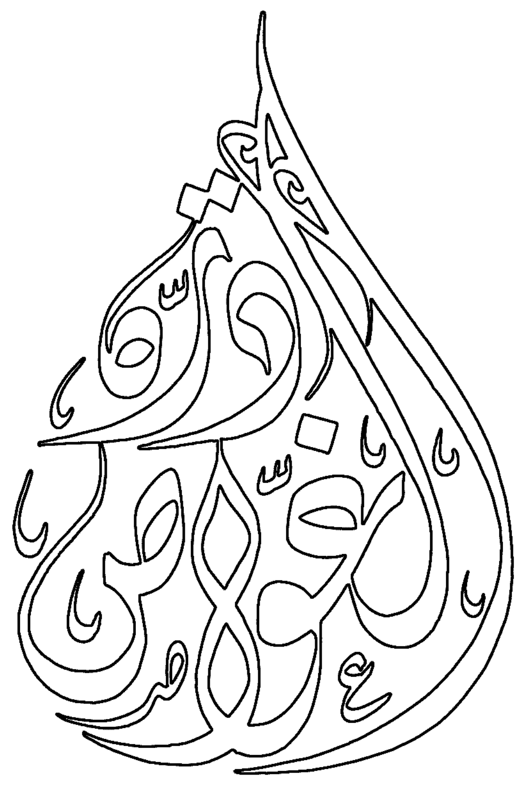
مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

شعراء عبدالقيس وشعرهم

في العصر الجاهلي

جمع وتحقيق

د. عبدالحميد المعيني



مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

شعراء عبدالقيس

في العصر الجاهلي

جمع وتحقيق ودراسة

د. عبدالحميد المعيني

أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعه الباحث
بمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

إيهاب النجدي

الصف والإخراج والتنفيذ:

محمد العلي

أحمد متولي **أحمد جاسم**

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

تلفون: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)
E-mail < babtainprize@hotmail.com >

2002

تصدير..

يأتي هذا الكتاب ليكمل لوحة إصدارات الدورة الثامنة ، وليصل حلقات التاريخ بعضها ببعض، فلا يبدو شاعرها المحتفى به «علي بن المقرب العيوني» شجرة وحيدة بلا جذور، بل هو ابن بيئته التي رعت الشعر منذ بواكيره الأولى ، ومن منطقة أنبتت رهطاً من الشعراء، أسهموا بفيض عذب في جداول الشعر العربي عبر تحدرها فوق هضاب التاريخ .

و«شعراء عبدالقيس في العصر الجاهلي» دراسة وديوان، نتعرف من خلال الدراسة على تلك القبيلة العربية الأصيلة من نواح عدة : نسبها ومنازلها وحياتها الاجتماعية والاقتصادية والدينية وصلاتها الخارجية ، ويبقى من كل ذلك - في تصوري - دورها الجليل في إكساب منطقة الخليج وجهها العربي. أما الديوان فجمع في إهابه قصائد ومقطوعات أكثر من ثلاثين شاعراً من شعراء قبيلة عبد القيس في العصر الجاهلي، مع التطواف حول هذا الديوان - الذي يطبع للمرة الأولى - لدرس موضوعاته في الحرب والسلام والموت والحياة وملامحه الفنية المميزة، كما يأتي شاعر عبدالقيس الفذ «المثقب العبدي» نسيج وحده فناً وحكمة، ومن هنا استأثرت حياته وشعره بجزء خاص في هذا الكتاب ، وما هو بكثير على رجل السلام الذي نجح في سفارته لدى النعمان ابن المنذر ملك الحيرة فأطلق سراح كل الأسرى العبديين وحقن دماء القبيلة، وكان - أيضاً - ممن قاموا بالصلح بين بني بكر وبني تغلب بعد حرب البسوس، وقبل ذلك كله هو صاحب النونية التي قال فيها أبوعمرو بن العلاء : « لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه» ، وهتف من أجلها طه حسين: «هذا الشعر من أروع ما قاله الناس»:

أفاطمُ، قبل بيْنكِ، متِّعيني

ومنعُكِ ما سألتُ كأنْ تَبيني

فلا تعدي مواعدَ كاذباتٍ
تمرُّ بها رياحُ الصيف دوني

فإني لو تُخالفني شمالي
خلافك، ما وصلتُ بها يميني

وهكذا توالى شعراء عبدالقيس في الظهور خلال العصور المختلفة، فكان من أشهر شعرائها «علي بن المقرب العيوني» الشاعر الذي تحمل هذه الدورة اسمه.

وقد سبق للمؤسسة أن نشرت ضمن إصدارات دورتها الثالثة عام ١٩٩٢ كتاب الدكتورة نفوسة زكريا «البارودي - حياته وشعره» الذي ظل مخطوطاً منذ عام ١٩٥٢، وفي الدورة السادسة ١٩٩٨ أصدرت كتاب «الأخطل الصغير - سيرته وأدبه» بعد ثمانية وعشرين عاماً من إنجازه كرسالة علمية في العام ١٩٧٠. واليوم تمضي المؤسسة على سنتها فتصدر هذا الكتاب الذي بقي حبيس الأدراج مدة ستة وعشرين عاماً، وكان في أصله رسالة ماجستير قُدمت إلى جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م.

وإذ أعبر عن سعادتي بهذا الإصدار - وهو يرى النور للمرة الأولى - فإنني أتوجه بالشكر إلى الأستاذ الدكتور عبدالحميد المعيني على جهده الطيب، والشكر موصول للباحث في الأمانة العامة للمؤسسة الأستاذ إيهاب النجدي الذي راجع الكتاب وأعده للطبع.

والحمد لله من قبل ومن بعد،،

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في ٢٠٠٢/٧/٣٠

المقدمة

هذا البحث محاولة لدراسة شعراء عبدالقيس في العصر الجاهلي، وعبدالقيس قبيلة عربية ينتهي نسبها إلى ربيعة التي تنحدر من العرب العدنانيين، وكانت منازلها في المنطقة الممتدة بين الدهناء غرباً، وشواطئ الخليج العربي شرقاً على طول امتداد تلك الشواطئ من البصرة شمالاً إلى عمان جنوباً، وعرفت هذه الرقعة الجغرافية قديماً باسم البحرين، وهي تشمل الآن دولة الكويت ودولة البحرين ودولة قطر ودولة الإمارات العربية المتحدة، والأحساء والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.

وكانت بلاد عبدالقيس بحكم موقعها الجغرافي مرفأ حياً، وملتقى نشيطاً بين الشرق والغرب، وشهدت صلات تجارية وثقافية، كما عرفت أنماطاً اجتماعية خاصة نتيجة هذه الصلات ، واهتم العبديون بالزراعة ومهروا في الملاحة وتفوقوا في الصناعة وكانت لهم علاقات مع الأمم المجاورة وصلات مع القبائل المتاخمة.

وأنجبت عبدالقيس عدداً من الشعراء يربو على ثلاثين شاعراً يقف في مقدمتهم المثقب العبدي أشهر شعراء القبيلة ورجل السلام فيها، وكان في شعرهم خصائص وسمات جعلت منه لوناً مميزاً جمع بين البحر والصحراء وبين الحرب والسلام، وجنح إلى الفكر والمعرفة وتناول نظراتهم في الموت والحياة واستطاع الشعراء أن يعبروا بصدق وأمانة عن البيئة الحضارية والمناطق الصحراوية واشتركوا اشتراكاً فعالاً في مختلف القضايا التي شغلت قبيلتهم وساهموا بجهود كبيرة في الدفاع عن الأرض العربية ضد الفرس ورفضوا بإباء وشمم حكم الحيرة، ولئن فشلت ثورة الشاعرين الشنيين يزيد وسويد فقد نجحت سفارة المثقب في إحلال السلام بين المناذرة والعبديين.

ولم أقدم على هذه الدراسة إلا بعد أن وضح لدي أنه أثر عن العرب دواوين لقبائلهم تفرقت في كتب مستقلة وتوزعت في مصادر كثيرة وبعد أن عرفت أن شعراء القبيلة

الواحدة يخضعون في أغلب الأحيان لمناخ واحد ويصدرون عن عادات معروفة، ويسيرون على تقاليد معينة وينهجون منهجاً مبيناً.

ونحن نعرف أن القبائل رفعت راية مدينة الشعر وأن الشعراء كانوا فرسان الكلمة وأرباب الفكر والثقافة في تلك المدينة يتغنون بأمجاد قبائلهم، ويذيعون مفاخرها ويعلون من شأنها، وينالون من خصومها، وكانت أفراحهم ومفاخرهم تجسيداً لأمانيها ومطالبها وكانت همومهم صورة من همومها وواقع حياتها.

وكانت تلح على نفسي وتجول في صدري خواطر المعرفة للقبائل التي عاشت على تلك الرمال المترامية على امتداد ضفاف الخليج العربي قبل أن تشرق الجزيرة بنور ربها، فتعرفت إلى عبدالقيس في رحلة مضنية طوفت فيها أرض الخليج ومضيت متنقلاً في مرابع ومنازل العبديين القديمة، أتغنى بشعرهم وأقف في ديارهم وكأني عاشق يلتقي بأحبة رحلوا ومضوا طي الرمال في ذاكرة الزمان.

وهذه المحاولة لا تعدو أن تكون براً بعبد القيس وشعرائها الذين عدا الزمان على آثارهم وأضاع الكثير من أشعارهم، كما لا تعدو أن تكون اهتماماً بجمع ديوان القبيلة وعناية بتنسيقه وتقديمه في صورة جيدة.

وتغري هذه المحاولة بدراسة شعر القبائل، ولمّ دواوينها التي تبعثرت في سائر المظان الشعرية وتوزعت في مختلف بطون الكتب الأدبية وغير الأدبية، حيث تدخل عبدالقيس الدراسات واضحة بعض الشيء ويتمكن الباحثون من السير إليها على أرض واضحة المعالم، بينة الاتجاهات.

ولابد لي من أن أشير إلى أن الاحكام التي توصلت إليها والظواهر التي تناولتها ليست نهائية لأنها مرتبطة بما عثرت عليه من شعر، فإذا ظفرنا بديوان عبدالقيس كاملاً كان علينا (أو على غيرنا) إعادة النظر في ما قررناه هنا، ومن هذا المنطلق أسجل حقيقة واضحة وهي أن عدم اكتمال النصوص لا يمنع من النظر والدرس فيما وقع لنا منها، ومن هنا كان إقدامي على هذه الدراسة ووقوفي عند شعراء هذه القبيلة بعد خمسة عشر قرناً من الزمن.

والمنهج الذي استوعب هذه الدراسة تألف من قسمين: القسم الأول الدراسة وتشمل القبيلة، وشعراءها والقسم الثاني ديوان القبيلة، جمعه وتحقيقه وتخريجه.

أما القسم الأول فقد جاء في خمسة فصول: تناولت في الفصل الأول منها قبيلة عبدالقيس فدرست نسبها ومنازلها وحياتها الاجتماعية وحياتها الاقتصادية وحياتها الدينية وصلاتها الخارجية.

وتناولت في الفصل الثاني الشعراء فأعددت قائمة (ثبتاً) بأسماء الشعراء الذين وجدت لهم شعراً، ودرست مصادر شعرهم وأخبارهم، ووقفت عند ظاهرة الضياع والاختلاط في هذا الشعر، ثم نظرت إلى ظاهرة الانتحال ، وبعد ذلك عالجت توثيق وتخريج الشعر الذي قمت بجمعه.

وأفردت الفصل الثالث للدراسة الموضوعية التي ارتأيت أن تكون في خمسة موضوعات هي: شعر الحرب والقتال، وشعر السلم والإصلاح، ونظرات في الحياة والموت، وشعر الرثاء، وموضوعات أخرى أبرزها الحكمة والبحر والطبيعة.

وخصصت الفصل الرابع للدراسة الفنية التي رأيت أن تضم ست ظواهر فنية هي: الخصائص اللغوية والأسلوبية، والمقطوعات الشعرية، وندرة المقدمات وعدم الحرص على التصريع، والواقعية، والتصوير الفني، والظواهر العروضية.

وجاء الفصل الخامس في دراسة تطبيقية تناولت فيها شاعر القبيلة المثقب العبدي فدرست حياته وشخصيته ثم موضوعات شعره والنواحي الفنية في هذا الشعر.

أما القسم الثاني فكان ديوان عبدالقيس وقد جمعت شعرهم المتفرق في المصادر الأدبية والتاريخية والجغرافية واللغوية وغيرها ثم قمت بتحقيق هذا الشعر وتخريجه.

ولست أزعم أنني أول من يكتب، ولا آخر من يقول، بل لا أدعي أنني أتيت بجديد خارق في هذه الدراسة وإنما كل ما في الأمر أنه أتيح لي أن أتعرف إلى عبدالقيس وتأتى لي النظر في شعرها، فحاولت أن أقوم بهذه الدراسة وألم بجوانبها، ولم أبخل عليها بجهد أستطيعه لتبدو في صورة طيبة.

وفي هذا المقام أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور يوسف خليف الذي حباني من سعة صدره ودقيق ملاحظاته، وسديد إرشاداته ما أعانني على اجتياز فيافي الشعر الجاهلي ومسالك الدروب إلى عبدالقيس، ولابد من الاعتراف بأنه لم يكن مشرفاً فحسب وإنما مدرسة أدبية تتلمذت فيها ونهلت منها ما كان أكبر عون لي في هذا البحث.

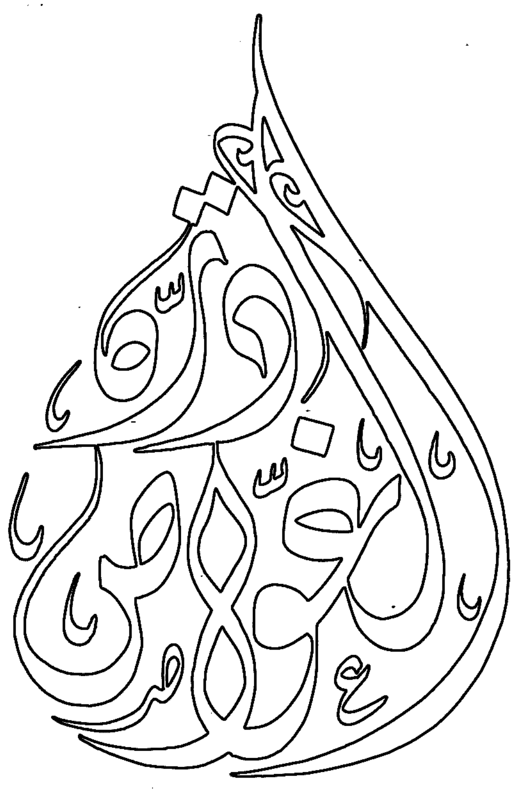
كما أتقدم بالشكر الجزيل إلي عضوي اللجنة الدكتور النعمان القاضي، والدكتور عبدالحكيم بلبع قبل وبعد أن أتلقى فيض إرشاداتهما التي ستكون عوناً لي في إعطاء البحث صورته النهائية.

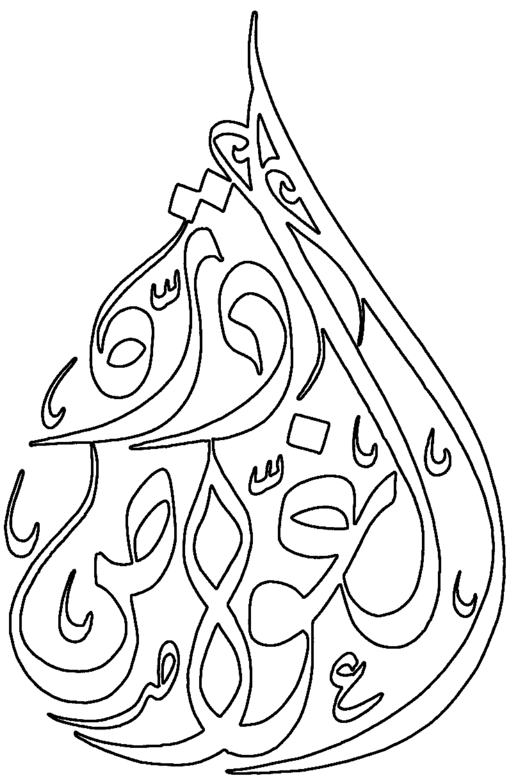
والشكر أيضاً إلى كل من صحبني في هذه الرحلة يمضغ الصبر ويجدد الأمل ويقوي العزيمة والله الموفق.

****

القسم الأول

الدراسة





الفصل الأول
قبيلة عبدالقيس

١ - نسب عبدالقيس:

يعود النسابون بعبدالقيس إلى العدنانيين فهو ولد أفصى بن دعمي بن جديلة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[١]. وإلى عبدالقيس تعود قبيلة عبدالقيس، أما النسبة إلى القبيلة فعبدي، وعبدقيسي، وقيسي[٢] وفي بعض المراجع عبقسي[٣].

ولا أريد أن أتوقف عند فن النسب والأنساب فإن ما قيل فيه كثير وعظيم ولكني أرى أن صحة النسب في عبدالقيس، ليس بالشيء الغامض الذي يحتاج إلى بيان أو يعوزه دليل، فقد أكد الباحثون في أنساب العرب حقيقة نسب العبديين وأشار إلى تلك الحقيقة النسابون من عبدالقيس أمثال صعصعة بن صوحان في مجلس معاوية بن أبي سفيان[٤].

وفي «الأنساب»[٥] أنه ولد لعبدالقيس أفصى ولبوء، ويذكر ابن دريد[٦] أن اللبوء حي عظيم، رحل قسم منهم وسكن مدينة توج في بلاد فارس[٧] ولا تورد المصادر شيئاً ذا بال عن أخبارهم، اما أفصى فكان منه ولدان شن ولكيز، وهما قبيلتان عظيمتان في عبدالقيس[٨].

---

(١) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ٢٩٥ وابن الكلبي: جمهرة النسب ١٦٨ .

(٢) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ٣٣٨.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٧٣.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ٣٣٩/٢.

(٥) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ٢٩٥، ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٠٥/٣.

(٦) ابن دريد: الاشتقاق ٣٢٥.

(٧) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٧٤.

(٨) ابن دريد: الاشتقاق ٣٢٦ وتاج العروس ٢٥٦/٩، ولسان العرب ٢٤٣/١٣.

فبنو شن كانت لهم سيطرة وسطوة، ومنهم الأفكل[١] - عمرو بن الجعيد - سيد عبدالقيس في الجاهلية وقائد جموعها من تهامة إلى البحرين[٢] ، كان كاهناً وقتله بنو عصر من العبديين ليطشه وبغيه[٣] ، وفي شن كثير من الحكماء منهم رئاب الشني[٤]، وشن هي التي أطبقت على قبيلة إياد وأجبرتها على الرحيل إلى العراق[٥]، واستقرت في أماكنها شمال البحرين[٦] ، وثار الشعراء الشنيون على ملوك الحيره وشقوا عصا الطاعة وحملوا راية الثورة والتمرد على سلطان المناذرة[٧].

وينفرد السويدي[٨] برواية أشار فيها إلى أن شناً من ولد أفصى بن دعمي ابن جديله وبذلك أخرجه من نسل عبدالقيس، ويبدو أن تكرار أفصى في «الأنساب» قبل وبعد عبدالقيس هو الذي أوقع السويدي في هذا الإشكال وانفراده في روايته تلك يغرينا بالشك فيما ذهب إليه.

أما لكيز فهي قبيلة كبيرة انحدرت منها بطون وديعة، وصباح، ونكرة[٩] وأشار المثقب إلى لكيز في خطابه للنعمان بن المنذر.[١٠]

---

(١) ابن دريد: الاشتقاق ٣٢٦.

(٢) البكري: معجم ما استعجم ٨٦.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٧٤، ابن دريد: الاشتقاق ص ٣٣٠.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ٨٢/١.

(٥) البكري: معجم ما استعجم ٨٧.

(٦) انظر: منازل عبدالقيس.

(٧) انظر: الدراسة الموضوعية.

(٨) السويدي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ٥٤.

(٩) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ٢٩٥.

(١٠) ديوان المثقب العبدي، تحقيق: الصيرفي ١١٦.

«ونكرة» من الإنكار والغلظة[1] أنجبت أكثر شعراء العبديين شهرة وذيوعاً أمثال: المثقب، والممزق، والمفضل وعدداً من النساء الشهيرات أمثال سنينة النكرية[2] ، ومن شعر النكريين نرى أنها كانت تميل إلى السلم، وتقوم بالسفارة بين القبيلة الأم وأعدائها، وتنصف خصومها، ويهيئ القبيلة لهذه الخصال الحميدة جمال منازلها خصوصاً ما حول مدينة القطيف حاضرة عبدالقيس في القديم[3].

وبطن صباح كان فيهم رجال عظام وفدوا على الرسول عليه السلام أمثال أبو خيرة الصباحي[4] والقائف وإياس وهما سيدان في رهط صباح[5].

وكان لوديعة ثلاثة أبناء، عمرو وغنم ودهن[6] وهم بطون في عبدالقيس، فمن عمرو انحدرت بطون كثيرة، ومن غنم اشتهر رجال في الإسلام منهم حكيم بن جبلة[7] وهرم بن حيان[8] وهما حكيمان.

ومن نسل عمرو – محارب وعجل والدبل وأنمار[9] – ويطلق على الثلاثة الأوائل اسم العمور[10]. فبنو محارب أشداء أقوياء واسمهم يدل على أنهم رجال حرب، فكانوا يقومون بصناعة الأسلحة من دروع ورماح ومنهم الحطمة بن محارب الذي نسبت إليه الدروع الحطمية[11] والشاعر عمرو المحاربي[12].

---

(١) ابن دريد: الاشتقاق ص ٣٢٧.
(٢) كحالة: معجم النساء ٧٣/١.
(٣) البكري: معجم ما استعجم ص ١٠٨٤.
(٤) ابن عبدالبر: الاستيعاب ١٦٤٣/٤.
(٥) العيني: عمدة القارئ ٣٠٩/١.
(٦) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ٢٩٦.
(٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٠٥/٣، ٤٣/٥.
(٨) ابن سعد: الطبقات ٥٦٣/٥.
(٩) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ٢٩٦، ابن الكلبي: جمهرة النسب ص ١٦٨.
(١٠) البكري: معجم ما استعجم ص ٨١ ودائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٧٣.
(١١) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ٢٩٧ ولسان العرب ٢٤٩/١٣.
(١٢) ابن الكلبي: انساب الخيل في الجاهلية ٩١.

وفي وفد عبدالقيس إلى الرسول كان منهم همام بن معاوية[١] وعبيدة بن مالك ومحارب ابن مزيدة وغيرهم[٢].

ومن الديل (الدؤل) صحار بن عياش[٣] الخطيب والنسابه، وفي العصر الأموي كان منهم الشاعر الصلتان العبدي[٤].

واشتهر بنو عجل بالخطابة والشعر والرئاسة فكان منهم آل صوحان[٥] وآل رقبة[٦] ويقال: إن خطبة آل رقبة في الجاهلية كانت بمثابة دستور هام لعبدالقيس بعد الإسلام[٧]، وفيهم الشاعر عمرو بن أسوى[٨]، والمعذل بن غيلان الذي كان شاعراً وله أحد عشر ولداً وكلهم شعراء[٩]، ومنهم كذلك زخارة الذي كان رأس عبدالقيس وسيداً فيها حتى مات[١٠]، وفي وفد عبدالقيس إلى الرسول عليه السلام كان منهم سفيان بن خولى[١١].

أما أنمار فقد ولد له كثيرون منهم الحارث، وسعد، وثعلبه، وإياد، وعوف، ومالك، وعائده، مع اختلاف في نسبهم عند النسابين، ولسنا بصدد بحث هذا الخلاف، لكن الذي يهمنا أن نقف عند بطنين هما الحارث وعوف[١٢].

فمن الحارث كان بنو عامر وهم الذين قتلوا الضحيان من النمر بن قاسط[١٣] ومنهم الريان بن حويص صاحب الهراوة (فرس عبدالقيس)[١٤].

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٤١٢/٥.

(٢) نفس المصدر: ٤١٠/٥.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ٩٦/١.

(٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٥٠٠/٢.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ٩٧/١.

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) المصدر السابق نفسه.

(٨) المرزباني: معجم الشعراء ص ٤١.

(٩) ابن دريد: الاشتقاق ص ٣٣٠.

(١٠) المصدر السابق نفسه.

(١١) ابن سعد: الطبقات ٤١٠/٥.

(١٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٥.

(١٣) ابن حبيب: المغتالون في الجاهلية (نفائس المخطوطات ١٢٢/٦).

(١٤) ابن الكلبي: أنساب الخيل في الجاهلية ص ٩٠.

وفيهم هداج بن مالك لاعب الميسر[١] والشاعر ثعلبة بن عمرو الفارس الشهير[٢].

ومن عوف بن أنمار الحواثر[٣] ومنهم الربيع بن حوثرة الذي قيل: إنه تولى البحرين زمن عمرو بن هند[٤].

ومن عوف أيضاً بنو عصر[٥] وفيهم الأشج[٦] الذي امتاز بالأناة والحلم، وقد وفد على الرسول عليه السلام ومعه رجال من بني عصر، منهم عمرو بن المرجوم، وشهاب بن المتروك، وهمّام بن ربيعه، وخزيمة بن عبد عمر، وجارية بن جابر، وعمرو بن شعيث[٧] وفي مسند الإمام أحمد أن الرسول عليه السلام قال لوفد عبدالقيس الذي رأسه الأشج «اللهم اغفر لعبدالقيس»[٨].

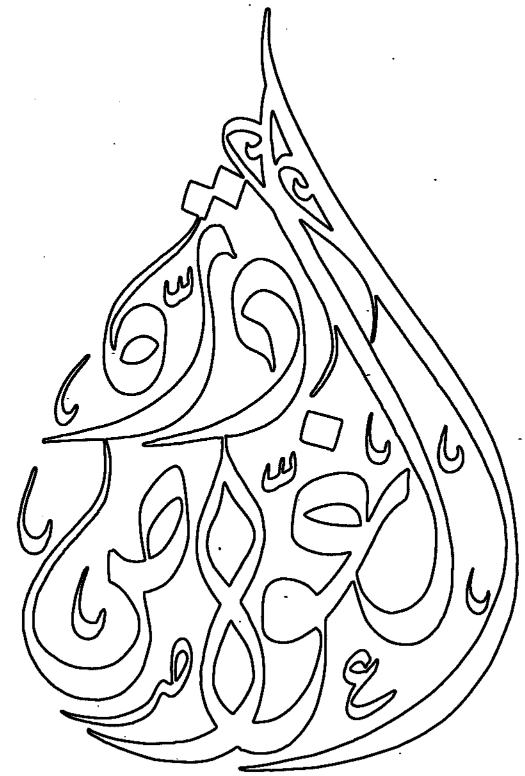
ومن عوف كذلك بنو جذيمة[٩] ومنهم الجارود «بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى»[١٠] وكان خطيباً وحكيماً وسيداً من سادات العبديين وأن جده حكم البحرين زمن الملك عمرو بن هند[١١]، وتشير المصادر إلى أن الجارود والأشج امتازا برجاحة العقل والفكر والحكمة[١٢].

---

(١) ابن حبيب: المغتالون في الجاهلية (نفائس المخطوطات ١٢٨/٦).
(٢) المفضل الضبي: المفضليات ٢٨١ والاشتقاق ص ٣٢٨.
(٣) ابن الكلبي: جمهرة النسب ص ١٦٩.
(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٤٣/٣.
(٥) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٦.
(٦) ابن حجر: الإصابة ١٧١/٢.
(٧) ابن سعد: الطبقات ٤١٠/٥ وتحفة المستفيد ٦٣/١.
(٨) مسند الامام احمد ٢٠٥/٤.
(٩) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٨.
(١٠) ابن سعد: الطبقات ٤٠٧/٥.
(١١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٤٥/٣.
(١٢) العبيد: الأدب في الخليج العربي ص ١١.

في هذه العجالة[١] لنسب عبدالقيس تناولنا أهم البطون والقبائل والشخصيات وعرفنا أنها قبيلة عدنانية استقرت على أرض البحرين واختلطت بغيرها من سكان المنطقة، وقد تمايزت بطونها فاشتهر بعضها بالحرب والقتال، والبعض الآخر بالسلم والإنصاف وبالحكمة وسداد الرأي، والبعض الثالث بالشعر والأدب.

وحسبي أن أذكر أن القبيلتين العظيمتين لكيزا وشنا شغلتا الناس بما كان لهما من تراث شعري ومجد حربي[٢].



(١) انظر شجرة النسب.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٧٣، ٧٤.

٢ ـ منازل عبدالقيس:

عرفنا أن قبيلة عبدالقيس تنحدر من العدنانيين وأن نسبها يعود إلى ربيعة.. وقبيلة ربيعة عاشت في الجاهلية في منطقة تهامة[١] على ساحل البحر الأحمر من غرب الجزيرة العربية. لكن الحرب وقعت بين بطونها فأدى ذلك إلى ارتحال بعضها إلى أماكن أخرى في الجزيرة، فالبكري[٢] يشير إلى أن بني عامر بن الحارث بن أنمار بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس أصابوا عامراً الضحيان من قبيلة النمر بن قاسط من ربيعة، وكان الضحيان منزل القبيلة وصاحب مرباعها[٣]، وحكمها في خصوماتها وقد اعتدى على كعب بن عامر العبدي[٤] فوثب العبدي على الضحيان وقتله، عندها قالت النمر وأولاد قاسط لبعدالقيس، وفيهم الرئاسة «يا إخوتنا قتلتم صاحبنا وانتهكتم حرماتنا فإما أنصفتمونا أو ناجزناكم»، وسعى المصلحون وقام السفراء بينهم فاصطلحوا على أن تتحمل عبدالقيس دية الرئيس، وهي عشر ديات، ويقوم بدفعها بنو عامر، ففعلوا بينما تراخت سائر بطون القبيلة مما أدى إلى إشعال نار الحرب من جديد ودخل الفناء والهلاك في النمر وقاسط.

تفرقت قبيلة ربيعة وتمايزت فارتحلت عبدالقيس متجهة صوب الشرق من الجزيرة العربية واستقرت على أرض البحرين بعدَ أنَ أرسلت روادها الذين أجمعوا على اختيار المنطقة، وتعود أسباب الاختيار إلى عدة نواح في مقدمتها[٥]: أن المناخ والتربة والموقع متشابهة في كل من تهامة والبحرين، وتوفر المياه وخصوبة الأرض في البحرين، وبيئة البحر في كل من تهامة والبحرين.

---

(١) البكري: معجم ما استعجم ص ٧٩، ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ٢٢٩، الجاحظ: البيان والتبيين ٩٦/١.

(٢) البكري: معجم ما استعجم ص ٨٠.

(٣) المرباع: ما ياخذه الرئيس وهو ربع الغنائم في الحرب زمن الجاهليين.

(٤) ابن حبيب: المغتالون في الجاهلية (نفائس المخطوطات ١٢٢/٦).

(٥) كحالة: جغرافية شبه جزيرة العرب ١٦٠.

وكان يعيش على أرض البحرين يومها قبائل من إياد والأزد وتميم وبكر بن وائل[١].

فاقتتلت عبدالقيس مع تلك القبائل وأجلت بعضها عن البلاد واختلطت بالسكان الذين ظلوا فيها، واقتسمت الأرض على النحو التالي[٢]:

أ - نزلت جذيمة بن عوف بن بكر بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس الخط وأنحاءها.

ب - نزلت شن بن أفصى بن عبدالقيس أطراف الخط إلى العراق.

حـ - نزلت نكره بن لكيز بن عبدالقيس القطيف وما حولها.

د - نزل بنو عامر بن الحارث وقبائل من العمور[٣] منطقة الأحساء وخالطوا أهل هجر في ديارهم.

وجاء في «تاريخ الأحسائي»[٤] أن عمرو بن الجعيد من بني شن هو الذي قاد جموع عبدالقيس من تهامة إلى أرض البحرين وهجر[٥].

واجتمع المقيمون بأرض البحرين لصد القادمين الجدد، فتعبأت إياد لقتال قبيلة شن بينما تصدت قضاعة لبقية قبائل عبدالقيس.

أما إياد فقد ظهرت على شن وانتصرت منها وقتلت الرئيسين سعد السعود الشني والأدرم بن نهاد الشني بينما انتصرت عبدالقيس على قضاعة وهزمتها ومالت تعاون شناً وأعملت في إياد السيف، فانهزمت الأخيرة إلى العراق وأوغلت في تقدمها إلى الشمال من سواد العراق[٦].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٥٥، الميداني: مجمع الامثال ١/٤٨٢.

(٢) البكري: معجم ما استعجم ص ٨١.

(٣) العمور هم بنو الديل، وبنو محارب، وبنو عجل أولاد عمرو بن وديعة بن لكيز.

(٤) الاحسائي: تحفة المستفيد ١/٥٦.

(٥) ابن حبيب: المحبر ص ١٣٥.

(٦) الاحسائي: تحفة المستفيد ١/٥٦.

وفي مقتل الأدرم وسعد الشنيين قال الشاعر[1]:

لأي القـــتـــيلـين النوائح والـبكا
لسعـد السعـود أم لمقـتل أدرمـا

ومن طريف ما يرويه البكري[2] أن إياداً كان يقال لها: «الطبق» لشدة رجالها وإطباقهم على أعدائهم ولذا يقول الشاعر:

لقـــيت شنّ إيـاداً بـالقـنـا
طبـقـاً وافق شن طبـقـه

ولم تكن إياد هي الوحيدة التي نازعتها عبدالقيس وغلبتها وأجبرتها على الرحيل وإنما استطاع بنو عبدالقيس هزيمة قبائل أخرى من تميم والأزد وبكر بن وائل وفي ذلك يقول شاعر العبديين «عمرو بن أسوى»[3]:

شـحطنا إياداً عن وقـاع فـقلصت
وبكراً نفـينا عن حـيـاض المشـقـر

ويجمع المؤرخون[4] على أن ديار عبدالقيس ومنازلها في الأصل كانت بتهامة ثم خرجت إلى البحرين وبها خلق كثير من البكريين وتميم والأزد، فزاحموهم في المواطن وقاسموهم الأرض.

ويقول الجاحظ[5] «وشأن عبدالقيس عجيب وذلك أنهم بعد محاربة إياد تفرقوا فرقتين الأولى: وقعت بالبحرين وشق البحرين وهم أشعر قبيل في العرب. والثانية: وقعت بعمان وشق عمان وهم خطباء العرب».

---

(١) الأحسائي: تحفة المستفيد ٥٦/١.

(٢) البكري: معجم ما استعجم ص ٨١.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) الطبري: تاريخ الرسول والملوك ٥٥/٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٩٢/١، القلقشندي: نهاية الأرب ص ٣٣٨، كحالة: معجم القبائل ٧٢٦/٢.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ٨١/١.

ومن قول الجاحظ ندرك أن قسماً من العبديين سكن عمان، وفي دائرة المعارف الإسلامية[1]، أن منازل نكره كانت تمتد حتى بينونة في الجنوب، وأن بطوناً من نكره والديل وعوقة من العبديين سكنت عمان، والمثقب العبدي أخبرنا عن قسم من النكريين في عمان[2].

وهكذا امتدت منازل العبديين من العراق شمالاً، حتى عمان جنوباً وهي المنطقة التي أطلق عليها اسم البحرين قديماً، رغم أنه من الصعب تحديد الرقعة الجغرافية للبحرين آنذاك، لكن الجغرافيين القدامى من العرب أطلقوا اسم البحرين على هذه المنطقة[3].

وكان العرب يسمون الشاطئ الممتد من البصرة إلى عمان بالخط، ويطلقون عليه خط عبدالقيس[4]، وكانت مدينة القطيف[5] عاصمة هذا الخط، واحياناً أخرى تنتقل العاصمة إلى مدينة هجر[6].

وكان هذا الخط إقليماً واسعاً، يضم الأحساء وهجر والقطيف وقطر وأوال[7]، وهي ذات المناطق التي تمتد ما بين البصرة شمالاً وعمان جنوباً.

وتشمل اليوم دولة الكويت، ودولة قطر، ودولة البحرين، ودولة الإمارات العربية المتحدة، والمنطقة الشرقية، والأحساء من المملكة العربية السعودية[8].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٧٣.

(٢) انظر: شعر الحرب، ديوان المثقب ص ١٠٥، الاجناب: المباعدة، عنودها: مخالفتها وثورتها.

(٣) كحالة: جغرافية شبه جزيرة العرب ٢٦١.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ومعجم البكري ٥٠٣.

(٥) البكري: معجم ما استعجم ١٠٨٤.

(٦) البغدادي: مراصد الاطلاع ٣/٢٠٧.

(٧) المسلم: ساحل الذهب الأسود ص ١٧، وجغرافية كحالة ٢٦١.

(٨) الخضري: الخليج العربي ص ٢.

إن البحرين التي قطنها بنو عبدالقيس، منطقة واسعة ممتدة على ساحل الخليج العربي، بين البصرة شمالاً، حتى عمان جنوباً[1]، والحد الفاصل بينهما وبين عمان، جرفار[2]، وهي ما تعرف اليوم بمنطقة رأس الخيمة، وكان يتبعها قديماً جزر عديده منها:

أ - أوال: وهي جزيرة بناحية البحرين فيها نخل كثير وليمون وبساتين، كانت مأهولة بالسكان[3] وتنتج محاصيل زراعية متنوعة وهي الآن.. إحدى جزر البحرين الهامة.

وتبعد عن ساحل الأحساء مسافة خمسة وثلاثين كيلو متراً[4]، وهي اليوم ميناء هام لرسو السفن[5] ويقول فيها الشاعر تميم بن مقبل[6]:

عمد الحداة بها لعارض قرية

فكأنها سفن بسيف أوال

ب - شفار: جزيرة بين أوال وقطر، فيها قرى كثيرة، وكانت من أعمال هجر[7].

حـ - تاروت: في شرق القطيف، وهي اليوم جزيرة صغيرة، بها بساتين ونخيل ومياه عذبة[8].

د - قطر: تمتد على سيف الخط بين عمان والعقير[9]، وكانت مركزاً للنسيج[10] والنجائب القطرية، وبها سوق تجارية هامة[11] وقطر اليوم شبه جزيرة كبيرة ودولة هامة من دول الخليج العربي.

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ١/٣٤٦.

(٢) نفس المصدر ١/٥٠٧ .

(٣) نفس المصدر ١/٢٧٤ .

(٤) رفلة: جغرافية الوطن العربي ٣٧٩ .

(٥) العبيدي: البحرين من إمارات الخليج العربي ٩٦ وفي تحفة المستفيد ١/٥ .

(٦) ياقوت: معجم البلدان ١/٢٧٤ .

(٧) نفس المصدر ٣/٣٠٤ .

(٨) أبو الفداء: تقويم البلدان ٨٣ .

(٩) الدباغ: جزيرة العرب ١/١٧٨ .

(١٠) ياقوت: معجم البلدان ٤/٣٧٣ .

(١١) الاحسائي: تحفة المستفيد ٢٣.

وبذلك تكون البحرين إقليما واسعاً فيه العيون والمياه[1]، وتتبعه مدن وقرى كثيرة، وكان هذا الإقليم يخضع للساسانيين[2]، ثم بعض الأحيان للحيرة،[3] وسيطر عليه فترة من الزمن بنو عبدالقيس.

وقد ذكرت المصادر عدداً وفيراً من المدن والقرى، والحصون، والقلاع، والجبال والأنهار التي نزلتها عبدالقيس وسائر بطونها، ونأتي الآن على أشهرها:

أ – القطيف: مدينة عظيمة بالبحرين، قريبة من الساحل، تبعد عنه مسافة ميل في الشمال الشرقي من الأحساء[4] وترسو السفن بعيداً عن ساحلها[5]، لأنه غير عميق ويدعى قراح[6]، تشتهر بجودة نخيلها وكثرته[7]، كانت إحدى المدينتين الرئيستين والثانية هجر[8]، بل كانت عاصمة البحرين كلها حتى سمي الخليج العربي باسمها فقيل بحر القطيف،[9]، واسمها مشتق من القطف، نزلها الحطم البكري بعد ردته وقاتل العلاء الحضرمي فيها الأعاجم، بها أطلال قديمة، وقنوات بحرية وفيها وقربها عاش شعراء عبدالقيس وفي مقدمتهم المثقب العبدي وعمرو بن أسوى العبدي[10]، وتقع القطيف اليوم على خليج يشمل جزيرة تاروت، وتضم مجموعة من المدن والقرى ومنها دارين وسنابس وصفوى وسيهات والجارودية.

ب – هجر: مدينة داخلية، بعيدة عن الساحل[11]، كانت أهم مدن البحرين حتى أنها سميت بها ذات يوم[12].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٣٤٦/١ وصحيح الأخبار ٢٣٨/٢ .

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٣٤٦/١ .

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٤٢/٣ .

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى ٥٦/٥ وصحيح الأخبار ١١٢/٣ .

(٥) الدباغ: جزيرة العرب ١٨٦/١ .

(٦) الأزهري: تهذيب اللغة ٤٣/٤ ومعجم البكري ١٠٥٦ .

(٧) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٣٦ ورحلة ابن بطوطة ٢٨٠ .

(٨) البكري: معجم ما استعجم ١٠٨٤ .

(٩) المسلم: ساحل الذهب الأسود ١٧.

(١٠) نفس المصدر ٢٦٨.

(١١) البكري: معجم ما استعجم ١٣٤٦ ومعجم ياقوت ٣٩٣/٥ وصحيح الأخبار ٧٦/٤ .

(١٢) ياقوت: معجم البلدان ٩٥٣/٤ ومراصد الاطلاع ٣٠٧/٣ .

ذكرها الهمداني[١] بأنها مدينة عظيمة، ووصفها ابن حوقل[٢]، بأنها أكبر أعمال البحرين ومدنها كانت قصبتها، وأقام فيها مرزبان فارسي، وكانت مركزاً تجارياً هاماً وسوقاً مشهورة من أسواق العرب[٣]، قاتل العلاء الحضرمي فيها الحطم البكري، وقد درست هجَر، وموقعها الحالي مدينة الهفوف[٤].. يتبعها عدد من المدن والقرى منها أسبذ التي ينسب إليها المنذر بن ساوى ملك البحرين ومدينتا الجريب والسعايم وغيرهما. وسميت بهجر نسبة إلى هجر بنت مكنف من العماليق الذين سكنوا تلك المناطق[٥].

ح – المشقر: حصن في هجر[٦] وصفه ابن الأعرابي بأنه مدينة عظيمة[٧]، وسطه قلعة فيها بئر يتحلب إليها ماء هجر[٨]، ويبدو أن المشقر كانت مدينة إدارية ومركزاً تجارياً[٩] وبها سوق شهيرة، وحدثت فيها معارك ضارية بين العرب والفرس ودلالة ذلك يوم الصفقة الذي قتل فيه من بني تميم خلق كثير[١٠] ويقال: إن الذي بنى المشقر هو معاوية بن الحارث بن معاوية الملك الكندي، وقد ورد اسم المشقر في شعر امرئ القيس[١١].

وكانت هجر في القديم لإياد، ولما قدمت عبدالقيس البحرين أخرجوا إياداً منها[١٢].

---

(١) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٣٦ .

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض ٣١ ومعجم البكري ١٣٤٦ .

(٣) المسلم: ساحل الذهب الأسود ٢٦٠ والأفغاني في أسواق العرب ٢٥١ .

(٤) الدباغ: جزيرة العرب ١٨٢/١ .

(٥) البكري: معجم ما استعجم ١٣٤٦ .

(٦) ابن دريد: جمهرة اللغة ٣٤٦/٢، وتهذيب الأزهري ٣١٤/١٨ وصحيح الأخبار ٥٩/٢ ومجمع الأمثال ٣٩٩/٢ .

(٧) البكري: معجم ما استعجم ١٢٣٣ .

(٨) ياقوت: معجم البلدان ١٤٣/٥ .

(٩) نفس المصدر: ٥٤١/٤ ومراصد الاطلاع ١٠٥/٣ .

(١٠) تاريخ ابن خلدون ٣٦٠/٢ وآثار البلاد للقزويني ١١٠ .

(١١) ديوان امرئ القيس ٨٤ .

(١٢) ابن بليهد: صحيح الأخبار ٥٩/٢ .

وقال الشاعر يزيد بن المفرغ[١]:

تركت قريشاً إن أجاور فيهم

وجاورت عبدالقيس أهل المشقر

د – جواثي: مدينة بالبحرين[٢] فيها حصن باسمها وصفه البلاذري بأنه حصن البحرين[٣]، أصبحت مدينة هامة في الإسلام ولها مسجد كبير جامع[٤]، كثيرة الزروع والنخيل وقد قال فيها شاعر عبدالقيس وفي مسجدها[٥]:

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا

والمنبران وفصل القول في الخطب

أيام لا مسجد للناس نعرفه

إلا بطيبة والمحجوج ذو الحجب

وتقع جواثي اليوم شرقي مدينة القلابية في السعودية بالمنطقة الشرقية ولم يبق من آثارها سوى أطلال المسجد[٦].

هـ – الخط: من مدن البحرين القديمة، وصفه ثعلب، بأنه جزيرة العرب وقال ابن السكيت[٧]: بأنه فرضة البحرين وقيل: الخط ما بين عمان والبحرين[٨] وابن دريد يقول[٩]: بأنه سيف البحرين وعمان ومن مدن الخط القطيف والعقير وقطر[١٠] ويذكر الأنباري أن الخط يطلق على ساحل البحرين[١١].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ١٣٤/٥ .

(٢) البكري: معجم ما استعجم ٤٠١ والهمداني في صفة جزيرة العرب ١٧٨، والمسعودي في التنبيه والاشراف ٣٩٢.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٨٣ وصحيح الاخبار ٩١/٣ .

(٤) صحيح البخاري ١٦٥/٣ .

(٥) البكري: معجم ما استعجم ٤٠٢ وتحفة المستفيد ص ١١.

(٦) الأحسائي: تحفة المستفيد ص ١١.

(٧) ابن منظور: لسان العرب ٢٩٠/٧ .

(٨) ابن بليهد: صحيح الأخبار ١٥٠/٣.

(٩) ابن دريد: جمهرة اللغة ٦٧/١.

(١٠) البكري: معجم ما استعجم ٥٠٣.

(١١) الأنباري: شرح المفضليات ٥٧٦.

والخط ميناء على الخليج العربي تمر به السفن الآتية من الهند، وإليه تنسب الرماح الخطية التي بجلب قناها من الهند بحراً، ثم تقوّم فيها، وتباع إلى جميع أجزاء جزيرة العرب(١)، وكانت هذه الرماح من أسلحة العرب المشهورة(٢) كما يوجد في الخط نخيل كثير، ومياه جوفيه عذبة، وحصون كبيرة(٣).

و – العقير: ميناء في البحرين جنوب القطيف(٤)، كانت مركزاً تجارياً هاماً، ترسو فيه السفن القادمة من الصين والبصرة واليمن وعمان(٥) ويعتبر العقير ميناء الأحساء الشهير. أهمل بعد إنشاء ميناء الدمام الحالي(٦)، وكانت العقير شهيرة بالنخيل على طريق عمان – البصرة(٧).

ز – الزارة: ميناء هام مشهور على الخليج العربي قرب القطيف ومن مدن البحرين المهمة(٨). كانت عاصمة المنطقة الساحلية، كما كانت هجر عاصمة المنطقة الداخلية، ولذا أقام الفرس فيها المرزبان الفارسي، وكانت مركزاً إداريا قوياً، بها سوق شهيرة(٩) درست آثارها وفي موقعها اليوم بلدة الرمادة قرب قرية العوامية وسميت بالرمادة بسبب إحراقها(١٠).

---

(١) ابن رشيق: العمدة ٢/٢٢١، والبكري في معجم ما استعجم ٥٠٤ ولسان العرب ٧/٢٩٠ والزمخشري في الجبال والأمكنة ٥١ والأزهري في تهذيب اللغة ١/٥٥٧ .

(٢) الثعالبي: ثمار القلوب ٥٣٤ .

(٣) الأحسائي: تحفة المستفيد ١/١٠ .

(٤) ياقوت: معجم البلدان ٣/٦٩٩ .

(٥) الأحسائي: تحفة المستفيد ٢١ .

(٦) كحالة: جغرافية جزيرة العرب ٢٧٣.

(٧) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٣٦.

(٨) المسعودي: مروج الذهب ١/١١١ ومعجم ياقوت ٢/٩٠٧ .

(٩) المسلم: ساحل الذهب الأسود ٢٦٠ .

(١٠) المسلم: ساحل الذهب الأسود ٤٦ .

ح – دارين: ميناء مشهور بالبحرين[١] تقع في الطرف الجنوبي من جزيرة تاروت شرقي القطيف وبعد فتح الزارة عبر إليها المسلمون وقاتلوا المرتدين[٢] كانت من أسواق العرب الشهيرة بالمسك[٣]، ودارين اليوم قرية من أعمال القطيف ساحلها لا يصلح لاستقبال السفن الكبيرة، هجرها أهلها بعد إنشاء ميناء الدمام الحديث[٤].

ط – الأحساء: من مدن البحرين بقرب الساحل[٥]، تبعد ميلين عن هجر[٦]، وهي إلى الجنوب الغربي من القطيف، لها سوق خاصة بها[٧]، قال عنها المقدسي[٨]: إنها قصبة هجر وأطلق عليها اسم البحرين، كثيرة النخيل، عامرة السكان، غزيرة المياه والعيون أصبحت زمن القرامطة عاصمة البحرين وأهم مدنها بعد خراب العاصمة هجر[٩].

ي – وهناك قرى أخرى منها: شط بني جذيمة: قرية ساحلية قريبة من حدود عمان[١٠] ، والسبخة: تقع بين عمان والبحرين وهي محطة على الطريق بين عمان إلى البصرة[١١] ، وجبلة: قرية تقع شمال هجر[١٢].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٣٧، والبكري: معجم ما استعجم ٥٠٤ .
(٢) ابن سعد: الطبقات ٢/٧٨ .
(٣) الاحسائي: تحفة المستفيد ١/١٣ .
(٤) الدباغ: جزيرة العرب ١/١٧٩ وتحفة المستفيد ١/١٣ .
(٥) ابريليهد: صحيح الاخبار ١/٦٤ .
(٦) ياقوت: معجم البلدان ١/١٤٨ .
(٧) الدباغ: جزيرة العرب ١/١٧٧ .
(٨) المقدسي: احسن التقاسيم ٩٣ .
(٩) الاحسائي: تحفة المستفيد ص ٤ .
(١٠) المسعودي: مروج الذهب ١/١١٠ .
(١١) ياقوت: معجم البلدان ٣/٣٠ .
(١٢) ياقوت: معجم البلدان ٢/٢٧ .

الظهران: ذكر المسعودي أنها من مدن البحرين وهي اليوم من المدن الساحلية الهامة ومركز بترول شهير[1].

الجونان: قرية قرب عين محلم[2] ، وعسلج: قرية ذات نخل وزرع تسقيها قناة من نهر محلم[3]، وطريف: قال عنها البكري: إنها قرية بالأحساء غنية بالنخيل والمزارع تقع شرقي الهفوف[4] ، والرميلة: قرية من أعمال البحرين[5] ، وثيثل: قرية فيها مياه ونخيل شمال البحرين[6].

وأشارت المصادر إلى عدد من القرى والمدن التي سكنتها بطون عبدالقيس وذلك على النحو التالي:

أ- منازل بني عامر بن الحارث بن أنمار بن وديعة بن لكيز من عبدالقيس: السادرة: قرية لبني عامر تقع اليوم شرقي الهفوف[7] ، صلاصل: ماء لبني عامر بن عبدالقيس[8]، والصلبان: واديان لبني عامر بن عبدالقيس[9]، وحران الكبرى والصغرى[10]: قريتان بالبحرين لبني عامر بن عبدالقيس ، وأوجار[11] ، وسوار[12] ، الصفا[13]: نهر يتخلع من

---

(١) نفس المصدر ٥٨١/٣ .

(٢) نفس المصدر ١٦٠/٢ .

(٣) نفس المصدر ٦٧٧/٣ .

(٤) البكري: معجم ما استعجم ٨٩١ .

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٨٢٤/٢ .

(٦) البكري: معجم ما استعجم ١٢٩٢ .

(٧) ياقوت: معجم البلدان ٣٨٨/٣ .

(٨) نفس المصدر ٤١٩/٣ .

(٩) نفس المصدر ٤٢٠/٣ .

(١٠) نفس المصدر ٢٣٦/٢ .

(١١) نفس المصدر ٣٩٧/١

(١٢) البغدادي: مراصد الاطلاع ٦٤/٢ .

(١٣) ياقوت: معجم البلدان ٤١١/٣ .

عين محلم وهي عين ماء جميلة في الأحساء وقيل عنه حصن قرب المشقر[1] والصفا اليوم قصبة المبرز في الأحساء[2] وقال فيه الشاعر[3]:

وبهن أيام المشـــقـــر والصـــفـــا
ومـــحلّم يبكي على قـــتـــلانا

ومحلّم هذا نهر لعبدالقيس بالبحرين[4].

وذكر ياقوت[5] في معجمه عدداً آخر من القرى والمنازل العبدية وهي: الدبيرة، كنبوت، الردم، المزيرعة، النقية، نهاء، المريداء (المرداء)، المجار، الرملة.

ب – منازل وقرى بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز من عبدالقيس:

السهلة: قرية تقع قرب هجر[6]، والسليت: آثارها قائمة حتى اليوم[7]، والجرعاء (القرعاء): سوق تجارية قديمة على مقربة من العقير ميناء البحرين الشهير[8]، والكثيب: قرية بالبحرين ذكرها الشاعر ثعلبة بن عمرو العبدي[9]، والعقير: سبقت الإشارة إليها[10]. والرجراجة[11]. والمطلع[12]، والطربال[13]، والمرزى[14]، وذو الناد[15]، والعرجة[16]،

(١) البغدادي: مراصد الاطلاع ١٥٩/٢ .
(٢) المسلم: ساحل الذهب الأسود ٤٨ .
(٣) ياقوت: معجم البلدان ٢٣٦/٢ .
(٤) ابن بلهيد: صحيح الأخبار ٣٨/٤ .
(٥) ياقوت: معجم البلدان ٤٧/٨ وصحيح الأخبار ٩١/٥ .
(٦) ياقوت: معجم البلدان ٢٠٥/٣ .
(٧) ياقوت: معجم البلدان ٢٤٢/٣ .
(٨) نفس المصدر ٥٣/٤ .
(٩) نفس المصدر ٤٣٨/٤ .
(١٠) نفس المصدر ٦٩٩/٣ .
(١١) نفس المصدر ٧٥٤/٢ .
(١٢) نفس المصدر ٥٦٦/٤ .
(١٣) نفس المصدر ٥٢٥/٢ .
(١٤) نفس المصدر ٤٩٦/٤ .
(١٥) نفس المصدر ٧٢٨/٤ .
(١٦) نفس المصدر ٦٣٨/٣ .

والخرصان[١]، والبحرة[٢]، والذرائب[٣]، والمالحة[٤]، والحوجر[٥]، والوجير[٦]، والمنسلح[٧]، والحوس[٨]، والنبطاء[٩]، والجريب قرى فيها نخيل[١٠].

أما حصون عبدالقيس فمنها: حصن المشقر، حصن الصفا، حصن جواثي، حصن بيرين، وقد سبقت الإشارة إليها، ومن الصحاري: صحراء بينونة بين عمان والبحرين[١١]، ومن الرمال: رملة مرداء هجر[١٢].

ونذكر من الجبال: الرمانتان[١٣]: جبال قرب هجر. باب[١٤]: جبل قرب هجر أيضاً. الشبعان[١٥]: جبل وسط هجر. الرجا[١٦]: جبل وعين ماء بين كاظمة والسيدان. الصليب[١٧]: جبل قرب كاظمة (في الكويت حالياً).

وأهم الوديان: - وادي الستار[١٨]: وهو وادي المياه في غرب الأحساء وطوله مئة ميل، وتربته زراعية، وقراه كثيرة.

---

(١) نفس المصدر ٤٢٣/٢ .

(٢) نفس المصدر ٥٠٦/١ .

(٣) نفس المصدر ٧١٨/٢ .

(٤) البغدادي: مراصد الاطلاع ٤٧/١ .

(٥ - ٨) نفس المصدر .

(٩) ياقوت: معجم البلدان ٧٣٦/٤ .

(١٠) ابن بليهد: صحيح الأخبار ٢٥٣/٣ .

(١١) ياقوت: معجم البلدان ٨٠٢/١ .

(١٢) البكري: معجم ما استعجم ١٢١١ .

(١٣) ياقوت: معجم البلدان ٦٣٢/٢ .

(١٤) نفس المصدر ٤٣٧/١ .

(١٥) ابن بليهد: صحيح الأخبار ١٤٦/٣ .

(١٦) الدباغ: جزيرة العرب ٢٥٥/٢ .

(١٧) ياقوت: معجم البلدان ٤١٥/٣ .

(١٨) ابن بليهد: صحيح الأخبار ١٨٥/٤ .

– وادي الفروق[١]: شمال غرب هجر، كان أرضاً خصبة للرعاية وكان بنو عامر وأبناء العمور يرعون أغنامهم فيه. والسيدان[٢]: قرب كاظمة. ووالغ والسلبان[٣]: في الأحساء.

المياه والعيون: في البحرين عيون كثيرة ومياه غزيرة وأهمها:

أ – عين محلم[٤]: وصفها الأزهري بأنها فوارة[٥]، ماؤها كثير وحار، فإذا برد فهو عذب، تسقي نخيل جواثي وعسلج وقرى من هجر، ومن وصف الأزهري يتبين أنها عين عذبة المياه، غزيرة، تتدفق بقوة[٦]، وذكرت هذه العين في أشعار العرب فقال أعشى همدان[٧]:

ولما نزلنا بالمشقر والصفا
وساق الأعاريب الركاب فأبعدوا
بدأنا فغورنا مياه محلّم
لعلّ بقايا جية القوم تنفد

والمحلم نهر بالبحرين ويسقي مع عين الصفا قرى هجر[٨].

ب – عين هجر: عين بالبحرين تسقي مناطق هجر[٩].

جـ – عين جواثي: عين غزيرة قرب مدينة جواثي[١٠].

(١) البكري: معجم ما استعجم ١٠٢٤ ودائرة المعارف الإسلامية ص ٧٣ مجلد ١.
(٢) البكري: معجم ما استعجم ٧٧١ .
(٣) ياقوت: معجم البلدان ١/١٠٩، ٣/٤١٢ .
(٤) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٦٠.
(٥) البغدادي: مراصد الاطلاع ٣/٥٠.
(٦) نفس المصدر.
(٧) البكري: معجم ما استعجم ١١٩٣ وصحيح الأخبار ٤/٣٨.
(٨) نفس المصدر ١١٩٣.
(٩) ابن دريد: جمهرة اللغة ٢/٢٢٧.
(١٠) الأحسائي: تحفة المستفيد ١١.

د – عين الزارة: ويعتمد عليها السكان في شربهم وسقي مزروعاتهم[1].

هـ – نهر العين بين الصفا والمشقر[2].

وهناك عدد كثير من الآبار والبحيرات.

ولقد ورد القسم الأكبر من تلك المنازل والمدن والقرى في أشعار عبدالقيس وأيضاً في شعر الجاهليين وغير الجاهليين من الشعراء، ونبدأ بزعيم الشعر في قبيلة عبدالقيس المثقب العبدي وهو يصف ظعائن صاحبته فاطمة ويعدد الأماكن التي تعبرها[3]، وهي ضبيب[4]، وشراف[5]، وذات رجل[6]، والذرانح[7]، وفلج[8]، أماكن في البحرين لعبدالقيس.

وفي قصيدة أخرى يذكر المثقب قطر[9] فيقول[10]:

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٩٠٧/٢.

(٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٣٨.

(٣) ديوان المثقب العبدي ١٤٢، ١٤٤، ١٤٨ . البكري: معجم ما استعجم ٦١٠/٢، المواضع كلها من البحرين ما عدا فلجا.

(٤) البكري: معجم ما استعجم ٨٥٥.

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٢٧٠/٢ (بين واقصة والقرعاء على ثمانية اميال من الأحساء).

(٦) البكري: معجم ما استعجم ٦٤٠/٢ ومعجم ياقوت ٢٨/٣ .

(٧) البكري: معجم ما استعجم ٦١٠/٢ وهي موضع بين كاظمة والبحرين وقيل الذرانح نهر بين كاظمة والبحرين (ديوان المثقب ١٤٨).

(٨) على الطريق بين البصرة واليمامة، وفي معجم البكري الفلج نهر صغير والافلاج من أرض اليمامة وكذلك موضع على طريق البصرة ١٠٢٨/٣ .

(٩) البكري: معجم ما استعجم ١٠٨٢/٣ (موضع بين البحرين وعمان) وذكر انها اكثر بلاد العرب نخيلاً وكان فيها لصوص من عبدالقيس وهم الرواطي وقال الشاعر فيهم:

تذكر ساداتنا أهلهم   وخافوا عمان وخافوا قطر

وفي معجم ياقوت ان قطر بين البحرين وعمان ٣٧٣/٤ وقال ابن منذور قطر قصبة عمان.

(١٠) ديوان المثقب ص ٧١ .

كـل يـومٍ كـــــــان عـنـدي جَـلـلاً

غــــيـــر يوم الحِنْو في جـنـبيْ قـطـر

والمفضل العبدي يذكر في منــفقته أماكن في البحرين لعبدالقيس منها:

طريف[1]، آثال[2]، الفروق[3]، ويقول[4]:

تـلاقــــينا بـغــــيــــبـــة ذي طريف

وبـعــــضـــــهم علـى بـعض حنيـق

✡✡✡✡

فــــإنـك لـو رأيـت غــــداة جــئـنـا

ببطن آثـالَ ضــــاحــــيـــةً نـســـوق

✡✡✡✡

لـدى الأعــــــلام مـن تـلـعـــــاتِ طـفـل

ومـنـهـم مـن أضـج بـه الـفـــــــروق

ويشير المزق العبدي إلى أماكن أخرى فيقول[5]:

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٣٤/٤ (موضع بالبحرين كانت لهم فيه واقعة).

(٢) البكري: معجم ما استعجم ١٠٥/١ جبل في البحرين.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ١٠٢٤ الفروق بين اليمامة والبحرين، وقال ابو عبيدة الفروق عقبة دون هجر، وقال عنترة في حرب مع بني سعد:

ونحن منعنا بالفروق نساءنا ... نطرف عنها مشعلات غواشيا

(٤) الأصمعيات: ١٩٩ .

(٥) المفضليات: ص ١٠١ مفضلية ٨١ و١٣٠ .

تطالع ما بين الرجا وقَراقر

عليهن سِربال السُراب يرقرق

✡✡✡✡

فمن مُبْلغ النعمان أن ابن أخته

على العين يعتاد الصفا ويمرق

وأشار ثعلبة بن عمرو إلى أماكن غيرها فقال[1]:

لمن دمن كأنهن صحائف

قفار خلا منها الكثيب فواحف

✡✡✡✡

أخي وأخوك ببطن النسير

ليس به من معد عريب

وقال سويد بن الخذاق[2]:

بما فجرا يوم القطيف وفرقا

قبائل أحلافاً وحياً حراما

فالأماكن الرجا[3]، وقراقر[4]، والعين[5]، والصفا[6]، والكثيب[7]، وواحف[8]، والنسير[9]، والقطيف[10]، وكلها في البحرين لعبدالقيس.

---

(١) المفضليات: ص ٢٨١، ٢٥٣ .

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٠٢.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٣٠/٣ وجغرافية كحالة ٤٧٥ وهي عين في البحرين وفي معجم البكري أنها جبل ١٠٥/١ .

(٤) ياقوت: معجم البلدان ٣١٨/٤ .

(٥) نفس المصدر ١٧٩/٤ عين فوارة بالبحرين تسقي نخيل جواثي.

(٦) نفس المصدر ٤١١/٣ نهر بالبحرين يتخلج من عين محلم.

(٧) نفس المصدر ٤٣٨/٤ وهي قرية لبني محارب من عبدالقيس.

(٨) نفس المصدر ٣٤٣/٥ الواحف الأسود والأرض السوداء.

(٩) نفس المصدر ٢٨٥/٥ .

(١٠) انظر: منازل عبدالقيس.

أما الشعراء الآخرون الذين ذكروا منازل عبدالقيس ومواطنها فكثيرون ومنهم الأخنس بن شهاب التغلبي يقول[1]:

لكيـز لهـا البـحـران والسـيف كله

وإن ياتهـا بأس من الهند كـارب

والشاعر عامر بن الطفيل يقول[2]:

وعـبـدالقـيس بالمرداء لاقت

صـبـاحـاً مـثلمـا لاقت ثمـود

٭٭٭٭

وقـد نلنا لعـبـدالقـيس سـيـبـا

من البُحـرين يقـتـسم اقـتـسامـا

وامرؤ القيس يقول[3]:

او المكرعـات من نخـيل ابن يامن

دوين الصـفـا اللائي يلين المشـقـرا

والأعشى يقول[4]:

كـأنهـا درة زهراء أخـرجـهـا

غـواص دارين يخـشى دونها الغـرقـا

---

(١) المفضليات رقم ٤١ ص ٣٠٤ .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ٤٩، ١١١.

(٣) ديوان امرئ القيس ٨٤، ١٣٧.

(٤) ديوان الأعشى ١٢٤.

فالأماكن البحران[١]، السيف[٢]، المرداء[٣]، البحرين، الصفا[٤]، المشقر[٥]، دارين[٦] - كلها لعبدالقيس.

وقد أشارت المصادر إلى جيران عبدالقيس وهم:

١ - بكر بن وائل: سكنوا البحرين، وامتدت رقعة الأرض التي كانوا عليها من شمال البحرين وحتى منطقة اليمامة[٧]، ويبدو أن العشائر والبطون البكرية كانت بدوية ساهمت بنصيب جيد في النواحي الحضارية، وكان موقف البكريين معادياً للإسلام ومنهم الحطم البكري الذي قاتله العلاء الحضرمي[٨] ومن هذه القبيلة اشتهر شعراء كثيرون في مقدمتهم طرفة بن العبد.

٢ - تميم: من أكبر القبائل العربية، استوطنت بعض عشائرها البحرين وإلى الغرب من منازل عبدالقيس[٩] وكانت تعيش في الدهناء وهضبة نجد[١٠]، ومن الذين خالطوا عبدالقيس في منازلهم في البحرين بنو سعد بن زيد مناه من تميم (وكانوا من أعدائهم)[١١]، ونزلت طائفة من هؤلاء في عمان[١٢] ومن بطونهم بنو دارم بن مالك بن حنظلة، والذين ينسب إليهم المنذر بن ساوى[١٣].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٥٠٦/١ والبكري معجم ما استعجم ٢٨٨.
(٢) نفس المصدر ٢٩٨/٣ .
(٣) نفس المصدر ١٠٣/٥ ومعجم البكري ١٢١١.
(٤) نفس المصدر ٤١١/٣ .
(٥) انظر: منازل عبدالقيس.
(٦) انظر: منازل عبدالقيس.
(٧) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٥٢٣/١، ومعجم البكري ٨٦ .
(٨) البلاذري: فتوح البلدان ٨٣، والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٩٦١/٤ .
(٩) النجم: البحرين في صدر الإسلام ٤٣.
(١٠) البكري: معجم ما استعجم ٨٧.
(١١) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٧٤.
(١٢) البكري: معجم ما استعجم ٨٧.
(١٣) ياقوت: معجم البلدان ٢٢٨/١.

٣ – بنو حنيفة: تتبعوا منابت الكلأ ومساقط المياه، وانتجعوا مواقع الغيث على نفس طريق عبدالقيس وحلوا باليمامة[١].

٤ – الأزد: قبائل عربية[٢] جاءت إلى البحرين من تهامة[٣]، وبعضها من اليمن ووصلوا اليها قبل العبديين[٤] وتغلب العبديون عليهم وسيطروا على منازلهم، وكان قسم منهم يعيش في عمان[٥].

ومن هنا ندرك أن عبدالقيس عاشت بين تلك القبائل وقبائل أخرى غيرها وتعاملت معها وكانت ذات شأن بينها.

أما عن الزمن الذي وطئت فيه أقدام عبدالقيس أرض البحرين، فيعود إلى القرن الثالث الميلادي وربما قبل ذلك بقليل[٦]، فعلى أثر تضعضع الدولة الفارسية في إيران[٧] وقيام ملوك الطوائف سيطرت على الخليج العربي، قبائل عربية، وهاجرت إلى المنطقة عبدالقيس، وكانت تعيش فيها يومها قبائل من قضاعة والأزد[٨].

وتأتي أول إشارة لعبدالقيس على أرض البحرين زمن سابور ذي الأكتاف[٩] إذ عندما كان صغيراً عبرت جموع من عبدالقيس وغزت الفرس في أرضها وبقيت زمناً طويلاً فيها إلى أن اشتد ساعد الملك فعبر الخليج، ونكل بعبدالقيس والقبائل الأخرى، وإذا ما علمنا أن سابوراً الفارسي حكم بين (٣٠٩ – ٣٧٩)[١٠]، أدركنا أن عبدالقيس – أغلب

---

(١) البكري: معجم ما استعجم ٨٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢٣٢/١ .

(٣) البكري: معجم ما استعجم ٨٦، صفة جزيرة العرب ٢٠٩.

(٤) البكري: معجم ما استعجم ٨٧.

(٥) نفس المصدر السابق.

(٦) الدكتور جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤٨٥/٤.

(٧) المسلم: ساحل الذهب الأسود ٩٧.

(٨) الأحسائي: تحفة المستفيد ٥٦.

(٩) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٣٩٣/١ وتاريخ الطبري ٥٥/٢ .

(١٠) الخليفة والحمر: البحرين عبر التاريخ ٥٩.

الظن – أتت إلى المنطقة في القرن الثالث الميلادي ويؤيد ما نذهب إليه من أن قسماً من مؤسسي الحيرة كانوا من عبدالقيس بل ساهموا مساهمة فعالة في نشأتها[١]، وكما تشير بعض المصادر إلى أن غزو عبدالقيس لفارس جاء بناء على رغبة ملك الحيرة امرئ القيس ابن عمرو الذي كان يطمع في تأسيس إمبراطورية عربية واسعة، تضم جميع المنطقة الشرقية وتشمل مختلف جهات الخليج العربي، ويكون مركزها الحيرة[٢].

أما فترة قبل الإسلام بقليل، فهي التي شهدت تقدم عبدالقيس في سائر الحقول الحياتية والحضارية[٣].

وهكذا فإن الخليج العربي أرض عبدالقيس في القديم لم يعرف له مكاناً غير العرب منذ العصور السحيقة[٤]، وسكن العرب شاطئيه وقاسوا الأمرين في سبيل الاحتفاظ به عربياً، وخلف هذا الخليج[٥] و«خط عبدالقيس» لدى العرب والعبديين ضميراً تاريخياً واجتماعياً[٦]، وأقام العبديون علاقات وثيقة بينهم وبين البحر أعطتهم أطيب الثمار وعوضتهم عن جفاف الصحراء وخشونة المفازة العربية، وبقيت عبدالقيس حتى مبعث النبوة قوية مسيطرة، محتفظة بأماكنها، وعندما بزغ فجر الإسلام كانت تسبق إليه عن قناعة ورضى واطمئنان[٧].

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦٩/٤ .

(٢) نفس المصدر ١٩١/٤ .

(٣) انظر: الحياة الإجتماعية.

(٤) الخضري: موسوعة الخليج العربي ص ٧.

(٥) الخليفة والحمر: البحرين عبر التاريخ ٦٥.

(٦) الخضري: موسوعة الخليج العربي ص ٨.

(٧) انظر: الحياة الدينية.

٣ - الحياة الاجتماعية

عرفت جزيرة العرب لونين من حياة القبيلة، فقبائل ترتاد مساقط الغيث، وتأتي منابت الكلأ تسوق إبلها، وترعى ما شيتها، وتستخدم خيولها، في الغارات والغزوات فهم أهل الوبر، وقبائل استقرت في أماكن معينة، وبنت القلاع والحصون وزرعت الأرض وتاجرت مع غيرها وعرفت صناعات خفيفة فهؤلاء أهل المدر.

ولذا فلا يمكننا التسليم بأن كل القبائل في الجزيرة العربية كانت رعوية بدوية، وإنما توزع بعضها في طبقات حضارية متباينة المستوى، ومن تلك القبائل قريش، وطيء، وحنيفة، وجهينة، وسليم، وعبدالقيس[١]، كذلك فإن الجزيرة العربية ليست كلها صحراء، ففيها السهول والجبال والهضاب والوديان، وفيها كذلك المناطق الساحلية، وكانت اليمامة والبحرين، من المناطق الساحلية وقد استقر فيهما بنو حنيفة وبنو عبدالقيس وكانتا تزخران بالقرى والأودية والعيون[٢].

وفي الأخبار أن قبيلة ربيعة ومنها عبدالقيس، نزلت بين دجلة والفرات، وامتدت حتى اتصلت بالبحرين واليمامة، وكان أكثر أهلها متصلين بالقرى فهم بادية حاضرة.

ومن هنا فإن عبدالقيس استقرت على أرض البحرين، وكانت إلى حياة المدن أقرب منها إلى حياة الوبر، وأقامت المدن والقرى وعرفت الحصون والعيون[٤] وزرعت الأرض وتاجرت بمنتجاتها وامتهنت عدداً من الصناعات الخفيفة[٥]، وعبرت البحر ووصلت إلى مواطن حضارية مجاورة وبعيدة[٦].

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨٦/١، ٢٧١/٢، عطوان في مقدمة القصيدة الجاهلية ص ٢٤.

(٢) شوقي ضيف: العصر الجاهلي ١٧.

(٣) الإصطخري: المسالك والممالك ٥٢.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٩٨٥/٢.

(٥) الزبيدي: تاج العروس ٣٨٠/٣ .

(٦) ابن الأنباري: شرح القصائد الجاهليات ١٣٧.

فعبد القيس مجتمع مستقر، عرف الحضارة، وتعامل مع الحضارات المجاورة وتعاطى التجارة والصناعة والزراعة، وكأي مجتمع، كان يواجه مشكلات معقدة ويصطدم باتجاهات متشابكة.

وكانت له حكومة ترعى مصالحه، وتقوم على خدماته، لكن الأخبار لا تحدثنا عن نظام الحكومات، ولا عن حياة المجتمع وطبقاته، والذي ندركه أن عبدالقيس كانت لها شخصية بارزة المعالم، واضحة الاتجاه، وأن مجتمعها قوي متماسك، كثير الرجال، غزير الموارد، وباختصار كان العبديون سادة البحرين[1].

وتنقل لنا المصادر أن والي البحرين عند ظهور الإسلام هو المنذر بن ساوي العبدي[2] وأن الربيع بن حوثرة العبدي اختاره عمرو بن هند والياً على البحرين[3] والمعلى بن حنش العبدي ولي البحرين كذلك[4]، وقلنا: إن الافكل كان سيد عبدالقيس بل وسيد ربيعة[5]، وجاء في الأخبار أن الأشج «المنذر بن الحارث»[6] ترأس وفد عبدالقيس إلى النبي عليه السلام في الوفادة الأولى، والجارود ترأس وفداً آخر في الوفادة الثانية[7]، وكان المرجوم – شهاب بن عبدالقيس – سيداً وأميراً[8].

ومن أخبار هؤلاء الولاة وتلك الوفود ندرك أن عبدالقيس عرفت نظام الحكومة ففيها الحكام والسادة والزعماء ورؤساء الوفود، ومع هذا فقد كان لكل قبيلة أو بطن من البطون العبدية مجلس محلي فيه الشيوخ والسادة وهم يمتثلون بأوامر الحكومات والولاة والأمراء.

---

(١) ابن قتيبة: المعارف ٩٣ . وراد في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٣١/٣ احمد كمال زكي في الحياة الادبية في البصرة ٧٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ١٠٧، ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٣٦٨/٢، العبيدي: البحرين من إمارات الخليج ٣٣٢ وهو عامل كسري على البحرين.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٤٥/٣ وفي رواية اخرى انه ربيعة بن الحارث.

(٤) نفس المصدر: ٢٤٦٠/٣ .

(٥) نفس المصدر: ٣٤٧/٣ .

(٦) ابن سعد: الطبقات ٤١١/٥ .

(٧) ابن سعد: الطبقات ٤٠٧/٥ .

(٨) ابن دريد: الاشتقاق ٣٢٨ .

وتوزعت مجتمع العبديين، طبقات منها : الطبقة الحاكمة وهم السادة والأشراف، والطبقة المحاربة وهم موضع اعتزاز القبيلة وفخرها، والطبقة التي تقوم بالزراعة والتجارة والصناعة والرعاية، وبعد ذلك طبقة العبيد والرقيق.

والرجل العبدي محارب صارم، ولوع بالانتقام، يحارب حاقداً كل من يحاول استعباده[١] وبرمحه وسيفه يصون حقوقه ويحفظ مكانته يربي الخيول ويصنع الأسلحة، لكنه لم يكن يحارب من أجل السلب والغزو، وانما في سبيل الحرية وطلب الوحدة[٢]، وبقيت هذه الخصلة الجيدة حتى العصر الأموي فنجدهم طلاب وحدة[٣]، ومن أبرز فرسانهم في الجاهلية ثعلبة بن عمرو[٤] والريان بن حويص[٥]، ويزيد بن الخذاق[٦] وآخرون سنأتي إليهم عند دراستنا لشعر الحرب.

ويمتاز العبدي بشمائل أصيلة وصفات أخلاقية سامية، وأهمها: الكرم والوفاء، والإباء، والمروءة، والأمانة[٧]، ويخبرنا المثقب عن ضيف طرق بابه في ليلة ماطرة وقام إليه يلقاه بالترحاب وينحر له ناقة سمينة[٨]:

فلما أتاني والسماء تبله
فلقيته أهلاً وسهلاً ومرحبا

فالعربي وإن انتقل إلى الحاضرة بقي الكرم عنده من أهم خصاله.وكان من رجالات عبدالقيس البارزين في الكرم خالد بن أنمار الذي كان يحتفل بضيفانه في مجلسه، ويقدم إليهم جفانه، ويبذل لهم ماله، وهو بهذا يصون عرضه ويحفظ سمعته[٩]:

---

(١) سيديو: تاريخ العرب العام ٣٢.
(٢) الخليفة والحمر: البحرين عبر التاريخ ٦٢.
(٣) الدكتور احمد كمال زكي: الحياة الأدبية في البصرة ٢٠٥.
(٤) ابن دريد: الاشتقاق ٣٣٠.
(٥) نفس المصدر: ٣٢٨.
(٦) المفضليات: ٢٩٥، ٢٩٧ .
(٧) العبيد: تاريخ الأدب في الخليج ١٢ وعبود في الرؤوس ٧.
(٨) ديوان المثقب العبدي ١١٩.
(٩) ديوان المثقب العبدي: ص ٢٢٣، في رواية مترع الجفنة ويريد انه يطعم الناس ويوسع عليهم، وربعي الندى: مبكر الندى فهو قديم الكرم والعطاء، لطم: ليس في مجلسه سفه.

باكــــر الجـــــفنة ربعي الندى
حـسن مـجلسـه غـيـر لطم
لا يبـــــالي طيب النفس به
عطب المال إذا العـــرض سلم

وحافظ الإنسان العربي على عهده فقد قالت أعرابية لرجل[١]: «مالك تعطي ولا تعد» فقال لها «مالك والوعد»؟ قالت «ينفسح به البصر وينشر فيه الأمل، وتطيب بذكره النفس، ويرضى به العيش»، واهتم العبدي بعهده والوفاء به اهتماماً كبيراً وذم كل من يخلف الوعد ولا يفي به[٢]:

فـــإذا قلت نَعمْ فـاصـبـر لهـا
بنجـــاح الوعــد: إنَّ الخلف ذم

وهو أبي شجاع، يستجيب لاستغاثة الأقارب، فلا يقصر في الخطوب ولا هو فاسد المروءة[٣]:

ومـا التـقـصـيـرُ قـد عَلِمتْ مـعـدّ
وأخـــلاق الدنيــة من خـــلالي
فـــإني لا أضـــمن على ابن عـــمي
بنصــــري في الخطوب ولا نـوالي

وفي ميدان الفكر والمعارف القديمة، فإن المتتبع للحياة الفكرية على أرض عبدالقيس قبل الإسلام، يدرك أنها أخذت بحظ وافر منها وبلغت مدى بعيداً ويعود ذلك لعدة أسباب منها[٤]:

١ - الموقع الممتاز بين حضارات قديمة، والبيئة الطبيعية الجميلة على امتداد الخليج العربي.

٢ - الأجناس العديدة التي سكنت المنطقة وحطت إليها ثقافاتها وحضارتها.

---

(١) النويري: نهاية الأرب في فنون العرب ٢٤١/٣ .

(٢) ديوان المثقب العبدي: ص ٢٢٨.

(٣) القالي: الأمالي ٢٠٤/٢ .

(٤) عبدالله المبارك: النثر في شرق الجزيرة العربية ٣٠ - ٤٠ والعدناني في سلسلة أبطال الإسلام ٢٨، العبيدي في تاريخ الأدب في الخليج العربي ١٠.

٣ – كانت بلاد عبدالقيس ملتقى الديانات الوافدة والمهاجرة كالمسيحية واليهودية والمجوسية.

٤ – المركز الاقتصادي وخاصة النشاط التجاري.

ومن هنا فقد عرفت الكتابة والترجمة وفنوناً أخرى كالغناء والرسم والتمثيل وارتادت الحيرة ذات المركز العلمي، والموطن الحضاري، وتأثرت بالمراسيم والعادات في بلاد فارس بل كانت حضارة الفرس غالبة على إقليم العراق والجزيرة منذ عهد الساسانيين[١]. وأشار ثعلبة بن عمرو إلى الكتابة والرسم فقال[٢]:

أكبَّ عليها كاتب بدواته

يقيم يديه تارة ويخالِفُ

واستقبل الشعر مفردات فارسية وأعطى ألفاظاً عربية ويقول الممزّق[٣]:

بجاواء جمهورٍ كأنَّ طريقها

بسُرّةَ بين الحزنِ والسَّهلِ رزْدقُ

فـ«رزدق» لفظية فارسية تعني المستوي والممتد وعند المثقب كثير من هذا سنشير إليه[٤].

وعرف العبديون أنظمة الكفالات والعقود المكتوبة، فالممزق ينفي اشتراكه مع بعض القبائل بكفالة ملزمة وعقد مكتوب[٥]:

فلا أنا مولاهم ولا في صحيفة

كفلت عليهم والكفالة تَعْتِقي

وتعامل العبديون مع الآخرين بلغة سهلة ومتينة فيها لفظ مأنوس وكلمات حضارية، فقد أشارت أشعارهم إلى الجزارين والبوابين وغير ذلك من شؤون الحياة اليومية[٦].

(١) احمد كمال زكي: الحياة الادبية في البصرة ١١٧.

(٢) المفضليات: ٢٨١.

(٣) نفس المصدر: ١٠١.

(٤) انظر: الدراسة الفنية عند المثقب.

(٥) الاصمعيات: ١٦٤.

(٦) المفضليات: ٢٩٦ (قصيدة يزيد)، وديوان المثقب ١٢٤ (قصيدته النونية)، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤٣٥/٥.

وذكرنا أنهم امتازوا بالحكمة والفكر فالجارود العبدي كان حكيماً وخطيباً وشاعراً[1]، ورئاب الشني، وبحيرا الراهب حكيمان[2] والأشج صاحب حلم وأناه[3]. والمثقب الشاعر رسول سلام في العبديين[4]، ولعل سرعتهم في قبول الإسلام وصعوبة ارتدادهم عنه يدل على صفاء الذهن وتنظيم الفكر عندهم[5]، وفي معرفتهم للوفود والسفارة بين القبائل والملوك وقيامهم بالدعوة إلى السلم والإصلاح ومساهمتهم في رأب الصدع، كل ذلك يعكس لنا مدى اتزانهم وذكائهم في معالجة المواقف والأمور ويدل على الفكر المتزن عندهم[6].

وساهم العبديون مساهمة فعالة في الحركة الشعرية والأدبية على امتداد الخليج العربي وتركوا بصمات واضحة المعالم في سجل الشعر الجاهلي وفي بلاط المناذرة الأدبي[7]، وبرز منهم شعراء كثيرون في العصور الإسلامية أمثال الصلتان العبدي، وزياد الأعجم[8]، وابن المقرب الذي قال يفتخر بقومه عبدالقيس[9]:

أيامهم في الجاهلية كلها
بيض تعير الخصم وجهاً أسودا

وفي الخطابة والبلاغة برز منهم الكثير وتنازع الخطابة فيهم أسر عديده منها، آل رقبة وآل خوتعة وآل صوجان[10] وفي الأخبار أنه كان ينصب منبر لصعصعة بن

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٤٠٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ٨٢/١، ٨٩ وفي الأغاني ٣٢٦/١٦ ذكر أبو اليقظان أن الناس سمعوا منادياً ينادي قبل بعثة الرسول عليه السلام (خير أهل الأرض.. رئاب الشني، وبحيرا الراهب وآخر لم يات بعد).

(٣) ابن سعد: الطبقات ٥٥٨.

(٤) انظر: حياة المثقب وشعره.

(٥) العدناني: سلسلة أبطال الإسلام ٢٩.

(٦) نفس المصدر.

(٧) انظر ديوان عبدالقيس.

(٨) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٩٥.

(٩) ديوان ابن المقرب ص ٦٤.

(١٠) عبدالله المبارك: النثر في شرق الجزيرة العربية ٣٠ - ٥٢.

صوحان، أمام جماهير العرب فيدوي صوته في آفاق الدنيا[١]، والعرب تذكر من الخطب الشهيرة خطبة العجوز لبني رقبة، ومتى تكلموا فلابد لهم منها أو من بعضها[٢]، وقال ابن الأعرابي، قال معاوية ابن أبي سفيان لصحار بن عياش العبدي «ما هذه البلاغة فيكم»؟ فقال صحار: «شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا»[٣] وجاء في الأمالي[٤] أن صعصعة العبدي عندما سئل عن الأنساب أجاب «أما عبدالقيس فأبطال ذادة وجحاجحة سادة وصناديد قادة، وأما أفصى بن عبدالقيس فقد كانت رماحهم مشرعة وقدورهم مترعة وجفانهم مفرغة، وأما لُكيز فكان يباشر القتال ويعانق الأبطال ويبدد الأموال».

وفي العقد الفريد[٥]، أن عبدالملك بن مروان، قال يوماً لجلسائه «خبروني عن حي من أحياء العرب فيهم أشد الناس وأسخاهم وأخطبهم وأطوعهم وأحلمهم وأحضرهم جوابا».

فقالوا «ما نعرف هذه القبيلة، ولكن ينبغي لها أن تكون في قريش»، قال عبدالملك «إنها قبيلة مصقلة بن رقبة»، فقالوا «فهي إذن في ربيعة ونحن هم»، قال «نعم». فقالوا «ما نعرف هذا في عبدالقيس إلا أن تخبرنا به يا أمير المؤمنين»، قال عبدالملك «أما أشد الناس فحكيم بن جبلة، وأما أسخى الناس فعبدالله بن سوار، وأما أطوع الناس فالجارود بن بشر، وأما أحضر الناس فصعصعة بن صوحان[٦]، وأما أحلم الناس فالأشح العبدي».

وإن صحت هذه الروايات وتلك الأخبار فإن عبدالقيس قبيلة كانت لها بالفعل مكانة بارزة بين القبائل والملوك، وظلت تمثل هذه المكانة بعد الإسلام.

---

(١) حسن طالب: ادباء البحرين ٧.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ٢٠٦/١، ٢١٨، تحفة الأعيان ص ١٤.

(٣) نفس المصدر: ٢٩٧/١، ١٨١/٢ .

(٤) القالي: الأمالي ٣٩٣/٢ .

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣١٥/٣ .

(٦) ضريحه في قرية عسكر بالبحرين (التحفة النبهانية ص ١٥).

ولم تكن المرأة بأقل مكانة من الرجل في الحياة الاجتماعية، فتمتعت بنصيب وافر من التقدير والاحترام، فقامت على خدمة بيتها وتربية أولادها وعملت في ميدان الصناعة والنواحي الاقتصادية الأخرى، وقد روت الأخبار أن ردينة وهي امرأة من البحرين ساهمت في صنع الرماح مع زوجها سمهر[1] وخرجت المرأة العبدية إلى الحروب وشاركت في القتال وتحميس الأبطال وفخرت بشجاعة الفرسان فالشاعرة العبدية تقول[2]:

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم
ولم يبتغوا من رهبة الموت سلّما
ولو أنهم فروا لكانوا أعزة
ولكن رأوا صبراً على الموت أكرما

وافتتح العبديون قصائدهم بالحديث إلى المرأة والتودد إليها وتسمى بعضهم باسمها، فالشاعر ثعلبة بن عمرو يطلق عليه ابن أم حزنة[3]، والمرأة العبدية سيدة ثرية تعتني بجمالها وسحرها وزينتها لم لا وبلاد عبدالقيس مخزن أدوات الزينة وأسبابها، فالمسك الداري واللؤلؤ البحراني والثوب القطري والبرد الهجري كلها تصدّر من البحرين[4]، وقد حدثنا المثقب في نونيته طويلاً عن المرأة العبدية وهي تأخذ زينتها وأبهى مظاهر سحرها عند رحيلها وسنتناول ذلك في شعر الظعائن[5].

---

(١) الجاحظ: الحيوان ١٩٩/٧ العقد الفريد: ١٥١/١، الأغاني: ٨٢/١٥ .

(٢) البحتري: الحماسة ص ٣٧.

(٣) ابن حبيب: من نسب إلى أمه من الشعراء ١٢٦/٧ (نوادر المخطوطات) ١٢٦/٧ .

(٤) انظر: الحياة الاقتصادية.

(٥) انظر: شعر المثقب في الظعائن.

واشتهر من نساء عبدالقيس مارية بنت الجعيد[1]، وبحر بنت الجارود[2]، وأم شوق[3]، وأم شيب[4]، وغيرهن إلى جانب الشاعرات العبديات[5].

وأقف عند ظاهرة الأسماء في عبدالقيس ولست أدري لماذا تستوقفني هذه الظاهرة لولا هذا الحشد الكبير من الأسماء التي عرفها مجتمعهم ومنها المثقّب والممزَّق والمطلّع والمفضّل والأفكل والجارود الهجرس ومصقلة وزخارة ولُكيز وشَن ونُكره واللبؤ وخَوْتعة وشَأس، وكلها تسترعي الانتباه وتلفت الفكر، فهل من تعليل لهذه التسميات؟

ويورد ابن دريد[6] أسباباً مقبولةً معتمداً على الاشتقاق فاللّبؤ من لبؤة الأسد، والهجرس ولد الثعلب، وشن من القربة إذا يبست، والسقاء إذا تجلد، والأفكل بمعنى الأرعد، والجارود من الجرد والهلاك، وزخارة من البحر الزاخر، ومصقله من صقل السيوف وخوتعة بمعنى الدليل، ولُكيز من الضرب والملاكزة، ونكره من الإنكار والغلظة وشأس من الغلظ وصلابة الأرض، ويذكر الهمداني[7] الأسماء التي تمت بصلة إلى النبات، وأما القلقشندي[8] فيقول: بأن الأسماء منقولة عن خيال العرب ومن مخالطتهم ومجاورتهم للحيوان كأسد، والنبات كحنظلة، والحشرات كحنش، والأرض كصخر.

ومن كل هذا كنا نميل إلى أن الكثير من أسماء البطون والقبائل والأفراد في عبدالقيس إنما جاء من تأثير البيئة عامة سواء أكانت تمت بصلة إلى الحيوان أم النبات أم الصحراء أم البحر أم الأرض وبيئة البحرين خاصة فزخارة من البحر الزاخر والدؤل حيوان بحري[9]، والزراع من الزراعة[10]، ومصقلة من صقل السيوف، ونكره ولكيز ومحارب من القتال والشدة والحرب غير ذلك.

---

(١) عبدالله عفيفي: المراه العربية في جاهليتها ص ٢٩.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٦٥/٣ .

(٣) كحالة: معجم اعلام النساء ٣١٥/٣ .

(٤) نفس المصدر: ٢٨٥/٢ .

(٥) انظر: ديوان عبدالقيس.

(٦) ابن دريد: الاشتقاق ٣٢٤ – ٣٣٤.

(٧) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٣٤.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى ٣١٢/١ .

(٩) النبهاني: التحفة النبهانية ٢٠.

(١٠) ابن سعد: الطبقات ٥٦٣/٥ .

ونضيف إلى أثر البيئة صفة التفاؤل، فالعرب تتفاءل بالأسماء[1] في الشدة، والصلابة والصبر «فصبرة»، جد الأفكل للصبر، «وحطمة» للشدة والتحطيم وغيرها من الأسماء الدالة على طباعهم وصفاتهم.

أما الشعراء فليس أمامنا إلا أن نلجأ إلى الشعر الذي كان سبباً في تسمياتهم رغم أن لهم أسماء لكن تلك التسميات غلبت عليهم فالمثقب هو عائد والممزق: شأس والمطلّع: ربيعة والحصيص: عامر، وأسوق هنا أبيات الشعر التي قالوها وكانت سبباً في ألقابهم وتسمياتهم[2]، يقول المثقب:

ظهـرن بكلة وسـدلن رقـمـاً
وثقّبن الوصـاوص للعـيـون

ويقول الممزق:

فـإن كنت مـاكـولاً فكن خـيـر آكلٍ
وإلا فـأدركـني ولما أمـزق

ويقول المطلّع:

فـإن لم أزر سـعـدى بـ ـرد كـأنهـا
صـدور القنا يطلعن من كل مطلع

ويقول الحصيص:

قـد حصّت البـيـضـة رأس امـرئ
جلـد علـى الأهـوال صـبـار

أما المفضل «عامر بن معشر» فقد فضلته قصيدته[3] التي تعرف «بالمنصفة»[4].

---

(١) الجاحظ: الحيوان ١/٣٢٤، ٣٢٦.

(٢) السيوطي: المزهر في اللغة ٤٣٦، الثعالبي: لطائف المعارف ٧٦، الجاحظ: البيان والتبيين ٢/٢٨٨.

(٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٢٧٣.

(٤) انظر: دراسة شعر المحرب.

ولا بد لي من التعرف على تقاليد مجتمعهم ومنها:

١ - الحبوس: حبس بعضهم الممتلكات، وجعلها وقفاً على الفقراء والمحتاجين، وقدموا الخيل للإغارة بها واكتساب الرزق عليها، وروي أن الريان بن حويص[١] جعل فرسه - الهراوه - موقوفة على العزاب من قومه فكانوا يغيرون عليها ويستفيدون المال في الزواج، وكان الواحد منهم يدفعها إلى الآخر إذا انتهى منها ولذا قيل «أعز من هراوة الأعزاب» وفيها قال الشاعر[٢]:

فيا من رأى مثل الهراوة منكحاً

إذا بل أعطاف الجياد جروح

٢ - سباق الخيول: عرفت هذه الرياضة البدوية المفضلة في الجاهلية[٣] وهراوة عبدالقيس كانت تأتي سابقة لمختلف الخيول طيلة عشر سنوات[٤]، وما حرب داحس والغبراء، إلا مثال فيه التنافس على هذه الرياضة ولا تزال منطقة الخليج حتى يومنا هذا تمارس رياضة الخيول والجمال وتقيم لها الاحتفالات واشتهر العبديون بتربية الخيول والجمال خصوصاً النجائب القطرية منها، يقول جرير[٥]:

لدي قطريات إذا ما تغولت

بنا البيد غاولن الحزوم الفيافيا

٣ - الصيد: شأن سائر القبائل عرف العبديون صيد البر فاصطادوا الظباء والغزلان ولكنهم كذلك مهروا في صيد البحر وكان (الكنعد) مأكولاً طرياً من السمك[٦] عندهم واحترفوا الغياصة وصيد اللؤلؤ[٧].

---

(١) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ٢٧٨.

(٢) ابن الكلبي: انساب الخيل ٩٠.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦٨١/٤.

(٤) الالوسي: بلوغ الأرب ٩٧/٣، ١٠٢.

(٥) الاحسائي نسخة المستفيد ٢٣.

(٦) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٢١/٧.

(٧) انظر: الحياة الاقتصادية.

٤ – التمثيل: لا نشك في أن عبدالقيس تأثرت بالمراسيم والعادات المتبعة لدى الفرس وفي بلاط المناذرة، فأخذوا منها، وشاركوا فيها، ففي ميادين الفن والحفلات، قام الممثل سعد القرقرة[1]، بمنادمة النعمان بن المنذر والإشراف على برامج الترفيه والتسلية في حفلات السمر، وكان القرقرة من أهل هجر، ويقول عنه الزركلي:[2] إنه كان يقول الشعر ويضحك النعمان وقيل له «ما رأيناك إلا وأنت تزيد شحماً وتقطر دماً» فقال: «لأني آخذ ولا أعطي وأخطئ ولا آلام فأنا طول الدهر مسرور ضاحك» وقيل[3] أوتي النعمان بحمار وحشي فدعا بسعد القرقرة وقال «احملوه على اليحموم» وأعطوه مطرداً وخلوا عن هذا الحمار حتى يطلبه، فقال سعد: «إني إذا أصرع عن هذا الفرس فمالي ولهذا» وأصر النعمان على أن يعمل بسعد كما أمر ورجاه سعد لكن ذلك لم يكن وركض الفرس وتعلق سعد بعرفه فضحك النعمان ثم أدرك سعد فأنزل عنه، ومن شعره:

نحن بغرس الودي أعلمنا
منا بركض الجياد في السلف
يا لهف نفسي وكيف أطعنه
مستمسكاً واليدان في العرف

وإلى جانب ذلك عرف العبديون الحرس من الشرطة والبوابين[4] على قصور الملوك كما استخدموا الحرس في تجارة القوافل[5] ومن الأدلاء الذين اشتهروا باجتياز المفازة دعيميص الرمل العبدي[6].

---

(١) ابن منظور: اللسان ٨٩/٥، الثعالبي: ثمار القلوب ٨٤.

(٢) الزركلي: الأعلام ١٣٦/٣ .

(٣) البكري: فصل المقال ١٧٧، السيوطي: شرح شواهد المغني ٢٨٦.

(٤) ديوان المثقب العبدي ص ٢٠٠.

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣١٧/٧ .

(٦) البكري: معجم ما استعجم ١٣٦٧ .

٥ - التعاويذ والتمائم: عرف مجتمع عبدالقيس التمائم، واستعان بالتعاويذ، والأنجاس، في شفاء المريض، كما علقت الأدوات النحاسية على صدره، وذهبوا في اعتقادهم إلى أن تعليق الأقذار النجسة، تقي من العين والأرواح الخبيثة، وتبعد الموت، لكن الممزق العبدي أدرك أن تلك التمائم لا تفيد كما لا ينفع كذلك الكاهن والطبيب، إذا حضر الموت[١].

- وكانوا يعلقون الحلي والجلاجل على اللديغ زاعمين أنه يفيق[٢] ويصحو حتى لا يصيبه الأذى[٣]:

فبت أضم الركبتين إلى الحشا

كأني راقي حية أو سليمها

وزعموا أن الإنسان إذا قتل ولم يطالب بثأره أحد خرج من رأسه طائر يسمى الهامة، وصاح على قبره: «اسقوني» إلى أن يؤخذ بثأره[٤].

وعرفوا عزيف الجن[٥] وهو صوت الرمال عندما تحملها الرياح وتعصف بها[٦]:

في لاحبٍ تعزفُ جنّاته

مُنْفِهق القفرة كالبُرْجُدِ

وكان من أكبر كهانهم عمرو بن الجعيد وكذلك الرباب بن البراء.

(١) البحتري: الحماسة ٩٧ وانظر: ديوان عبدالقيس.

(٢) الحوفي: الحياة العربية في الشعر الجاهلي ٤٩٨، ٥٠٧.

(٣) ديوان المثقب ٢٣٨.

(٤) نفس المصدر ٢٤٩.

(٥) النويري: نهاية الأرب في فنون العرب ١١٧/٣.

(٦) ديوان المثقب ٣٢، تعزف جناته: الجن، منفهق: واسع، البرجد: الثوب.

٦ – المجالس: عرف العبديون نظام المجالس، وناقشوا فيها مواقفهم وبحثوا أمورهم، وكانت مجالسهم على جانب كبير من الاتزان والتعقل والهدوء فهي ليست صاخبة الأصوات، ولا سفيهة الرجال، ويحدثنا المثقب عن مجلس خالد بن أنمار فيقول[١]:

مسرع الجفنة، ربعي الندى
حسن مجلسه غير لطم

وفي مجلس يزيد بن الخذاق يتجمع العبديون وهم يتحفزون للقتال ويقررون الهجوم على المناذرة[٢]:

فإن تبعثوا عَيْناً تمنى لقاءنا
تجد حول أبياتي الجميع جلوسا

ويتحدث الممزق عن مجلسه فيرى أن أبناء قبيلة نكره لا يردون الموت عندما يهجم على الإنسان[٣]:

ولو كنت في بيت تسد خصاصه
حوالي من ابناء نكرة مجلس

وربما تداولوا في أمر الميسر الذي كان عادة مفضلة عند أغنيائهم، فيطعمون المحتاجين ما ربحوه خاصة في أيام الشدة والجدب وأشهر من مارس هذه العادة من رجالات عبدالقيس هدّاج بن مالك وفيه يقول الشاعر العبدي بعد مقتله[٤]:

لعمري لقد أردت سيوف ابن ضجغم
غداة التقوا منا خطيباً وياسرا

ويقول زهير بن جناب:[٥]

---

(١) ديوان المثقب العبدي ٢٢٣.

(٢) المفضليات ٢٩٨.

(٣) البحتري: الحماسة ٩٧.

(٤) ابن حبيب: أسماء المقتالين من الاشراف في الجاهلة (نوادر المحفوظات) ١١٧/٦ .

(٥) انظر: ديوان عبدالقيس.

فجمع عبدالقيس أمس بجدها
وسقيت هداجاً بكاس الأول

وكانت العادة عندهم إذا زاروا ملكاً أو وفدوا على عظيم، لبسوا أحسن ما عندهم من ثياب، وتجملوا بأبهى زينة وتحدثوا بأحسن الأحاديث وقد فعل مثل هذا الأشج العبدي، حين وفد على الرسول عليه السلام[1] فقد تخلف في الركاب عندما وصلوا المدينة وأخرج ثوبين أبيضين لبسهما وأقبل يمشي حتى أخذ بيد الرسول عليه السلام وقبلها وكان الأشج رجلاً تقتحمه العين فصعّد فيه الرسول بصره ثم قال له «إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة» فقال الأشج: «يا رسول الله، أتخلق بهما أو جبلني الله عليهما»، قال «بل جبلك الله عليهما» وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه أن الرسول عليه السلام قال «اللهم اغفر لعبدالقيس»[2].

وكانت مجالسهم تفرش بالبسط يجلسون عليها، ويخوضون في شؤون حياتهم وكان سمرهم يبدأ بعد نهار صاخب وتمر الطيوب في مجالسهم وهم يستمعون إلى السامرين والمحدثين[3].

فالعبديون عرفوا حياة الجماعة وأثر المجالس، وغلبت على حياتهم الثروة فكانوا أغنياء وكل ذلك من أثر البيئة في منازلهم.

وبعد فإن مجتمعاً فيه الشاعر والخطيب، والنسابة والفنان، والحكيم المفكر، والسفير المصلح، والزارع والصانع والتاجر والراعي، والبحار الماهر، والفارس المحارب، لهو مجتمع يتمتع بالكفاية في حياته اليومية وشؤونه الخارجية وعلى درجة كبيرة من الرقي والتقدم وهكذا كان مجتمع عبدالقيس.

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٥٥٨/٥ .

(٢) الانصاري: تحفة المستفيد ٦٣/١ ومسند الإمام احمد ٢٠٥/٤ .

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٩/٥، ٣٤.

٤ - الحياة الاقتصادية

١ - الزراعة:

تقول أسطورة قديمة «إن الاله أنكى إله المياه العذبة، تجول في البحرين فوجدها أرضاً مقدسة، طاهرة، لا ينعب فيها غراب، لا أحد يمرض ولا يشيخ ولا يتألم، فبارك أنكى أرض البحرين بالماء العذب ومنحها كل فواكه الأرض، وصاح دع دلمون تصبح ميناء العالم كله[١]».

هذه الأسطورة السومرية القديمة تقرر لنا وفرة المياه منذ العصور السحيقة في البحرين وتؤكد صلاحية أرضها للزراعة وكثرة الفواكه فيها، ويشير ياقوت الحموي[٢] إلى أن البحرين بلاد واسعة فيها عيون ومياه غزيرة وذكر أبوالفداء[٣] أن بها كروماً كثيرة ونخيلاً ومزارع وعيوناً جميلة، والخضري[٤] في بحثه عن الخليج العربي يذكر أن البحرين اشتهرت بإنتاجها الوفير من التمر، ويعدد القزويني[٥] المحاصيل التي تزرع فيها ومنها الحبوب والموز والرمان والتين.

ومن كل هذا نرى أن البحرين اشتهرت بالزراعة فأرضها خصبة وهي واسعة شاسعة تغمرها المياه وتسقيها العيون ولذا كانت تزخر بالمدن والقرى العامرة بالسكان[٦].

وكان طبيعياً أن تعمل عبدالقيس في هذا الميدان فتزرع النخيل وتعتني به وتقوم بزراعة المواد الغذائية، وهذا واضح في أخبارهم وأشعارهم فالمنذر بن ساوى حاكم عبدالقيس في البحرين غرس في أرض هجر نخلاً كثيراً[٧].

---

(١) الخليفة والحمر: البحرين عبر التاريخ ٦٦ والعدد الخاص عن البحرين ١٩٧٠، ودلمون: هي التسمية القديمة للبحرين.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٣٤٦/١.

(٣) أبو الفداء: تقويم البلدان ٩٩.

(٤) الخضري: البحرين حبة اللؤلؤ في عقد الوطن العربي ٢ - ١٠.

(٥) القزويني: آثار البلاد ٢٨٠ .

(٦) انظر : منازل عبدالقيس.

(٧) العبيدي: البحرين من إمارات الخليج العربي ٣٣٢.

وعندما عاد وفد العبديين من المدينة بعد مبايعة الرسول عليه السلام أكثر من غرس النخيل[١]، وصحار العبدي[٢] الخطيب قال في النخيل «إنا لنعلم أن الريح لتلقحه، وإن القمر ليصبغه، وإن الحر لينضجه» وهذا كلام رجل خبير بشؤون النخل وزراعته، وكان بنو عامر من عبدالقيس يسمون «عامر النخل»[٣] لعنايتهم به ورعايتهم له.

وهذا شاعر يقول[٤]:

ولست بسعدي على فيه حبرة

ولست بعبدي حقيبته التمر

ويورد البلاذري[٥] كتاب أهل هجر إلى العلاء الحضري «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي أهل البحرين، صالحهم على أن يكفونا العمل ويقاسمونا التمر، فمن لم يف بذلك فعليه لعنة الله والملائكة واالناس أجمعين» وفي كتاب آخر «أما بعد فإنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، ونصحتم لله ورسوله وآتيتم عشر النخل ونصف عشر الحب».

وكانت منطقة الأحساء – هجر – وسائر المناطق في البحرين تشتهر بنخيلها بل كانت المصدر الكبير لتموين الجزيرة العربية بالتمر[٦] أما القطيف[٧] عاصمة البحرين قديماً فاسمها مشتق من قطف النخيل والعنب لتوفرهما فيها.

وبعد، أفلا تكفي هذه الأدلة والإشارات إلى أن عبدالقيس عرفت الزراعة واهتمت بها.

---

(١) الاحسائي: تحفة المستفيد ٦٣/١ وقد اشار الرسول عليه السلام إلى ان البرني خير التمر وانفعه في بلاد عبدالقيس.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ٩٦/١ .

(٣) ابن دريد: الاشتقاق ٣٢٤ .

(٤) ابن دريد: جمهرة اللغة ٢١٩/١ .

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ١٠٢ .

(٦) ابن سعد: الطبقات ٤١١/٥ والإصابة ١٧١/٢ .

(٧) ابن بليهد: صحيح الأخبار ١١٢/٣ وتقويم البلدان ٩٩.

والعرب تهتم بالنخيل وزراعته لأنه مادة الغذاء الرئيسية لديهم، وجزيرة العرب بيئة خصبة لزراعته ذلك لأنه يقاوم العطش ويكتفي بقليل من الماء ولذا أصبحت النخلة رمزًا شامخاً من رموز الصحراء[١] وكانت بعض المناطق تشتمل على مزارع واسعة للنخيل واصبحت مضرب المثل في كثرة نخيلها وينابيع مائها وجمال هوائها كخيبر وهجر والبحرين والطائف والمدينة والأحساء وكانوا يقولون كحامل التمر إلى هجر[٢].

ويستلهم منظر النخلة وقد تدلت عذوقها على عقد مقارنة جميلة بينها وبين ظعون الأحبة[٣] ولشجرة النخيل قدسية بالغة فهي من أقدم الأشجار في العالم ويقال إن سكان البحرين الأوائل وهم الفينيقيون قد اهتموا بها وأن معنى فينيقيس هو نخلة[٤] وعندما جاء الإسلام أبقى للنخلة مكانتها وأهميتها[٥] وتزرع الآن في منطقة البحرين أكثر من مليون شجرة نخيل بأصنافها العديدة وأنواعها الكثيرة وتعرف البحرين في المصادر الحديثة بجزيرة المليون نخلة[٦]، وأما هجر فتشتهر بتمرها وقديماً قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «عجبت لتاجر هجر وراكب البحر» مشيرًا إلى الأخطار التي يتعرض لها كل منهما[٧].

ولم تكن النخلة مصدر غذاء لدى العرب فحسب وإنما استخدمت جذوعها في عمل سقف البيوت والمنازل والحوانيت[٨] ومن أليافها استخدمت الحبال ومن سعفها الحصر، كما استخدمت أخشابها في صناعة السفن[٩] اما نواها فكان يستخدم علفاً للخيل والأبل والماشية ولهذا يقول المثقب العبدي[١٠]:

(١) القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي ٧٠ .
(٢) الميداني: مجمع الأمثال ١٢٩/٢ .
(٣) القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي ٧١ .
(٤) المسلم: ساحل الذهب الأسود ٦٦.
(٥) القرآن الكريم.
(٦) موسوعة الخليج العربي ٢٥.
(٧) الزبيدي: تاج العروس ٦١٤/٣ .
(٨) القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي ٧١ .
(٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١٥/٧ .
(١٠) ديوان المثقب ١٧١ .

كساها تامكا قَردًا عليها
سوادي الرضيحِ مع اللجين

وليست النخلة هي الشجرة الوحيدة التي كانت تلقى اهتماماً في البحرين بل اشتهرت تلك البلاد بزراعة شتى أنواع الخضار والفواكه والحبوب وكانت الزراعة عندهم تشمل الحنطة والشعير والعنب والزيتون(١)، فالأحساء شهيرة بجودة تربتها وكثرة مزروعاتها، ولهذا يشير أحد الشعراء العبديين قائلاً(٢):

ألا حبذا الأحسا وطيب ترابها
وركبالها غاد علينا ورائح

وهذا الشاعر جرير في هجائه لعبدالقيس يقول(٣):

كم عمة لك يا خليد وخالة
خضر نواجذها من الكراث

فالكراث والقيصوم والجثجاث نباتات سهلية في أرض عبدالقيس وجرير هنا يعير خليد عينين «الشاعر العبدي» بأن قومه العبديين أهل زراعة وكانت العرب تذم أهل الزراعة.

وكانت منطقة القطيف وتاروت تنتج أنواعاً جيدة من العنب وتزرع فيها الكروم(٤)، أما هجر فكان يزرع فيها القطن(٥)، وقيل: إنه استعمل في نسيج الثوب الهجري وزرع فيها النخيل وفي نخلها قال الشاعر(٦):

---

(١) البكري: المسالك والممالك ٢٤٧ .
(٢) المرصفي: رغبة الأمل ٩١/١ .
(٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٢٨٥ .
(٤) ابو الفداء: تقويم البلدان ٨٣.
(٥) القزويني: آثار البلاد ٢٨٠ .
(٦) القالي: الأمالي ١٠٠/٢ .

حـــــــبـــــــسن بـين رمـلـة وقـف
وبـين نـخـل هـجـــــــر المـلـتـف

وكانت هجر المول الرئيسي للجزيرة بالتمر[١].

أما الموز والرمان والتين فينمو في أوال[٢] واشهر المنـ ـق الزراعية قطر[٣] وكاظمه[٤] وهجر[٥] والقطيف[٦].

وعرفت أرض عبدالقيس شجر السدر والنبع، واستخدمته في صنع القسى[٧]، وكان النبع دليل قوة، والسدر علامة ضعف، فالنبع شجر القمم والجبال، عوده أصفر، وإذا تقادم عهده يصبح أحمر اللوم، ويقول المفضل[٨]:

وجــدنـا الـســدر خــواراً ضـــعـــيـــفـــاً
وكـــــان الـنـبـع مـنـبـــــتـــــه وثـيـق

وعرفت منطقة عبدالقيس الأراك، والغرف، والرمث، والأثل، والطرفاء، من النباتات الصحراوية[٩].

واشتهرت بلاد عبدالقيس بتربية النحل الذي كان يتغذى على تلك المزروعات والأشجار والبساتين فالمسيب البكري[١٠] الذي عاش على أرض البحرين أشار إلى النحل كما وردت إشارات خفيفة لذلك في شعر العبديين من ناحية اليعاسيب[١١].

(١) ابن سعد: الطبقات ٤١١/٥ .
(٢) القزويني: آثار البلاد ٢٨٠ .
(٣) نفس المصدر السابق.
(٤) البكري: معجم ما استعجم ٧٧٠ .
(٥) ابو الفداء: تقويم البلدان ٨٣ .
(٦) نفس المصدر السابق.
(٧) الزبيدي: تاج العروس ١٩/٨ .
(٨) الأصمعيات ١٩٩ .
(٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٨٤/٧ .
(١٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ١١٤/٧ والشعر والشعراء ١٧٦/١ .
(١١) ديوان المثقب ١١٠ .

ولقد اشترك مع عبدالقيس في حقل الزراعة جيرانها فالحيرة عرفت الزراعة[١] واعتنت بها وكانت ملأى بمزارع النخيل والبساتين وتصدر الخمور إلى الجزيرة، أما اليمامة فكانت بلداً زراعياً اشتركت مع هجر في تموين الجزيره بالتمور والحبوب[٢] وعملت مدن أخرى في ميدان الزراعة فالأوس والخزرج في المدينة، وثقيف في الطائف، وطي في جبل سلمى وهذيل في مناطقها[٣] ولذا فلا قيمة لما يقال أن العرب كانوا يهملون جانب الزراعة ولا يعتنون بها[٤] فالحضر المستقرون لابد وأن يتعاطوا الزراعة.

أما الشعراء الذين أشاروا إلى الزراعة على أرض البحرين في منطقة عبدالقيس فمنهم امرؤ القيس وفي أخباره أنه رحل إلى الحيرة مارًا بالبحرين فوصف نخلها وبساتينها التي كانت لبني الربداء من آل يا من ويبدو أن ابن يامن هذا كان إقطاعيًا كبيراً يملك السفن والأراض الواسعة لزراعة النخيل[٥].

سوامق جبار أثيث فروعه
وعالين قنواناً من البسرا حمرا

وأشار الأعشى إلى نخيل ابن يامن فقال[٦]:

فلما استقلّت قلتُ : نخلَ ابن يامن
أهُنَّ أم اللاتي تُربتُ يترب

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٨٥/٧ .

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) عطوان: مقدمة القصيدة الجاهلية ٤١ - ٥٢.

(٥) ديوان امرئ القيس: ص ٩١ المكرعات: النخيل الذي غرس في الماء، ابن يامن: بحار مشهور من عدولي بالبحرين، وهو تاجر وصاحب مزارع، الصفا والمشقر: من منازل عبدالقيس، سوامق: مرتفعات، أثيث: ملتف، القنوان: قطوف النخل، البسر: التمر، اقر: ثبت ونضج.

(٦) ديوان الأعشى: ص ١٠.

واشتهرت عين محلم ومنطقتها بالنخيل فقال بشر بن خازم[1]:

كـــان حـــدوجَـــهم لما اســـتـــقلوا

نخـــيل مُـــحَلّم فـــيـــهـــا ينُوع

وذكر المتلمس الضبعي المزارع والأرض الخصبة في معرض حديثه للنعمان ملك الحيرة الذي هدد بحرق المزروعات[2] :

هلم إليـــهـــا قـــد اثيـــرت زروعـــهـــا

وعـــادت عليـــهـــا المنجنون تكدس

وكانت قبيلة إياد في أرض البحرين وبعد رحيلها إلى العراق مشهورة بالزراعة.

ومن الأخبار والأشعار ندرك أن العرب اهتموا بالزراعة ولم يأنفوا منها لكن الطبقة التي كانت تعمل في الحقل الزراعي هي غير المحاربين ومن هنا جاء احتقار الفرسان للزراعة فالمزارع ليس رجلاً للحرب.

ولا أحب أن أغادر ميدان الزراعة دون أن أعرج على أبيات ثعلبة بن عمرو[3] الذي رسم لنا لوحة بديعة الألوان والأشكال لأرض واحف الزراعية في البحرين، فقد وصف الأمطار وما تحدثه العهود في الأرض الزراعية إذ تترك فيها رسومًا وزخارف من الخطوط والألوان وبعد الشتاء تلبس الحلة الخضراء وكأنما خطتها يد رسام ماهر[4]:

فـــمـــا أحـــدثت فـــيـــهـــا العـــهـــود كـــانما

تلعب بالســـمـــان فـــيـــهـــا الزخـــارف

أكب عليـــــهـــــا كـــــاتـب بدواته

يقـــــيـم يديه تـارة ويخـــــالـف

---

(١) ديوان بشر بن ابي خازم الأسدي ص ١٣٠.

(٢) ديوان المتلمس الضبعي: ص ١٢٣.

(٣) المفضليات ٢٨١.

(٤) انظر : ديوان عبدالقيس.

٢ الصناعة:

قامت في البحرين – أرض عبدالقيس – صناعات عديدة وأشهرها.

١ – الأسلحة: صنعت عبدالقيس الأسلحة والمعدات الحربية الضرورية هجومية ودفاعية كالرماح والدروع وصدرتها إلى أنحاء الجزيرة العربية[١].

وكانت إحدى مدن خط عبدالقيس[٢] هي التي تقوم بصنع الرماح ولذا دعيت بالخطية نسبة إلى تلك المدينة.

وقد اختلف في المقصود بالخطية أو الخط، فالأصمعي يقول:[٣] «الخطية جزيرة في البحرين، ترفأ إليها السفن من الهند»، والفيروز أبادي يذكر[٤] أن الخطية مرفأ بالبحرين تباع فيه الرماح، ويرى ابن سيده[٥] أن الخطية مرفأة السفن بالبحرين وقيل: هي قرية في البحرين كانت السفن ترفأ إليها في القديم .. ويقول صاحب لسان العرب[٦] الخط أرض تنسب إليها الرماح الخطية. قيل وهو خط عمان، وقال أبومنصور وذلك السيف كله يسمى الخط ومن قراه القطيف والعقير وقطر وقال الجوهري: إن الخط موضع باليمامه وهو خط هجر تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من بلاد الهند تقوم فيه[٧] وقال شارح ديوان حسان[٨] بن ثابت: الخطي الرمح المنسوب إلى الخط، ويقول صاحب موسوعة الخليج العربي[٩] : اشتهرت الخطية بصناعة الرماح وتفوقت فيها على القطيف وقطر.

---

(١) ابن دريد: جمهرة اللغة ١/٦٧.

(٢) انظر منازل عبدالقيس.

(٣) ديوان عامر بن الطفيل ١٣٧.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) ابن منظور: لسان العرب ٧/٢٩٠.

(٦) نفس المصدر السابق.

(٧) نفس المصدر السابق.

(٨) ديوان حسان بن ثابت ١٣١.

(٩) الخضري: موسوعة الخليج العربي ص ٧.

وأياً كان الخلاف بين هذه الأقوال فالذي نطمئن إليه:

أولاً: أن مكاناً في خط عبدالقيس – ولعله الخطية[١] هو الذي كان يبيع الرماح.

ثانياً: وهذا المكان مرفأ شهير، ترفأ إليه السفن وهي تحمل القنا[٢] لتثقيف الرماح وتصنيعها.

ثالثاً: سكان هذا الخط من العبديين هم الذين كانوا يقومون بتثقيف الرماح وصناعتها ثم بيعها.

ويؤيد ما نذهب إليه أن الأعشى أشار صراحة إلى الرماح العبدية عندما قال[٣]:

ونحن رددنا الفارسيين عنوة
ونحن كسرنا فيهم رمح عبدل

ولا قيمة لما يقال من أن سفينة وقعت إلى الخط فيها رماح وأرفئت بها في بعض السنين فقيل لتلك الرماح – الخطية – ثم عم كل رمح هذا النسب إلى اليوم[٤]. ولا يعقل أن يتحدث الشعر الجاهلي عن الرماح الخطية حديثاً طويلاً لمجرد سفينة وقعت إلى الخط ذات مرة وفيها رماح[٥].

وما دامت الأخبار تؤكد أن السفن تحمل القنا وترفأ إلى الخط أو الخطية في بلاد عبدالقيس وأنهم كانوا يستوردون الحديد من بلاد فارس[٦] فلا نستغرب قيام هذه الصناعة خاصة وأن المواد الخام الحديد والقنا لصناعتها متوفرة عندهم.

---

(١) في قطر حالياً مدينة تسمى الخطية قريبه من جزيرة البحرين فيبدو انها نفس المكان الذي كان مرفا للسفن ومصنعاً للرماح في الجاهلية.

(٢) المفضليات ٦٩١.

(٣) ديوان الأعشى ص ٣٥٥.

(٤) ديوان عامر بن الطفيل ١٣٧.

(٥) انظر: صفحة ٥٣.

(٦) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية في البصرة ٢٧١.

وإذن فلا مناص من أن نقول بصنع الرماح في أرض عبدالقيس في العصر الجاهلي.

وأكبر صفة مميزة لهذه الرماح أنها من النوع الأسمر وورد ذكرها كثيراً في شعر الجاهليين فعامر بن الطفيل يقول فيها[1]:

وأسمر خطي وأبيض باتر
وزعف دلاص كالغدير المثوب

ويحدث الشعر بأن الرمح الخطى طويل فحاتم الطائي يصف طول الرمح الأسمر بأنه يربو على عشرة أذرع[2]:

وأسمر خطياً كأن كعوبه
نوى القسب قد أزكى ذراعا على العشر

والرماح الخطية أيضاً حادة السنان، متوقدة الظباة فالأعشى يقول فيها[3]:

تخال ذوابل الخطى في حافاتها أجما

ويصفها عمرو بن كلثوم[4] بأنها لينة، سهلة النفاذ، سريعة الاختراق:

بسمر من قنا الخطي لدن
ذوابل أو ببيض يعتلينا

وهذه صورة رائعة للرماح العبدية[5] في الخط فاسنتها بيضاء واعاليها قوية حادة، وأسافلها شديدة صلبة:[6]

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٢٥٩.

(٢) شيخو: شعراء النصرانية ٢٠٤.

(٣) ديوان الأعشى ٤٣.

(٤) شرح المعلقات للزوزني ١٢٤.

(٥) الأخفش: كتاب الاختيارين ٦٦٨.

(٦) الرمح قسمان: العالية – مقدمة الرمح من جهة السنان، والسافلة – أول الرمح من جهة الزج.

رمــــاح مـن الخـطي زرق نصـــــالهــــا

حـــداد أعـــاليـــهـــا، شـــداد الأســـافل

وذكر العبديون رماحهم بأنها عالية وطويلة وحادة السنان، وأكثروا من ذكرها في أشعارهم فشاعرهم يقول[1]:

وســــــمـــــــر من الخـطي ذات أسنـة

وبيض كـــأمـــثـــال البـــروق بواتر

وفي حكيم عبدالقيس رئاب الشني يقول الشاعر[2]:

رئـاب وإنـي للبــــريـــة كلـهــــــا

بمثل رئاب حين يخطر بالســــمــــر

ومالك بن عروة يقول[3]:

فـــلا تســـتـــريثـــونا فـــإنا كـــاننا

وسـمــر العــوالي فـيكم اليــوم أو غــدا

وتحدث ثعلبة بن عمرو حديثاً طويلاً عن الأسلحة العبدية سنذكرها في شعر الحرب[4].

أما أنواع الرماح فهي: ١ – الخطية، ٢ – الردينية، ٣- السمهرية، ٤ – الخرصانية.

فالخطية هي الرماح التي تحدثنا عنها وذكرنا أنها سمراء، ملساء لينة، صلبة الطعن، حادة السنان، طويلة، متقنة الصنع[5].

---

(١) ابن الشجري: الحماسة الشجرية ٦/١.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٠٥/٣.

(٣) البحتري: الحماسة ٣٠.

(٤) انظر : شعر الحرب.

(٥) ابن رشيق: العمدة ٢٣٣/٢، بلوغ الأرب ٦٤/٢.

والردينية نسبة إلى امرأة[١] كانت تقوم الرماح بالخط في البحرين وذكرت الخنساء الرماح الردينية وهي ترثى أخاها صخرًا فقالت[٢]:

ولم يعد في خيل مجنبة القنا

ليروي أطراف الردينية السمر

والسمهرية نسبة إلى سمهر[٣] وهو زوج ردينة اما الخرصانية فنسبة إلى خرصان وهي قرية بالبحرين تباع فيها الرماح[٤].

وهذه الرماح كلها من صنع العبديين لعدة أسباب أهمها:

أن الرماح الردينية سمراء ، وأن ردينة امرأة من الخط فهي من سكان عبدالقيس وزوجها سمهر وكان الاثنان يثقفان الرماح ويبيعانها، والخرصان بلد في البحرين، وهذه الأنواع تختلف عن غيرها من الرماح الهندية لقول الشاعر[٥]:

بايديهم سمر شداد متونها

من الخط أو هندية أحدثت صقلا

فالرماح الخطية في قراءة لهذا البيت غير الرماح الهندية ، فقد قيل: إن الرماح تصنع من القصب الهندي[٦] ويجري تثقيفها في الخط ونحن لا نستبعد أن تكون أخشاب عمان قد استعملت في صنع الرماح الخطية[٧].

(١) النويري: بلوغ الأرب ٦٤/٢.

(٢) البحتري: الحماسة ٢٤١/١.

(٣) السهيلي: الروض الأنف ٢١٢/٢، وفي العمدة ٢٣١/٢.

(٤) كحالة: جغرافية شبه جزيرة العرب ٢٦١ .

(٥) البكري: معجم ما استعجم ٥٠٣/٢ .

(٦) المفضليات: ٤٢٦ وتاريخ جواد علي ٤٢٦/٥ .

(٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٤٧/٧، ٢٥٧ .

ومن أنواع الرماح وأصنافها وموادها الخام جاز لنا أن نعتقد أن الخط (أو الخطية) احتل مركزًا هاماً في صناعة الرماح.

وقيل: إن الأقنان هم الذين كانوا يعملون في الصناعات عموماً[1] ولكن الذي نريد ذكره أن بعضاً من قبيلة عبدالقيس قام بصنع الأسلحة إذ لا يعقل أن يتولى الأقنان صنعها دون غيرهم بل أذهب إلى الاعتقاد في أن العبديين استخدموا في مراكز صناعاتهم هؤلاء الأقنان من العبيد فثعلبة بن عمرو كان يصنع أسلحته ويخزنها لوقت الحاجة وهو يقول[2]:

وصفراء من نبع سلاحي أعدها
وأبيض قصال الضريبة جانف

ومن أدلة اهتمام العبديين بهذه الأسلحة وصناعتها أن أسماء شخصياتهم جاءت من الصقل والتثقيف كما في مصقلة بن رقبة[3]، ويؤكد الدباغ أن صناعة الرماح اشتهرت في قطر[4].

والعبديون أمة حرب[5]، يستخدمون الرماح من أسلحة الهجوم أكثر من غيرها، فالرمح سلاح الفرسان والصعاليك ذكره الشعراء مقترناً بخيولهم لعروة بن الورد[6] يتحدث عن رمحه الخطي الأسمر، وجواده الشهير :

وأسمر خطي القناة مثقف
وأجرد عريان السراة طويل

---

(١) نفس المصدر السابق ٤٢٤/٥ .

(٢) المفضليات: ٢٨١.

(٣) ابن دريد: الاشتقاق ٣٢٧ .

(٤) الدباغ: قطر ماضيها وحاضرها ١٣٤ .

(٥) انظر : شعر الحرب.

(٦) يوسف خليف: الصعاليك ٢٠٢ .

وإلى جانب الرماح من الأسلحة الهجومية صنع العبديون الدروع من الأسلحة الدفاعية وتروي الأخبار(١) أن الحطمة بن محارب من عبدالقيس هو الذي كان يصنع الدروع وسميت حطمية نسبة إليه.

وتذكر بعض المصادر(٢) أنه الحطم بن محارب بينما يرى البكري(٣) أنه هزير بن زيد من بني شن وأنه من مدينة الخط في البحرين.

والذي أراه أن رجلاً من عبدالقيس ومن خط عبدالقيس وهو حطمة بن محارب كان يصنع الدروع ويبيعها وقد ورد ذكرها في أشعار الجاهليين وفي المفضليات:

مضاعفة جدلاء أو حطمية

تغشى بنان المرء والكف والقدم

ومن كل ما ذكرنا في الرماح الخطية والدروع الحطمية يتبين لنا أن.. منطقة الخط في البحرين قد بلغت مستوى جيداً في صناعة هذه الأسلحة وأن العبديين سكان الخط في البحرين هم الذين مهروا في هذه الصناعة الهامة.

٢ – صناعة السفن: عرفت عبدالقيس هذه الصناعة، وساعد على قيامها موقع البحرين ومنازل العبديين على طول امتداد الخليج العربي، أهم طريق للمواصلات بين الشرق والغرب واحتكاك العبديين وسكان البحرين بشعوب عرفت الملاحة وعبرت البحار كالهنود والصينيين والفرس ولذا يمكننا أن نقول: إن طبيعة منازل عبدالقيس فرضت جوًا من الاتصال بالبحر(٤).

وفي حملة عبدالقيس على بلاد فارس أيام سابورذي الأكتاف(٥)، عبرت جموع العبديين في سفن بحرية إلى تلك السواحل واحتلتها، ويبدو أنه كان لديها أسطول صغير

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/٣٠٥، والمفضليات: ٦١٣ .

(٢) الألوسي: بلوغ الأرب ١/٦٦ .

(٣) البكري: معجم ما استعجم ٢/٥٠١ .

(٤) النجم: البحرين في صدر الإسلام ٨٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/٣٩٧، والأحسائي: تحفة المستفيد ١/٥٧ .

من السفن يستخدم في الغزوات والحروب والتجارة، وإلا كيف نفسر عبور العبديين إلى تلك السواحل؟ وشجعت الدولة الساسانية التجارة والملاحة البحرية في البحرين وأنشأت موانئ منها الخط(١).

وفي حروب الردة، وعندما لحق المسلمون بالحطم البكري في أرض دارين كانوا يركبون السفن(٢) وفي الاخبار أن عثمان بن العاص والي البحرين في الإسلام أبحر إلى ساحل عمان(٣)، فمن أين جاءت سفن المسلمين هذه؟

وليس صحيحاً ما قيل عن العرب في الجاهلية أنهم لم يملكوا سفناً لعبور البحر، وأنهم كانوا يخافون خوض غماره، وركوب مياهه(٤)، ويعلل ابن خلدون عدم ركوب البحر أنهم لم يكونوا مهرة في ركوبه، وإن ثقافتهم عنه كانت قليلة(٥)، والحقيقة التي لا مناص منها أن قلب الجزيرة العربية كان بعيداً عن البحر فلم يلق منها ومن شعرائها عناية واهتماما، أما المناطق الساحلية كالبحرين واليمامة وأرض الخليج فقد عرف سكانها هذا الخلق العظيم وركبه من عبدالقيس خلق ضعيف نشيط، وكان من البحرين وعمان ملاحون مهرة(٦).

وتؤكد النقوش السومرية صلات بحرية بين البحرين والعراق وأن الخشب كان يجلب من عمان لصناعة السفن والإبحار بها(٧).

وتذكر الأخبار(٨) أن الخليج العربي عرف الازدهار التجاري منذ القرون الأولى للميلاد عندما كانت موانئه تعج بالحركة وتستورد البضائع والمنتوجات من الهند والصين،

(١) سعاد ماهر : البحرية في مصر ٥٦ .
(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٣٧٠ .
(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٣٧ .
(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٧/٢٤٣ .
(٥) سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ٦٣ .
(٦) نفس المصدر ٦٨ .
(٧) نفس المصدر ٥٦ .
(٨) الخليفة الحمر : البحرين عبر التاريخ ص ٥٠ .

ويرى المؤرخ امانيوس[1] أن عرب الخليج كانت لهم عدة موانئ وأنهم كانوا على مقدرة فائقة في استغلال ثروات البر والبحر، وكانت الأخشاب التي تبنى منها السفن عندهم تستورد من الهند، وتجلب في بعض الأحيان من المناطق الشجرية والغابات في أرض عمان وعبدالقيس[2].

وكانت لعبدالقيس موانئ بحرية عديدة واشهرها الخطية أو الخط[3] والعقير[4]، ودارين[5]، والزارة[6]، وغيرها[7]، فالبحر والموانئ والموقع كلها تضعنا أمام حقيقة صنع العبديين للسفن وركوبهم البحر.

ويؤكد ويلسون[8] حقيقة وجود عدد من الجزر البحرية في الخليج العربي وقد اشتهرت بصناعة السفن وفيها موانئ شهيرة كالخطية وعدولى[9] وأراك في البحرين.

ويشير جواد علي إلى أن عدولى اشتهرت بصناعة السفن[10] واستخدموا طرقاً للمواصلات بين العراق والبحرين وكانت سفن بني عباد وسفن أوال هي التي تقوم على هذه الطرق[11] ، واشتهر ايضا الشراع الداري نسبة إلى دارين في التجارة والمواصلات[12].

(١) الخضري: موسوعة الخليج العربي ١٧.
(٢) سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية ٥٥.
(٣) ابن دريد: الجمهرة ٦٧/١، الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٧٩ .
(٤) ياقوت: معجم البلدان ٦٩٩/٣، والهمداني: في صفة جزيرة العرب ١٣٦ .
(٥) ياقوت: معجم البلدان ٥٣٧/٢، وفي معجم البكري ٥٠٤ .
(٦) نفس المصدر ٩٠٧/٢، وفي مروج الذهب ١١١/١ .
(٧) انظر : منازل عبدالقيس.
(٨) الخضري: موسوعة الخليج العربي ٧.
(٩) قيل : إنها قرية بالبحرين وقيل هي اسماء سفن وقيل اسم رجل او قبيلة ، جواد علي ١٠٨/٨.
(١٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٢١/٨ .
(١١) بشير يموت: شاعرات العرب ٩٧.
(١٢) النجم: البحرين في صدر الإسلام ص ٥.

ويتحدث الشعر عن السفن فيورد المثقب في نونيته السفينة المدهونة الطويلة والتي تمخر عباب البحر وتشق أمواجه[1].

يشق الماء جؤجؤها وتعلو

غوارب كل ذي حدب بطين

وفي نفس النونية وصف ظعائن فاطمة فقال[2]:

وهن كذاك حين قطعن فلجاً

كأن حدوجهن على سفين

وفي ناقته التي تحمله وتمضي في تمايلها يقول[3]:

كأني وأقتادي على حمشه الشوى

يجور صراري بها ويقيمها

وفي أماكن سيرها وعبورها يقول[4]:

على طرق عند البراعة تارة

توازي شريح البحر وهو قعيدها

فالمفردات القرواء الدهين، غوارب البحر، السفين، الصراري، شريم البحر، كلها ألفاظ بحرية وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن البحرين عرفت البحر واستخدمت السفينة واشتهرت بالملاحة.

---

(١) ديوان المثقب ص ١١٨، الغرواء: السفينة الطويلة، والماهرة: السليحه، والدهين: المدهونه، والغوارب: الأمواج، والحدب: المرتفع، والبطين: الواسع.

(٢) ديوان المثقب ص ١٤٨.

(٣) نفس المصدر ٢٤٩، الصراري: الملاحون.

(٤) نفس المصدر ٩٣، شريم البحر: خليج والبراعة: ارض.

وجاء ذكر السفن والبحر في شعر الجاهليين فعمرو بن كلثوم يقول(١):

ملأنا البر حتى ضاق عنا

وماء البحر نملؤه سفينا

فكيف لعمرو أن يملأ البحر بالسفن لولا المعرفة التامة، بالبحر وصناعة السفن وامتلاكها؟ ومن المعروف أن ابن كلثوم رحل إلى الحيرة، والتقى بالملك ابن هند ويقال إنه هو الذي قتله(٢).

وطرفة بن العبد يتحدث عن سفن عدولى وسفن ابن يامن فيقول(٣):

كأن حدوج المالكيه غدوة

خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية أو من سفين ابن يامن

يجور بها الملاح طورًا ويهتدي

ويضيع استغرابنا إذا ما علمنا أن عدولى ميناء لعبدالقيس شهير بصناعة السفن وأن ابن يامن ملاح عبدي له سفن كثيرة(٤).

وذكر الملاح العدولى الشاعر عمرو بن قميئة فقال(٥):

هل ترى عيرها تجيز سراعاً

كالعدولي رائحاً من أوال

---

(١) الزوزني: شرح المعلقات ٩٧.

(٢) الزوزني: شرح المعلقات ٩٧.

(٣) ديوان طرفة بن العبد ٦، عدولية: سفن منسوبة إلى قرية بالبحرين اسمها عدولى في أسفل من أوال وأوال أسفل من عمان. ابن يامن: ملاح من أهل هجر.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١١٨/٨ .

(٥) ديوان عمرو بن قميئة ص ٦٠.

وحدثنا ابن مقبل عن سفن أوال[1]:

مــــال الحـــداة بهـــا لعــــارض قـــرية

فكأنهـــــا ســــفن بســـيف أوال

فابن كلثوم أشار إلى البحر والسفن وطرفة بن العبد تحدث عن السفن العدولية وسفن ابن يامن وعرو بن قميئة ذكر السفن العدولية كذلك وابن مقبل أشار إلى سفن أوال، ونفهم من شعر ابن قميئة أن خطأً بحرياً كان بين عدولي وأوال[2]، ومن شعر ابن مقبل نطمئن إلى أن أوال مرفأ هام ومركز تجمع للسفن.

إن الأخبار والأشعار التي ذكرناها، تنهض الدليل على أن العبديين عرفوا السفينة معرفة تامة وخاضوا غمار البحر، يصطادون أسماكه، ويستخرجون لآلئه، ويتاجرون فيه بالسلع المنوعة، ويعبرونه للقتال والحرب، ولا يعقل أن يعرف العبدي السفينة ويركبها ويستخدمها في مواصلاته، وشؤون حياته، ثم يقف عاجزًا عن صناعتها ولو بشكل يسير الأمر الذي يجعلنا نقول بصناعة السفن البسيطة من قبل العبديين على أرض البحرين[3].

٣ - صناعة اللؤلؤ:

تعتبر صناعة اللؤلؤ وصيده، من أقدم الصناعات التي عرفتها البحرين وأشاد باللؤلؤ فيها الرحالة العرب، كالأدريسي والمسعودي[4]، وذكره ياقوت وأبو الفدا[5] وتكثر مزارع اللؤلؤ وأماكن الغوص حول البحرين وفي الأحساء وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة[6]. وهناك سفن خاصة لرحلات الغوص، كما أن مهنة الغوص ظلت إلى ما قبل

---

(١) ديوان تميم بن مقبل: ص ٢٥٦.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١١٨/٨، عدولي: قرية بالبحرين وقيل اسم سفينة ضخمة وقيل اسم قبيلة وقيل اسم رجل يتخذ السفن صناعته والذي يبدو انها مدينة اشتهرت بصناعة السفن.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) السعودي: مروج الذهب ١٤٨/١، ١٠٩ .

(٥) العريض: من تراث البحرين الشعبي ٧٩ - ١٠٠.

(٦) نفس المصدر السابق.

خمسين عاماً المهنة الأولى والمفضلة عند عرب الخليج، ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا: إنها مهنة قاسية وشاقة بل لا يعدلها أي عمل آخر عند أهل الخليج[١].

وأشرنا إلى أن العبديين أعظم من امتطى البحر في العصور القديمة[٢] فاستخرجوا منه اللؤلؤ واستخدموه في صناعاتهم، ويقول لوبون[٣] : إن بلاد البحرين أشهر مغاوص اللؤلؤ في العالم وياقوت[٤] يقول: إن فيها مغاصاً مفضلاً على غيره، والخضري[٥] يؤكد شهرة البحرين منذ القديم باللؤلؤ الطبيعي الممتاز، ويذكر المسعودي[٦] «إن في بحر العرب مغاصات الدر والياقوت والعقيق»، وكان الغوص من أهم الموارد الاقتصادية وكان تجاره يحصلون على أرباح خيالية ويشكلون الطبقة الرأسمالية، واستخدم اللؤلؤ حليّاً للمرأة وزينة لها، ويسافر العرب إلى البحرين وأماكن بيع اللؤلؤ فيبتاعون حلياً لنسائهم[٧]، واستخدمت المرأة الدر والياقوت والمرجان والذهب والفضة والزمرد وغيرها من أصناف الحلي.

وكان الذهب موجوداً في أرض البحرين وبالقرب من منطقة الكويت الحالية[٨] وقد ذكر المثقب العبدي زينة المرأة والذهب يطوق عنقها ويتموج على ترائبها[٩]:

ومن ذهب يلوح على تريب
كلون العاج ليس بذي غضون

وذكر كذلك اللؤلؤ عندما وصف دموعه فقال[١٠]:

مُرمَعِلاتٌ كسِمطي لؤلؤٍ
خُذلت أخراتُه فيه مَغَر

(١) نفس المصدر السابق.
(٢) الدباغ: قطر ماضيها وحاضرها ١٢٩.
(٣) العريض: من تراث البحرين الشعبي ١٥٧.
(٤) ياقوت: معجم البلدان.
(٥) الخضري: الخليج العربي ٧ – ١٠.
(٦) المسعودي: مروج الذهب ١/١٠٩.
(٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥/١٩٠ .
(٨) نفس المصدر ٧/٢٥١ .
(٩) ديوان المثقب ١٥٩.
(١٠) نفس المصدر ٦٣.

وكانت أهم مراكز صناعة الحلي واللؤلؤ والطيوب في البحرين دارين[1] وللمسك الداري شهرة في كافة انحاء الجزيرة العربية[2]، وقال الأعشى يصف غواص دارين[3] الذي يصيد اللؤلؤ من البحر :

كأنها درة زهراء اخرجها
غواص دارين يخشى دونها الغرقا

وذكر المسيب بن علس وهو من شعراء البحرين الغوص في رائيته الشهيرة وهو يصف الدرة البحرية وما يعانيه الغواص من مشقة في الحصول عليها، وقد تسابق التجار في شرائها[4] :

كجمانة البحري جاء بها
غواصها من لجة البحر
نصف النهار، الماء غامره
وشريكه بالغيب ما يدري
يعطي بها ثمناً فيمنعها
ويقول صاحبه ألا تشري
وترى الصراري يسجدون لها
ويضمها بيديه للنحر

وفي ميمية المخبل السعدي حديث عن الغوص وصائد اللؤلؤ وكيفية استخراج الدرر الثمينة الغالية[5]:

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٢٩٩/٤ .

(٢) نفس المصدر ٥٣٧/٢ ومعجم البكري ٥٣٨ .

(٣) ديوان الأعشى ١٢٤ .

(٤) لويس شيخو: شعراء النصرانية ٣٥٦ .

(٥) المفضليات: ١١٥، أغلى بها ثمناً: اشتراها بثمن كثير، شحنت العظام: دقيقها وهو يعني الفائض، اللبان: الصدر وإنما جعل الزيت على صدره لجفوفة ماء البحر وملوحته، الاقوارب: الأمواج، اللخم: السمك (يقال سمك القرش)، وهذا الجمع لم يذكر في المعاجم.

كـعـقـيلة الدُرِ استضاءَ بها
محراب عرش عزيزها لـ العَجمُ

أغلى بها ثمناً وجاء بها
شُخْتُ العظام كأنه سَهم

بلبانه زيتٌ وأخرجها
من ذي غواربَ وسطه اللُخم

وقال الأعشى يصف استخراج المرجان[1]:

من كل مرجانة في البحر أخرجها
غواصها ووقاها طينها الصدف

وتشير الدراسات الحديثة إلى جودة لؤلؤ البحرين في القديم والحديث، فيضرب المثل بنفاسة اللؤلؤ ولذا قيل «أنفس من لؤلؤ البحرين» ولا عجب فكل جزر البحرين وعلى امتداد الخليج لآلئ جميلة في وسط الماء وهي تمد يدها باللؤلؤ إلى كل القبائل الضاربة في قلب الصحراء.

٤ - صناعة النسيج:

ذكرت الأخبار أنواعاً من المنسوجات سمي كل نوع باسم البلد الذي ينتجه، وأشارت كذلك إلى وجود تقاليد معينة في تلك الصناعة[2]، ومن المحتمل أن تكون بعض المعامل قد وجدت على أرض البحرين لأسباب عدة وفي مقدمتها. ١ - ثراء العبديين فهم أمة تجارية، ٢ - الأيدي العاملة[3] فهم كثيروا العدد، ٣ - وفرة المواد الأولية لصناعة النسيج فالقطن يزرع في هجر[4] وصوف الماشية كثير والحرير يؤتى به من الهند والصين[5] وأهم انواع الأنسجة.

(١) ديوان الأعشى: ١١٢.

(٢) العريض: من تراث البحرين الشعبي ١٠٩.

(٣) صالح العلي: الانسجة في القرنين ١٩، ٢٠ مجلة ابحاث ٤/٥٥٥.

(٤) القزويني: آثار البلاد ٢٨٠.

(٥) زيادة: الرحلات عند العرب ٢٢٠.

أ – المنسوجات القطرية: وهي أكثر منسوجات البحرين ذكراً فقد اشتهرت قطر من مناطق عبدالقيس بهذه الصناعة[١] والثوب القطري اشهر ما عرفت به قطر وتدعى المنسوجات القطرية بالثياب[٢] والبرود[٣] والاردية[٤] وقد روي أن الرسول عليه السلام لبس أثواباً قطرية[٥] وكذلك السيدة عائشة[٦] ويروى عنها أنها قالت «كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبان قطريان» ولبس الثوب القطري الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن عمرو بن العاص[٧].

ويذكر ابن الأثير[٨] أن الثوب القطري ضرب من البرود فيه حمرة وله أعلام، وهو خشن، وقيل: إن الأثواب القطرية حلل جياد، تحمل من قبل البحرين[٩] وقد اشتهرت قطر بنسج مثل هذه الأثواب ذات اللون الأحمر والمخطط وصدرتها إلى أنحاء الجزيرة العربية، واستخدمت الأقمشة القطرية وغيرها في تغطية الأحداج وظعائن النساء، ويذكر عبدالرحمن النجم في كتابه عن البحرين[١٠] ميزات الثياب القطرية فهي ثياب غليظة، خشنة، حمراء اللون، تصبغ خيوطها قبل النسيج.

ب – المنسوجات الهجرية: يذكر ابن سعد[١١] أن هوذة بن علي الحنفي كسا سليطاً العامري، أثواباً من نسيج هجر ويشير ابن سلام[١٢] إلى أن أولاد عامر بن عوف أهدوا

---

(١) الخضري: الخليج العربي ٧، ٨.
(٢) مسند ابن حنبل ١٤٧/٦.
(٣) طبقات ابن سعد ٢٣٧/١ .
(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ١٢١/٣ .
(٥) مسند ابن حنبل ٢٤/٥ .
(٦) نفس المصدر.
(٧) ابن سعد: الطبقات ٢٣٤/١، ١٢/٢، ١٦/١ .
(٨) ابن الاثير: النهاية في غريب الحديث ٢٦٢/٣ .
(٩) نفس المصدر السابق.
(١٠) النجم: البحرين في صدر الإسلام ٨٣.
(١١) ابن سعد: الطبقات ١٨/٢ .
(١٢) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٩٧ .

الحطيئة أثوابًا من نسيج هجر ويروى ان مخرمة العبدي جلب أثواباً هجرية وباعها في مكة[١]، فالمنسوجات الهجرية كالقطرية تصدر وتباع في أنحاء الجزيرة.

ومن الأثواب الهجرية معقد البحرين[٢]، وروي أن أبا موسى الأشعري كسا في كفارة اليمين، ثوبين من معقد البحرين[٣].

وبالإضافة إلى المنسوجات القطرية والهجرية ذكرت المصادر منسوجات دارين[٤] ومنسوجات الظهران[٥]، وكانت معامل النسيج تنزع من البيئة أشكال الأثواب والأقمشة التي تقوم بنسجها واشتهر من بين هذه الأشكال والرسومات خف الناقة ودق النبرة وغيرها[٦].

وإلى جانب الأثواب صنعت عبدالقيس الملاحف[٧]، وقد أخذ عمرو بن عبدالقيس معه ملاحف إلى الحجاز، وباعها في تجارة[٨]، والفوط التي تصنع بالأحساء وتستعمل للخدم والجمالين[٩]، كما نسجت البحرين الأشرعة للسفن والأحداج للظعائن ومنها الأنماط والكلل والستائر[١٠].

وذكر المثقب العبدي الديباج وهو من البضائع الثمينة التي يتنافس الأغنياء في اقتنائها وهو أثمن من الحرير كما أورد يزيد بن الخذاق لباس السديس الذي ترتديه المرأة في الشتاء وهو لباس خشن[١١].

---

(١) رياض الصالحين ٥٢٨ .

(٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ١١٣/٣ .

(٣) تفسير الطبري ٢٥/٧ .

(٤) النقائض: ٦٤/١ .

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٥٨١/٣، ومراصد الاطلاع ٢٢٤/٢ .

(٦) العريض: تراث البحرين الشعبي ١٢١.

(٧) رياض الصالحين ٥٢٨.

(٨) انظر : التجارة.

(٩) سفرنامة ٩٣.

(١٠) انظر : شعر الظعائن عند المثقب.

(١١) المفضليات ٢٩٧، السديس: لباس خشن ترتديه المراة، السندس: لباس من الحرير.

وداويتـــهـــا حـــتـى شـــتـت حـــبـــشـــيـــة

كـــان عليـــهـــا سندســـاً وســـديســـا

وليست البحرين هي التي صنعت الثياب واشتهرت بالنسيج وإنما قامت صناعات النسيج في اليمن كذلك واشتهرت اليمن بتصدير ثوب الخال وهو ناعم كما صدرت الوصائل وهي أثواب حمراء[1]، وقيل : إن الرقم الذي يستعمل في الحدوج من أثواب اليمن.

ويورد ابن خلدون[2] أن النسيج وحياكة الأثواب أمور اشتهر بها الحضر من العرب، ويبقى أمامنا بعد ذلك أن نطمئن إلى أن البحرين بلاد عبدالقيس عرفت صناعة النسيج واشتهرت بها.

صناعات أخرى:

عرفت البحرين صناعات أخرى كالخمور التي تصنع من العنب المتوفر بكثرة في هجر والقطيف وغيرها[3] وبيع في الحانات وأشهرها حانة ريمان[4] في هجر ونهى الرسول عليه السلام وفد عبدالقيس عن شرب الخمر[5].

وتشير الدلائل إلى أنهم عرفوا صناعة الفخار واستخدموها في حياتهم كما ورد ذكر الدباغة والجلود والنجارة والخضاب عندهم[6].

والذي لابد من الإشارة إليه أن عرب عبدالقيس لم يأنفوا من الصناعة بل استخدموها في حياتهم واستقرارهم والدفاع عن بلادهم وهذا ما أوجب لهم منزلة رفيعة فاستحقوا احترام القبائل ونالوا محبة الرسول عليه السلام[7].

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦٩/٨ .
(٢) تاريخ ابن خلدون ٨٩١/٢ .
(٣) البكري: معجم ما استعجم ١٠٨٣ .
(٤) العمري: مسالك الأبصار ٣٨٨/١ .
(٥) صحيح مسلم ١٥٧٩/٣ .
(٦) العريض: التراث الشعبي في البحرين ١٦٣.
(٧) الأحسائي: تحفة المستفيد ٦٣/١ .

وليس من المغالاة في شيء إذا قلنا: إنه لا توجد قبيلة ارتبط مصيرها بالبحر والإنتاج الصناعي أكثر مما ارتبطت به قبيلة عبدالقيس فقد أضفى البحر عليها والصناعة فيها كثيراً من الملامح في طباعها وأمزجتها وتفكيرها[١].

٤ - التجارة عند عبدالقيس:

مارس الجاهليون التجارة وبشكل واسع، فهي الحرفة الوحيدة التي لم ينظروا إليها نظرة ازدراء واستهجان، بل اعتبرت من أشرف الحرف قدرًا وأرفعها منزلة[٢]، وعمل بنو عبدالقيس في ميدان التجارة، وذكر أن الهجريين كانوا من كبار الرأسماليين بل نافسوا السبأيين وكانوا معهم أغنى شعوب الجزيرة، لا سيما وأن منطقة عبدالقيس اشتهرت بالصناعة فقامت تسوق منتوجاتها[٣].

ويذكر صاحب ساحل الذهب[٤] أن المنطقة العبديه في البحرين اشتهرت منذ أقدم العصور بتجارتها، في التوابل والعطور واللؤلؤ إلى جانب الصناعة وزراعة النخيل، وأشرنا إلى أن منطقة هجر كانت الممول الأول للمواد الغذائية للجزيرة وكان الأعشى وقبيلته يمتارون التمر من هجر[٥] وحمل العبديون منتوجاتهم الزراعية والصناعية وتاجروا بها مع البلدان المجاورة وقد مرّ ركب من عبدالقيس بأبي سفيان فقال لهم «أين تريدون» قالوا «نريد المدينة» فقال لهم «ولماذا» قالوا «نريد الميرة هنا» فهم يتاجرون مع المدينة[٦].

وتروي الأخبار أن عمرو بن عبدالقيس، كان تاجرًا كبيراً، وهو ابن أخت الأشج وزوج ابنته[٧]، وقد أرسله مع قافله تحمل التمور إلى مكة للتجارة فيها[٨]، وفي رواية

(١) العبيدي: البحرين من أمارات الخليج العربي ١٦٠.
(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٤٧/٤ .
(٣) الأحسائي: تحفة المستفيد ٦٤/١ .
(٤) المسلم: ساحل الذهب الأسود ٢٠١ .
(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٤٧/٤ .
(٦) نفس المصدر السابق.
(٧) الأحسائي: تحفة المستفيد ٦٠/١ .
(٨) ابن سعد: الطبقات ٤١١/٥، ٥٥٨/٥، ابن قتيبة: المعارف ٣٢٨ .

أخرى أنه بعث معه تمرًا يبيعه وملاحف[1]، وكان ابن يامن الهجري تاجرًا كبيراً له عدد من السفن والمزارع ويتاجر مع البلاد البعيدة[2].

وأشار الأعشى إلى تجار دارين في منطقة عبدالقيس[3].

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم
ويخرجن من دارين بجر الحقائب

وكذلك قال امرؤ القيس في تجار جُواثى[4]:

ورُحنا كانا من جُواثى عشية
نعالي النعاجَ بين عدل ومُشنَق

كل هذا يؤكد اشتغال عبدالقيس في ميدان التجارة.

وقبل عبدالقيس على أرض البحرين كان الجرهائيون وأهل الأحساء سادة الملاحة في الخليج العربي، وكانوا وكلاء تجارة، فأصبحوا أثرياء، وملكوا أسطولاً للتجارة البرية[5] وفي القديم لعبت البحرين دور الوسيط التجاري والحضاري بين الشرق والغرب[6]، كما أشارت المصادر إلى أن العرب كانوا يملكون سفناً في الخليج العربي[7]، وأشار المؤرخون إلى أن البحرين وعمان والكويت (دلمون وماجان وملوخا) اشتهرت بالسفن والنخيل[8] فعمان فيها المعادن والغابات، والكويت فيها الذهب والعاج، والبحرين ميناء ضخم وفيها صناعات شهيرة[9].

---

(١) الاحسائي: تحفة المستفيد ١/٦٠ .

(٢) ابن الأنباري: شرح القصائد الجاهليات ١٣٧، البكري: معجم ما استعجم ١٢٣٣ .

(٣) المبرد: الكامل في اللغة ١/١٥٥ .

(٤) ديوان امرئ القيس ٩٣٠ .

(٥) الخليفة والحمر: البحرين عبر التاريخ ٣٩.

(٦) المسلم: ساحل الذهب الأسود ٢٠٢ .

(٧) الخضري: الخليج العربي من ٧.

(٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٧/٢٥١ .

(٩) نفس المصدر السابق.

اما التجارة فيمكننا تقسيمها إلى ناحيتين:

أ - التجارة الداخلية:

قامت أسواق تجارية محلية في مناطق عبدالقيس والبحرين لأسباب عديدة منها توفر المنتوجات الزراعية والصناعية[١]، وكثافة السكان، وكثرة الاستهلاك[٢]، وتيسير المواصلات ومن هذه الأسواق ما يلي:

أ - سوق المشقر: أقيمت قبل الاسلام في المشقر[٣]، وهي سوق سنوية تقام بداية الأول من جمادى الآخر وتستمر شهرا كاملاً[٤] تؤمها القبائل العربية ويرتادها تجار الفرس والحيرة وكانت السوق لعبدالقيس وترد إليها فيها تميم[٥] وكان رئيس السوق المنذر بن ساوى العبدي الذي يقوم بالتعشير فيها[٦] وكانت قبيلة عبدالقيس تقوم على تنظيم السوق وإجراء المعاملات وإدارة جميع مرافق السوق[٧].

ومن الجدير بالذكر أن الأعراب الذين كانوا يفدون إلى هذه السوق تعجبهم بيئة البحرين فيمكثون زمناً طويلاً، وقد لا يعودون إلى بلادهم ولذلك تعددت الأجناس والطوائف في منطقة هجر، وأدى ذلك إلى وضع مرزبان فارسي لأخلاط الفرس[٨].

ب - سوق هجر: وهي أيضاً سوق سنوية، قامت قبل الإسلام[٩] في شهر ربيع الآخر[١٠] برأسها المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين وفيها يتم تعشير التجار[١١].

(١) انظر : الصناعة والزراعة.
(٢) انظر : منازل عبدالقيس.
(٣) التوحيدي: الامتاع والمؤانسة ٨٤/١، الافغاني: اسواق العرب ٢٥١ .
(٤) تاريخ البغوي: ٣١٣/١ .
(٥) ابن حبيب: المحبر ٢٦٥ .
(٦) الافغاني: اسواق العرب ٢٤٢ .
(٧) ابن حبيب: المحبر ٢٦٦ .
(٨) البلاذري: فتوح البلدان ٨٤.
(٩) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٨٠، والافغاني: اسواق العرب ٢٥١.
(١٠) القلقشندي: صبح الأعشى ٤١٠/١.
(١١) الهمداني: صفة الجزيرة العربية ٢٣٦، الافغاني: اسواق العرب ٢٥١.

وفي هذه السوق كان يتم تبادل السلع التجارية خصوصاً المواد الغذائية كالتمر وكذلك المنسوجات الهجرية[١] وكان يقوم على تنظيم هذه السوق وإدارتها بنو محارب من عبدالقيس[٢] ويظهر أن هذه السوق كانت تقام قبل سوق المشقر بزمن يسير.

ج – الأسواق الأخرى: في البحرين ومنطقة عبدالقيس أسواق محلية صغيرة منها سوق الأحساء على كثيب الجرعاء[٣]، وسوق الزارة التي كانت تؤمها القبائل العربية المجاورة[٤]، ومن أسواق الخليج العربي المشهورة[٥]، وسوق دارين[٦] التي اشتهرت بالمسك والذي يجلب إليها من الهند[٧] وقد ذكر ياقوت[٨] أن بين دارين والساحل مسيرة يوم، ثم سوق الخط التي اشتهرت ببيع الرماح[٩] الخطية وأخيراً ينتقل العرب بعد أسواق البحرين إلى أسواق عمان كسوق دبا[١٠] التي تقام في رجب وتستمر أسبوعاً وسوق صحار وسوق الشحر[١١].

وكانت هذه الأسواق الداخلية والمحلية بمثابة المعارض الاقتصادية الهامة وأيضاً كانت مؤتمرات اجتماعية كبيرة، تبحث فيها شتى النواحي الأدبية والسياسية والعلاقات الخارجية، فالسوق الجاهلية متجر الناس، ومقر عقودهم التجارية، وشركاتهم، ثم هي مرتاد رؤسائهم، ومنتجع قبائلهم وعشائرهم، وهي فوق كل ذلك منبرهم الخطابي ومهرجانهم الشعري.

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٧٠/٢ .

(٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٣٦ .

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض ٣٤/١ .

(٤) ياقوت: معجم البلدان ٩٠٧/٢ .

(٥) العبيد: تاريخ الأدب في الخليج ١١.

(٦) ابن منظور: لسان العرب ٢٠٠/٤ .

(٧) تاريخ ابن خلدون ١٩٧/٤ .

(٨) ياقوت: معجم البلدان ٥٢٧/٢ .

(٩) البكري: معجم ما استعجم ٥٠٤ .

(١٠) ابن حبيب: المحبر ٢٦٥، الأفغاني: أسواق العرب ٢٥٢.

(١١) ابن حبيب: المحبر ٢٦٥.

ب - التجارة الخارجية:

وقد ساعد على ازدهار التجارة الخارجية أمور عديدة في مقدمتها موقع البحرين الهام على الساحل الغربي للخليج العربي، وسهولة المواصلات البرية والبحرية، وكثرة المنتوجات المحلية من زراعية وصناعية، وأخيراً حركة الاستيراد والتصدير مع الجزيرة العربية، والأقطار الأخرى كالهند والصين وغيرها، وقد تاجرت عبدالقيس ومناطق البحرين مع الجزيرة العربية والحجاز واليمامة والبصره وفارس والهند[١].

التجاره مع الحجاز: كانت علاقة البحرين بالحجاز وثيقه جداً فقد صدرت البحرين إليها التمور[٢]، كما تحدثت المصادر عن صلات تجارية بين هجر والمدينة المنورة حيث صدرت هجر إلى يثرب الملاحف والتمر[٣] وكانت عبدالقيس تقوم بهذه التجارة[٤] وأشارت المصادر إلى تصدير المنسوجات القطريه.. والهجرية إلى مكه والمدينة قبل الاسلام وبعده[٥].

التجاره مع اليمامة: صدرت البحرين إلى اليمامة المنسوجات الهجرية فهوذه الحنفي كسا سليطاً العامري أثواباً هجرية[٦] وتجار اليمامة يشترون الأديم من فلج ويحملونه إلى الحسا ليباع فيها[٧].

ويذكر أبوالفداء[٨] أن أهل الأحساء والقطيف كانوا يصدرون التمر إلى الخرج، وهو واد في اليمامه بينما تصدر اليمامة إلى الأحساء الحنطة[٩].

---

(١) المسلم: ساحل الذهب الأسود ١٧١.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٤١١/٥.

(٣) صحيح البخاري ٢١١/١.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٤٧/٥ .

(٥) ابن سعد: الطبقات ١٦/١، مسند ابن حنبل ٢٤/٥ .

(٦) ابن سعد: الطبقات ١٨/٥ .

(٧) سفرنامة ٩١.

(٨) ابو الفداء: تقويم البلدان ٩٩.

(٩) نفس المصدر السابق.

التجارة مع العراق: كانت الأبلة ميناء العراق الرئيسي[1] وفيه ترسو السفن القادمة من البحرين وكان التجار الداريون يغدون إليها للمتاجرة بالمسك الداري[2] كما كان تجار الأحساء وهجر يحملون معهم منسوجات بلادهم إلى العراق وسوادها[3].

التجارة مع بلاد فارس: أشار البكري[4] إلى أن البحرين تاجرت مع فارس، فجلبت منها الميرة وصدرت إليها التمر[5] واستورد الخط الحديد من فارس[6] لاستخدامه في صناعة الرماح وأشرنا إلى أن تجار الفرس كانوا يفدون إلى سوق المشقر[7].

التجارة مع الهند: قامت علاقات تجارية بين البحرين والهند منذ أقدم العصور فسفن الهند كانت تفرغ بضائعها في ميناء جرها[8] وفي زمن عبدالقيس كانت السفن تفرغ حمولتها في ميناء الخطية على الخط حيث تصنع الرماح، وسفن أخرى كانت ترسو في ميناء دارين[9] تحمل الطيوب والمسك إليها، فدارين تستورد إذن المسك من الهند وتصنعه ثم تتاجر به في أنحاء الجزيرة[10].

الطرق التجارية: استخدم العرب في البحرين عدداً من طرق المواصلات التجارية وهي قسمان:

الطرق البحرية: سير العبديون تجارتهم عبر الخليج العربي فقد تاجروا مع الهند والصين[11]، وجنوب غرب الجزيرة، فآل يامن من عبدالقيس الذين أشار إليهم طرفة بن

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٤١.

(٢) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية في البصرة ٢٣١.

(٣) تفسير الطبري ٧/٢٥ .

(٤) البكري: المسالك والممالك ٢١٨.

(٥) نفس المصدر السابق.

(٦) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية في البصرة ٢٣١.

(٧) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ١/٨٤.

(٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١/١٧٥ .

(٩) المبرد: الكامل في اللغة ١/١٥٦ .

(١٠) البكري: معجم ما استعجم ٥٣٨ .

(١١) الخليفة والحمر: البحرين عبر التاريخ ٤١٠ .

العبد كانت لهم سفن تجارية تبحر في الخليج العربي[1] وكانت سفن العبديين تصل إلى العراق في الشمال كذلك[2].

لقد تاجرت عبدالقيس مع الهند والصين واليمن والحبشة وبلاد فارس والعراق[3]، وتشير المصادر إلى وجود صلات تجارية بين البحرين والحبشة وبين منطقة عبدالقيس وأقصى الهند والصين[4].

الطرق البرية: طريق البحرين – اليمامة – مكة.

يقول الهمداني:[5] «بين اليمامة والبحرين عشرة أيام» ويصف تلك الطريق البرية فيذكر الأماكن التي يمر بها التاجر على النحو التالي: البحرين، خرشيم عن اليمين، والرمانتان عن الشمال، ويمضي إلى مزلقة فالموارد فالفروق فالخوار فالصليب، وبعد ذلك يصل إلى منطقة الدهناء ويصل ماء العرمة، ويسير في السهباء، فيصل إلى الروضة، ثم يرد الخضرمة بداية اليمامة، ويخرج من اليمامة إلى خرية وبعد ذلك يتابع المسير إلى مكة.

ويذكر خسرو[6] أن المسافة بين اليمامة والأحساء أربعين فرسخًا، ويذكر أبوالفداء[7] أنها على أربع مراحل.

طريق البحرين – العراق، أشارت المصادر إلى هذه الطريق، التي كان يسلكها أهل هجر[8] والبحرين في نقل تجارتهم إلى الشمال حيث العراق والحيره، والقبائل العربية على امتداد الطريق ومئات القرى والأودية[9] وكانت هذه الطريق قريبة إلى ساحل

(١) ابن الأنباري: شرح القصائد الجاهليات ١٣٧ .

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٣٤١ .

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٦١ .

(٤) نفس المصدر.

(٥) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٣٦ .

(٦) سفرنامة: ٩٢.

(٧) أبو الفداء: تقويم البلدان ٩٧.

(٨) الإصطخري: مسالك الممالك ٢٨، البغدادي: مراصد الاطلاع ١٣٠/١.

(٩) البغدادي: مراصد الاطلاع ٣٥٩/١ .

البحرين، وقد وصفها لغدة[1] وعدد الأماكن التي يمر بها التاجر فهو بعد خروجه من الأحساء يمر في الأجواف وهي مجموعة قرى كثيرة ومياه، ثم يمضي إلى بطن غر، فالستار[2]، وهي أيضاً قرى كثيرة وبعدها إلى الطريفة، فالعتيد، فطويلح، التي فيها قرية ثثيل الشهيرة[3] وبعد ذلك يصل إلى الشيطان منطقة الأودية، فالوريعة، وقربها وادي السيدان[4] ثم يصل إلى كاظمة[5] ويمضي بعدها إلى ميناء الأبله ويدخل أرض العراق، وبين البحرين والعراق أكثر من ١٥ مرحلة وبعض المؤرخين يرى أن المسافة أكثر من خمسة عشر يوماً[6].

وهناك طرق تجارية سلكها بنو عبدالقيس في تجارتهم طريق الحيرة - مكة والتي تمر في ميناء الخطية[7] ثم طريق العراق - عمان[8] مروراً ببلاد عبدالقيس وفي مثل هذه الطرق كانت بلاد عبدالقيس تعتبر محطات استراحة وأشهر هذه المحطات هجر والعقير وقطر[9].

أما الموانئ العبدية التي استخدمت في ميادين التجارة، فهي الخطية ميناء قطر ومركز الصناعة في البحرين[10] والعقير ميناء في الاحساء[11] وميناء دارين الذي أشرنا إليه[12].

وهناك موانئ أخرى كان ينزلها العبديون كعدولى في البحرين[13] وعمانة في عمان والأبلة في العراق[14]، والجار في الحجاز[15].

---

(١) لغدة: بلاد العرب ٣٤٤ .

(٢) ابن بليهد: صحيح الاخبار ١٨٥/٤ .

(٣) البكري: معجم ما استعجم ٧٧١ .

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) الدباغ: جزيرة العرب ٢٥٥/٢ .

(٦) ياقوت: معجم البلدان ٥٠٧/١ .

(٧) البكري: معجم ما استعجم ٥٠٣، ولسان العرب ٢٩٠/٧ .

(٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٧٦/١ .

(٩) نفس المصدر.

(١٠) المبرد: الكامل في اللغة ١٤١/١ .

(١١) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٣٦ .

(١٢) المبرد: الكامل في اللغة ١٥٥/١ .

(١٣) ابن الأنباري: شرح القصائد الجاهليات ١٣٧ .

(١٤) البلاذري: فتوح البلدان ٣٤١ .

(١٥) نوادر المخطوطات ٣٩٨/٨ .

ويجب أن لا نغفل دور الحيرة كمحطة عبدية في شركات ووكالات تجارية كبيرة.

أما قائمة البضائع والمنتوجات العبدية والصادرات والواردات فعلى النحو التالي:

١ - المواد الغذائية وأهمها التمر ويصدر إلى أنحاء الجزيرة العربية.

٢ - المنسوجات القطرية والهجرية إلى مكه ويثرب والعراق وفارس.

٣ - الرماح الخطية والدروع الحطمية وتباع في جميع أجزاء الجزيرة.

٤ - اللؤلؤ وأدوات الزينة والذهب إلى الهند وسائر الجزيرة.

٥ - الطيوب والمسك والكافور والتمور تجلب من الهند وتصنع في دارين وتباع في الجزيرة خصوصاً يثرب.

٦ - الإبل القطرية والنجائب العبدية.

٧ - يستورد الحديد من بلاد فارس.

٨ - يستورد القنا من بلاد الهند.

٩ - يستورد الحرير من الهند والصين.

١٠ - يستورد الخشب من عمان.

ومن المفيد أن نشير إلى أن الحجاز - وفيها قريش - كانت ذات باع طويلة في ميدان التجارة وكان ساداتها يتاجرون، فأبوطالب كان يبيع العطر وأبوبكر باع الأثواب وأبوسفيان تاجر بالزيت وعمل سعد بن أبي وقاص في النبل[١] وخديجة بنت خويلد كانت تاجرة مشهورة.

وتاجر الفرس وكانت لهم قوافل كبيرة تعبر جزيرة العرب وقد روى ابن الأثير[٢] أن قبيلة تميم أغارت على لطائم كسرى وقوافله التجارية الذاهبة إلى اليمن فانتهبتها.

(١) الثعالبي: لطائف المعارف ٨٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٧٨/٢ .

عندها أوعز كسرى لعامله على البحرين[١] أن يصنع طعاماً لبني تميم ويخبرهم أن كسرى أرسل إليهم ميرة حسنة (والميرة هي الحنطة) فحضروا إلى حصن المشقر[٢] وجعل الوالي يدخلهم رجلاً رجلاً ويضرب أعناقهم حتى أحسوا بالمؤامرة واقتحموا الحصن ليجدوا أنفسهم أمام مذبحة رهيبة وعرفت تلك المذبحة باسم يوم الصفقة[٣].

وتاجر الأشج من عبدالقيس[٤] فقد أرسل ابن أخته وزوج ابنته عمرو بن عبدالقيس ومعه ملاحف وتمر إلى مكة فلقي الرسول عليه السلام ورأى علامات النبوة وعاد ليخبر الأشح وأسلم الاثنان[٥].

واستخدم العبديون الأدلاء واشتهر منهم دعيميص الرمل العبدي[٦] والأريقط[٧] ودفعوا المكوس والضرائب غير المدن والقرى والطرق والمحطات والحدود التي كانوا يعبرونها.

وأشار الشاعر العبدي يزيد بن الخذاق إلى المكوس التجارية والتجارة البحرية كما قلنا[٨].

وبعد، فيبدو أنني أطلت وقفتي مع الحياة الاقتصادية وما ذلك إلا لأنني أشعر أن عبدالقيس عاشت في مستوى حضاري جيد، هذا من جانب، ومن جانب آخر أردت أن أثبت أن العبديين عرفوا الزراعة وحذقوا الصناعة ومهروا في التجارة، وفي ذات الوقت كانت بعض بطون القبيلة تضرب في أعناق البادية، وبطون الصحراء المتاخمة للبحر، تنتقل مع ماشيتها وترعى أغنامها، فهي بطون رعوية، لكنني لم أقف عند ناحية الرعاية لأنها أمر طبيعي في حياة كل عرب الجزيرة[٩].

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٢٤/٥ تاريخ ابن خلدون ٣٦٠/٢ .
(٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٧٨ .
(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٩٨٤/٢ .
(٤) ابن سعد: الطبقات ٥٥٨/٥ .
(٥) المصدر السابق ٥٥٨/٥ .
(٦) البكري: معجم ما استعجم ١٣٦٧ .
(٧) الأحسائي: تحفة المستفيد ٦١/١ .
(٨) المفضليات: ص ٢٩٧ .
(٩) الأنصاري: النوادر في اللغة ص ٦٦، ودائرة المعارف الإسلامية ص ٧٤.

٥ - الحياة الدينية:

دان أهل البحرين قبل الإسلام بعدد من الديانات، منها الوثنية والنصرانية واليهودية والمجوسية والأسبذية وغيرها، وقد دخلت بعض تلك الديانات إلى البحرين بحكم موقعها التجاري وصلتها بالأقطار الأخرى.

١ - الوثنية:

ذكرت المصادر الأصنام التي عبدت في البحرين ومن قبل عبدالقيس وهي:

أ - الصنم ذو اللبا: كان بالمشقر وسدنته بنو عامر بن الحارث من عبدالقيس[١] وكانت له تلبية على النحو التالي «لبيك اللهم لبيك، لبيك رب فاصرفن عنا مضر وسلمن لنا هذا السفر، واكفنا اللهم أرباب هجر[٢]» وفي تاريخ دروزه[٣] أن هذا الصنم كان يدعى المشقر ولعله أخذ هذه التسمية من المكان الذي كان فيه ذو اللبا وهو المشقر.

ب - الصنم قيس[٤]: وكان في هجر، ثم نقل إلى أوال في البحرين، وأطلق عليه اسم المحرق، ذلك لأن القرابين البشرية كانت تقدم إليه وهي محروقه[٥]، فغلب عليه اسم المحرق، ولا زالت في البحرين إلى الآن جزيرة تسمى المحرق ويعتقد أنها نسبت إلى هذا الصنم، ونسبة إلى الصنم قيس سميت القبيلة - قبيلة عبدالقيس - وربما سمى امرؤ القيس نسبة إلى هذا الصنم أيضاً، اما جواد علي فيقول[٦]: «قيس اسم صنم قديم نسيت عبادته وصار علماً لأشخاص ويعتقد أيضاً أن قيساً هذا له علاقة «بقوس» وربما كان اسم إله من آلهة أدوم والقبائل العربية الأخرى.

---

(١) ابن حبيب: المحبر ٣١٧، وياقوت في معجم البلدان ٣٤٥/٤ .

(٢) نفس المصدر ٣١٧ .

(٣) دروزه: تاريخ الجنس العربي ١٠٢/٥ .

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٨٢/٦ .

(٥) نفس المصدر السابق.

(٦) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٨٧/٦ .

ومناطق البحرين الحالية وتسميات مدنها وقراها وجزرها مثل المنامة، وعوالي، والمحرق وعذارى كلها أسماء لأماكن مقدسة وتتعلق بالشعائر الدينية الوثنية، ومن هنا أطلق على البحرين اسم الأرض المقدسة[1]، فالمنامة مكان النوم والراحة، وهي تدعى أحيانا بالمنعمة، وعوالي معبد في مرتفع عال من الأرض، والمحرق من الحريق واحتراق الجثث المقدمة قرابين للآلهة، وعذارى مكان لاستحمام العذارى، وهذه الألفاظ جميعها لها دلالت جنائزية، وطقوس دينية، مما يحملنا على القول: إن الصنم قيس كان موجوداً على هذه الأرض وإن عبدالقيس قد عبدته.

وهناك أصنام أخرى عبدتها البحرين وعبدالقيس، ومنها الصنم «عوض» وكان من أصنام بكر بن وائل، وأطلق عليه اسم المحرّق أيضاً[2] والصنم أوال الذي نسبت إليه جزيرة أوال في البحرين[3] وعبدت عبدالقيس الصنم أوال مع قبيلة بكر بن وائل.

وتشير هداية سلطان[4] إلى أن الجاهليين اقتبسوا عبادة الأصنام والأوثان من الأمم المجاورة، وأن جميع الأصنام التي عبدت في البحرين كانت شأن أصنام الجاهلية تقربهم زلفى من الله.

وظاهرة الانتساب إلى الاصنام واضحة مألوفة على أرض الجزيرة العربية، ومنها عبدالقيس وامرؤ القيس وعبداللات، وعبد ود، وعبدالشارق، وعبد مناف[5].

ولابد لنا من أن نذكر الصنم جلسد[6] الذي كان يعبد قديماً وقد ذكره الشاعر المثقب العبدي حين قال[7]:

---

(١) الخليفة والحمر: البحرين عبر التاريخ ٩٦، موسوعة البحرين للخضري ص ٢٢.
(٢) ابن الكلبي: الأصنام ص ١١١ التحفة النبهانية ص ١١.
(٣) نفس المصدر: ص ١٠٧، ١١١ .
(٤) هداية سلطان: نوازع العرب وسجاياهم ص ٣٦.
(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/٢٩٢ .
(٦) ابن الكلبي: الأصنام ١٠٨ .
(٧) ديوان المثقب ٢٧٠ .

فبات يجتاب شُقارى كما
بيقر من يمشي إلى الجَلسَدِ

وكان للعرب حجارة تطوف بها يسمونها «الأنصاب» ويسمون الطواف حولها دوار.

وقد أشار المثقب العبدي إلى ذلك فقال[1]:

يطيف بنُصبِهم حُجنٌ صغارٌ
فقد كادت حواجبهم تشيب

وكان للأصنام عبدالقيس بيوت يتقربون إليها ويطوفون بها وينذرون حولها ويحبسون عليها وربما حجت العرب إليها وجاءتها القبائل الأخرى إلى مناطق هجر والمشقر[2].

٢ - النصرانية:

تسربت النصرانية إلى البحرين على يد البعثات التبشيرية المسيحية[3] وقد ساعد على ذلك، النواحي التجارية خصوصاً من ناحية العراق[4]، ولقد دان المناذرة بالنصرانية قبل عبدالقيس[5]، وكان المذهب النسطوري هو السائد في البحرين[6] وفي مطلع القرن الثالث الميلادي وفدت بعثة مسيحية إلى البحرين[7] وبذلك أصبحت الحيرة والبحرين تتبعان المسيحية، وعلى ذات المذهب النسطوري، وانتشرت المسيحية وبكثرة في قبائل ربيعة ، فابن قتيبة[8] يقول: «كانت النصرانية في ربيعة وغسان وقضاعة واعتنقت

(١) ابن الكلبي: الأ[illegible]ام ص ٤٢ .
(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/٣٣٦ - ٣٩٨ .
(٣) صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ١/١٧٠ .
(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/٥٨٣ .
(٥) نفس المصدر السابق ٦/٥٨٣ .
(٦) نفس المصدر السابق ٦/٥٨٣ .
(٧) موسوعة الخليج العربي ٧ - ٢٠.
(٨) ابن قتيبة: المعارف ٦٢١.

عبدالقيس النصرانية وكذلك بكر بن وائل» وكان من أشراف النصارى عند ظهور الإسلام الجارود العبدي سيد عبدالقيس[١]، وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكذلك كان المنذر بن ساوى العبدي نصرانياً فأسلم[٢].

وروي أن رئاب الشني وبحيرا الراهب كانا على دين المسيح[٣].

وقد تمركزت النصرانية على أرض البحرين، وفي مناطق قطر وهجر ودارين وسماهيج[٤]، ففي قطر كانت أسقفية وتسمى بيت قطرايا، وكان على قطر أسقف هوتوما[٥]، أما دارين فقد تأسست أسقفيتها عام ٤١٠م[٦] وفي هجر كانت أسقفية أخرى ويتبعها الخط[٧].

ومن هنا ندرك أن الأديرة والكنائس والأسقفيات، انتشرت في البحرين ومناطق عبدالقيس كما كانت منتشرة أيضاً في الحيرة[٨].

٣ – اليهودية:

تسربت إلى البحرين عن طريق التجارة[٩] ونظرًا لشدة طقوسها الدينية لم تلق رواجاً بين العرب بشكل واسع[١٠]، فلم يكن ليهود هجر أثر واضح قبل الإسلام، ويبدو أنهم قد عملوا في ميادين التجارة والصناعة، ويقال: إن الملاح ابن يامن كان يهودياً وهو تاجر كبير له عدد من الس[illegible][١١]، وعندما أسلم العبديون بقي اليهود يدفعون الجزية[١٢].

(١) ابن سعد: الطبقات ٥٠٧/٥ .
(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٤٢/٦ .
(٣) المسعودي: مروج الذهب ٨٢/١، ٨٩.
(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٢١/٦ .
(٥) شيخو: النصرانية وآدابها ٧١/١ .
(٦) نفس المصدر السابق ٧١/١ .
(٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٨٣/٦ .
(٨) نفس المصدر السابق.
(٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥١١/٦ .
(١٠) صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ١٧١/١ .
(١١) البكري: معجم ما استعجم ٨٤ .
(١٢) البلاذري: فتوح البلدان ٧٩ .

ويرد ذكر اليهود ودفعهم الجزية، في الكتب المتبادلة بين الرسول عليه السلام وأهل البحرين وعبدالقيس، فقد أرسل المنذر بن ساوى العبدى والي البحرين كتاباً إلى الرسول عليه السلام بإسلامه وتصديقه وقال «إني قرأت كتابك على أهل هجر فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث لي في ذلك أمرك». ويروى أن الرسول عليه السلام رد عليه بكتاب وفيه «ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية»[1].

ومن هذه الكتب المتبادلة بين الرسول عليه السلام وحكام البحرين تبين لنا أن اليهودية كانت موجوده قبل الإسلام في منطقة البحرين خاصة في أرض هجر.

وفي الأخبار[2] أن اليهودية تواجدت في مناطق كثيره من الجزيرة العربية كان أشهرها اليمن ويثرب وخيبر واليمامه والبحرين، وأماكن أخرى.

٤ - المجوسية:

دخلت إلى البحرين من بلاد فارس[3]، وكان في منطقة هجر كثير من المجوس[4]، ولهم نفوذ لقربهم من إمبراطورية الساسانيين[5]، وكان لهم مرزبان فارسي[6]، ويقال انه أسلم ومعه قليل من قومه بعد أن كتب الرسول عليه السلام كتاباً إلى مجوس هجر[7]، وجاء فيه «أما بعد من شهد منكم أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فله مثل ما لنا، وعليه مثل ما علينا، ومن أبى فعليه الجزية، على كل رأس دينار على الذكر والأنثى، ومن أبى فليأذن بحرب من الله ورسوله»، وتسربت

---

(١) ابن سعد: الطبقات ١٩/٢، الزرقاني: شرح الزرقاني ٣٥٢/٣ ، البلاذري: فتوح البلدان ٨٠ .

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥١٣/٦ .

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٨٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات ١٩/٢ .

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦٩٣/٦ .

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٨٥.

(٧) ابن سعد: الطبقات ١٩/٢، البلاذري: فتوح البدان ٨٠ الزرقاني: شرحه ٣٥٢/٣ .

المجوسية إلى اليمن واليمامة وعمان، وفي الأخبار أنها تفشت في بني تميم جيران عبدالقيس[١]، ولذا قال فيهم أوس بن حجر[٢]:

والفارسية فيهم غير منكرة

فكلهم لأبيه ضيزن سلف

وكان المجوس شأن اليهود يعملون في التجارة والصناعة والزراعة.

وتعاليم المجوسية تدين بالنور والظلمة، والخير والشر، فالخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، وهم يعبدون النار[٣].

ومن المعلوم أن هذه الديانة تتعارض وأخلاق العرب وعاداتهم ولذا فإن أتباعها قليلون، وكان المجوس كاليهود يؤدون الجزية[٤].

أما الديانة الأسبذية[٥]، والتي عرفت في بني تميم فأغلب الظن أنها ذات المجوسية، إذ لم ترد معلومات مفيدة حول هذه الديانة وتعاليمها[٦]، وقد اشتقت اسمها من الأسب وهو الحصان، وأطلق عليها عبادة الخيل[٧]، ويقال: أنه دان بها بنو عبدالله بن دارم من تميم، وفي بعض المصادر أن المنذر بن ساوي كان إسبذياً[٨]، ويذكر أبوعبيدة أن أسبذ قائد فارسي لكسرى على البحرين[٩]، وأسبذ كذلك قرية في هجر[١٠].

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/٦٩٣ .

(٢) ديوان أوس بن حجر ٧٤، ديوان الضيزن: الرجل ياتي امه وخالته.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/٦٩٤ .

(٤) ابن سعد: الطبقات ٢/١٩ .

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ٨٠.

(٦) صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ١/١٧١ .

(٧) البلاذري: فتوح البلدان ٨٠.

(٨) نفس المصدر السابق.

(٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/٦٩٤ .

(١٠) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ٢٣٢ .

ويقول جواد علي : إنه لا علاقة بين المجوسية والأسبذية، ورأيه أن الأسبذية تعني الفرسان، وأن المنذر بن ساوى كان أسبذياً أي بدرجة فارس وهي من درجات الشرف والرفعة في الجيش الساساني[١].

وقد أشرنا إلى أن المنذر حكم البحرين من قبل الفرس قبل الإسلام.

ويتضح لنا أن الأسبذية رتبة عسكرية فارسية، وهي للرجل الفارس الذي يركب الفرس والحصان، ولا يخفى ما يلقاه الفارس من مكانة وقداسة، ولهذا حدث تحريف وتداخل بين رتبة الفرس والحصان، وديانة الفرس فأصبحت الرتبة لتقديس الفرس وعبادة الخيل، ولذا قيل : أن الأسبذية هي عبادة الخيل.. وإلا فأين تعاليم هذه الديانة وأتباعها وقادتها؟.

الأمر الذي يجعلنا نمضي إلى الرأي القائل بأنها رتبة عسكرية، لا ديانه أساسية.

وعرفت أرض عبدالقيس التوحيد والموحدين فبين العرب كان الكثيرون منهم[٢]، وأشار القرآن الكريم[٣] إلى هذا «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر ليقولن الله»، وورد ذكر الله وقدرته ومشيئته في شعر العبديين فالمثقب يقول[٤]:

وأيقنتُ إن شاء الإله بأنه
سيبلغني أجلادُها وقصيدُها

وفي «العقد الفريد»[٥] أن رئاب الشني كان ممن وحّد الله في الجاهلية، وفيه قال الشاعر[٦]:

رئاب وأنّى للبرية كلها
بمثل رئاب حين يخطر بالسمر

---

(١) جواد على: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/٦٩٤ .
(٢) المصدر السابق ٦/١٠١ .
(٣) سورة العنكبوت آيه ٦١.
(٤) ديوان المثقب ١٠١، اجلادها: يداها ونفسها، قصيدها: سمنها ولحمها.
(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/٣٠٥ .
(٦) نفس المصدر السابق.

وقد أشرنا إلى أن رئاب الشني وبحيرا الراهب كانا على دين المسيح ويروى أنهما كانا من الموحدين[1]، ويعود السبب في أمر التوحيد والموحدين إلى نواحي الفكر والحكمة عند الشنيين والنكريين.

وهكذا تأثرت منطقة البحرين وأرض عبدالقيس بمختلف الديانات مسيحية ويهودية ومجوسية ودان أرباب الفكر والحكمة بالتوحيد، وقد عرفنا أن العبديين كانوا وثنيين.

وعندما جاء الإسلام، وجد بين العبديين عقولاً ترحب بنوره، وصدوراً تتعاطف مع سلامة المشبع بحرية الإنسان، وعدله الذي تفتقده بقية الأديان، فسارعوا إلى اعتناقه، وسافرت وفودهم إلى المدينة، وكان عددهم في الوفادة الأولى قرابة العشرين[2] رجلاً برئاسة الأشج[3] «المنذر بن الحارث»، وعددهم في الوفادة الثانية ستة عشر رجلاً[4] برئاسة الجارود، وبعد وفاة الرسول عليه السلام وارتداد القبائل عن الإسلام تمسك العبديون بالإسلام بفضل جهود الجارود العبدي[5] الذي كان حسن الإسلام، صلباً على دينه، وقاتل العبديون المرتدين مع العلاء الحضرمي في هجر قتالاً مجيداً[6].

---

(١) نفس المصدر السابق، مروج الذهب ٨٨، ٨٩، ٢/١٠٢ .

(٢) ابن سعد: الطبقات ٥/٥٥٨، وقال البعض كانوا اثنى عشر رجلاً في الطبقات وعن الواقدي أنهم عشرون رجلاً وعن ابي خيرة الصباحي قال «كنا اربعين راكباً» ويورد السهلي اسماء ثمانية اشخاص وابن كثير يورد أنهم ثلاثة عشر راكب، وابن حجر يقول خرج الأشج في ستة عشر رجلاً من اهل هجر.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٥/٥٥٧، ابن حجر: الاصابه ٢/١٧١ «كان الأشج - أشج عبدالقيس - واسمه المنذر بن عائذ بن الحارث العابدي صديقاً لراهب ينزل بدارين فكان يلقاه في كل عام فلقيه عامًا بالزارة فاخبر الأشج ان نبياً يخرج بمكة ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة، بين كتفيه علامة، يظهر على الأديان ، ثم مات الراهب فبعث الأشج ابن اخته من بني عامر واسمه عمرو، وقد اوصاه الأشج بان يحصل على المعلومات الرديه وعاد عمرو فاخبر خاله بما راه وسمعه فاسلم الأشج وكتم إسلامه إلى ان سافر في الوفد.

(٤) الحلبي: السيرة الحلبية ٣/٢٤٩ .

(٥) سيرة ابن هاشم ٤/٢٤٢، البلاذري في فتوح البلدان ٨٠ .

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٩٦٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٣٧٠، البلاذري: فتوح البلدان ٨٠ - ٨٥.

٦ - العلاقات الخارجية:

مواطن عبدالقيس ومنازلها التي أسلفنا الحديث عنها، توسطت أقطار الحضارات القديمة فتناولت منها ما ينفعها، واغترفت ما يفيدها وأقامت علاقات وثيقة، وصلات وطيدة مع الأمم المجاورة والقبائل المتاخمة وأهمها:

١ - بلاد فارس:

يحدث التاريخ بصلة قديمة بين العرب والفرس قبل إمارة الحيرة، وفي القرن الميلادي الثاني كان على مدينة قرب دجلة والفرات حاكم عربي من قضاعة[١]، وقبل الإسلام كانت البحرين تابعة للدولة الساسانية الفارسية[٢]، ودخلت تحت سيطرة المناذرة في فترات من الزمن[٣].

وتأتي أول إشارة لعلاقات عبدالقيس والفرس أيام سابور ذي الأكتاف، فابن الأثير[٤] يحدثنا عن مهاجمة عبدالقيس لسواحل بلاد فارس وغلبة أهلها، ومكث الفرس حيناً من الزمن لا يغزون فيه أحداً لصغر ملكهم، وعندما ترعرع سابور، اختار جيشاً عظيماً عبر به البحر إلى الخط، وأعمل السيف في أهل البحرين، وقتل الكثير من عبدالقيس ولم يلتفت إلى غنيمة وإنما استمر في خطته واجتاح قبائل تميم وبكر بن وائل وقتل رجال تلك القبائل حتى سالت دماؤهم ثم قصد قبائل اليمامة وصعد إلى منطقة الشمال، حيث قبيلة تغلب وكان ينزع أكتاف الرجال فسمي «بذي الأكتاف» ولم يقف عند هذا الحد وإنما قام بتغيير وتبديل مواطن ومنازل بعض القبائل على أرض البحرين[٥].

---

(١) الحوفي: الحياة العربية في الشعر الجاهلي ١٠٧ .

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٧٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦٧/٣، تاريخ ابن خلدون ٦٢٢/٢ .

(٣) الخليفة والحمر: البحرين عبرالتاريخ ٧١/١ .

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٩٨/١ .

(٥) نفس المصدر السابق وعاد سابور بعد ذلك وصالح عبدالقيس.

ومن هنا ندرك الصلة بين فارس وعبدالقيس فالعبديون عندما آنسوا في أنفسهم القوة والمنعة عبروا الخليج وتغلبوا على الفرس، وجواد علي[1] يشير إلى أن هذا الهجوم العبدي جاء نتيجة ضيق المعاش وضنك الحياة بينما تؤكد مصادر اخرى[2] أن امرئ القيس ملك الحيرة أوعز لعبدالقيس وقبائل أخرى بمهاجمة السواحل الفارسية واحتلالها، طمعاً في امبراطورية عربية واسعة.

وكان للفرس جالية كبيرة في هجر والبحرين، وحامية من الجيش لحفظ الأمن الداخلي، وكانت وراء أبناء الفرس تمدهم بأسباب القوة والنفوذ[3] وقد رأينا أن فارس كانت تؤم الأسواق العبدية، وتتاجر فيها[4]، وقامت التجارة بين البلدين فالعبديون استوردوا الحديد من فارس[5]، وفارس ترسل الميرة والحنطة إلى الجزيرة مارة بأرض البحرين[6]، كما وضع الفرس ولاة على البحرين ذكر منهم المكعبر الفارسي «أزاد فيروز»[7] والمرزبان في هجر[8].

وكان الفرس يستعملون ولاة من العرب على منطقة البحرين والقبائل العربية المتاخمة، وقد عرفنا من ولاتهم قبل الإسلام المنذر بن ساوى العبدي[9] وهذا الإجراء الفارسي يرجع إلى رغبة الفرس في تأمين حدودهم الغربية وضبط القبائل العربية لضعف ادارتهم وسلطتهم العسكرية هناك[10].

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٢/٥٥ .

(٢) الحمر والخليفة: البحرين عبر التاريخ ١/٧٣ .

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٧٨.

(٤) البكري: المسالك والممالك ٢١٨.

(٥) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية في البصرة ٢٣١.

(٦) البكري: المسالك والممالك ٢١٩.

(٧) ياقوت: معجم البلدان ١/٥١١.

(٨) المسعودي: مروج الذهب ١/٢٤٥ .

(٩) البلاذري: فتوح البلدان ٨٠ وابن الأثير في الكامل ٢/٢١٥ .

(١٠) النجم: البحرين في صدر الإسلام ١١٧ .

أما الجاليات الفارسية فلها حاكم فارسي - المرزبان - يدير شؤونها ويختص بها[١] وتحت امرته قوة عسكرية محدودة وليس له سلطة أو، نفوذ كبير على العرب، ويتضح ذلك في المراسلات التي قامت بين يثرب والبحرين فقد أرسل النبي عليه السلام كتاباً إلى المنذر بن ساوى العبدي يطلب إليه فيه الإسلام كما أرسل كتاباً آخر إلى مرزبان هجر[٢].

ومن المعلوم أن الفرس كانوا يواجهون الدولة البيزنطية العظيمة فجهودهم العسكرية كلها كانت موجهة لصد هجوم الروم، ولذلك ساندوا دولة الحيرة في أطراف العراق[٣]، لتكون سدًا منيعاً أمام تقدم الروم، وهجمات العرب.

وفي ذي قار[٤] كانت جموع عبدالقيس تقاتل إلى جانب البكريين والعرب وتهزم الفرس وتنتصر عليهم.

وبعد الإسلام عبر العلاء الحضرمي بجيوش عبدالقيس وبعض القبائل البحر واحتل بلاد فارس[٥] ويعيد التاريخ نفسه، وتتثبت أقدام العبديين مرة ثانية على شاطئ الخليج من جهة فارس، وقاد الجيوش المنتصرة، يؤمها ثلاثة من عبدالقيس : الجارود العبدي، وسوار بن همام العبدي، وخليد بن المنذر العبدي[٦].

وهكذا لم يترك العبديون فرصة للنيل من الفرس والدفاع عن مواطنهم ومنازلهم، وقد وقفت البحرين حصنًا شامخاً، أمام توغل جيوشهم في أرض الجزيرة العربية وصمدت صموداً جباراً، ترد هجماتهم بل وعندما كانت تجد الفرصة سانحة تعبر البحر إليهم في عقر دارهم[٧]. ولا يحدثنا الشعر العبدي عن هذه العلاقة مع الفرس.

---

(١) ابن سعد: الطبقات ١٩/٢ .

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ٦٤/١ .

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٨٢/١ .

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ٨٥ ، سلسلة ابطال الإسلام للعناني ص ٣٧.

(٦) الأحسائي: تاريخ الأحساء ٦٩.

(٧) العناني: سلسلة ابطال الإسلام ٣٧.

وعندما جاء الإسلام ودوى صوته قوياً في جنبات الجزيرة هبت عبدالقيس تلبي نداءه وتدخل في دين الله أفواجاً.

٢ - مع المناذره في الحيرة:

تقع الحيرة على ضفة الفرات الغربية من العراق[١]، ساهم الفرس في إنشائها، وكانت لهم عليها سيادة وسلطان[٢] وسكانها مزيج وخليط من قبائل عربية:[٣] التنوخيون والعباد والأحلاف وسائر العرب من القبائل الأخرى ، وتشير المصادر إلى أن عبدالقيس ساهمت في إنشاء الحيرة[٤].

قصورها عجيبة، منازلها جميلة، اشتهرت بمعاهدها العلمية وحوانيتها التجارية، بنيت على نمط فارسي ولهدف عسكري، فقد وقفت سداً منيعاً أمام هجمات الروم وغزوات العرب على حدود الدولة الفارسية[٥].

بدأ حكم ملوك اللخميين في الحيرة بعمرو بن عدي[٦]، حيث أقر الفرس النظام السياسي لهذه الدولة، وتتابع ملوكها وأشهرهم امرئ القيس بن عمرو[٧] الذي عاصر سابورا ذا الأكتاف وسعى لتكوين إمبراطورية عربية مستعيناً بعبد القيس ذات القوة لتنفيذ آماله وتحقيق أمانيه[٨]، وبالفعل فإن دولة الحيرة ضمت في أيامه العراق وأطراف الشام ونجداً والبحرين والحجاز وسواحل فارس واليمن وقد سجل على قبره أنه أخضع قبائل عربية عديدة وامتد نفوذه إلى البحرين[٩].

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٥٨/٣ .
(٢) نفس المصدر السابق ١٥٨/٣ .
(٣) نفس المصدر السابق ١٦٩/٣ .
(٤) السهيلي: الروض الأنف ٥٣/١ .
(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦٩/٣ .
(٦) نفس المصدر ١٨٧/٣ .
(٧) الخليفة والحمر: البحرين عبر التاريخ ٥٩ .
(٨) نفس المصدر: ٧٥ .
(٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٩٨/٣ .

وتحدثنا الأخبار أن البحرين كانت تابعة لدولة المناذره ربيبة الدولة الفارسية وأن عمرو بن هند ملك الحيرة أوعز إلى وإليه على البحرين يومها بمقتل طرفة بن العبد على أثر هجائه له[1].

فالشريف المرتضى، ذكر أن عاهل البحرين هو المعلى بن حنش العبدي[2] وتزعم روايات أخرى أن الذي قتل طرفة هو الربيع بن حوثره العبدي وكان عمرو بن هند قد عينه والياً على البحرين[3].

وروايات أخرى تشير إلى المكعبر الوالي الفارسي وكان عامل عمرو بن هند على عمان والبحرين[4].

أيا كان الأمر فالذي نفهمه أن البحرين ومناطق عبدالقيس في هذا الوقت كانت تابعة وخاضعة لسلطة المناذرة[5].

وقبل الإسلام كانت الحيرة وبصرى إمارتان عربيتان، يفد إليهما الشعراء ويلقون من ملوكهما كل ترحاب وتشجيع ورعاية، وقد وفد على البلاط المنذري أكثر الشعراء للجاهليين ومنهم عمرو بن قميئة، والمسيب بن علس والمنخّل اليشكري وعمرو بن كلثوم، والحارث اليشكري، والمثقب العبدي، والنابغة الذبياني[6].

واتصل العبديون اتصالاً مباشراً بثلاثة من ملوك الحيره، وهم عمرو بن هند، وقابوس بن هند، والنعمان بن المنذر، ابن أخي عمرو بن هند والملقب (بأبي قابوس)[7].

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٤٤/٣ .

(٢) امالي المرتضى: ١٨٣/١، رسالة الغفران: ٣٣٨.

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١٣٧.

(٤) المرزباني: معجم الشعراء ٢٠١.

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٣٢/٣.

(٦) نفس المصدر ٢٤٦/٣.

(٧) كحالة: معجم القبائل العربية ٧٢٦/٢.

أما العلاقات بين الحيرة والبحرين أو بين المناذرة والعبديين فكانت عدائية من جانب وسلمية من جانب آخر، وقد حدثنا الشعر أن كتائب المناذره وأشهرها، دوسر[١]، والجأواء[٢] كانت تجتاح أرض العبديين وتوجعهم قتلاً، وتسوق أسراهم، وتفتك برجالهم، ولذا نجد ثورات متتالية من العبديين، وهجاء مراً من شعرائهم.

وأشعل هذه الثورة العاتية، والهجاء المر، الشاعران يزيد وسويد الشنيان، فيزيد يرى بأن النعمان خائن مخادع[٣].

وفي قصيدة أخرى طلب إلى المناذرة، بأن يرفعوا أيديهم عن عبدالقيس ويوقفوا هجماتهم عليهم[٤]:

أقيموا بني النعمان عنا صدوركم

وألا تقيموا كارهين الرؤوسا

ولم يكن سويد أخو يزيد، بأقل حماسة منه في هجاء المناذرة وإيذائهم، إذ يصف عمرو بن هند بالظلم وحب العدوان[٥].

وفي شعر العبديين إشارات كثيرة، إلى هذه العلاقة العدائية سنفصل الحديث في شأنها عند دراستنا لشعر الحرب[٦].

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٤٧/٣.

(٢) الأنباري: شرح المفضليات ٥٧٦.

(٣) المفضليات ٢٩٦.

(٤) نفس المصدر ٢٩٧.

(٥) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٨٧، وانظر : ديوان عبدالقيس.

(٦) انظر : شعر الحرب.

أما العلاقة السلمية فتقول بها بعض المصادر[1]، ويبدو أن موقف المثقب العبدي الشاعر وسفارته إلى المناذره، هي التي أوجبت تلك العلاقة، فقد مدح المثقب المناذرة، ومن ممدوحيه الملك عمرو بن هند[2]:

واضح الوجـــــه، كـــــريم نجـــــره
ملك الســـــيف إلى بطن العـــــشـــــر

وقال في النعمان أبي قابوس[3]:

فـــــإن أبا قـــــابوس عندي بلاؤه
جـــــزاء بنعـــــمى لا يحل عنودها

ويؤكد المثقب في أشعاره علاقة طيبة بين العبديين والمناذرة، لم لا، وهو الرئيس في قبيلته، السفير منها إلى الحيرة، داوي الجراح، وينهي الخصام، وفي دراستنا لشعر السلم والإصلاح، سنأتي على الكثير من جهوده في هذا الميدان الإنساني[4].

٣ - العلاقات مع الجزيرة العربية:

أ - مع كندة: استطاعت مملكة كندة أن تفرض سلطانها على مساحات واسعة من أرض الجزيرة العربية، بعد أن أتخذ حجر بن عمرو هضبة نجد، مركزًا له ومنطلقاً لتوسعاته، وسيطرته على القبائل العدنانية[5].

---

(١) كحالة: معجم القبائل ٧٢٦/٢.
(٢) ديوان المثقب العبدي: ٦٨.
(٣) نفس المصدر ١٠٢ .
(٤) انظر : شعر السلم.
(٥) المبرد: الكامل في الأدب ٣٧٥/١ ، الدكتور صالح العلى: محاضرات في تاريخ العرب ٨٥/١ .

وفي منتصف القرن الخامس الميلادي، ثارت قبائل معد العدنانية تغلب وبكر وائل، وعبدالقيس وعنزة، وضبيعة، والنمر بن قاسط، بقيادة كليب بن وائل واستطاعت أن تتخلص من حكم اليمن، وبذلك تقلص حكم كندة على تلك القبائل، غير أن الحرب قامت بين قبائل معد وحدثت حرب البسوس بين بكر وتغلب واستمرت أربعين عاماً، وهناك تمزقت روابط الألفة بين القبائل وانفرطت وحدتها وأخذت كل منها تسعى إلى استقلالها(١).

وفي مطلع القرن السادس الميلادي، تمكن الحارث بن عمرو الكندي من السيطرة على معظم القبائل العدنانية ثانية، وامتد سلطانه إلى الحجاز واليمن، وأصهر إلى تغلب وعقد صلحاً بين بكر وتغلب، واشترك في الصلح رجالات القبائل، ومن بينها جد المثقب العبدي، وبذا تكون عبدالقيس قد لعبت دوراً كبيراً في الإصلاح(٢)، واشتركت في هزيمة اليمن، شأنها شأن سائر قبائل ربيعة، ودخلت تحت سيطرة كنده بعد أن وزع الحارث بن عمرو أولاده على القبائل وذلك على النحو التالي: حجر بن الحارث على بني أسد وغطفان، وشر حبيل بن الحارث على بكر بن وائل وبطون من تميم، ومعد يكرب بن الحارث على تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة، وعبدالله بن الحارث على عبدالقيس، وسلمة بن الحارث على قيس.

جرى هذا التوزيع بعد أن تفاسدت القبائل وجاءت إلى الحارث الكندي وهو يستولي على الحيرة وطلبت إليه التدخل في الأمر ووضع حد لنزاعاتها وخلافاتها، وهكذا تكون كندة في مطلع القرن السادس الميلادي قد سيطرت على قبائل معد العدنانية سيطرة تامة.

---

(١) الخليفة والحمر: البحرين عبر التاريخ ١/٨٠ .

(٢) الخليفة والحمر: البحرين عبر التاريخ ١/٨٠، صالح العلي : محاضرات في تاريخ العرب ١/٨٥، ديوان المثقب العبدي: ص ٢٥٧.

وسرعان ما تبدل الحال عندما عاد المنذر بن ماء السماء إلى عرشه في الحيرة حيث أخذ يساعد القبائل على رفض سيطرة كندة[1]، حتى استطاعت أن تتخلص من حكم الكنديين لتدخل في طاعة اللخميين مع الحفاظ على روح الاستقلال الداخلي لكل قبيلة من تلك القبائل، ويقال : إن المنذر هو الذي أصلح بين بكر وتغلب في حرب البسوس حوالي عام ٥٢٥م[2].

وخلال فترة القرنين الخامس والسادس للميلاد كانت عبدالقيس مثل بقية القبائل تسعى للحفاظ على استقلالها وسيطرتها على المناطق التي نزلتها، وليكون لها صوت مسموع ومركز قوي بين سائر القبائل العدنانية، أما الشعر فلا يحدثنا بشيء عن علاقة عبدالقيس وكندة[3].

ب – مع القبائل الأخرى: يحدثنا الشعر عن قليل من الأيام بين عبدالقيس وغيرها من القبائل فهي تارة مهزومة، وتارة أخرى منتصرة، تحارب مرة، وتلجأ إلى الإصلاح مرة أخرى، وهذه أهم الصلات والعلاقات مع القبائل:

مع بكر بن وائل: قامت الحرب بين عبدالقيس ولجيم بن صعب بن بكر بن وائل في أرض ذي طريف انتهت بهزيمة لجيم وانتصار عبدالقيس، وحدثنا عن ذلك المفضّل العبدي في منصفته الشعرية عندما قال[4]:

فـأبقـينا ولو شئنا تركنا
لُجيـماً لا تَقـود ولا تسَـوقُ

(١) ابن الانباري: شرح القصائد الجاهليات ص ٥، محمد جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية ١١٢.
(٢) الخليفة والحمر: البحرين عبر التاريخ ٨٣/١.
(٣) حتى: تاريخ العرب ١٢٠/١، الأصفهاني: الأغاني ٢٥٨/١٤ .
(٤) الأصمعيات: ٢١٩.

ونقلت إلينا المصادر أن الجارود العبدي أغار على البكريين في الجاهلية وجردهم ومن هنا سمى بالجارود العبدي[١]، وقال المفضل يومها «كما جرد الجارود بكر بن وائل»[٢].

وحسبي أن أشير إلى أن رجال عبدالقيس من الحواثر هم الذين قتلوا طرفة بن العبد البكري[٣]، وفي ذلك يقول المتلمس الضبعي[٤] خال طرفة مشيراً إلى دفع دية طرفة:

لن يرحض السؤات عن أحسابكم
نعم الحواثر إذ تساق لمعبد

مع عبس: يبدو أن العبديين انتصروا على العبسيين عندما هاجم العبسيون أرض عبدالقيس في منطقة القطيف ويظهر أن الشاعر العبسي عنترة دخل هذه الحرب إذ يقول الشاعر العبدي عمرو بن أسوى[٥]:

وتركن عنتر لا يقاتل بعدها
أهل القطيف قتال خيل كنفع

مع تميم: في يوم عينين[٦] خرج بنو منقر ممتارين من هجر، فعرضت لهم عبدالقيس، فاستعان بنو منقر ببني مجاشع فدافعوا عنهم ضد عبدالقيس واستطاع المنقريون والمجاشعيون الانتصار على العبديين، وقال الشاعر بعد ذلك:[٧]

ونحن منعنا يوم عينين منقراً
ولم ننبُ في يومي جدود من الأسل

---

(١) العسقلاني: الإصابة ٢٢٦/١.
(٢) ابن دريد: الاشتقاق ٣٣١.
(٣) ديوان المتلمس للصيرفي ص ١٥١.
(٤) المصدر السابق ص ١٥٠، يرحض: يغسل.
(٥) ياقوت: معجم البلدان ١٣٤/٥ .
(٦) قرية في البحرين لعبد القيس.
(٧) ياقوت: معجم البلدان ١٤٢/٦ .

وكانت تقوم غارات عديدة بين العبديين وبين بني تميم بحكم الجيرة فقد أغار قيس بن عاصم ببني سعد على عبدالقيس وهزمهم أكثر من مرة[١].

مع قيس: في يوم مرداء هجر[٢] قال الشاعر عامر بن الطفيل مشيراً إلى هزيمة عبدالقيس[٣]:

وعـــبـــدالقـــيس بالمرداء لاقت
صـــبـــاحـــاً مـــثلمـــا لاقت ثمـــود

صـــبـــحنـاهم بكل أقب نـهـــد
ومطرد لـه يـقـــد الحـــديـد

وأبيض يخطف القطران عـــضب
رقـــيق الحـــد زينه عـــمـــود

وفي قصيدة أخرى أشار عامر بن اللطفيل إلى أن القيسيين أخذوا سبايا من البحرين من عبدالقيس إذ يقول[٤]:

وقـــد نلنا لعـــبـــدالقـــيس ســـبـــاً
من البـــحـــرين يقـــتـــسم اقـــتـــسامـــا

هناك أيام أخرى كثيرة لكنها لم تلق اهتماماً من قبل المؤرخين اشتركت فيها عبدالقيس مع القبائل الأخرى في الجزيرة ومنها «يوم النشاس»[٥] بين بني عامر من عبدالقيس وأهل اليمامة ويوم «فارعة المنقى» الذي أشار إليه ثعلبة بن عمرو عندما قال[٦]:

كـــأنـــي يـوم فـــارعـــة المنقى
علـى أنـي كظمـت لـهـــا أمـــيـم

---

(١) الأغاني: ٨١/١٤ .
(٢) المرداء أرض بهجر، ياقوت ٧٤٠/٤ .
(٣) ديوان عامر بن الطفيل ٤٩.
(٤) المصدر السابق ١١١.
(٥) الأغاني: ٣١٠/١٦ .
(٦) ابو تمام: الوحشيات ١٢٦ وانظر : ديوان عبدالقيس.

ويوم «ذات الرمث» الذي أشار إليه شاعر من عبدالقيس[1]:

بذات الرمث إذ خـــفـــضـــوا الـعـــوالـي

كـــان ظبـــاتهـــا لـهـــبـــان جـــمـــر

وغزا زهير بن جناب الكلبي عبدالقيس مع داود بن هبالة القضاعي وقُتل في هذه الغزوة رجل من عبدالقيس وأيضًا قتل هداج بن مالك العبدي، وقال زهير يومها[2]:

فـــجـــعت عـــبـــدالقـــيس أمس بـجـــدهـا

وســـــقـــــيت هـداجـــــاً بـكـاس الأول

هذه الأيام تفصح عن موقف عبدالقيس وصلاتها مع القبائل الأخرى الضارية في أرض الجزيرة العربية ورمالها اللافحة، وقد رأينا أنها صلات حربية عدائية.

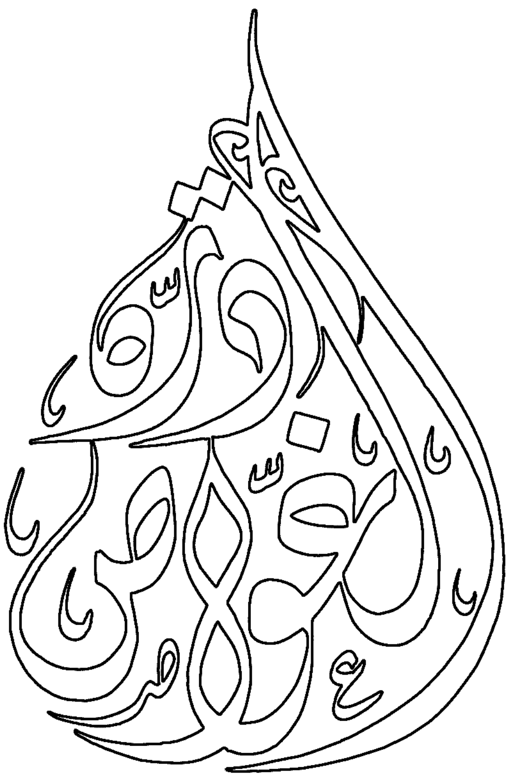
وإلى جانب تلك الصلات العدائية قامت صلات سلمية على شكل تجارة مع المدينة والحجاز[3]، وأشرنا إلى أن عبدالقيس صدرت إلى الجزيرة سائر منتوجاتها من الأسلحة والطعام والتمور.

****

(٣) المفضليات: ١٢١، وانظر : ديوان عبدالقيس.

(٤) ابن حبيب: أسماء المغتالين (نوادر المحفوظات) ١١٧/٦ .

(٥) المبرد: الكامل في الأدب ١٤١/١ .



الفصل الثاني

١ - الشعراء:

أنجبت قبيلة عبدالقيس عدداً كبيراً من الشعراء كانوا بين أشعر أهل المدن فقد قال أبو عبيده[(١)] «اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدن، أهل يثرب، ثم عبدالقيس، ثم ثقيف»، وأيد ذلك الجاحظ عندما ذكر أن العبديين، الذين نزلوا البحرين أشعر قبيلة في العرب»[(٢)].

وقد استطعنا أن نجمع شعر نيف وأربعين شاعراً وشاعرة يقف في مقدمتهم المثقب العبدي أشهر شعراء القبيلة، ومع المثقب شعراء آخرون، وهذه إحصائية بأسمائهم وهم:

١ - عامر بن معشر «المفضّل».

٢ - شاس بن نهار «الممزّق».

٣ - يزيد بن الخذّاق.

٤ - سويد بن الخذّاق.

٥ - ثعلبة بن عمرو.

٦ - عمرو بن أسوى.

٧ - الجمال العبدي.

٨ - جذل بن اشمط.

٩ - عمرو بن سلمة بن جبير.

١٠ - عمرو المحاربي.

١١ - أنس بن مساحق.

١٢ - حدّار بن ظالم.

---

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٢٢/٤، ١٣٧/٤ .

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ٨١/١ .

١٣ - مالك بن ثعلبة.

١٤ - توبة بن مضرس.

١٥ - مسعود بن سلامة.

١٦ - سلمة بن ابي حبابة.

١٧ - مالك بن عروة.

١٨ - ربيعة بن توبة.

١٩ - نشبة بن عمرو.

٢٠ - أسامة بن ربيعة.

٢١ - مويلك بن قابس.

٢٢ - النعمان بن حنظلة.

٢٣ - عروة بن سنان المحاربي.

٢٤ - ابو عفراء المحاربي.

٢٥ - الجعشم بن عوف.

٢٦ - حريث بن الزبرقان.

٢٧ - ربيعة بن ليث.

٢٨ - عامر بن زيد مناة.

٢٩ - عمرو بن حنثر.

٣٠ - شهاب بن العيف.

٣١ - عبدالله بن جنح النكري.

٣٢ - شعراء مجهولون من عبدالقيس.

٣٣ - الشاعرة أخت سعد بن قرط.

٣٤ - الشاعرة ابنة حكيم بن عمرو. 1423

٣٥ - الشاعرة أم النحيف العبدية.

٣٦ - شاعرات مجهولات من عبدالقيس.

٢ - مصادر شعرهم:

من الأمور التي تواجه الباحثين في مصادر الشعر الجاهلي فقدُ كثير من مجموعات شعر القبائل، التي تزخر بأسمائها كتب التراجم والأنساب، فلم يصل إلينا منها إلا صدى ضئيل، وبالإضافة إلى ذلك فقد تركزت عناية الرواة والشراح حول المشهورين من الشعراء، ومن هنا فقد توزع الشعراء المقلون والمغمورون بين مصادر شعرية أخرى، تناولت المختارات الشعرية والتراجم وكتب الثقافة العربية المختلفة[١].

وشعراء عبدالقيس من المقلين في الجاهلية، فكان علينا أن نفتش عن المصادر التي حفظت لنا شعرهم، وأن نطمئن من بداية الطريق، إلى أنه ليس هناك ما يمنع من أن يكون الشاعر المقل، جيد الإنتاج، أصيل النظم، مطبوع الشعر، فقد اعتبر بعضهم من فحول الشعراء[٢]، فهو مقل فيما وصل إلينا من شعره، ولذا فإن شعر هذه الفئة المقلة، على قدر كبير من الجودة والأصالة الشعرية.

ومصادر شعر العبديين عندي ثلاثة، أولها دواوين الشعر، وثانيها المصادر القديمة، وثالثها الدراسات الحديثة.

١ - دواوين الشعر:

ذكر الرواة دواوين القبائل، التي بلغ عددهاء أكثر من ستين ديواناً[٣] بينها ديوان عبدالقيس[٤]، لكن هذا الديوان لم يصل الينا فقد طوحت الأيام أشعاره، ومزقت عوادي الزمان أوراقه، وبعثرت قصائده، وكان شأنه شأن الكثير من الشعر الجاهلي، الذي لم يصل إلينا.

---

(١) يوسف خليف: الشعراء الصعاليك ١٥١، ١٥٤ .

(٢) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٢٧٨ .

(٣) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ص ٤٥٣ .

(٤) الآمدي: المؤتلف والمختلف ص ٧٠، ٢٥٥ .

ولم يبق لنا من بين دواوين القبائل إلا ديوان هذيل[1] الذي لقي عناية فائقة، فقد تصدى لدراسته وشرحه في القديم كثيرون، وفي العصر الحديث درس أحمد زكي شعر هذيل في العصرين الجاهلي والإسلامي، وما دام الأمر كذلك في شعر العبديين، فقد أخذت في جمع شعرهم ورحت أبحث عن قصائد ديوانهم، في بطون الكتب وسائر المصادر والمظان التي حفظت لنا تراث الجاهليين، والدراسات التي تناولت هذه الفترة من أدبنا العربي.

أما دواوين شعراء عبدالقيس، فكان مصيرها أيضاً مصير دواوين القبائل التي ضاعت ولم يصل إلينا منها شيء، والديوان الوحيد الذي نجا من عملية الضياع هو ديوان المثقب العبدي، ونجد أول ذكر لهذا الديوان عند أبي بكر الأموي «ت ٥٧٥هـ» فقد ذكر قول أبي علي القابي «قرأت شعر المثقب علي ابن دريد»[2] وذكر شعر المثقب البكري[3]، وفي خزانة الأدب للبغدادي كان ديوان المثقب من المراجع التي اعتمد عليها صاحب الخزانة[4] واختار المفضل من شعر المثقب ثلاث قصائد: الدالية رقم ٢٨ والنونية رقم ٧٦ والميمية ٧٧ في المفضليات.

وقد بقي لنا من ديوان المثقب أربع مخطوطات، لا يعرف تاريخ نسخها ولا اسم ناسخها، الأولى في دار الكتب المصرية برقم ٥ أدب م، والثانية بمكتبة عاشر أفندي بالأستانة رقم ٨٦٧، والثالثة في دار الكتب المصرية رقم ٦ لغة شن وهي بقلم الشنقيطي، والرابعة في دار الكتب المصرية رقم ٥٦٥ أدب وبخط محمود سامي البارودي[5].

(١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٨٢/١ .
(٢) ديوان المثقب: ص ٢٦.
(٣) نفس المصدر.
(٤) البغدادي: خزانة الأدب ٩/١ «بولاق».
(٥) ديوان المثقب: تحقيق الصيرفي ص ٢٨.

وقد قام بتحقيق ديوان المثقب الشيخ محمد حسن آل ياسين ١٩٥٦ ضمن مجموعة نفائس المخطوطات، وفي عام ١٩٧١ أصدر الأستاذ حسن كامل الصيرفي ديوان شعر المثقب محققاً تحقيقاً علمياً، فيه جهد كبير، واهتمام عظيم.

٢ - المصادر القديمة:

وقيمة هذه المجموعة أنها من أهم مصادر الشعر الجاهلي[١] وتضم:

المختارات الشعرية ، والحماسات ، والمصادر التاريخية والجغرافية، والمصادر اللغوية والأدبية.

أ - المختارات الشعرية: لعلنا لا نغالي إذا ما قلنا: إن أهم وثيقتين شعريتين، لشعر المقلين من الشعراء الجاهليين[٢]، هما المفضليات للمفضل بن محمد الضبي الكوفي والأصمعيات لعبدالملك بن قريب والمعروف بالأصمعي البصري وهو تلميذ الضبي في المنهج والاتجاه.

فالمفضليات أقدم وثيقه اختيارية[٣]، أقدم عليها المفضل من كتب الاختيارات الشعرية الجاهلية، وكان سبب اختيارها أن تكون مرجعاً للخليفة المهدي، ومصدراً ثرياً في أوقات فراغه، للاطلاع على النواحي الأدبية والميادين الشعرية[٤]، فقد أشار المنصور على المفضل أن يختار أجود قصائد المقلين ليدرب بها المهدي ويعلمه رائع الشعر وخالصه.

وتضم هذه المفضليات مئة وثلاثين قصيدة شعرية، لسبعة وستين شاعراً.

(١) ناصر الدين: مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٧٢.

(٢) الدقاق: مصادر التراث العربي ص ٤٤، والمفضليات: شرح شاكر وهارون ص ٩.

(٣) نفس المصدر.

(٤) الأنباري: شرح المفضليات ص ١.

منهم سبعة وأربعون جاهلياً، وستة إسلاميين، وأربعة عشر مخضرماً، وجميع الأشعار، ذات إسناد صحيح، ورواية كاملة واستقصاء دقيق[1].

ويقول الأنباري[2] «أملى علينا أبو عكرمة هذه القصائد المختارة للمفضل الضبي إملاء مجلساً مجلساً من أولها إلى آخرها وذكر أنه أخذها عن محمد بن زياد الأعرابي» ولم يكن يكتفي بذلك، وإنما كان يستعين بالرواة ويرجع إلى علماء اللغة أمثال أبي عمر الكرخي وأبي بكر العبدي والطوسي.

وقام بشرح المفضليات كثيرون، ومنهم الأنباري ت ٣٠٥ هـ، وابن النحاس ت٣٢٨ هـ، والمرزوقي ت ٤٢١ هـ، والتبريزي ت ٥٠٢ هـ، والميداني ت ٥١٨هـ[3].

وميزة المفضليات أن رواتها ثقات، وهي تصف بيئة الجاهليين وتقاليدهم[4]، ويقول المحدثون في شأنها: «إنها من أروع وأوثق النصوص الجاهلية التي لا يرقى إليها الشك[5]».

ومع القيمة الأدبية والتاريخية للمفضليات، فقد لحق بها بعض الاضطراب لكثرة رواتها، وتعدد شراحها، ويشير ناصر الدين[6]، إلى أن أحد تلاميذ المفضل، وهو الأصيفهاني وقع منه مثل هذا الاضطراب، ويشير الأستاذان أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، إلى أن عدد المفضليات الأصلي ثمانون قصيدة[7] قرئت على الأصمعي، فأقرها وزاد عليها أبياتاً، واختار قصائد أخرى، ثم جاء بعد الأصمعي من زاد عليها حتى بلغت العدد الذي ذكرناه.

(١) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٥٧٣ - ٥٧٥.
(٢) الأنباري: شرح المفضليات «المقدمة».
(٣) الدقاق: مصادر التراث العربي ٤٤.
(٤) شوقي ضيف: العصر الجاهلي ١٦٥.
(٥) نفس المصدر ١٥٣.
(٦) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٥٧٣.
(٧) المفضليات: تحقيق شاكر وهارون ص ١٠.

ولم يذكر الرواة أن المفضل قام بشرحها وإنما الذي فعل ذلك تلاميذه الذين جاءوا بعده[١]، ويذكر الدقاق[٢] أن المفضليات لها قيمة كبيرة، إذ احتفظت بجانب كبير من الشعر الجاهلي، وقصائدها في معظمها كاملة وغير مجزأة، ثم هي أقدم مجموعة شعرية وصلت إلينا.

ويهمنا هنا أن نشير إلى شعراء عبدالقيس الذين ضمتهم هذه المفضليات وهم:

١ – المثقب العبدي: له المفضليات رقم ٢٨، ٧٦، ٧٧ وعدد أبياتها ٩١ بيتاً من الشعر، وقد حواها ديوان المثقب العبدي الذي حققه الأستاذ الصيرفي.

٢ – الممزق العبدي: له المفضليات رقم ٨٠، ٨١، ١٣٠ وعدد أبياتها ٢٢ بيتاً.

٣ – يزيد بن الخذاق العبدي: له مفضليتان رقم ٧٨، ٧٩ وعدد أبياتها ٢٢ بيتاً.

٤ – ثعلبة بن عمرو: له مفضليتان رقم ٦١، ٧٤ وعدد أبياتهما ٣٠ بيتاً.

٥ – رجل من عبدالقيس: له المفضلية رقم ١٣ وعدد الأبيات ثمانية.

٦ – سويد بن الخذاق: ذكر مع أخيه يزيد بن الخذاق وروي له بيتان من الشعر.

ومن هذا يمكننا أن نقول: إن عدد شعراء عبدالقيس في هذه المفضليات ستة شعراء، أما نصيبهم من المفضليات فهو إحدى عشرة مفضلية، وعدد الأبيات يصل إلى مئة وأربعة وسبعين بيتاً من الشعر، وإن هؤلاء الشعراء من المشهورين بين شعراء القبيلة كما لايفوتني أن أنوه أنهم يشكلون جانباً كبيراً من المادة الشعرية لعبدالقيس.

أما الأصمعيات فهي الوثيقة الشعرية الثانية والمكملة للشعر الجاهلي[٣] قام بجمعها واختيارها على ذات منهج المفضليات، الأصمعي عبدالملك بن قريب وتضم هذه المجموعة الشعرية الثانية اثنين وتسعين قصيدة وقطعة لواحد وسبعين شاعراً، منهم ستة إسلاميين، وأربعة عشر مخضرماً، وأربعة وأربعون جاهلياً وسبعة مجهولين، وهي في روايتها وثقتها وإسنادها كالمفضليات[٤].

(١) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٥٧٣.

(٢) الدقاق: مصادر التراث العربي ٤٣.

(٣) الدقاق: مصادر التراث العربي ٤٦.

(٤) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٥٧٨.

وكان صاحب الأصمعيات بحراً في اللغة وفي كثرة الرواية، كما وصفه المبرد[١]، وقد راق للرشيد أن يصنع صنع المنصور والمفضل فوكل إلى الأصمعي تأديب ابنه الأمين، ورغب إليه أن يختار من عيون الشعر القديم قصائد يتعلمها الأمين ويدرب بها، واستجاب الأصمعي لهذه الرغبة فاختار الأصمعيات.

ولقد تداخلت الأصمعيات مع المفضليات فأدى ذلك إلى اضطراب الشعر ووقع نتيجة ذلك بعض الاختلاط، وحدث التداخل بينهما[٢].

وتضم الأصمعيات من شعراء عبدالقيس عدداً أقل من المفضليات وهم:

١ - الممزق العبدي: وله الأصمعية رقم ٥٨ وعدد أبياتها عشرون بيتاً.

٢ - المفضل النكري العبدي: وله الأصمعية رقم ٦٩ وعدد أبياتها تسعة وثلاثون بيتاً.

٣ - عبدالله بن جنح النكري: وله الأصمعية رقم ٣٠ وعدد أبياتها سبعة أبيات.

واعتقد محقق الأصمعيات أن هذا الشعر هو للمفضل النكري والصحيح أنه لشاعر آخر من عبدالقيس[٣] لكن لفظة «النكري» هي التي جعلت المحقق يذهب إلى هذا الاعتقاد.

ومن هنا نرى أن الأصمعيات ثلاثة والشعراء ثلاثة، وعدد الأبيات ستة وستون بيتاً.

ويهمني أن أشير هنا إلى أن المفضليات والأصمعيات معاً تضمان ما يقرب من مئتين وأربعين بيتاً من الشعر العبدي، ويوشك هذا الرقم أن يصل إلى نصف الشعر الذي وصل إلينا عن العبديين ويمكننا أن نطمئن إلى أن هذا الشعر، جاء في وثيقتين محققتين، وهما تحويان أشعاراً جيدة الضبط، سليمة الرواية، صحيحة الإسناد، ولذا كانت المفضليات، والأصمعيات، من أوثق مصادر الشعر الجاهلي[٤].

(١) الدقاق: ٤٦.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) انظر: ديوان عبدالقيس.

(٤) عمر الدقاق: مصادر التراث العربي ٤٤.

ولابد لي من التنويه بكتاب الاختيارين، إلى جانب المفضليات والأصمعيات، فإذا كان المنصور قد عهد إلى المفضل اختيار المفضليات، لتدريب المهدي على رائع الشعر، وكذلك الرشيد عندما رغب إلى الأصمعي في اختيار الأصمعيات لتأديب الأمين في عيون الشعر، فقد جاء الأخفش الأصغر أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل «ت ٣١٥ هـ» ليجمع بين المفضليات والأصمعيات في كتاب واحد ويعلق عليها شرحاً يفسر الغريب ويوضح الغامض وسمى كتابه «كتاب الاختيارين» وقد أدب بهذا الكتاب ولد الوزير إبراهيم بن المدبر في بغداد[١].

ب - الحماسات: في أواخر القرن الثاني الهجري، وأوائل القرن الثالث بدأت أساليب جديدة، في اختيار الشعر القديم وتبويبه وترتيبه، فقام بعض الشعراء والمهتمون بالأدب والنقد يؤلفون كتباً ضمت أشعاراً من شعر الذين تقدموهم، ودفع هذه الفئة إلى هذا النهج أن العلماء فرغوا من تدوين أشعار المكثرين والمشهورين فلم يبق أمامها، إلا أن تبحث في شعر المقلين والمغمورين وبدأت الاختيار الجديد والتبويب الحديث، فاختارت لكل شاعر أجود ما قال واعتمدت على الرواية قراءة وإملاء ثم على دواوين الشعراء أنفسهم وكتب الشعر التي وجدت في تلك الفترة وساعدها على ذلك ذوقها الشعري، وشغفها بالأدب وكان رائد هذا الاتجاه الجديد الشاعر حبيب بن أوس الطائي (أبو تمام) والمتوفي [illegible] هـ[٢].

وحماسة أبي تمام، بني اختيارها على أبواب المعاني، باب الحماسة أكبرها، وثمانية أبواب أخرى للأدب، والنسيب، والهجاء، والأضياف والمديح، والصفات، والسير والملح، ومديح النساء[٣]، وجميع الحماسات التي تلت حماسة الطائي «أبي تمام» رتبت على معاني الشعر وكانت في أبواب[٤].

---

(١) الأخفش: كتاب الاختيارين: تحقيق فخر الدين قباوة «مقدمة التحقيق».

(٢) «مقدمة الحماسة الشجرية»: تحقيق الملوحي وأسماء الحمصي.

(٣) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٥٨٢.

(٤) مقدمة الحماسة الشجرية.

ولذلك نميل إلى اعتبار هذه الحماسات حلقات في سلسلة طويلة من كتب الاختيارات الشعرية.

وحظيت حماسة أبي تمام باهتمام كبير وواسع لكنها مع الأسف لم تعن بشعراء عبدالقيس سوى الشاعرة أم النحيف العبدية[١].

ولأبي تمام حماسة أخرى عرفت باسم الوحشيات[٢] وسميت كذلك باسم الحماسة الصغرى تميزاً لها عن الحماسة الكبرى، التي ذكرناها، وأشار الأراجكوتي[٣] إلى أن أغلب شعراء هذه الحماسة الصغرى من المقلين والمغمورين من الشعراء، وقد صنفها أبو تمام بعد تصنيفه الأول.

ويبدو أن الطائي قد صنف «الوحشيات» في وقت ثلج عندما كان في خراسان فمنعه المطر والشتاء، أن يسافر فجلس وهو سجين الثلوج، وأخرج للناس هذه الوحشيات، وتمتاز أشعارها بقصرها، وعدم شهرة أصحابها، ولذا كانت تنحو منحى المقطعات الشعرية[٤]، وأهم شعراء عبدالقيس الذين تناولتهم الوحشيات: يزيد بن الخذاق، وثعلبة بن أم حزنة، وجذل بن أشمط، وشاتم الدهر العبدي، وعمرو بن سلمة، وأخت سعد بن قرط العبدي، وعدد أبيات الشعر فيها أربعون بيتاً تقريباً، وبذا عوضت النقص في الحماسة الكبرى.

وإذا كانت حماسة أبي تمام الكبرى لم تأت على شيء من شعر عبدالقيس، فإن البحتري قد عوض النقص، وسد الثلمة، وذكر في حماسته الكثير من الشعراء ومقطوعاتهم الشعرية، ولذا كانت حماسة البجتري زاداً كبيراً، وشهياً على الطريق إلى عبدالقيس، وضمت أكثر من عشرين شاعراً من المقلين والمغمورين، وتجاوز عدد الأبيات الشعرية في ديوان عبدالقيس من هذه الحماسة، ما يزيد على مئة بيت من الشعر، وبذلك تعتبر المصادر الثلاثة، المفضليات، والأصمعيات وحماسة البحتري أكثر المصادر اهتماما بشعر العبديين وتضم قرابة ثلاثمئة وخمسين بيتاً من الشعر.

---

(١) حماسة أبي تمام ٥٦١.

(٢) عمر الدقاق: مصادر التراث العربي ٦٤.

(٣) أبو تمام: الوحشيات ص ٦.

(٤) الدقاق: مصادر التراث العربي ص ٦٦.

ولقد تنوعت الأبواب، وكثرت الأغراض الشعرية فيها حتى وصلت إلى (١٧٤) باباً من أبواب الشعر وزاد عدد الشعراء فبلغوا قرابة (٦٠٠) شاعر وكانت المقطوعات الشعرية (١٤٥٤) مقطوعة.

وتضم حماسة البحتري مجموعة من الشعراء المقلين، أكثرهم من الجاهليين والإسلاميين واختار البحتري أشعار هؤلاء، للفتح بن خاقان وزير المتوكل ونهج فيها منهج أستاذه أبي تمام، لكنه أكثر من أغراضها، وأبوابها، وأصبحت الحماسة البحترية تمتاز بالنواحي التالية(١):

١ - تلجأ إلى تفتيت القصيده الشعرية الواحدة، إلى عدد من المقطوعات والأجزاء والأبيات، فتوزعها على أبواب عديدة، فيؤدي ذلك إلى تمزيق القصيدة الأم.

٢ - تغفل بعض الأغراض الشعرية فلا تحفل بها كالغزل والخمريات.

٣ - تقوم على نظام وحدة البيتُ لا على وحدة القصيدة وعلى الاهتمام بالمعنى الواحد دون ربطه إلى غيره من المعاني.

٤ - تكثر من الحكم والأمثال والعظات والتجارب والحرب وفلسفة الموت والحياة والجانب الخلقي.

٥ - ضمت الحماسة البحترية أكبر مجموعة من الشعراء القدامى جاهليين وإسلاميين.

ومن هذه الميزات كان لابد لنا من الإشارة إلى ظاهرة خلو الغزل عند شعراء عبدالقيس في حماسة البحتري وإلى قصر مقطوعاتهم، وإلى ظاهرة فلسفة الموت والحياة، ونظرتهم إليه وتجارب الزمان، وأحداث الدهر.

أما أولئك الشعراء فيها فصدروا عن طبع صاف ونبع ثر من التدفق الشعري.

---

(١) الدقاق: مصادر التراث العربي ص ٦٧.

ونثبت هنا قائمة شعراء عبدالقيس الذين وردوا في هذه الحماسة بالإضافة إلى المثقب العبدي وهم:

١ – الممزق العبدي	٦ أبيات.
٢ – المفضل العبدي	١٣ بيتاً.
٣ – جذل بن أشمط	١١ بيتاً.
٤ – الجمال العبدي	٨ أبيات.
٥ – عمرو بن أسوى	٤ أبيات.
٦ – عمرو بن هبيرة	٤ أبيات.
٧ – نشبة بن عمرو	٤ أبيات.
٨ – ثعلبة بن عمرو	٣ أبيات.
٩ – مسعود بن سلامة	٤ أبيات.
١٠ – ربيعة بن توبة	٦ أبيات.
١١ – أنس بن مساحق	٤ أبيات.
١٢ – مالك بن عروة	بيتان.
١٣ – حريث الزبرقان	بيتان.
١٤ – أسامة بن ربيعة	بيتان.
١٥ – هرم بن حيان	بيتان.
١٦ – نفيل بن مرة	بيتان.
١٧ – مويلك بن قابس	بيتان.
١٨ – النعمان بن حنظلة	بيت واحد.
١٩ – معارك بن مرة	بيت واحد.
٢٠ – سلمة بن حبابة	بيت واحد.
٢١ – عمرو بن مرة	بيت واحد.
٢٢ – ربيعة بن توبة	بيت واحد.
٢٣ توبة بن مضرس	بيت واحد.
٢٤ – شعراء مجهولون وشاعرات مجهولات	٢٤ بيتاً.

عدد الأبيات الشعرية (١١٠) أبيات.

وتنفرد الحماسة البحترية بذكر هذه الطائفة الكبيرة من شعراء عبدالقيس، بينما تسكت المصادر الأخرى عن ذكرهم، بيد أن هذه الحماسة لم تتعرض لحيواتهم، وإنما اكتفت بذكر أسمائهم إلى جانب مقطوعاتهم الشعرية وأشار المسلم في بحثه[1]، بأن هؤلاء الشعراء من الجاهليين وأفرد لهم فصلاً خاصاً سماه الحياة الثقافية، وقال «إن هؤلاء الشعراء استأثروا باهتمام البحتري فذكر لهم في حماسته ستين قطعه شعرية»، ويؤيد ما ذهب إليه المسلم الأنصاري والعبيد في كتابيهما[2].

وبالطبع لم يذكر لنا المسلم والآخرون المقياس الذي اعتمدوه في توثيق الشعر ولذا كان علينا أن نمضي إلى مقياس التوثيق الذي ارتأيناه[3] فنظرنا في نصوص الشعراء العبديين، وجدنا أن الشعراء سلمة بن أبي حبابة، ومالك بن عروة، وحريث الزبرقان، وشاعرة مجهولة تمثل أشعارهم مدرسة عبدالقيس الحربية ففي شعرهم خصائصها وميزاتها[4]، وإن الشعراء سامة بن ربيعة، وربيعة بن توبة، ومويلك بن قابس، ونشبة بن عمرو، تمثل أشعارهم نظرة العبديين إلى الموت والحياة[5]، أما أبناء مرة نفيل[6]، وعمرو ومعارك، ومقاتل بن مسعود وهرم بن حيان[7] فقد وجدنا نصوصهم تحمل في مضامينها وألفاظها الروح الإسلامية، وبعضهم نصت المصادر على أنه عاش في الإسلام ردحاً من الزمان.

---

(١) محمد سعيد المسلم: ساحل الذهب الأسود ٢٦١.
(٢) الأنصاري: لمحات من الخليج العربي ١٣١، العبيدي: الأدب في الخليج ١٢.
(٣) انظر: توثيق الشعر.
(٤) انظر: شعر الحرب.
(٥) انظر: شعر الموت والحياة.
(٦) البحتري: الحماسة ٧٤، ١٥٠، ٢٥٥.
(٧) السجستاني: المعمرون والوصايا ٧٤.

وبعد الطائيين: أبي تمام والبحتري، أقبل الناس على الحماسات الشعرية، فكثر مؤلفوها، ونالت شهرة واسعة، بين مصادر المختارات الشعرية وأشير هنا إلى أشهر الحماسات التي ألفت[1]:

١ - حماسة ابن الشجري	٥٢٤هـ.
٢ - حماسة العسكري	٣٩٥هـ.
٣ - حماسة الأعلم الشنتمري	٤٧٦هـ.
٤ - حماسة الخالديين	٣٨٠هـ.
٥ - حماسة المعري	٤٥٠هـ.
٦ - حماسة المحدثين	٧٣٩هـ.
٧ - حماسة الحلي	٦٠٠هـ.
٨ - حماسة التذكرة السعدية	٧٠٢هـ.
٩ - الحماسة البصرية	٦٤٧هـ.
١٠ - الحماسة الشاطبية	٥٤٧هـ.
١١ - الحماسة المغربية	٦٥٣هـ.

ولسنا في صدد دراسة هذه الحماسات، لكن الذي يعنينا، أن قسماً منها أورد طائفة من شعراء عبدالقيس ومنها:

(أ) الحماسة البصرية وفيها من شعراء عبدالقيس:

١ - ثعلبة بن عمرو.

٢ - يزيد بن الخذاق.

٣ - سويد بن الخذاق.

٤ - عامر بن معشر المفضل.

٥ - المثقب العبدي.

٦ - الممزق العبدي.

٧ - توبة بن مضرس.

٨ - شعراء آخرون.

---

(١) مقدمة الحماسة الشجرية للملوحي، أسماء الحمصي. مقدمة التذكرة السعدية للجبوري.

ب - حماسة الخالديين وتعرف باسم «الأشباه والنظائر» وكان هذا الكتاب وليد التعصب للقديم والحماس للحديث فهو يمتاز بالنواحي التالية:

يوضح الغامض وينبه على الفوائد ، ويضم أشعار المتقدمين من الجاهليين والإسلاميين ، ويذكر النادر والمقل ويتجنب الإكثار ، والكتاب مقطوعات صغيرة وأبيات مجزأة إلى جانب قليل من القصائد الطويلة ، ولا يتبع تبويباً وترتيباً معيناً.

ويضم الكتاب من شعراء عبدالقيس:

١ - المثقب العبدي.

٢ - المفضل العبدي.

٣ - يزيد بن الخذاق.

٤ - الجمال العبدي.

٥ - وشعراء آخرين.

ح - حماسة ابن الشجري وحماسة التذكرة السعدية: هذان المصدران يضمان مجموعات شعرية كثيرة، وشعراء كثيرين، من المتقدمين والمتأخرين، إلا أنهما في طريق عبدالقيس لا يتقدمان بالباحث إلى مسالك بينة المعالم، واضحة الاتجاهات، فابن الشجري ذكر قليلاً من شعراء العبديين، وفي مقدمتهم الجمال العبدي، وصاحب التذكرة السعدية، ذكر القليل أيضاً وفي مقدمتهم الشاعر مسعود بن سلامة العبدي وجذل بن أشمط.

ج - المصادر التاريخية والجغرافية: المصادر الجغرافية التي التقيت بعبدالقيس فيها كثيرة ومتعددة، لكنني سأقف عند مصدرين منها تناولت منهما الكثير عن منازل وأماكن العبديين.

١ - معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري، ألف هذا المعجم في القرن الخامس الهجري أبو عبيد البكري، وقام مؤلفه بتحقيق أسماء المواضع والمواطن التي وردت في الشعر، والسير والأحاديث وأيام العرب، كما تعرض البكري لوصف جزيرة العرب وما بها

من المعالم والمشاهد والآثار، وتتبع هجرة القبائل داخل الجزيرة العربية وذكر مواطنها الجديدة ويقول في مقدمته: «هذا كتاب ذكرت فيه - إن شاء الله - جملة ما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار من المنازل والديار والقرى والأمصار والجبال والآثار والمياه والآبار منسوبة محددة ومبوبة على حروف المعجم مقيدة فإني لما رأيت ذلك أعجم على الناس أردت أن أفصح عنه بأن أذكر كل موضع مبين البناء، معجم الحروف حتى لا يدرك فيه لبس ولا تحريف[١]»، فالبكري يتحقق إذن من أسماء المواضع والمواطن ولا يقف عند الجانب الحياتي فمعجمه لغوي يعالج تصحيح الأسماء.

وقد وثقه العلماء ورفعوا منزلته وفي مقدمتهم السهيلي في «الروض الأنف» والزبيدي في «تاج العروس»، ويقول محققه مصطفى السقا «إن هذا المعجم نفيس يتفوق على كثير من معاجم البلدان والنواحي الجغرافية بغزارة المادة، وكثرة التفاصيل[٢]».

ويهمنا من هذا المصدر الجغرافي، أنه أشار إلى منازل عبدالقيس وأماكن تواجدها على أرض البحرين بعد رحيلها من منطقة تهامة، وبعد الحرب التي دارت رحاها واستمر أوارها بين قبائل ربيعة، فهو وثيقة هامة ومفيدة، في ذكر أماكن عبدالقيس، ومؤلفه أديب، واسع الاطلاع والأخبار وجغرافي صحيح الرحلة والأسفار، وإلى جانب ذلك ريان الأنساب والأشعار.

معجم البلدان لياقوت الحموي: ألف هذا المعجم في القرن السادس الميلادي ويعتبر أعظم معاجم البلدان قدراً وأعمها فائدة، وأحفلها مادة، فهو يصف البلدان المشهورة، في أنحاء المعمورة ويتحدث عن النواحي التالية:

صورة الأرض وما قاله القدماء في هيئتها، معنى الإقليم وناحية القبيلة منه، ألفاظ الجغرافيا وكلماتها، حكم الأرضين والبلاد المفتوحة في الإسلام والفيء والخراج، أخبار البلدان والمواضع والأماكن.

---

(١) معجم ما استعجم: البكري.

(٢) مقدمة «معجم ما استعجم» للبكري: تحقيق مصطفى السقا.

ويقول ياقوت «أما بعد فهذا كتاب في أسماء البلدان، والجبال، والأودية، والقيعان، والقرى، والمحال، والأوطان، والبحار، والأنهار، والغدران، والأصنام، والأبدان، والأوثان، لم أقصد لهواً ولعباً، ولكن رأيت التصدي له واجباً، وإلا مع القدرة فرضاً لازماً» ويتابع فيقول «فهو مفيد لمن ينتفع بألوانه وتفسيره وهو للفقهاء والأمراء وأهل السير والأخبار وأرباب الحكمة والتفهيم وأهل التطبيب والتنجيم[1]».

فقد وضعه عندما لاحظ جهل الناس بالمواضع والمواطن وأحب أن يسير مع قول قس ابن ساعدة «أبلغ العظات السير في الفلوات والنظر للأموات».

ولقد تناولنا من هذا المصدر الكثير والعديد من أسماء مواطن ومنازل عبدالقيس على أرض البحرين.

أما المصادر التاريخية، فيقف في مقدمتها تاريخ الطبري، والمعروف بـ«تاريخ الرسل والملوك» ويعد هذا التاريخ أوفى عمل تاريخي يبين مصنفات العرب. فقد أقامه على منهج مرسوم وساقه على طريق استقرائي شامل[2]، وكان الطبري راوية أميناً في روايته، ثقة في أخباره، أكمل بهذا التاريخ ما قام به المؤرخون قبله فقال في بدايته «وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان من لدن ابتداء الخلق، من رسول مرسل، أو ملك مسلط أو خليفه مستخلف» فذكر الملوك الماضين وأيام الخلفاء السابقين وطرفاً من سيرهم وأخبارهم، وقيمة الكتاب في أنه يضم بين دفتيه جميع المواد المودعة، في كتب الحديث، والتفسير، واللغة والأدب، والمغازي، ويسجل الأحداث، ويخبر عن الرجال، وينقل الأشعار، وقد أودع فيه فصولاً صالحة، ونسقاً متنوعة، من فنون الكتب التي أتت عليها عوادي الزمان[3]، وجاء هذا التاريخ الكبير بعد وقت أحس فيه العرب ضرورة وجود علم تاريخ لهم بعد استقرار أمور دولتهم في القرن الثاني الهجري، هذا إلى جانب ما في التاريخ من أثر في بناء الأمم، وهمم الثقافات والحضارات.

---

(١) مقدمة المعجم ١/٧.

(٢) مقدمة تحقيق «تاريخ الطبري» لمحمد ابو الفضل إبراهيم ص ٢١.

(٣) نفس المصدر ص ٢٣.

ويهمنا من تاريخ الطبري أنه يحدثنا عن منطقة البحرين قبل الإسلام من الحيرة، وبلاد فارس من حيث العلاقات، والصلات السياسية، والأمور الحربية، وكان مصدراً جيداً، في تاريخ قبيلة عبدالقيس.

أما الكتاب الثاني في التاريخ فهو تاريخ «الكامل» لابن الأثير، وهو كتاب كامل جامع، غزير المادة، جزيل الفائدة، جمع أخبار الملوك منذ أول الزمان إلى نهاية ١٢٣٠م، وكان سبب جمعه ما قاله ابن الأثير «فإني لم أزل محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، مؤثراً الاطلاع على الجليّ من حوادثها، وخافيها مائلاً إلى المعارف، والآداب، والتجارب المودعة، في مطاويها» فهو يراجعه خوف النسيان ويتابع أحداثه منذ أول الزمان، وكان ابن الأثير ثقة في روايته، فلم يدّع أنه جمع كل الحوادث بل ويعترف أنه نقل عن الطبري، وسلك أسلوباً موافقاً لتفكيره، في نقل الأخبار[1] وقد استمد مصادره، من الطبري وابن الكلبي، والمبرد، والبلاذري، والمسعودي والكتاب جيد، في مادته التاريخية عن عبدالقيس.

وهناك كتابان آخران، في تاريخ قبيلة عبدالقيس الأول «فتوح البلدان» للبلاذري، فهو يوسع مادة التاريخ ويرتب أحوال البيئة الإسلامية بعد وفاة الرسول عليه السلام وما رافقها من مظاهر التنظيم في الأصقاع التي دخلها العرب[2]، وقد نقل لنا معلومات حسنة فيما يتعلق بالبحرين عند الفتح الإسلامي.

اما الكتاب الثاني فهو مروج الذهب للمسعودي الذي يحدّث عن أخبار العالم وما مضى في أكناف الزمان من أخبار الأنبياء، والملوك والسير وجمع فيه من كل روض زهرة، وحفظ فيه الكثير من علوم الأوائل ومعارفهم ولم يفصل كثيراً في أخبارهم[3].

د - المصادر اللغوية والأدبية: وفي مقدمتها «لسان العرب» لابن منظور، و«تاج العروس» للزبيدي، و«جمهرة اللغة» لابن دريد، و«الاشتقاق» لابن دريد، والمصادر الثلاثة

---

(١) «مقدمة تحقيق» كتاب الكامل ص ٢، ٣، ٤، ٥.

(٢) «مقدمة تحقيق» كتاب الفتوح ص ١ ، ٦.

(٣) «مقدمة تحقيق» المروج ص ٩، ٨١ لمحمد محيي الدين عبدالحميد.

الأولى ذخائر علمية نفيسة وغالية لا في الطريق إلى عبدالقيس وشعرائها فحسب، وإنما إلى سائر القبائل والشعراء، وقد عوّلت عليها شأني في ذلك شأن الآخرين، أفتش عن المعاني والألفاظ وأتناول، منها الأخبار والأشعار، وأنظر فيها الغامض من المعاني والأفكار.

أما كتاب «الاشتقاق» فهو ثروة لغوية، ممتازة يبحث في الاشتقاق اللغوي لأسماء القبائل، والرجال، ويبين الأنساب، في القبائل وبطونها وأفخاذها كما يقدم للباحث معارف تاريخية، وهي وإن كانت ضئيلة لكنها ذات صلة وثيقة ودقيقة بالقبائل، وشخصياتها ورجالاتها.

والكتاب يقوم بعملية ضبط. فوستفلد يقول عنه[1] «الفكرة عند ابن دريد هي اشتقاق الأعلام لا معرفة الأنساب».. وقد زخر الكتاب بأسماء كثيرة من قبيلة عبدالقيس وشخصياتها، واستفدنا منه في التعرف على معظم هذه الشخصيات والشعراء ولابن دريد «جمهرة اللغة» وهو مصدر جيد في شعر عبدالقيس.

وأُتْبع هذه اللغويات بمجموعة الأنساب، التي أخذنا منها شجرة النسب لعبدالقيس، وفي مقدمة هذه المجموعة «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم و«جمهرة النسب» لابن الكلبي، بالإضافة إلى كتاب «الاشتقاق» لابن دريد.

أما المصادر الأدبية: فهي كثيرة وعديدة لكنها في رحلتنا لعبد القيس كانت قليلة الفائدة شحيحة المادة، فيها بعض الإشارات والدلائل وأهمها «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجمحي، فقد تعرض ابن سلام إلى شعر البحرين وقال[2] «وفي البحرين شعر جيد، وفصاحة» ثم تناول باختصار كبير ثلاثة من الشعراء، وأبيات شعرية، ممتازة، جيدة، وفصيحة، حسب منهجه والشعراء الثلاثة هم المثقب، والممزق، والمفضل، وكلهم من قبيلة نكرة، فيكون ابن سلام قد اقتصر دراسة شعر البحرين على هذه القبيلة العبديه مغفلاً بقية القبائل والشعراء وإذا ما علمنا أن الجمحي كان يكتب للمشاهير والفحول ويختار أجود الأشعار وأكثرها فصاحة، فإننا لا نستغرب ذكره للشعراء الثلاثة من عبدالقيس.

---

(١) مقدمة الاشتقاق.

(٢) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٢٧٨.

والكتاب الثاني هو «الشعر والشعراء» لابن قتيبة الدينوري، وقد أخبرنا به صراحة أنه يعتني بالمشهورين وأشعارهم وهو يقول[1] «أخبرت فيه عن شعراء أزمانهم، وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم، كما ذكرت أسماء الآباء، والألقاب، والكنى، وما يستحسن للرجل من أخبار وما أجاد من أشعار وكان قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب، الذين يقع الاحتجاج بأشعارهم، في الغريب والنحو في كتاب الله عز وجل وفي أحاديث الرسول عليه السلام، فأما ما خفي اسمه، وقل ذكره وكسد شعره، فما قل من هذه الطبقة إذ كنت لا أعرف منهم إلا القليل ولا أعرف لذلك أخباراً وإن كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمي لك أسماء لا أدل عليها بخير، أو زمان، أو نسب أو نادرة، أو بيت يستجاد، أو يستغرب»، فمنهج ابن قتيبة واضح يذكر المشهورين ويغفل الذين لا يعرف أخبارهم ومن هنا فقد ذكر في كتابه من شعراء عبدالقيس المثقب، والممزق، وابني خذاق يزيد وسويد.

أما المصادر الأخرى، التي أشارت إلى شعراء عبدالقيس، فمنها «معجم الشعراء»، للمرزباني، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه، و«الحيوان» و«البيان والتبيين» للجاحظ، و«الأمالي» للقالي، و«المحبر» لابن حبيب، و«المؤتلف والمختلف» للآمدي بالإضافة إلى كثير من دواوين الشعراء الجاهليين.

وكل هذه المصادر أشارت إلى شعراء وخطباء، وبلغاء العبديين لكنها والمرارة تحز في النفس، لم تسعفنا بشيء كثير، يصدر عنه البحث وإنما كانت وقفات صغيرة في رحلتنا إلى العبديين.

هـ - الدراسات الحديثة: أحب أن أشير هنا إلى الدراسات التي أخذت تنفتح على الخليج العربي، فهي وثبة قوية، وانتفاضة جبارة، من شأنها أن تزيل ركام الأيام والسنين وتضيء جميع جوانب الطريق، إلى مختلف نواحي التراث العربي أدبا وشعراً ومعارف أخرى.

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٩٥.

ولقد أسعفت هذه الدراسات البحث الذي اخترناه وأمدته بكل مفيد وجديد ويكفي أن أذكر هنا بعضاً من تلك المصادر ومنها «تاريخ الأحساء» والمسمى «تحفة المستفيد» لعبدالله الأنصاري الأحسائي، و«ساحل الذهب الأسود» لمحمد سعيد المسلم، وهو دراسة تاريخية وثقافية عن مدينة القطيف ومنطقة الأحساء وقلنا: إن المسلم أورد قائمة طويلة لكل شعراء عبدالقيس، والخليج العربي عبر العصور القديمة والحديثة، وحذا حذو المسلم محمد جابر الأنصاري في كتابه «لمحات عن الخليج العربي»، والعبيد في «تاريخ الأدب العربي في الخليج» وهناك دراسات تاريخية وجغرافية مثل «البحرين عبر التاريخ» للشيخ الخليفة والأستاذ عبدالملك الحمر و«البحرين في صدر الإسلام» لعبدالكريم النجم و«جزيرة العرب» و«قطر ماضيها وحاضرها» للدباغ و«معجم القبائل» و«جغرافية جزيرة العرب» لعمر كحالة، و«صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» لابن بليهد، أما الخضيري فأقدم على إصدار موسوعة تاريخية سماها «الخليج العربي».

ويبقى أمامنا الدراسات التي تناولت بعض الشعراء كالمثقب، وغيره مثل «حديث الأربعاء» لطه حسين، و«الوصف في الجاهلية» للقناوي، و«تاريخ الأدب العربي» لعمر فروخ، و«تطور الغزل» لشكري فيصل، و«شعر الحرب» لعلي الجندي، و«المنصفات» لعبدالمعين الملوحي، و«شاعرات العرب» لعبدالبديع صقر، و«شعراء النصرانية» للأب لويس شيخو، وأذكر دراسات قيمة في الأدب الجاهلي: «الصعاليك» ليوسف خليف و«مصادر الشعر الجاهلي» لناصر الدين الأسد و«العصر الجاهلي» لشوقي ضيف وغيرها.

ولابد لي أخيراً من أن أذكر مصدراً ضخماً كان لي أكبر رفيق، وخير معين، في مختلف الحقول الاجتماعية والاقتصادية والدينية، وهو «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» لجواد علي، والحقيقة أن هذا المصدر موسوعة ضخمة لكل الجوانب الحياتية على أرض الجزيرة العربية قبل الإسلام.

٣ - ضياع الشعر:

يأخذنا العجب، وتصيبنا الدهشة، ونحن نمضي في التفتيش عن شعر عبدالقيس، فقد كنت أحسب أني سألتقي بالوفير منه عندما بدأت رحلتي مع العبديين، لكن ذلك لم يكن، فقد ضاع من شعرهم الكثير، ووصل إلينا بقية قليلة أصابها التمزيق، وطحنتها عوادي الزمان، فأتلفت بهجتها، وأضاعت بريقها وجمالها.

والضياع والسقوط في شعر العبديين وغيره من أشعار الجاهليين حقيقة معروفة[١]، فنحن نسمع أخباراً، ونقرأ أقوالاً، ثم لا نجد أمامنا إلا أن نسلم بمظاهر الضياع، فالأخبار تروي لنا أنه وضع عن عبدالقيس كتب منها: «خبر عبدالقيس» لأبي عبيدة معمر بن المثنى[٢]، و«مثالب عبدالقيس» لعلان الشعوبي[٣]، و«أشراف عبدالقيس» للمدائني[٤]، و«ديوان عبدالقيس» وذكره الآمدي[٥]، ومع ذلك فلم نجد واحداً من هذه الكتب وصل إلينا يسعفنا بالكثير أو القليل عن العبديين.

ويذكر ابن سلام[٦] أن في البحرين شعراً كثيراً وهو جيد وفصيح، فأين هذا الجيد الفصيح؟ إن ابن سلام يورد في غاية الإيجاز والاختصار هذا الكثير الجيد في اربع صفحات ولثلاثة من الشعراء هم المثقب، والممزق، والمفضل، وإذا ما علمنا أن هؤلاء من عبدالقيس أدركنا أن ابن سلام يقصر البحرين على العبديين.

والجاحظ يذكر أن الفرقة العبدية التي نزلت البحرين وشق البحرين هم أشعر قبيل في العرب[٧]، والجاحظ مثل ابن سلام لا يكاد يذكر شيئاً، بل لم يحدثنا عن أخبارهم أو

---

(١) يوسف خليف: الشعراء الصعاليك ١٦٩.

(٢) ابن النديم: الفهرست ٧٩.

(٣) نفس المصدر ١٥٤.

(٤) نفس المصدر ١٥١.

(٥) الآمدي: المؤتلف والمختلف ٧٠.

(٦) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٢٢٩ - ٢٣٤.

(٧) الجاحظ: البيان والتبيين ١/٩٧، ١/٣٤٨، ١/٢٩٨.

ينقل لنا أشعارهم إلا نتفاً من الأبيات الشعرية توزعتها بطون كتبه، ولكنه تحدث عن خطباء عبدالقيس[1] وكان اهتمامه بهم أكثر من اهتمامه بالشعراء.

وفي المصادر أن حماداً الراوية وضع شعراً كثيراً على عبدالقيس[2]، وقد جهدت في البحث عن هذا الكثير، لكني لم أجد سوى قصيدتين تضمان بضعة أبيات شعرية.

وتذكر الأخبار أن الشاعر ثعلبة بن عمرو كثير الشعر[3]، وأن المفضل العبدي من الفحول[4]، فأين نحن من كل هذا الكثير والوفير من الشعر.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تنقل إلينا الأخبار أنباء غزو عبدالقيس لبلاد فارس في عهد سابور ذي الأكتاف[5]، وتذكر لنا الصراع الطويل المرير مع الفرس من القرن الثالث حتى السادس الميلادي، ولكن الشعر يسكت عن كل مظاهر الصراع بين العبديين والفرس، وبين العبديين وكندة[6] والحيرة وقبائل أخرى كثيرة[7].

والعبديون يقتربون من البحر ومنازلهم على شواطئه وفي أكثر سواحله أو مدنه[8]، والبحر منظر شعري يستلفت المخيلة الشعرية، ويستوقف الملكة الأدبية، ومع كل هذا لم تصلنا من أشعار البحر إلا مقطوعات قليلة يمكن أن تكون هي كل شعر البحر، وكذلك سائر شؤون حياتهم الأخرى التي نقلتها لنا الأخبار ولم تذكرها لنا الأشعار.

كل هذه الظواهر تضعنا أمام حقيقة ضياع الكثير من شعر عبدالقيس، ونورد هنا أهم الأسباب التي أدت إلى ضياع هذا الشعر:

---

(١) نفس المصدر ١/٣٤٨، ١/٣٠٦ .

(٢) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٣٩٩ .

(٣) التبريزي: شرح اختيارات المفضل ٣/١١٢٩ .

(٤) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٢٢٣ .

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٥٥، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/٣٨٧ .

(٦) صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ١/٨٥ .

(٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/٢٥٢ .

(٨) انظر: منازل عبدالقيس.

١ – رحلة الشعر الطويلة التي قطعها حتى وصل إلى عصر التدوين، مما أدّى إلى ضياع كثير من القصائد، وسقوط كثير من أبياتها خلال هذه الرحلة.

٢ – عدم اهتمام الرواة وإغفالهم لجوانب كثيرة من شعر عبدالقيس وأخبارهم، وكذلك موت عدد من هؤلاء الرواة قبل التدوين، وفي اعتقادي يرجع ذلك الإغفال، إلى أن عبدالقيس تفوقت على جيرانها في اختيار المكان، والاهتمام بشؤون المجتمع العبدي في نواح كثيرة مما أدى إلى عدم إذاعة شعرها رغبة في خمول ذكرها.

٣ – المصادر التي سجلت هذا الشعر، ضلت طريقها كما أن رغبة الكثيرين من أصحاب هذه المصادر أرادوا التخفيف من الشعر فلم يذكروه، كالمرزياني والآمدي وابن سلام وغيرهم.

٤ – نهب المراكز الحضارية ونضوب المكتبة العربية من الأصول والمراجع في حياة عبدالقيس.

٥ – الاضطرابات السياسية، فلعل موقف العبديين من المناذرة وثورتهم على سلطان الحيرة، صَرَفَ بعض الرواة عن رواية شعرهم خوفاً من ظلم المناذرة، ومثل هذا يقال عن التطاحن القبلي، والحروب المستمرة بين عبدالقيس وجيرانها.

٦ – عوادي الزمان وأحداث الحياة الشاقة، فموقف عبدالقيس وقتالها المرير من أجل استقلالها وحريتها، أدى إلى عدم تفرغها لكتابة شعرها وحفظ أخبارها.

وكان هناك اختلاط في شعر العبديين، وهذا الاختلاط ظاهرة واضحة بين أبيات قصائد الشعراء العبديين أنفسهم، وبينهم وبين شعراء آخرين في الجاهلية، ونسوق أمثلة عديدة حول هذه الظاهرة:

غلبت ملوك الناس في الحزم والنهى
وأنت الفتى في سورة المجد ترتقي
وأنجب به من آل نصر سميدع
أغر كلون الهندواني رونق

البيتان رواهما ابن قتيبة للمثقب[1] وهما في الواقع مأخوذان من قصيدة لابن أخته الممزق العبدي كما في «الأصمعيات»[2] ومثل هذا الخلط البيت التالي:

وقـــد تَخِـــذتْ رجلي إلى جنب غـــرزها
نسـيـفـاً كـالفـحـوص القطاةِ المطَرّقِ

فبعض المصادر ترى أنه للممزق[3]، بينما مصادر أخرى ترى أنه للمثقب[4] والصحيح عندنا أنه للممزق.

والقصيدة التي منها البيت التالي:

هل للفـــتى من بنات الدهر من واق
أم هل له من حـــمـــام الموت من راق

في «المفضليات» هي للممزق العبدي[5] وفي «الشعر والشعراء» ليزيد بن الخذاق[6] وقد ارتأينا أن تكون ليزيد، لأن الأنباري وأبا عمرو وكثيراً من الرواة يرون هذا الرأي.

والقصيدة التي منها الأبيات التالية:

تـهـــزّأت عـــرسى واســـتنكرت
شـيـبي فـفـيـهـا جنف وازورار
لا تكثـــري هزءاً ولا تعـــجـــبي
فليس بالشـــيب على المرء عـــار
عـــمـــرك، هل تدرين أن الفـــتى
شـــبـــابه ثوب عليـــه مـــعـــار

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٢٧/١ .

(٢) الأصمعي: الأصمعيات ص ١٦٦ والمفضليات ص ٣٠٢.

(٣) الأصمعي: الأصمعيات ١٨٩.

(٤) ابن منظور: لسان العرب ١٩٣/١ .

(٥) المفضل الضبي: المفضليات ٢٩٩ .

(٦) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٠٢/٢ .

الأبيات في «الحماسة البصرية» للمثقّب[١] «وفي المعمرين» لثعلبة بن عمرو[٢] وهو الأصح فصاحب الحماسة يروي الأبيات لثعلبة بن يزيد أحد بني سليم ويضيف «وهو الأكثر» وثعلبة بن يزيد هذا هو ثعلبة بن عمرو بن زيد كما في نسبه[٣]:

وسائلةٍ عن توبة بن مضرس
وهان عليها ما أصاب به الدهر
رأت إخوتي بعد ائتلاف تفرقوا
فلم يبق إلا واحداً منهم شفر
أرب بهم ريب المنون كأنما
على الدهر فيهم أن يفرقهم نذر

فالأبيات للشاعر توبة بن مضرس العبدي في مصادر[٤]، وهي لغيره في مصادر أخرى[٥]، وإلى جانب ذلك تروى هذه الأبيات بقافية رائية أحياناً، وأحياناً أخرى بقافية دالية.

والقصيدة اللامية والتي منها:

وجدت أبي قد أورثه أبوه
خلالاً قد تعد من المعالي
فأكرم ما تكون على نفسي
إذا ما قلّ في الأزمان مالي

---

(١) البصري: الحماسة البصرية ٢١/١.
(٢) السجستاني: كتاب المعمرين ٤١.
(٣) انظر: ديوان عبدالقيس.
(٤) أسامة: المنازل والديار ٤٥١.
(٥) البحتري: الحماسة ٢٢٨.

فالقصيدة في «الأمالي» لابن خذاق العبدي[1] وهو يزيد وفي حماسة البحتري لمنقذ الشني[2] ويقول البكري[3] لقد اختلطت وتداخلت ابيات القصيدتين قصيدة يزيد وقصيدة منقذ لأنهما على ذات الوزن والقافية.

والأبيات التالية:

لعمرك إنني وأبا رياح
على طول التهاجر منذ حين
ليبغضني وأبغضه وأيضاً
يراني دونه وأراه دوني
فلو أنا على حجر ذبحنا
جرى الدّميان بالخبر اليقين

في «الحماسة البصرية»[4] الأبيات للمثقب العبدي ومضافة إلى قصيدة المثقب النونية، وفي «الوحشيات»[5] الأبيات منسوبة إلى مرداس بن عمرو ونسبتها مصادر أخرى لعلي بن بدّال من بني سليم[6].

جميع هذه الأمثلة تدل على الاختلاط الذي وقع في شعر العبديين، وتعكس مدى التداخل بين أشعارهم وأشعار غيرهم، ولم يكن الاختلاط في الشعر فحسب وإنما كان هناك اختلاط في الشعراء أنفسهم، فتداخلت أسماؤهم كما تداخلت أشعارهم، فعروة بن

---

(١) القالي: الأمالي ٢/٢٠٣.
(٢) البحتري: الحماسة ٧١، ١٠٢، ١٤٤ .
(٣) البكري: سمط اللآلي ٢/٨٢٦ .
(٤) البصري: الحماسة البصرية ١/٤٠ .
(٥) أبو تمام: الوحشيات ٨٤ .
(٦) ابن دريد: جمهرة اللغة ٢/٣٠٣ .

سنان العبدي[١] اختلط شعره مع يزيد بن سنان الغطفاني[٢] وربيعة بن قميئة الصعبي[٣] العبدي اختلط مع عمرو بن قميئة البكري[٤] وادّعت عبدالقيس شعر عمرو، والبكري نسبه إلى قبيلة بكر بن وائل وهناك تداخل مع النكري نسبة إلى قبيلة نكرة من عبدالقيس.

وتعود أسباب هذا الاختلاط والتداخل إلى:

القرابة بين الشاعرين فالممزّق ابن أخت المثقّب ولذا تداخلت أشعارهما عند الرواة، واتفاق النصوص الشعرية في المضامين والمعاني من ناحية، وفي الوزن والقافية من ناحية أخرى، كما في القصيدة اللامية التي نسبت إلى الشاعرين يزيد ومنقذ الشنيين، وشعراء بطون القبيلة الواحدة فيزيد بن الخذاق ومنقذ الشني كلاهما من قبيلة شن والمثقب والممزق من قبيلة نكرة، فأدى ذلك إلى اختلاط شعرهما عند الرواة، وهناك سبب يمكن أن يكون مشتركاً وعاماً لا في أشعار العبديين فحسب وإنما في سائر الشعر الجاهلي وهو السهو والنسيان من قبل الرواة والنساخين.

ومن كل ما عرفنا كان لابد لنا من أن نسلّم بضياع قسم – أظنه كثيراً – من شعر عبدالقيس، وكذلك اختلاط قسم آخر مع شعر غيرهم، ولهذا وجدنا أنفسنا أمام ظاهرة الضياع وظاهرة الاختلاط في شعر العبديين.

---

(١) الجاحظ: الحيوان ١/٢٧٥ .
(٢) المفضل: المفضليات ص ٧٠ والآمدي: المؤتلف والمختلف ص ٢٥٥ .
(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٢٩٣ .
(٤) المسلم: ساحل الذهب الأسود ٢٧٦ .

٤ - ظاهرة الانتحال:

جاء في اللسان[١] انتحل الرجل الشعر ادّعاه فهو قائله، ونحل الشاعر قصيدة نُسبت إليه وهي لغيره، وقريب من هذا شعر الوضع، وهو أن يضع الراوية شعراً ينسبه إلى شعراء الجاهلية الذين تقدموه، فالشعر المنحول والموضوع هو الشعرّ الذي وضع بعد الجاهليين ونسب إليهم، وشعر النحل هو الذي اختلف في قائله واختلط الأمر فيه فنسب إلى غير قائله.

ومن هنا كان الوضع والنحل والانتحال ظواهر أدبية عامة لا تقتصر على أمة دون غيرها من الأمم، وليست تلك الظواهر في الشعر فحسب، وإنما تشمل كل ما يمت إلى الشعر بصلة من أخبار وأنساب وقصص وأحاديث[٢].

وعلينا أن نسلم منذ البداية باحتمال نسيان بيت أو أبيات، واستبدال كلمة أو كلمات إلى جانب التقديم والتأخير والاختلاط.

ونحن لا نشك في أن الشعر الجاهلي قطع رحلة طويلة، وخلال هذه الرحلة تعرض لظاهر الانتحال وسقط منه في الطريق مقدار ليس باليسير فابن سلام يخبرنا أن ما وصلنا عن العرب الجاهليين قليل، وأنه قبل ذلك كثير[٣]، لكننا والأمر كذلك لا نرتاب أو نتردد في أن الشعر الجاهلي تراث ضخم نقلته لنا الأجيال وأوصلته إلينا في كثير من الثقة والاطمئنان وفي درجة عالية من الأمانة العلمية، ومن هنا كان علينا أن نتريث عند قبول الشعر الجاهلي أو رفضه خشية أن يكون موضوعاً منحولاً[٤].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٦٥٠/١١ .

(٢) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٣٢١ .

(٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٢٣.

(٤) محمود شاكر: مجلة المجلة ١٦٩.

وأشار القدامى إلى الانتحال ودوافعه وأسبابه وحاولوا أن ينفوا عنه الزيف ويبعدوا ما وضعه الوضاعون، بل وقف فريق من العلماء الرواة أمام تلك الظاهرة بحماسة وصلابة، وأوصلوا إلينا بعد جهد جهيد مختارات ومجموعات شعرية قيمة[١].

ودوافع الانتحال كثيرة ومنها رغبة القبائل في التزيد في شعرها، لإذاعة مفاخرها، وإبراز مناقبها،[٢] وإشراق تاريخها، مما يجعلها تباهي به مختلف البطون والعشائر، وتعلي صيتها بين سائر القبائل، ولذا قال ابن سلام[٣]: «فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له من الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد ذلك فزادوا في الأشعار التي قيلت».

ومن تلك الدوافع الرواة أنفسهم الذين يزيدون طمعاً في الكسب، ورغبة في جني الربح، وهناك أيضاً دافع العصبيات القبلية التي أذاعت الكثير من المثالب والمساوئ.

القدامى والانتحال:

قلنا: إن الانتحال والوضع في الشعر الجاهلي ظاهرة عامة، فلم يخف أثرها على الرواة العلماء، وإنما تنبهوا لها[٤] فابو عبيده يذكر أن قراد بن حنش من شعراء غطفان كان جيد الشعر، وكان شعراء غطفان يغيرون على شعره يأخذون منه ويدعونه، وذكر أبو عمرو بن العلاء أن قسماً من قصيدة ذي الإصبع العدواني في رثاء قومه منحول، وكذلك قصيدة امرئ القيس[٥] الرائية، هي لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم.

---

(١) شوقي ضيف: العصر الجاهلي ص ١٦٣.

(٢) الجاحظ: الحيوان ٣٨١/٤ .

(٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٣٩، ٤٠.

(٤) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٤٢٦ .

(٥) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٥٦٨ .

ومثل هذا أبيات ثعلبة بن عمرو التي أشرنا إليها في قصيدته:

تهــــزات عـــــرسى واســــــتنكرت

شـــيــبي فــفــيـــهـــا جنف وازورار

وقد قيل إن خلفاً الأحمر وضع البيت التالي في هذه القصيدة[1]:

عــــمــــرك هل تدرين أن الـفــــتى

شـــبـــابه ثوب عليــــه مـــعـــــار

ويروي البصري أن الأبيات لثعلبة بن يزيد أحد بني سليم وهو الأكثر ويروي البصري الأبيات للشاعر ثعلبة بن عمرو.

وأشار الجاحظ[2] إلى قضية الانتحال فكان يقول «قال فلان» ويذكر اسم الشاعر ثم يعقب على ذلك «إن كان قالها» وذكر أبياتاً منحولة للنابغة الذبياني وأنكر أبياتاً قيلت في الكواكب وغير ذلك من الأمور.

وأشار ابن قتيبة إلى الانتحال في كتابه «الشعر والشعراء»[3] وذكر أبياتاً للأعشى وأبياتاً أخرى للشاعر لبيد قال: إنها منحولة.

وفي روايات ابن هشام كثير من الشعر المنحول والموضوع[4]، أما ابن سلام في كتاب «الطبقات» فقد عالج هذه الناحية وذكر قواعد عامة وأحكاماً مرسلة أطلق فيها القول إطلاقاً ونص على شعراء ذكر لهم شعراً قالوه وهو موضوع منحول قال ابن سلام[5] «وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير، لا خير فيه، ولا حجة في عربيته، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه من البادية ولم يعرضوه على العلماء».

(١) السجستاني: المعمرين ٣٣.

(٢) الجاحظ: الحيوان ٣/٤٩، ٤/٢٤٨، ٢/٢٤٦ .

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/١٤، ١/٢٣٧ .

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية ١/٢٤٧ .

(٥) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٢٣ .

ويقول أيضاً[١] «ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين».

وذكر من الشعراء طرفة وعبيد بن الأبرص اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر، ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كثير غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر ويذكر ابن سلام[٢] بيتاً لأبي سفيان بن الحارث ثم يقول «وأخبرني أهل العلم من أهل المدينة أن قدامة بن موسى بن مظعون الجمحي قالها ونحلها أبا سفيان، وقريش ترويه في أشعارها، وهكذا نرى أن ابن سلام عالج الانتحال معالجة أبانت أسبابه ودوافعه ونبهت إليه لأول مرة.

المحدثون والانتحال:

يقول الأسد:[٣] أول من شق الطريق في هذا الموضوع من العرب المحدثين الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، في كتابه «تاريخ آداب العرب» الذي صدر عام ١٩١١، وأن الرافعي حشد في كتابه مادة خصبة فله فضل السبق في الجمع، لكنه لم يقف عند الأخبار التي جمعها ولم ينقدها إلا في القليل النادر، وذكر الأستاذ أحمد ضيف موضوع الانتحال باقتضاب[٤] وأستقر الموضوع بعد ذلك بين يدي طه حسين الذي درس الشعر الجاهلي وشك فيه وقال[٥] «إن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين أكثر من حياة الجاهليين»، وقال في موضع آخر[٦] «وأقل ما توجبه علينا الأمانة العلمية أن نقف من الشعر المضري الجاهلي موقف الشك والاحتياط».

---

(١) نفس المصدر ٢٠٨ .

(٢) نفس المصدر ٣٩ .

(٣) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٣٧٧ .

(٤) مجموعة من الأساتذة: الأدب العربي في آثار دارسيه ص ٣١.

(٥) طه حسين: الشعر الجاهلي ٧١.

(٦) نفس المصدر ٧٢.

ومن هنا نرى أن طه حسين، وضع نظرية الشك في الشعر الجاهلي، ورأى أن ذلك الشعر لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهليين، وذكر دوافع للشك كثيرة منها اختلاف اللغة واللهجات، والرواية الشفهية، وأورد أسباب الانتحال ومنها السياسة ويقصد بها العصبية القبلية والدين والقصص والشعوبية والرواة[١].

وشك في شعر شعراء سماهم[٢] ومنهم: امرؤ القيس، وعلقمة، وعبيد، وعمرو بن قميئة، ومهلهل بن ربيعه، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وطرفة، والمتلمس، والأعشى وكذلك المثقب[٣]، وأرجع أسباب الشك في هؤلاء إلى تضارب الرواة في أخبارهم وشخصياتهم وإلى الرقة والسهولة في أشعار بعضهم.

ولقد انبرى حشد من الدارسين والمهتمين بالأدب الجاهلي والتراث الأدبي للرد على طه حسين ونقض نظريته، وإبطال دعواه، في إنكار ذلك التراث الشعري، ومنهم محمد فريد وجدي في كتابه «الشعر الجاهلي»، ومحمد لطفي جمعة في كتابه «الشهاب الراصد»، ومحمد الخضر حسين في كتابه «نقض كتاب في الأدب الجاهلي»، والشيخ محمد الخضري في كتابه «محاضرات في بيان الأخطاء العلمية»، ومحمد أحمد الغمراوي في كتاب «النقد التحليلي»، وهؤلاء المحدثون وغيرهم أمثال محمود قراعة، وبطرس البستاني، ويوسف العش، وعباس العقاد وكذلك ناصر الدين الأسد الذي بحث الموضوع بشكل مستقل، ومدعم بالوثائق، واستوعب جميع ظروفه[٤] وقد أجمع هؤلاء الباحثون الدارسون على أن طه حسين لم يلتزم المنهج الذي أعلنه وسار عليه وأنكروا عليه اصطناعه للمنهج الديكارتي الفلسفي الذي يعتمد الشك طريقاً إلى اليقين. وعابوا عليه التناقض الذي وقع فيه فيما يتعلق بسهولة اللغة، وكلهم شارك في نقد الأدلة والأسباب واستطاعوا أن يدفعوا عن الشعر الجاهلي تهمة الزيف والوضع والنحل في أكثره وخرج الشعر الجاهلي بريئاً من التهمة التي ألصقت به.

(١) نفس المصدر ٨٨.

(٢) طه حسين: في الأدب الجاهلي ص ٢١٦ وحتى ص ٢٧٥.

(٣) طه حسين: حديث الأربعاء ص ١٦٤.

(٤) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٣٧١.

ولم يكن طه حسين وحده هو الذي أغمد خنجره في صدر التراث الشعري الجاهلي، وإنما قام المستشرقون فشكوا في الشعر الجاهلي من خلال اللغة واللهجات والرواة، فنولدكه[١]، وألورد، وموير[٢]، وبركلمان[٣]، وبلاشير[٤] كلهم شكوا في الشعر الجاهلي وعالجوا موضوع الانتحال في شيء كثير من التجني إذ لجأ بعضهم إلى إنكاره إنكاراً تاماً.

فبرو كلمان طعن في الرواة لأنهم أصلحوا ما رووه للشعراء القدامى أو زادوا عليه ولم يبالوا بالوضع لتوثيق أشعارهم وأن هؤلاء الرواة غيروا بعض أشعار الجاهلية عمداً، ونسبوا بعض الأشعار القديمة إليهم كما وضعوا أشعاراً منحولة على مشاهير الأبطال في الزمن الأول.

وكان أشهر المستشرقين الذين لجأوا إلى إذاعة الشك في الشعر الجاهلي وإلى إنكاره من خلال الرواة وطريقة الحفظ والرواية واللغة هو «مرجليوث» فقد رأى أن الشعر الجاهلي لا يمثل الناحية الدينية وأنه مصبوغ بصبغة إسلامية وذلك ضمن مقالة كتبها تحت عنوان (The originsof Arabic Poetry).

وقد لخص ناصر الدين الأسد تلك المقاله[٥] وأورد رد المستشرقين الآخرين عليها، فقد رد «ليال» رداً مفحماً على مرجليوث وأتهمه بالغش والخداع والخيانة ورأى «لايل» أن المحاكاة تدل على وجود أصل كانوا يحاكونه إن وراء انتحال الرواة شعراً صحيحاً يجب أن نهتدي إليه، وبعد فقد بنى المحدثون من العرب والمستشرقون شكهم في الشعر الجاهلي على النواحي التالية[٦]:

---

(١) بلا شير: الأدب العربي ١/١٧٦ .

(٢) شوقي ضيف: العصر الجاهلي ١٦٦ .

(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١/٦٥ .

(٤) بلا شير: الأدب العربي ١/١٩٣ .

(٥) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٣٥٢ .

(٦) شوقي ضيف: العصر الجاهلي ١٦٨.

- اختلاف لهجات القبائل ولغة الشمال عن الجنوب ، وعدم توثيق الرواة والاتساع في الرواية ، والعصبية القبلية ، والشعوبية ، وحاجة القصاصين وكتاب السير والتاريخ إلى شعر يزينون به قصصهم.

توثيق الشعر:

وصل إلينا ركام هائل من الشعر الجاهلي، كان وما يزال مجال الدراسات الأدبية، وموضوع عناية الباحثين، وقد قسم ناصر الدين الشعر الذي وصل إلينا من حيث صحته ونحله إلى ثلاثة أقسام[1]، قسم صحيح لا سبيل إلى الشك أو الطعن فيه وقسم منحول موضوع وأكثره من القصص ويرمي إلى غايات وأهداف وقسم مختلف عليه.

شوقي ضيف لا ينفي ظاهرة الانتحال[2]، والأستاذ محمود شاكر[3] يرى أننا لا نستطيع رد الشعر ورفضه مهما بلغ الرواة من فساد الدين والمروءة، فداعي الفطرة يفرض علينا عدم اتهامهم، ويحذّر شاكر كل التحذير من ناحية الرواة، فلا يدعنا نعجل عجلة الجهل في الإقدام على تكذيب الرواة أو تصديقهم وإنما علينا أن نتوقف بالشك قليلاً ثم نثبته بكل وجوه التثبت والتبيين، وينكر العقاد[4] قدرة الرواة على توزيع الأساليب واصطناع المواقف الشعرية مهما بلغوا من قوة الشاعرية.

ومن كل هذا ندرك أن الانتحال قائم وإن الرواة هم أكبر الأسباب وأقواها وإذن لابد لنا من تمحيص الشعر وتنقيته، وعلينا أن نجد مقياساً صالحاً وملائماً لتوثيقه.

وإذا ما رحنا نستعرض مقاييس القدامى ومناهج المحدثين في التوثيق نجد الأولين اعتمدوا الأمور التالية في قبول الشعر ورفضه:

(١) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٤٦٥ .

(٢) شوقي ضيف: العصر الجاهلي ١٦٤، ١٦٦ .

(٣) محمود شاكر: مجلة «المجلة» ١٩٦٩ .

(٤) عباس العقاد: اللغة الشاعرة ١٢٣ .

- إجماع الرواة واتفاق جلة العلماء في قضايا الشعر وظروف اللغة وفي ذلك يقول ابن سلام(١) «اختلفت العلماء في بعض الشعر كما اختلفت في بعض الأشياء أما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه» ومن هنا فقد وثق القدامى رواة مثل الضبي والأصمعي وغيرهما ورفضوا غير الموثقين مثل حماد الراوية وخلف الأحمر وأضرابهما» إلا أن تأتيهم الأخبار والأشعار من مصادر موثوقة.

- والذوق الشعري وهو مقياس مكتسب عن علم ودراية بعد صحبة طويلة ولقاء مستمر مع الشعر وقد استطاع قسم من الرواة بذوقه النقدي أن يروي من الأشعار ما كان سليماً وصحيحاً وهذا الأمر واضح تمام الوضوح في كتاب «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجمحي(٢).

- ودواوين الشعراء فقد اعتمدت الأشعار التي رويت في ديوان أو دواوين الشعراء(٣).

ويرى المحدثون مقاييس أخرى ونسوق هنا أقوالهم حول المقاييس التي يرونها في توثيق الشعر الجاهلي:

يقول العقاد(٤) «لابد من حيلة ناجعة غير حيلة الرفض المطلق أو القبول المطلق أو الظن المتردد» فما هي هذه الحيلة التي يريدها العقاد ويطلب الاهتداء إليها؟.

وشوقي ضيف(٥) يشك فيما شك فيه القدماء ويقبل ما وثقوه فهو بهذا يعتمد مقاييسهم ويقبل ما أجمعوا عليه.

والأستاذ محمود شاكر(٦) يقول بمنهج المقارنة ويدرس الشعر دراسة نقدية فيقف على الخصائص الفنية، ويحذر شديد يرفض ما ينسب إلى الجاهليين.

---

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٦٠٥ .

(٢) نفس المصدر ٥ - ٢٢.

(٣) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٤٦٩.

(٤) عباس العقاد: اللغة الشاعرة ١٣٤ .

(٥) شوقي ضيف: العصر الجاهلي ١٧٥.

(٦) محمود شاكر: مجلة «المجلة» ١٩٧٠ .

ويقول طه حسين[1] بالخصائص الفنية التي يلتقي عليها طائفة من الشعراء وبملاءمة اللفظ والمعنى للحياة البدوية.

وناصر الدين الأسد[2] يرتكز على القدماء ويعتمد مقاييسهم من حيث الإجماع وما اتفق عليه البصريون والكوفيون وكذلك الأخذ بالخصائص الفنية.

وأحمد الحوفي[3] يدير مقياسه حول النصوص الشعرية ونقدها مشيراً إلى النواحي التالية: رفض الشعر الذي يتضمن أفكاراً إسلامية لم تكن مألوفة، ويضم إلفاظاً لم يعهدها العرب من قبل - رفض شعر الأماكن والأحداث والقصص التي لم يعهدها الشعراء، ولم تذكر في أشعارهم، وإنما جدت بعد مماتهم - ويلحق بذلك شعر الشخصيات الأسطورية كعنترة والمهلهل وحاتم الطائي، فالكثير من أشعارهم يستدعي الحذر والاحتياط ومثل هذا أشعار الجن وتكهنات الغيب والشعر الموغل في القديم كشعر عاد وثمود والرواية التي ينفرد بها راوية واحد، ورواية الرواة غير الموثوق بهم والانتباه إلى النص وجوّه ومصادره وطريقة أخذه عن أهل البادية.

ومن استعراض أقوال القدامى والمحدثين ومقاييس ومناهج الطرفين نجد أننا أمام عديد من المقاييس والمناهج، فماذا نفعل؟ وبأيها نأخذ؟ وكيف السبيل إلى توثيق الشعر الذي بين أيدينا؟

وفي توثيقنا للشعر الذي بين أيدينا لعبدالقيس لا نلتزم بمنهج واحد محدد وإنما نحاول أن نأخذ من جماع هذه المقاييس ما يصلح لبحثنا هذا مع الاهتمام بناحيتين أساسيتين الأولى الرواة، والثانية النصوص الشعرية:

(١) طه حسين: في الأدب الجاهلي ٢٦٥ .

(٢) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٤٦٩ .

(٣) احمد الحوفي: الحياة العربية في الشعر الجاهلي ٣٦ .

أما الرواة فمنهم العدول، وبينهم المتّهمون، وهناك فئة مجهولة، وبجانبها فئة أخرى تقف بين العدل والتجريح، ولذا كان علينا أن ندرس الرواة دراسة واعية، يقظة، ونمضي إليهم على أرض لا تتناثر عليها غيوم الشك، ولا مظاهر التردد، فنوثق العدول الصادقين، ونرفض الوضاعين المتهمين، ومن أشهر هؤلاء الرواة الذين حفظوا لنا شعر عبدالقيس، المفضل الضبي (ت ١٦٨ هـ) وهو رأس علماء الكوفة، وأوثق رواتها، فقد ذكرت الأخبار أنه صادق الرواية، حريص على التأكد من صحة ما ينقله أو يتناقله الرواة الآخرون[١]، وتشهد له كتب التراجم ومصنفات الدارسين، ويوثقه القدامى والمحدثون بالعلم والصدق فيما يرويه وينقله من أشعار وأخبار[٢] فالقفطى[٣] يقول عنه «كان علامة راوية للآداب والأخبار وأيام العرب»، ويقول عنه ابن سلام[٤] «أعلم من ورد إلينا بالشعر وأصدقه من غير أهل البصرة»، أما ياقوت فيقول[٥] «كان المفضل ثقة ثبتاً» وأجمع الرواة من الكوفيين والبصريين على توثيقه، ومع المفضل يأتي الأصمعي عبدالملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ)، وهو أحد أئمة اللغة والأدب والأخبار والغريب في البصرة[٦]، وهو عالم موثوق الرواية كثيرها، حسن العبارة جيدها، قال عنه المبرد[٧] «كان بحراً في اللغة لا يعرف مثله فيها أحد ولا في كثرة الرواية»، ويروى عن الفراء[٨] أنه قال عند ذكر الأصمعي «ذلك أعلمهم بالشعر وأتقنهم للغة واحضرهم للحفظ»، وقال عنه ابن قتيبة[٩] «كان الأصمعي صدوقاً في

(١) الأزهري: تهذيب اللغة ٢٧١/١٠ .

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال ١٧٠/٤، شوقي ضيف: العصر الجاهلي ١٦٥ .

(٣) القفطى: انباء الرواة ٢٩٨/٣ .

(٤) نفس المصدر.

(٥) ياقوت: معجم الأدباء ١٦٤/١٩ .

(٦) الاشناندانى: معاني الشعر ٢٧١، السيوطي: بغية الوعاة ١١١/٢ .

(٧) الخطيب: تاريخ بغداد ٤١٤/١٠ .

(٨) السيوطي: المزهر في اللغة ٢٠٤/٢ .

(٩) ابن قتيبة: المعارف ٥٤٣ .

الشعر»، وعبر الشافعي عن عصبية الأصمعي للعرب ووقوفه في وجه التيار الشعوبي فرأى أنه «ما عبر أحد من العرب بمثل عبارة الأصمعي[1]»، وقد دافع ابن جنّي أمام متهمي الأصمعي فقال[2] «كان صناجة الرواة والنقلة»، أما المحدثون فقد وثقوه ولم يطعنوا في روايته[3].

ومن كل ما ذكرنا يتضح لدينا أن الضبي والأصمعي عالمان موثقان، ولذا اعتمدنا الأشعار التي روياها لعبدالقيس، وكانا من أكثر الرواة ذكراً واهتماماً وحفظاً لشعر العبديين، وبالإضافة إليهما كان رواة آخرون قد حفظوا لنا بعض شعر العبديين ومنهم ابن سلاّم الجمحي، والبحتري، والجاحظ، وابن حبيب، وابن قتيبة، وابن دريد، وغيرهم[4].

أما النصوص الشعرية فنحن ملزمون بالنظر في المصادر التي نقلتها إلينا وحملتها عبر الزمن، وعلينا أن نلم إلماماً كافياً بكل الظروف المحيطة بها، أن ندرسها دراسة وافية تشمل مؤلفها، وغرضها، وأسلوبها، ورواتها، وأسانيدها، ونأخذ بأوثق الروايات حولها، وبعد ذلك نخضع تلك لنصوص لمقياس النقد والتمحيص في المضامين والأشكال، ونعالجها معالجة مستوعبة من الناحيتين الموضوعية والفنية، ثم نصدر حكماً عليها، وهل استطاعت أن تمثل البيئة الجاهلية، وتحيط بظروف المجتمع البدوي، وما يلحقه من مظاهر وعادات؟.

ونحن نؤمن – وأمامنا تلك النصوص – أن شعر المراكز الحضارية والمواطن المطلة على العالم الخارجي، من أرض الجزيرة العربية قد لان وسهل فاقترب من شعر المولدين،

---

(١) السيوطي: بغية الوعاة ٣١٣ .

(٢) ابن جني: الخصائص ٣/٣١١ .

(٣) شوقي ضيف: العصر الجاهلي ١٦٦، ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٣٣٤.

(٤) انظر: ديوان عبدالقيس.

إلا أن ذلك في مقدور دراستنا أن نكتشف النصوص الجاهلية وإن كانت سهلة اللفظ، واضحة المعنى، ولذا قمنا باختيار النصوص التي رأينا فيها روح العصر الجاهلي، وظروف المجتمع العبدي.

ومن دراستنا للرواة وللنصوص الشعرية التي وجدناها لعبد القيس يمكننا أن نبرز اتجاهات ثلاثة:

– الشعر الموثق: وهو الذي رواه الرواة الثقاة وورد في المفضليات والأصمعيات، وعند ابن سلام، والبحتري، وأبي تمام، والأخفش، وابن دريد، وغيرهم ويشمل هذا شعر المثقب والممزق والمفضل ويزيد وسويد وثعلبة وغيرهم[1].

– وقسم ضعيف الرواة والإسناد، ويشمل بعض أشعار الجمال العبدي وجذل بن أشمط، وعمرو بن أسوى، وتوبه بن مضرس وذلك لعدم توفر مصادر عديدة حول روايات شعرهم[2].

– وقسم منحول لأسباب عديدة منها الأفكار الإسلامية والاختلاط والتداخل والرواية الواحدة غير الموثقة، ويشمل ذلك أبيات الممزق في «الحماسة البصرية»[3] وفي «أمالي المرتضى»[4]، وأبيات سويد في «المعمرين»[5] وأبيات أخرى في ديوان شعر العبديين.

وعندما جمعت ديوان عبدالقيس لم أثبت فيه شعر الشعراء الذين لم تتوفر في شعرهم ظروف البيئة الجاهلية، وصرفت النظر أيضاً عن الشعر الذي تضمن معاني وألفاظاً إسلامية من طريق غير موثق، وكذلك أبعدت منه شعرالشعراء الذين عاشوا في الإسلام واستمروا حتى العصر الأموي.

---

(١) انظر: ديوان عبدالقيس.

(٢) انظر: ديوان عبدالقيس.

(٣) البصري: الحماسة البصرية ٢٨/٢.

(٤) المرتضى: أماليه ٣٢٥/١.

(٥) السجستاني: المعمرون ٤٠.

ولهذا لم أدخل في الديوان شعر ربيعة بن قميئة الصعبي[١]، وعامر المحاربي[٢]، وأوس بن زيد[٣]، وحرب بن سلمة[٤]، وأبناء مرة[٥] «نفيل وعمرو ومعارك»، وهرم بن حيان[٦]، ولقد جمعت ما يقرب من أربعمئة بيت من الشعر وقمت بدراسة هذا الشعر، بالإضافة إلى شعر المثقب العبدي الذي لا يزيد عن مئتي بيت من الشعر وقد جمعه وحققه الأستاذ حسن كامل الصيرفي.

(١) الآمدي: المؤتلف والمختلف ٢٥٥.

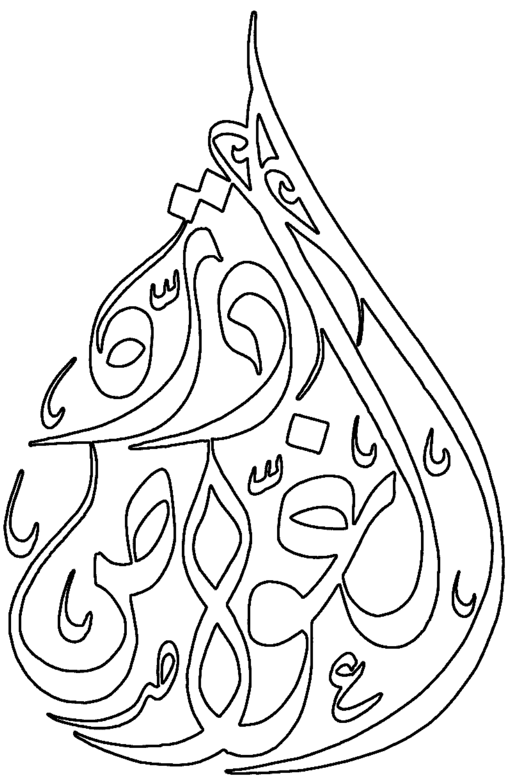
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٩٤/٣، العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١٦٦.

(٣) السالمي: تحفة الأعيان ص ٣٣.

(٤) الخالديان: الأشباه والنظائر ٢١٩/٢ .

(٥) البحتري: الحماسة ص ٧٤، ٢٥٥، ١٤٦.

(٦) السجستاني: المعمرون والوصايا ص ٧٤.



الفصل الثالث

الدراسة الموضوعية

عندما جمعت ما تيسر لي جمعه من ديوان عبدالقيس، نظرت في شعرهم، فتراءى لي أنه يندرج في موضوعات أساسية أهمها الحرب والقتال، والسلم والإصلاح، ونظرات في الموت والحياة، والرثاء، وموضوعات أخرى كالحكم وبيئة البحر والطبيعة.

ولاحظت أيضاً أن شعر المثقب العبدي فيه مواضيع مميزة فلم أشأ ذكرها هنا لانفراده بها وإنما سأتناولها حين أدرس حياته، أما ما يدخل من شعره ضمن التي ذكرتها فقد درسته هنا، وأهم الموضوعات الأساسية في شعر العبديين.

شعر الحرب والقتال:

عرفت الجزيرة العربية أياماً كثيرة من القتال بين القبائل، وكانت الأسباب وراء ذلك تعود إلى ضنك العيش، وفقر الموارد، والسيطرة المباشرة على مواطن الخصب والرعاية، وعلى أماكن الاستقرار الملائمة[(١)].

وعبدالقيس شأنها شأن بقية قبائل العرب، شاركت في مختلف الأيام والغزوات وعلى شتى النواحي والجبهات، فحاربت الفرس ورفضت سيطرتهم وقاتلت المناذرة، وأبت أن تخضع لسلطانهم، وتنازعت أسباب البقاء مع قبائل الجزيرة، فأخفقت مرة، وأصابت مرات[(٢)].

وقد أشرنا إلى طول باع القبيلة في كل هذا عندما استقرت على أرض البحرين، وأتناول بالحديث هنا هذه الحروب التي خاضها العبديون «وجبهات» القتال التي حاربوا فيها.

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤٠٢/٥ .

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥٥/٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٩٢/١، انظر: صلات العبديين.

الحرب السياسية:

كانت الحيرة من حين إلى آخر، تمد سلطانها على القسم الشرقي من جزيرة العرب فتدخل عبدالقيس ضمن مناطق هذا السلطان، وتحدثنا الأخبار أن صلات المناذرة مع العبديين كانت عدائية أحياناً وسلمية أحياناً أخرى[1].

ويحدثنا الشعر عن الصلات العدائية، ونبدأ بالشاعرين يزيد بن الخذاق الشني وأخيه سويد، فهما يثوران على ملوك الحيرة ثورة عارمة، ويهاجمان بعنف وتحد سلطة المناذرة، فيزيد يخاطب النعمان بن المنذر الملقب بأبي قابوس قائلاً[2]:

نعمان إنك خائن خدع
يخفي ضميرك غير ما تبدي
فإذا بدا لك نحت أثلتنا
فعليكها إن كنت ذا حرد
إن تغز بالخرقاء أسرتنا
تلق الكتائب دوننا تردى
ومكرت معتلياً مخنتنا
والمكر منك علامة العمد
وهززت سيفك كي تحاربنا
فانظر بسيفك من به تردى

هجمة شرسة، ووقفة باسلة، وثورة عاتية على النعمان ملك الحيرة، فالشاعر يتهم النعمان بالخيانة، وينعته بالمكر والخداع، مؤكداً أن ضميره يخفي غير ما يبدي ثم هو يتحداه إن كان يستطيع نحت شجرتهم، والنيل من عزهم ومكانتهم، فإذا عزم النعمان على غزو عبدالقيس بكتيبة الخرقاء فإن الأسرة العبدية ستردي تلك الكتيبة وتغل جموعها، وتصرع رجالاتها، فالعبديون لن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الخرقاء وإنما ستلقى منهم الهلاك والفناء، فنحن أمام تحد شامخ وهجاء صارخ وإهانة متعمدة إلى النعمان صاحب السطوة والبأس.

---

(١) كحالة: معجم القبائل العربية ٧٢٦ .

(٢) المفضل الضبي: المفضليات ص ٢٩٥ .

ويتعمد النعمان الإساءة إلى قبيلة الشاعر، فيلوح بسيفه مستخدماً «هزة السيف» دليل الغضب وإشارة الاستعداد للمعركة والقتال، ويبلغ الشاعر حداً بعيداً في السخرية عندما يقول للنعمان: انظر من ترديه بسيفك؟ وارقب من تناله بكتيبتك؟ ولسان حال الشاعر يريد أن يفصح عن عدم استطاعة الملك النيل من عبدالقيس.

ونستغرب مثل هذا الخطاب للنعمان! ونتساءل: ما هي الأسباب التي أدت إلى هذا الهجاء؟ وما الذي حدث في صلات عبدالقيس والمناذرة؟ وكيف يؤكد الشاعر أنه سيفسد خطة الملك، ويتصدى مع قومه لرد اعتداءات المناذرة عليهم؟ وموقف النعمان أمام هذا التهديد وتلك الإهانة؟ أسئلة كثيرة تفرض نفسها، وتطل برأسها، وقبل أن نجيب عليها نقرأ للشاعر يزيد هذه الأبيات[1]:

تحلل أبيت اللعن من قول آثم
على مالنا ليقسمن خموسا
اقيموا بني النعمان عنا صدوركم
وإلا تقيموا كارهين الرؤوسا
أكل لئيم منكم ومعلهج
يعد علينا غارة فخبوسا
فإن تبعثوا علينا تمنى لقاءنا
تجد حول أبياتي الجميع جلوسا

مرة أخرى نجد في هذه الأبيات مرارة الهجاء، وعنف التحدي فالشاعر يطلب إلى النعمان في هذه الرسالة الشعرية الثانية أن يتحلل من اليمين الذي قطعه على نفسه في العزم على غزو عبدالقيس، وتقسيم أموالهم أخماساً كما هي نظم الجاهلية، كما يطلب عدم تكرار الغارات وإرسال الكتائب إلى بلاد العبديين لتهديدهم في أمنهم وحريتهم واستقرارهم في منازلهم وديارهم.

ويرغب الشاعر إلى الملك أن يرفع المناذرة أيديهم عن العبديين وإلا اضطرت القبيلة أن تلجأ إلى العنف وتجبرهم على رفعها مكرهين صاغرين.

---

(١) المفضل الضبي: المفضليات ص ٣٠١ .

وإزاء كل ذلك يعلن الشاعر في صراحة ووضوح، أنه وقومه لن يستكينوا أمام ضربات المناذرة، وأن جموع القبيلة مستعدة، لخوض غمار الحرب والقتال إذا فرضت عليهم.

والذي نفهمه من هذه الأبيات أن موقف النعمان واضح لا غموض فيه، فقد أقسم أن يغزو بلاد عبدالقيس، وأن يغير عليهم ويخضع جموعهم، ويفرض سيطرته ونفوذه عليهم، ثم يقسم أموالهم أخماساً.

ولكي نصبح أقرب إلى الإجابة عن الأسئلة التي طرحناها نمضي إلى شعر سويد الشني وهو الذي شارك أخاه في الثورة والنقمة على المناذرة ففي مقطوعة من مقطوعاته الشعرية يقول[1]:

أبى القلب أن يأتي السدير وأهله
وإن قيل عيش بالسدير غزير
به البق والحمى وأسد خفية
وعمرو بن هند يعتدي ويجور
فلا أنذر الحي الذي نزلوا به
وإني لمن لم يأته لنذير

إشارة واضحة، وتحذير صلب، للملك عمرو بن هند، فقصره السدير[2] مليء بالحشرات الضارة، والأمراض الفتاكة، والأسود الجامحة، وصاحب القصر يعتدي ويجور، والشاعر يحذر كل من لم يلحق بالسدير ولم يأته أن لا يسافر إليه مخافة أن تلحق به آفات القصر أذى أو يصيبه الملك بسوء.

وفي قصيدة أخرى يقول سويد الشني[3]:

جزى الله قابوس بن هند بفعله
بنا وأخاه غدرة وآثاما

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص ٣٠٣، البصري: الحماسة البصرية ٢٠٢/٢ .

(٢) لويس شيخو: شعراء النصرانية ٣٣٩/٣ .

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٠٢ .

بما فجرا يوم القطيف وفرقا
قبائل أحلافاً وحياً حراما
لعلّ لبون الملك تمنع درها
ويبعث صرف الدهر قوماً نياما
وإلا تعاديني المنية أغشكم
على عدواء الدهر جيشاً لهاما

في هذه الأبيات يتحدث سويد عن غارة قام بها الملك قابوس بن هند وأخوه في يوم دعي «بيوم القطيف» فاستباحا حمى العبديين وفرقا القبائل المتحالفة معهم، ويرى الشاعر أن هذا الاعتداء كان ظلماً وعدواناً، فهو لم يخبرنا عن أسباب الغارة وظروف القتال، ويطمع في مجيء يوم تنتهي فيه عظمة المناذرة وتضعف سيطرتهم وينهض العبديون يدفعون الأذى والظلم عن أنفسهم، ويكاد الشاعر يقسم بأنه سيحارب المناذرة بجيش ضخم إذا أمهله الموت وأطال في عمره.

إن الشاعر سويد ثار على ثلاثة من ملوك الحيرة عمرو بن هند وقابوس بن هند وثالث لم يذكر لنا اسمه، لكننا نرجح أن يكون النعمان بن المنذر الذي لم يكن قد تولى الملك بعد بينما رأينا أن يزيد الشني ثار على النعمان بن المنذر ولم يخبرنا عن غيره من ملوك المناذرة.

وفي أبيات أخرى لسويد الشني يقول[١]:

ضربت دوسر فينا ضربة
أثبتت أوتاد ملك فاستقر
فجزاك الله من ذي نعمة
وجزاه الله من عبد كفر

فدوسر[٢] الكتيبة المنذرية هي التي ضربت العبديين وأغارت عليهم وعملت على استقرار الوضع وحفظ الأمن، والشاعر يحدثنا عن شخصين يكتنف الغموض أمرهما.

(١) ابن دريد: الاشتقاق ص ٣٣٢ .

(٢) دوسر: كتيبة مشهورة للمنانرة يضرب بها المثل في شدتها وقوتها وفي الأمثال «أبطش من دوسر».

وهنا نجد أنفسنا أمام ضباب كثيف، فالأخبار قليلة، والأسئلة الغامضة كثيرة، فهل دوسر هي التي قامت بغزو العبديين في يوم القطيف السالف الذكر؟ ومن هذان الشخصان؟ هل هما قابوس بن هند وأخوه الذي لم يذكر الشاعر اسمه، أم أنهما شخصان آخران؟ وماذا حدث في يوم القطيف؟ ومن هي القبائل التي حاربت المناذرة مع عبدالقيس؟

وفي الطريق لمحاولة الإجابة عن التساؤلات الحاضرة والأسئلة السابقة، لاتسعفنا المصادر في إجابة شافية وتبخل علينا في ردود وافية ومع كل ذلك سنمضي في المحاولة رغم كل الصعاب وكثافة الحجب التي تعترض سبيلنا.

فالمصادر تقول(١) كان للنعمان بن المنذر خمس كتائب وهي الوضائع وجنودها من الفرس، والشهباء وفرسانها من أهل بيت الملك، والصنائع من القبائل العربية، والرهائن من الأسرى، ودوسر وهي كتيبة ثقيلة تجمع فرساناً وشجعاناً من كل قبيلة عربية.

ويقول المبرد(٢): «إن دوسر كانت كتيبة النعمان»، وفي «الاشتقاق»(٣) أن النعمان بعث إلى عبدالقيس كتيبة دوسر فاستباحتهم، وفي «اللسان»(٤) أن دوسر اسم كتيبة كانت للنعمان بن المنذر، أما الزبيدي فيذكر كتيبة سماها الملحاء(٥)، ويقول جواد علي(٦): «إن الملحاء هي كتيبة الدوسر»، ويذكر الطبري(٧) أن النعمان بن امرئ القيس له كتيبتان إحداهما الدوسر والأخرى الشهباء، «وكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب» والنعمان الأول هذا حكم في أوائل القرن الخامس الميلادي.

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥/٤٠٥ .

(٢) المبرد: الكامل في اللغة والأدب ١/٢٨٨ .

(٣) ابن دريد: الاشتقاق ٣٣٢ .

(٤) ابن منظور: لسان العرب ٤/٢٨٥ .

(٥) الزبيدي: تاج العروس ٢/٢٣٠ .

(٦) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥/٤١١ .

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٦٧ .

وقد عرفنا في أبيات يزيد أن اسم الكتيبة التي لوح النعمان الثالث «أبو قابوس» باستخدامها في غزو عبدالقيس هي الخرقاء[١]، لكن المثقب العبدي ذكر كتيبة هي الجأواء عندما قال مخاطباً النعمان بن المنذر[٢]:

وجـاواء، فـيـهـا كـوكب الموت، فـخـمـة
تقـمّص، بالأرض الـفـضـاء، وئيـدها

وذكر الممزق هذه الكتيبة عندما قال مخاطباً النعمان بن المنذر[٣]:

بجـأواء جـمـهـود كـان طريقـهـا
بسـرة بين الحـزن والسـهل رزدق

فالمثقب والممزق لا يتركان مجالاً للشك في أن الجأواء هي كتيبة هامة للنعمان بن المنذر الملقب بأبي قابوس.

وفي ديوان المثقب[٤] أن الجأواء هي الكتيبة الكثيرة الدروع وسميت بذلك لتغير ألوانها من طول الغزو وصدأ الحديد على رجالها وأسلحتها وفي «تاج العروس»[٥] أن الكتيبة الجأواء هي التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع والجأواء أيضاً الجيش العظيم وفي «اللسان»[٦] كذلك.

ويبدو لي أن دوسر[٧] كتيبة قديمة بقيت تحمل هذا الاسم حتى زمن النعمان بن المنذر وأن الجأواء هي ذات الشهباء لأن كلا منهما فيها السلاح الوفير والدروع الكثيرة

---

(١) المفضليات: ٢٩٥ .
(٢) ديوان المثقب العبدي ص ١٠٧ .
(٣) المفضليات: ٤٣٣ .
(٤) ديوان المثقب العبدي ١٠٧ .
(٥) الزبيدي: تاج العروس ١٠/٦٥ .
(٦) ابن منظور: لسان العرب ٤/٢٦٥ .
(٧) قال العسكري في جمهرة الأمثال ١/٢٥٤، أبطش من دوسر وهي كتيبة تتألف من أربعة آلاف فارس، صلبة قوية، شديدة البطش ويقال حمل دسر إذا كان صلباً وشديداً، وفي مجمع الأمثال للميداني ١/١٢٥ أن دوسر أخشن الكتائب وأشدها بطشاً وكانت من كل قبائل العرب وأكثرها من ربيعة وسميت دوسر من الدسر وهو الطعن.

ويختلط البياض بالسواد[1]، أما سائر الأسماء، ملحاء وخرقاء وغيرها، فهي نعوت لتلك الكتيبة التي ترجح أن تكون الجأواء.

ومن الواضح في أشعار العبديين أن عمرو بن هند غزا العبديين وأوجعهم بالكتيبة دوسر، أما النعمان بن المنذر فقد غزاهم بالكتيبة الجأواء وأخذ أسراهم، وساق جمهرتهم إلى الحيرة.

والمناذرة يستخدمون كتائبهم في تأديب القبائل الخارجة على سلطانهم، وكان هذا شأنهم مع عبدالقيس، ولذا تركت بعض الكتائب كدوسر والجأواء أثراً بالغاً في ذاكرة العبديين والعرب[2].

والآن، بعد أن وضح لدينا أن دوسر والجأواء هما أكثر الكتائب بطشاً وغارة على عبدالقيس، نتوقف ونتساءل: ما الأسباب التي أدت إلى كثرة غارات المناذرة على العبديين؟ الأمر الذي حدا بالشاعرين يزيد وسويد أن يقفا هذا الموقف وأن يثورا تلك الثورة وبالذات ضد عمرو بن هند وقابوس بن هند والنعمان بن المنذر أبي قابوس[3].

وتعود الأسباب إلى أن المناذرة كانوا يحاولون فرض سلطانهم وتوسيع رقعة حكمهم ومناطق نفوذهم، لذا تكررت غاراتهم على القبائل العربية ومن ضمنها عبدالقيس، فالأخبار تروي[4] أن عمرو بن هند غزا قبائل تغلب وبكر بن وائل، وتميم، وطيء، واليمامة، وعبدالقيس، كذلك أغار النعمان بن المنذر على قبائل العرب وأخضعها لسلطانه[5] وكانت البحرين زمن الملك عمرو بن هند ولاية تابعة للحيرة وكان ابن هند قد أمر بقتل طرفة بن العبد[6] لأنه هجاه، وكان ملوك المناذرة يغضبون بسرعة ويتملكهم الانفعال الشديد

(١) ابن منظور: لسان العرب ١٢٧/١٤ .

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥, ٤١٣ .

(٣) كحالة: معجم القبائل ص ٧٢٦ .

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٤٨/٣ .

(٥) نفس المصدر ٢٥٨/٣ .

(٦) نفس المصدر ٢٤٢/٣ .

ويأخذون بالوشايات[1] فلا نستبعد أن تكون بعض القبائل قد أوغرت صدور المناذرة على العبديين لأنفتهم وكبريائهم فقاموا بغزوهم لتأديبهم، وأن يوم القطيف هو واحد من الأيام التي أغار فيها المناذرة على عبدالقيس وأنزلوا بهم خسائر فادحة، وفرقوا قبائلهم المتحالفة.

وفي الأخبار أن بعض بطون عبدالقيس تمردت على سلطان الحيرة، وبالذات على النعمان بن المنذر، والمثقب يؤكد تمرد النكريين في عمان[2].

وإن الكتيبة الجأواء هي التي وضعت حداً لهذا التمرد، وأخضعت العبديين فقد برّ النعمان بقسمه وغزا عبدالقيس، وأوقع بهم ضربات قاسية فنكل وأوجع وأخذ عدداً من الأسرى، وكان هذا سبباً في وصول وفد عبدي إلى بلاطه يطلب إليه العفو والصفح وإطلاق سراح الأسرى.

وفي «دائرة المعارف الإسلامية» أن الشنيين ولكيزا ثاروا على النعمان الثالث الملقب بأبي قابوس[3]، ونحن ندرك أن قرب بني شن من العراق كان يوقعهم تحت ضربات المناذرة عند أقل تمرد أو أدنى إشارة للقتال[4].

ولتلك الأسباب وفي مقدمتها ظلم المناذرة وجبروتهم، وكثرة غاراتهم ثار الشاعران يزيد وسويد وحملا لواء التمرد، وتزعما حركة العصيان في عبدالقيس كما أن انحدار الشاعرين من قبيلة شن التي امتازت بالقتال، وتشبعت بروح الحرية والإباء، ترك بصمات واضحة المعالم في الثورة التي تزعماها.

---

(١) نفس المصدر ٣/٢٦٢ .

(٢) ديوان المثقب العبدي ١٠٥ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ١ ص ٧٣ .

(٤) انظر منازل عبدالقيس.

وهكذا نرى أن الحرب السياسية مع المناذرة كانت حرباً عدائية لا هوادة فيها ولا لين فلقد رفض الشاعران الخضوع والاستسلام وعبرا عن النقمة العارمة والتطلع إلى آفاق أرحب من العزة والحرية فمثلا بذلك روح الفارس العربي الذي يأبى الذل والاستكانة.

والقبائل العربية تأنف من الذل وترفض الضيم والإهانة، وكان الشعراء على لسان قبائلهم، يهاجمون المناذرة ويؤذونهم بقصائدهم، فعندما أحس الشاعران العبديان يزيد وسويد أن قبيلتهما قد لحقها الأذى وأصابها ظلم المناذرة وتتابعت غارتهم عليها قاما يهاجمان المناذرة بهذه القصائد الحربية، وهما بهذا ينضمان إلى كل الشعراء الذين وضح لديهم ظلم المناذرة ومدى سيطرتهم وكبت حريات القبائل العربية المتاخمة لهم ومن الشعراء الذين ثاروا على سلطان الحيرة طرفة بن العبد والمتلمس الضبعي وعمرو بن كلثوم وغيرهم.

الحرب القبلية:

أشرنا إلى أن موقع عبدالقيس على أرض البحرين وسط جيرانها من القبائل العربية الأخرى، فرض عليها حماية نفسها، والدفاع عن أسباب أمنها واستقرارها، وتحدثنا الأشعار عن أيام وحروب مع تلك القبائل وفي مقدمتها بنو لجيم وقبائل أخرى من بكر بن وائل وتميم وغيرها.

الحرب مع قبيلة لجيم: لجيم قبيلة عدنانية ونسبها في ربيعة، ومن بكر بن وائل فهي لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن اقصى بن دعمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[١] وانحدر من هذه القبيلة بنو حنيفة، وهم أهل اليمامة، وكانوا أصحاب نخل وزروع، وفيهم العدد والثروة[٢].

(١) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ٣٠٩، كحالة: معجم القبائل ١٠٠٩/٣ .

(٢) نفس المصدر ٣٠٩ .

وتقابلت عبدالقيس مع لجيم في أرض ذي طريف[1] وحدثنا المفضل «عامر بن معشر» صاحب «المنصفة» عن هذه الحرب حديثاً مسهباً وذلك على النحو التالي[2]:

المكان:

تلاقينا بغيبة ذي طريف
وبعضهم على بعض حنيق

اللقاء:

فجاءوا عارضاً برداً وجئنا
كمثل السيل ضاق به الطريق
مشينا شطرهم ومشوا إلينا
وقلنا اليوم ما تقضى الحقوق

بداية القتال:

رمينا في وجوههم برشق
تغصّ به الحناجر والحلوق

القتال:

كأن النبل بينهم جراد
تكفيه شامية حزيق
بكل قرارة منا ومنهم
بنان فتى وجمجمة فليق
وكم من سيد منا ومنهم
بذي الطرفاء منطقه شهيق
فأبكينا نساءهم وأبكوا
نساء ما يسوغ لهن ريق

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٤٨/٦ (موضع بالبحرين كان لهم فيه وقعة).

(٢) الأصمعي: الأصمعيات ١١٩ .

القتلى:

قتلنا الحارث الوضاح منهم
كأن سواد لمته العذوق

وقد قتلوا به منا غلاماً
كريماً لم تأشبه العروق

وسائلة بثعلبة بن سير
وقد أودى بثعلبة العلوق

وأفلتنا ابن قران جريضاً
تمر به مساعفة حروق

نهاية القتال:

فلما استيقنوا بالصبر منا
تذكرت الأواصر والحقوق

وأبقينا ولو شئنا تركنا
لجيماً لا تقود ولا تسوق

وأنعمنا وأبأسنا عليهم
لنا في كل أبيات طليق

الأبيات التي ذكرناها من منصفة المفضل(١) تناولت مكان المعركة في سهل ذي طريف، وكان الحقد قد بلغ أشده عند الفريقين، فالشاعر لم يذكر لنا أسباب هذه المعركة، ولا دواعي هذا القتال، واكتفى بأن يشير إلى حقد قديم دفين بينهما، والتقى العبديون مع اللجميين وكأنه لقاء بين عبدالقيس، وبكر بن وائل، وهما القبيلتان اللتان تعودان بنسبهما إلى ربيعة.

وتم اللقاء بأن سار كل من الفريقين إلى مكان المعركة، ووصف الشاعر المجئ، فقد جاء بنو لجيم كالسحاب المنهمر، وجاء العبديون كالسيل العرم واستعد الفريقان للنزال والقتال، وتعالت الأصوات، ولمعت السيوف، وأشرعت الرماح، وكأن أجمة تحترق، فقد أخذ صوت السلاح، يكسر الصمت وينهي السكون الذي ساد مكان المعركة.

(١) الأصمعي: الأصمعيات ١١٩ .

وكانت البداية تراشقاً بالنبال، وكثافة في الرماية، وسهاماً غصت بهما الحناجر والحلوق، فكأنها الجراد الكثيف الذي تسوقه الريح الشمالية.

لقد احتدمت المعركة واشتد القتال في كل ناحية وصوب، وبعد تراشق النبال والسهام استخدمت الرماح ثم سلت السيوف تضرب الهامات، وتذيق الأبطال طعم الردى والموت، إنها حالة الالتحام بين فئات المقاتلين وصفوف المهاجمين، وماذا حدث بعد ذلك؟ إنك لتجد في كل قرارة ومرتفع من الفريقين، بناناً مقطوعة، وجمجمة مفلوقة، وعدداً من السادة، يلفظون أنفاسهم الأخيرة، وكثر الطعن، وتساقط القتلى، وتجمعت السباع والضباع والغربان، تتناول غذاءها، وتكثر من طعامها، حتى شبعت وأتخمت.

واشتركت النساء في المعركة وبكت بمرارة وحرقة قتلى لجيم وعبدالقيس فقد جفت الحلوق، وسجلت الأصوات، وبحت الحناجر من شدة النواح والنحيب.

وحدثنا الشاعر بعد ذلك عن القتلى فذكر أشهر القادة والفرسان وقد قتل من لجيم زعيم القبيلة الحارث بن الوضاح، وصرع القائد ثعلبة بن سيار أما فارس بني لجيم ابن قران فقد فر جريحاً على حصانه، وقتل من عبدالقيس فتى كريم من فتيانها، وفارس مغوار من فرسانها.

والنهاية تذكر الفريقان ما بينهما من وشائج القربى وأواصر الصداقة وصلات الجوار فحل الوئام مكان الفرقة، وانتهت الحرب، وهدأت المعركة ورفرفت راية السلام على ربوع القبيلتين، ويبدو أن صلحاً تم بينهما نظراً لأنهما يعودان بنسبهما كما ذكرنا إلى قبيلة واحدة وهي ربيعة.

وكما ذكرنا لم يشر المفضل إلى أسباب هذه الحرب، وكذلك لم يذكر لنا أي البطون من عبدالقيس اشتركت في القتال، لكنه أشار إلى الحقد الدفين بينهما وأن قبيلة الشاعر نكره في أغلب الظن هي التي شاركت في هذا القتال.

أياً كانت الأسباب وراء هذه المعركة والبطون العبدية التي شاركت فيها فإن الشاعر أنصف أعداءه، وتحدث عن بطولاتهم، إلى جانب بطولات قومه، فكان من الشعراء المنصفين، وكانت قصيدته من المنصفات، فما هي هذه المنصفات؟.. إنها قصائد يرى فيها الشعراء أنفسهم وقبائلهم، فيفتخرون ويعتزون بما أحرزوا من نصر وبطولات، وكذلك يرون أعداءهم فينصفون مواقفهم في القتال، ويتحدثون عن ما وقع منهم من بطولات، وجولات جريئة وسط ميدان المعركة، ولقد وصلت هذه القصائد إلى أرفع مستوى من العدل والصدق والإنصاف فسميت بالمنصفات[1].

وسميت تلك القصائد أيضاً المنصفات، من النِصف فكأن القصيدة جعلت نصفين بين الشاعر وعدوه، فالبيت الواحد أحياناً نصفان، الأول في الشاعر أو فريقه، والثاني في أعدائه، أو أن عدد الأبيات في القصيدة الواحدة تكون نصفين: النصف الأول في الشاعر وقبيلته، والنصف الثاني في أعدائه[2].

والإنصاف من هذا المنطلق يعني تقدير الرجل للرجل، وإعجاب المحارب الفارس لبطولة عدوه الفارس المحارب، واحترام القدرة القتالية لكلا الطرفين في المعارك والحروب.

والإنصاف كما يراه الملوحي ثلاثة أنواع[3]:

أ - إنصاف في الحرب.

ب - إنصاف في الصلات الاجتماعية.

جـ - إنصاف في النواحي الخلقية.

وإنصاف الحرب يكون في حالة النصر وحالة الهزيمة، ويكون أيضاً في الحالة التي ندعوها «بالتعادل» حيث لا هزيمة ولا نصر، وبواعث شعر الإنصاف إذن هي الحروب الطويلة والقتال المرير.

---

(١) الملوحي: المنصفات - المقدمة.

(٢) الخالديان: الأشباه والنظائر ١٤٩.

(٣) الملوحي: المنصفات - المقدمة.

وتأتي أول إشارة للأشعار المنصفة، عند الجاحظ إذ يقول «أدركت رواة المسجديين والمربديين ومن لم يرو أشعار المجانين (العشاق) ولصوص الأعراب ونسيب الأعراب والأرجاز الأعرابية القصار والأشعار المنصفة فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة»[١].

وفي «الأشباه والنظائر»: «ذكرت الرواة أن منصفات أشعار العرب ثلاثة أشعار أولها قصيدة عامر بن معشر من عبدالقيس»[٢].. وفي «الحماسة البصرية» «قيل: إن منصفات العرب ثلاث أولها قصيدة عامر بن أسحم»[٣]، وذكر البحتري الإنصاف في حماسته[٤]، ويروى أن المهلهل بن ربيعة أول من أنصف في شعره عندما قال[٥]:

كــأنا غــدوة وبنــي أبينـا
بجنب عنيــزة رحيــاً مــدير

فالإنصاف قديم والفارس العربي منصف في أشعاره وأقواله، إنه لا يفخر بنفسه فحسب وإنما يسجل مفاخر عدوه ولا يظلمه في بسالته وشجاعته، ومن هنا اهتم الرواة بالشعر المنصف وأشادوا به، وذكروا الأشعار المنصفة وأصحابها ومن بينهم المفضل الذي تحدثنا عن منصفته، وعبدالشارق الجهني[٦]، والعباس بن مرداس السلمي[٧]، وعمرو بن معدي كرب[٨] وغيرهم[٩].

ونحن لا نعدو الحقيقة إذا ما ذكرنا أن منصفة المفضل تاريخ كبير، وسجل هام للحرب التي دارت بين القبيلتين، ولذا فضلت تلك المنصفة قائلها، وأشهرته بين شعراء عبدالقيس وسائر شعراء الجاهلية.

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ٢٣/٤ .
(٢) الخالديان: الأشباه والنظائر ١٤٩/١ .
(٣) البصري: الحماسة البصرية ٥٣/١ .
(٤) البحتري: الحماسة ٤٨ .
(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ٢٣/٤ .
(٦) البحتري: الحماسة ٤٨ .
(٧) الأصمعي: الأصمعيات ٢٣٦ .
(٨) البحتري: الحماسة ٤٩ .
(٩) انظر: المنصفات جمع الملوحي.

وإذا ما عدنا إلى المنصفة نتبين أهميتها، ومواطن الإنصاف فيها، نجد أنها أبرزت عدة حقائق، وعالجت كثيراً من الأمور، في كيفية سير القتال، وبدايته، وفنونه، مما يصلح أن يكون أسلوباً حربياً من أساليب الجاهليين ونموذجاً قتالياً فذّاً، ومستوى ملائماً من مستوياتهم، ونطلع على أنواع الأسلحة والأدوات التي استخدمت في الحروب والأيام الجاهلية، وندرك مدى صلات المودة وأثر وشائج القربى، وأهمية أنساب القبائل في إحلال السلام وعقد المصالحات، وإنهاء الخصومات، ولا ننسى موقف القبائل النبيلة في تقدير عواقب الحروب، وما تجره من ويلات، ودمار وخسائر، فتلجأ إلى وقف القتال، وإطلاق سراح الأسرى وهكذا فعل العبديون مع بني لجيم البكريين.

أما مواطن الإنصاف فهي:

نوايا الفريقين: لم يكن الارتحال في جهة واحدة، وانما في اتجاهين متضادين فالمفضل أخضع مطلع المنصفة ليلائم الإنصاف فقال:

ألم تر أن جيرتنا استقلوا
فنيتنا ونيتهم فريق

اللقاء والمجئ في :

(١١) جئنا مثل السيل	وجاءوا مثل العرض.
(١٠) بعضنا حاقد عليهم	وبعضهم حاقد علينا.
(١٢) مشينا شطرهم	ومشوا إلينا.
(١٣) رمينا في وجوههم برسق	ورموا في وجوهنا كذلك.
(١٧) أسلحتنا من النبع	وسلاحهم من السدر
(١٨) هريرنا أجمة تحترق	وهريرهم كذلك

في ساحة المعركة:

البيت رقم (٢٤) بكل قرارة منا ومنهم بنان فتى وجمجمة فليق.

(٢٧)، (٢٨) السباع والضباع والغربان شبعت من الفريقين.

(٢٩)، (٣٠) النساء من الفريقين تبكي القتلى، فأبكينا نساءهم، وأبكو نساءنا.

القتلى:

(٣٣) من عبدالقيس: فتى فارس كريم النسب.

(٣٤) من لجيم: القائد ثعلبة بن سيار.

(٣١)، (٣٢) الزعيم الحارث بن الوضاح.

(٣٥) القائد الجريح الهارب ابن قران.

ومن هذه المواطن نرى أن المفضل أنصف أعداءه، وذكر بسالتهم وأثنى على شجاعتهم، بيد أنه فخر بقومه أكثر من أعدائه، في بعض الأحيان ويعود ذلك إلى أن قبيلته هي المنتصرة على لجيم.

وليست قصيدة المفضّل هي الشعر المنصف الوحيد بين أشعار عبدالقيس فهناك مفضلية ثعلبة بن عمرو التي يقول فيها[1]:

أخي وأخوك ببطن النسير ... ليس به من معد عريب
فأقسم بالله لا يأتلي ... وأقسمت إن نلته لا يؤوب
فأقبل نحوي على قدرة ... فلما دنا صدقته الكذوب

(١) المفضل الضبي: المفضليات ٢٥٤ .

فـــتـــبـــعـــتـــه طـعـنـة ثرة
يســيـل على الوجــه منهــا صــبـيـب

يحدثنا ثعلبة بأن رجلاً قتل أخاه، فقام يأخذ بثأر أخيه والتقى مع عدوه في منطقة النسير[1]، وهي من بلاد عبدالقيس، ولم يكن سواهما في هذه المواجهة فأقسم عدوه على أن ينال منه، وأقسم الشاعر إن ظفر بعدوه أن لا يعيده للحياة ويصف ثعلبة قدرة عدوه، فهو صلب قوي لكنه عندما أقبل خدعته نفسه، فلم يكن يدور في حسبانه أنه يواجه فارساً أشد منه قوة وأمضى بأساً، ويقبل الشاعر على عدوه، فيطعنه طعنة نجلاء، تدفق دمه غزيراً على أثرها.

وفي هذه الأبيات نجد إنصافاً حربياً لكنه على صعيد فردي بينما لاحظنا أن منصفة المفضل كانت من الإنصاف القبلي، ومواطن الإنصاف في هذه المفضلية تكمن في أن عدو الشاعر أقسم أن ينال منه، وتقدم نحوه بصلابة وقدرة، وأقسم الشاعر أن ينهي حياة عدوه فأقبل عليه مغواراً وكان أقوى مراساً منه، وأصلب قتالاً، وسجل سبقه في طعنة موفقة أسالت دم عدوه، مسجلاً نصر الشاعر عليه.

وهكذا نجد عند العبديين أشعاراً منصفة تعكس لنا صورة صادقة عن روح الفارس العبدي وتصور لنا سمو خلقه وشيمه، وصدقه، فهو أبداً، معتز ببطولاته، فخور بشجاعته، تياه ببسالة قومه، لكنه في ذات الوقت ينصف أعداءه، ويسجل مواقفهم البطولية، وقدرتهم القتالية.

لم تكن حرب طريف بين عبدالقيس ولجيم هي الحرب القبلية الوحيدة لكنها كانت أهمها وأشهرها، وتحدثنا الأخبار عن أيام حربية أخرى لعبدالقيس[2] بعضها ذكره الشعر والبعض الآخر لم تصلنا أشعاره.

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٨/٢٨٧ .

(٢) انظر: صلات عبدالقيس مع القبائل الأخرى.

وفي شعر العبديين إشارات خفيفة إلى وقائع حربية مع القبائل فالشاعر عمرو بن أسوى يقول[١]:

شحطنا إياداً عن وقاع فقلصت

وبكراً نفينا عن حياض المشقر

إنه بلاغ إلى عمرو بن قيس بأن يصبر على الحرب، ويثبت أمام الأعداء فلا جزع ولا خوف، فالعبديون أهل حرب وبأس، حاربوا إياداً وأبعدوها إلى العراق[٢] وقاتلوا بكر بن وائل وأجلوها عن أرض المشقر[٣].

وفي مجال آخر أشار عمرو إلى عنترة حينما قال[٤]:

وتركن عنتر لا يقاتل بعدها

أهل القطيف قتال خيل تنفع

ويبدو أن قتالاً وحرباً قامت بين أهل القطيف من عبدالقيس وبين قبيلة عبس التي أنجبت الشاعر الفارس عنترة.

وفي ميدان الحروب القبلية نجد شاعراً عبدياً يتحدث عن ذات الرمث[٥] فيقول[٦]:

بذات الرمث إذ خفضوا العوالي

كأن ظباتها لهبان جمر

رميتهم بوجرة إذ تواصوا

ليرموا نحرها كثباً ونحري

---

(١) المرزباني: معجم الشعراء ٤١ .

(٢) البكري: معجم ما استعجم ٨٦.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٦٤/٨ مطبعة السعادة.

(٤) نفس المصدر ١٣٠ .

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٦٨/٣ والرمث مرعى من المراعي.

(٦) المفضل الضبي: المفضليات ٦٨ .

فـلــم أنــكــل ولــم أجــبن ولــكــن
يممت بـهــا أبا صــخــر بن عــمــرو
شككت مــجـــامع الأوصـــال منه
بـنـافـــــذة علـى دهـش وذعـــــر
تـركت الـرمـح يـبـــرق فـي صــلاه
كـــأن سنـانه خـــرطـوم نـســـر

هذا الشاعر فارس في قائمة فرسان الحرب العبدية، وهو يتحدث عن معركة دارت بينه وبين أعدائه، من بني القين من قضاعة[1]، إذ أقبل شاعرنا على أبي صخر بن عمرو القيني فشك مجامع أوصاله، برمح صلب نفذ من ظهره، وكأنه خرطوم نسر، واستمر الشاعر مفتخراً بشدة ضرباته، فلم يجبن ولم يتمايل وإنما مضى يوجه طعنة نافذة إلى صدر عدوه، ويغيب نصل رمحه، في مواطن أوصاله ومجامع أعضائه، ولقد ركزت الأبيات على استخدام الرماح «العوالي» في هذه المعركة وذلك دليل على أهمية هذه الأداة الحربية زمن الجاهلية، وبالذات على أرض عبدالقيس وقد أشرنا إلى صناعتها من قبل العبديين[2].

صور أخرى من القتال:

عرفنا الحرب السياسية والحرب القبلية، ونعرض الآن لوناً آخر من حروب العبديين وقتالهم ويضم هذا اللون الحرب من أجل الثأر، والحرب الفردية وأنماطاً أخرى، فحريث الشاعر العبدي يقول[3]:

قـــد الـتـــقـــينـا وكـــلانـا حــر
جـــــوّاب أرض فـي يـديـه شـــــر
مـــــهـنـد مـنـه الـردى يـخــــر
الأمـنـا الـيـــــوم الـذي يـفـــــر

(١) الأنباري: شرح المفضليات ٢١٢، كحالة: معجم القبائل ٩٥٧/٣ .
(٢) انظر: فصل الصناعة.
(٣) البحتري: الحماسة ٣٩ .

إنها صورة الفارس العبدي يلتقي بعدوه، وهو يجوب الأرض ويقطع المسافات يحمل الشر والأذى، يقطر الموت من سيفه ويجابه المنية فلا مهرب ولا مفر، فهو مقدام مغوار، وكيف يهرب من عدوه! وأنى له أن يسلك سبيل الفرار إنه عار وأي عار!.

ومالك بن عروة يقول[1]:

ولا تحسبوا أنّا نسينا بحابل
حريز الندى والعسكر المتبددا
ولا تستريثونا فإنا كاننا
وسمر العوالي فيكم اليوم أو غدا

هذا فارس لا ينسى ثأره وسمر عواليه ستصل إلى أعدائه، وتنال منهم إن عاجلاً، أو آجلاً فهو لا يغفل عن عدوه، لكنها المهلة والتريث.

وسلمة بن حبابة يصر على أخذ ثأره فيقول[2]:

إني أنا المرء لا يعطي على ترة
ولا يقر على الضيم إذا غشما

والرجل العبدي يضرب بشدة، ويحمل بعنف عندما يلقى أعداءه، يقول الجمال العبدي[3]:

ومستلحم بادي النواجذ قد رأى
حياض المنايا والرماح شوارع
عطفت عليه والرماح كأنها
خلال القنا قرن من الشمس طالع

فالشاعر عطف على عدوه والرماح مشرعة، والمعركة محتدمة، فنال منه رغم كثافة الرماح، وهي نفس الصورة التي ذكرها عنترة في معلقته وهو يتقدم من الكماة الفرسان ويصيب منهم مقتلاً[4]:

(١) البحتري: الحماسة ٣٠.
(٢) نفس المصدر ٢٧.
(٣) نفس المصدر ٤٦.
(٤) ديوان عنترة ٢٦.

ومــــدجج كــــره الـكـمـــــاة نزالـه
لا ممعن هرباً ولا مـــســـتـــسلم
فــــشكلت بـالرمح الأصم ثـيـــابـه
لـيس الـكـريم عـلـى الـقـنـا بمـحــــرَّم

والطعن عند الفارس العبدي باسل قوي يقول عمرو بن سلمة(١):

مـــازلـت أضـــربه وأنـعـى مـــالـكاً
حـــتى تركت ثيـــابه كـــالخـــيـــعل
وتـركت مـــســنده ومــــوضـع رحـلـه
طيــــراً تـوقـع حــــولـه كـــالـنـزل
تجــري الدمـــاء على مــحـــاسن وجـــهـه
والنفس ســاجـــمــة كـمـــاء المفـصـل

فعمرو يضرب عدوه وقاتل أخيه، بعنف، حتى اصطبغت ثيابه بالدماء وجرت على محاسن وجهه، وهو طريح الأرض وقد تداعت الطير ووقعت عليه تأخذ طعامها من جسده.

والشاعر مالك بن ثعلبة يتحدث عن بطولات قومه فيقول(٢):

تركنا شـــريحـــاً قـــد علتـــه بصـــيـــرة
كـــحـــاشـــيـــة البُـرد الـيـمـــاني المحـبـر
ونحن فـــجـــعنا أم غـــضـــبـــان بابنهـــا
ونحن كـــســرنا الرمـح في عـين حـــبـــتـــر
ونحن تركنا مـــســـمـــعـــاً مـــتـــجـــدلاً
رهـينة ضـــبـع تعـــتـــريه وأنســـر

فمالك يتحدث عن انتصارات قومه الذين صرعوا شريحاً، وابن أم غضبان ومسمعاً أما شريح فقد سقط إلى الأرض يتخبط بدمائه التي شبه احمرارها بالثوب اليماني

(١) ابو تمام: الوحشيات ١٨.
(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ١١٥.

المخطط، وقد اشتهرت عبدالقيس بالأثواب الحمراء[1]، أما أم غضبان فقد فجعت بولدها بعد أن دق عنقه وكسر الرمح في عينيه، والرجل الثالث مسمع وقع يتخبط في دمه وترك صريعاً فريسة للضباع والنسور.

وبنو محارب من عبدالقيس، أشداء، أقوياء واسمهم يدل على الحرب والقتال يقول شاعرهم[2]:

معاقلنا في الحرب جرد كأنها
أجادل في جو السماء كواسر
وسمر من الخطى ذات أسنة
وبيض كأمثال البروق بواتر
إذا ما انتضيناها ليوم كريهة
رأيت لها هام العدى تتطاير

فالخيول سريعة وكأنها نسور خاطفة والرماح سمراء من الخط[3] والسيوف بواتر، حادة القطع تضرب رؤوس الأعداء، فتتناثر هنا وهناك، إنها صورة رائعة أن تتطاير الرؤوس، وتدق الأعناق.

واشتركت المرأة العبدية في القتال والحرب فأثارت الحماسة، وزرعت الثبات، وألهبت الحمية في النفوس، فابنة حكيم الشاعرة العبدية، وقفت تصرخ بقومها طالبة إليهم أن يكونوا أصحاب سطوة وبأس[4]:

فإن كنتم قوماً كراماً فعجلوا
له جرأة من بأسكم ذات مصدق
فإن لم تنالوا نيلكم بسيوفكم
فكونوا نساء في الملاء المخلق

فالكرام هم الذين يدافعون عن شرفهم وحماهم ويعجلون الموت لأعدائهم وإلا فما الفرق بينهم وبين الخوالف اللواتي يرفلن في أثواب زاهية.

---

(١) انظر: فصل الصناعة.

(٢) ابن الشجري: الحماسة ٦/١.

(٣) انظر: فصل الصناعة.

(٤) البحتري: الحماسة ٣١.

وشاعرة عبدية أخرى تقول مزهوة بقومها[1]:

أبوا أن يفــروا والقنا في نحـــورهم
ولم يبـتـغـوا من رهبـة الموت سُلّمـا
ولو أنهم فـــروا لكانوا أعـــزةً
ولكن رأوا صبـراً على الحـرب أكـرما

هذا الإباء على عدم الفرار، والإصرار على لقاء العدو، والثبات أمامه شيمة عبدية، فالفرار عار ومذمة، إذ عندما تلتهب المعركة، وتوجه القنا للنحور، لابد من الصبر على البلاء، والشدة على المصاب، فلا سلم يصعد به ناجياً إلى السماء، ولا حاجة به إلى الحياة، فإذا ما دعى الردى فالحياة الكريمة والعيش العزيز في ظل الرماح، وهكذا تضيف المرأة العبدية في سجل المآثر الحربية صفحة ناصعة مشرقة.

الأسلحة: استخدم فرسان القتال والحرب في عبدالقيس أسلحة متنوعة هجومية ودفاعية، واهتم شعراؤهم بالحديث عن تلك الأسلحة، فالشاعر ثعلبة بن عمرو يتناول في قصيدة له أنواع الأسلحة ويتحدث عن الخيول فيقول[2]:

وشيـــوهاء لم توشم يداها ولم تذل
فـقـاظت وفـيـهـا بالوليـد تقـاذف
بللت بهـا يوم الصـراخ وبعـضـهم
يـخـب به فـي الحـي أروق شــارف
بيـضـاء مـثل النهى ريح ومـده
شـابيب غـيث يخـفش الأكم صـائف
ومطّرد يرضـيـك عند ذواقـه
ويمضي ولا ينآد فـيـما يصـادف
وصـفـراء من نبع سـلاحي أعـدّها
وأبيض قـصـال الضـريبـة جـائف

في هذه الأبيات يذكر ثعلبة الدروع من الأسلحة الدفاعية، فالدرع عنده بيضاء، ناعمة، ملساء، تشبه في صفائها ماء الغدير الذي أصابته الريح وسقط عليه رذاذ المطر

---

(١) البحتري: الحماسة ٣٧.

(٢) المفضليات ٢٨١.

فرسم فيه دوائر واهتزازات تشبه حلقات الدروع، وقد أشرنا إلى أن عبدالقيس صنعت الدروع الحطمية وغيرها واهتمت بهذه الصناعة كثيراً[1].

ومن أسلحة الهجوم، ذكر الشاعر الرماح، فرمح ثعلبة يعجب كل ناظر إليه يمضي فيخترق ويمزق، وينطلق فلا يتمايل فيما يصادف، ولا يعوج طريقه، فهو رمح سريع القطع، صلب الاختراق.

وقد أشرنا إلى أنواع رماح العبديين[2] وألوانها فهي خطية، سمراء اللون، طويلة الأنصال، عالية القناة، صلبة في طعنها، قوية في نفاذها، لينة في اختراقها، وقد أكثر الشعراء العبديون من ذكر الرماح فمالك بن عروة يتحدث عن العوالي السمراء[3]:

ولا تستريثونا فإنا كأننا
وسمر العوالي فيكم اليوم أو غدا

والرماح سلاح هام في أيدي العبديين تحمل الموت لأعدائهم فالمفضّل يقول[4]:

يهز هز صعدة جرداء فيها
سنان الموت أو قرن محيق

ويؤكد المفضل أهمية رماحهم عندما تجندل قادة الأعداء فرماح بني لكيز تصرع الحارث الوضاح من بني لجيم[5]:

أصابته رماح بني لكيز
فخر كأنه سيف دلوق

والشاعر مسعود يذكر رماح الخط ذات الأسنة الحادة[6]:

وسمر من الخطي ذات أسنة
وبيض كأمثال البروق بواتر

(١) انظر: الصناعة عند عبدالقيس.

(٢) انظر: الصناعة عند عبدالقيس.

(٣) البحتري: الحماسة ٣٠.

(٤) الأصمعيات: ١٩٩.

(٥) نفس المصدر.

(٦) ابن الشجري: الحماسة الشجرية ١/٦.

ثم يتحدث ثعلبة عن القوس، فهي صفراء، صلبة، تصنع من شجر النبع وهو شجر قوي كان الجاهليون يستخدمون أغصانه في صناعة القسي.

وقد ذكرنا أن المفضّل أشار إلى شجر النبع والسدر، فقسي العبديين من النبع، بينما قسيّ أعدائهم من السدر، وشتان بين النبع الصلب القوي، وبين السدر الخوار الضعيف[1]:

وجدنا السدر خوّاراً ضعيفًا
وكان النبع منبته وثيق

وقضيب النبع الذي تعمل منه القوس يسمى الجشيء والفرع الهتوف تؤخذ من أعلى أغصان النبع وتصنع منه القوس الشديدة[2]، ومن هذا نفهم أن أغصان النبع العالية، وأعوادها الرفيعة تقطع وتطرح في الشمس، لتذبل وتتصلب وبعد ذلك تعد لصناعة القسي الجيدة.

ولا أتطاول على الحقيقة إذا ما ذكرت بأن بعض العبديين كانوا يصنعون القسي إلى جانب صناعة الرماح الخطية والدروع الحطمية[3]، ولعل ثعلبة شاعرنا هذا قد قام بصنعها فهو يذكر لنا أنه يعد سلاحه من النبع «من نبع سلاحي أعدها» ونفهم من الفعل أعدها أنه يصنعها ويهتم بها ويحافظ عليها.

وجاء في شعر للمزرد أخي الشماخ[4]:

لنعت صباحي طويل شقاؤه
له رقميات وصفراء ذابل

والصباحي رجل من بني صباح نزل ضيفاً على الشاعر وكان لديه سهام ويحمل قوساً قطع عودها وطرحت في الشمس حتى ذبلت.

---

(١) الأصمعيات: ١٩٩ .

(٢) المفضليات: ٣٠٩، ٤٢٤ .

(٣) انظر: الصناعة عند عبدالقيس.

(٤) المفضليات: ٩٩.

وبعد ذلك يتحدث ثعلبة عن السيف فهو ناصع البياض، قطاع في ضربه، حتى أنه ليبلغ الجوف.

والسيف أهم أسلحة الجاهليين، وذكرت الأخبار أنه صنع في أماكن مختلفة أشهرها اليمن والهند وقد أكد الشعراء ذلك، قال المزرد[١]:

وأملس هندي متى يعل حده

ذرى البيض لا تسلم عليه الكواهل

ويذكر عنترة السيف اليماني إلى جانب الرماح الخطية إذ يقول[٢]:

بأسمر من رماح الخط لدن

وأبيض صارم ذكر يمان

ويبدو أن مشارف قرية باليمن كانت تصنع السيوف وفي «العمدة»[٣] و«ليس قول من قال إنها منسوبة إلى مشارف الشام أو مشارف الريف بشيء عند العلماء»، يقول عنترة[٤]:

نجيد الطعن بالسمر العوالي

ونضرب بالسيوف المشرفية

وقد برع شعراء العبديين والجاهليين في وصف السيوف، والفخار بها، فقد ورد في أشعارهم «وذا غرب أحذ ضروساً»، و«مهند منه الردى يخر»، و«بيض كأمثال البروق بواتر» و«هجمت بحد سيفي»[٥]، واذا كانت عبدالقيس قد قامت بصناعة الرماح والدروع فلا نستغرب صناعة السيوف على أرضها كذلك.

وإلى جانب أسلحة الحرب وأدوات القتال يرد ذكر الخيول أهم وسيلة لحمل فرسان العبديين وسط المعركة، فقد ذكر ثعلبة أن فرسه صحيحة الجسم، سليمة الأعضاء، فلم يلحقها ضرر، ولا افترستها الأمراض، ولذا فهي سريعة العدو، وعليها يلبى نداءات قومه، واستغاثاتهم عند النفير.

---

(١) المفضل الضبي: المفضليات ٩٩.

(٢) ديوان عنترة: ١٧٩.

(٣) ابن رشيق: العمدة ١٧٩/٢ .

(٤) المفضل الضبي: المفضليات ٣١٩ .

(٥) انظر: ديوان عبدالقيس.

والاهتمام بالخيول الأصيلة شيمة عربية، وميزة عبدية، فقد حرصوا على أن تكون خيولهم أصيلة، سريعة، قوية، فاعتنوا بها عناية فائقة وقدموا لها الغذاء الجيد، وأعدوها إعداداً سليماً للقاء الأعداء، وهم على حق في حرصهم على الخيل، وفي إعزازهم لها، يقول يزيد بن الخذاق عن فرسه سبحة[1]:

أعـــددت ســبــحـــة بعــدمـــا قــرحـت
ولبـــــــست شكـة حــــــازم جـلـد

وهذا الإعداد تناول فرساً آخر له تسمى «الشموس»[2]:

ألا هـل أتـاهـا أن شـكـة حــــــازم
لـدي وانـي قـــد صنعت الشـــمـــوسـا

والإعداد وصناعة الخيول تتناول المداواة والعلاج[3]:

وداويتـــهـا حـــتى شـتـت حـبـشـيـة
كــأن عليـــهـا سندســاً وســديســا

فالدواء هو تضمير الخيول، لتصبح أكثر سرعة ومرونة في القتال، فكانت فرس يزيد تتناول غذاء جيداً من العشب الأخضر، وأصبحت مثل تيس الربل الذي يبدو أنشط من غيره لما اتصل له من المرعى الجيد، والشموس تعدو على قوائم خفيفة نتيجة هذا الغذاء الجيد.

ويقول ثعلبة في موطن آخر ذاكراً الدواء[4]:

وأهـلـك مـــــــهــــــــر أبـيـك الـدواء
لـيـس لـه مـن طعـــــام نـصـــــيـب

ويقول أيضاً في فرسه عجلى[5]:

فــــأعـــددت عـــجـلـى لحـــسن الدواء
لم يـتـلـمـس حــــشـــاهـا طبـــــيـب

(١) المفضليات ٢٩٥.
(٢) نفس المصدر ٢٩٧.
(٣) نفس المصدر ٢٩٧.
(٤) نفس المصدر ٢٥٣.
(٥) نفس المصدر.

وأراد ثعلبة أن ترك التضمير هو الذي أهلك المهر وأن الإعداد والرعاية الحسنة والعلف الجيد هي التي جلعت فرسه عجلى سليمة نقية لا عيب فيها ولا تحتاج إلى طبيب أو علاج.

وكانت الخيل تستخدم في الحرب فتدوس الأعداء وقد أشار المفضل لذلك فقال(١):

ودسناهم بالخيل من كل جانب
كما جرد الجارود بكر بن وائل

وكانت خيول العبديين كثيرة وأشهرها سبحة والشموس، فرسا يزيد بن الخذّاق، وعجلى وشوهاء من خيول ثعلبة بن عمرو، والهرواة وهي فرس مشهورة للريان بن حويص وفيها قال عمرو المحاربي(٢):

فيا من رأى مثل الهراوة منكحاً
إذا بل أعطاف الجياد جروح

وفرس أبي عفراء المحاربي العنز(٣):

دلفت لهم بصدر العنز لما
تحامتها الفوارس والرجال

وفرس ابن سنان المحاربي قدام قال فيها(٤):

وعلى قدام حملت شكة حازم
في الروع ليس فؤاده بمثقل

واشتهر بنو عامر بن الحارث من عبدالقيس بكثرة خيولهم، وكذلك بنو محارب، وكان هذا سبباً في أنَّ القبائل كانت تهابهم وتخشاهم، ومن جانب آخر ومن شعر الخيول، ندرك أن العبديين كانوا فرسان الحروب وأن أسلحتهم كانت هجومية تلائم فروسيتهم في هذا الميدان.

---

(١) ابن دريد: جمهرة اللغة ٦٤/١ .

(٢) ابن الكلبي: أنساب الخيل ٩٠ .

(٣) ابن الكلبي: أنساب الخيل ٨٩.

(٤) ابن الأعرابي: الخيل ٨٤، الجاحظ: الحيوان ٢٧٥/١ .

إن ما ذكره ثعلبة من الأسلحة ، وأدوات الحرب من درع ورمح وقوس وسيف، إلى جانب الخيل، كل ذلك يشكل عتاد المقاتل العبدي، بل في الحقيقة هو عتاد المحارب العربي بشكل عام إذ بهذا السلاح كان الفارس يرتاد أماكن القتال، ويشهد مواطن اللقاء[1]:

به أشهد الحرب العوان إذا بدت
نواجذها واحمرّ منها الطوائف

ومن البدهي أن يتحدث العبديون عن أسلحتهم حديث المفتون بها[2] لأنها القوة التي يعتمدون عليها، والأسلحة التي وصفوها قسمان: أسلحة الهجوم، كالرمح والقوس والسيف، وأسلحة الدفاع كالدرع والترس، فالعبديون أجادوا وصف أسلحة الهجوم وأكثروا من ذكرها.

ويمكننا أن نشير إلى ناحية هامة، وذلك أن رؤساء عبدالقيس اهتموا اهتماماً زائداً بجمع الأسلحة وخزنها، لاستخدامها وقت الحاجة فقد درج بعض السادة في الجاهلية على شراء السلاح، وخزنه، وتوزيعه على أفراد القبيلة عند الغزو وفي المعارك والحروب[3]، وكان هذا شأن ثعلبة فهو فارس شاعر، زعيم في قومه[4]، وإلى جانب تلك الأسلحة استخدموا النبال والسهام، فقال المفضل[5]:

كأن النبل بينهم جراد
تكفيه شآمية خريق

واستخدموا شكة السلاح التي يبدو أنها كانت مجموعة من عتاد الفارس المحارب:

---

(١) المفضل الضبي: المفضليات ٢٨١ .
(٢) الدكتور يوسف خليف: الشعراء الصعاليك ص ٢٠٠ .
(٣) الدكتور جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤٠٣/٥ .
(٤) القناوي: الوصف في الشعر الجاهلي ٢٧٤ .
(٥) الأصمعي: الأصمعيات ١٩٩ .

أعـــددت ســبـــحـــة بـعــدمـــا فـــرجـت
ولـبـــــــست شكـة حـــــــازم جلـد[1]

ألا هـل أتــاهــا أن شـكــه حـــــــــازم
لـدي وأني قـــد صنعت الشـــمـــوســـا[2]

وعلـى قـــدام حـــمـلـت شكة حـــازم
فـي الـروع لـيـس فـــؤاده بمـثـــــقل[3]

وفي نهاية المطاف مع شعر الحرب والقتال، نصل إلى مجموعة من المزايا والنتائج تتمثل في عنف الثورة وصلابة التمرد والتحدي لملوك المناذرة وسلطان الحيرة، وقد مثل هذه الثورة بكل أبعادها وأعماقها الشاعران يزيد بن الخذاق وأخوه سويد.

ونجد عند العبديين شجاعة وبأساً وإقداماً، لا يفرون، ولا يستسلمون، يجيدون الطعن ويحسنون أساليب القتال، وعندهم إصرار على أخذ الثأر والنيل من القتلة، وهذا الإصرار مطلب هام في المجتمعات الجاهلية، ويمثل كل هذه المزايا عندهم شعر اللقاءات الحربية الفردية والقبلية.

واهتم العبديون بذكر أدوات القتال، والأسلحة إلى جانب العناية بالخيول المقاتلة، وتربيتها تربية ممتازة، والخيول والأسلحة الأخرى عتاد الفارس العبدي، وأهم هذا العتاد عندهم الرماح من أسلحة الهجوم والفروسية، واهتمامهم بالرماح والخيول دليل أكيد على أن المحارب العبدي كان فارساً مهاجماً في مواطن اللقاء، والأيام الحربية.

ولابد لنا بالإضافة إلى كل ما ذكرنا، أن نشيد بمزية الإنصاف والعدل في منصفاتهم الشعرية التي سجلت بطولات الأعداء، ومواقفهم الحربية وقدراتهم القتالية.

(١) المفضل الضبي: المفضليات ٢٩٥ .
(٢) نفس المصدر ٢٩٧ .
(٣) الجاحظ: الحيوان ١/٢٧٥ .

شعر السلام والإصلاح:

عرفنا فرسان المدرسة الحربية في عبدالقيس، وقتالهم في مختلف النواحي وشتى الاتجاهات، ونأتي إلى شعراء السلام والإصلاح، فالحرب يعقبها سلام ووئام، ويتبعها إصلاح واستقرار ولابد بعدها من تعقل واتزان، ولذا كان الأمر يتطلب وجود مدرسة سلمية – إذا جاز التعبير – يكون شعراؤها متعقلين لا متهورين، ومصلحين لا ثائرين، يمضون إلى جمع الشمل ويسعون إلى رأب الصدع، وإصلاح ذات البين، ويعملون على إنهاء الخصام والعداء.

وإذا ما مضينا نتلمس وجود مثل هذه المدرسة السلمية، فإننا نذهب مباشرة إلى الشعر، نستأذنه ونبحث فيه، ونأخذ منه، ما يوصلنا إلى شعرائها.

في قصيدة المثقب النونية يخاطب الشاعر الملك عمرو بن هند[1]:

إلى عمرو ومن عمرو أتتني
أخي النجدات والحلم الرصين

ينعت المثقب ممدوحه بالنجدة والحلم، وسعة الصدر، لكنه بعد ذلك يعاتبه عتاباً حول أمر يريد فيه رأى الملك صريحاً واضحاً، إذ إنه في مثل هذه الأمور لا يقبل مساومة ولا مهادنة، فإما صداقة ومودة أو جفاء وعداوة.

فما هو هذا الأمر الذي تحدث عنه الشاعر؟ ولماذا يريد من الملك فصلاً في القول، وحزماً في الرأي، وصراحة في الموقف؟.

وقبل أن نجيب نمضي إلى قصيدة أخرى يقول فيها المثقب[2]:

فإن أبا قابوس عندي بلاؤه
جزاء بنعمى لا يحل كنودها

(١) ديوان المثقب العبدي ص ٢٠٨ .

(٢) ديوان المثقب ص ١٠٢، ١٠٣ .

وجـــــدت زنـاد الصـــــالحين يمـينـه

قـــديمـاً كـــمـــا بذ النجـــوم ســعـــودها

فالشاعر يمدح أبا قابوس وهو النعمان بن المنذر ابن أخي عمرو بن هند، ويتحدث عن نعمة جزيلة أسديت إليه فلا ينكرها، وإنما هو يمدح ويشكر، والنعمان عنده من شجرة نسب أصيلة، ودوحة كريمة، فاق سائر الملوك.

وإذا ما ذهبنا نتلمس أسباب المدح وأسرار الثناء نجد أمراً هاماً دفع بالمثقب إلى هذا المدح وهو يفصح عنه في الأبيات التالية:(١)

فـــإن تك منا في عـــمـــان قـــبـــيلة

تـواصـت بـاجـنـاب وطـال عـنـودهـا

فـقـد أدركـتـهـا المدركـات فـأصـبـحـت

إلى خـيـر من تحت الســمـاء وفـودها

ويكشف المثقب النقاب عن سبب المدح، ذلك أن قبيلة من عبدالقيس وربما كانت في نكرة ثارت على سلطان المناذره، وتمردت عليهم، واستمر ذلك زمناً، وقد عرفنا أن النعمان أرسل كتيبة الجأواء أو دوسر فأخضعت البطون المتمردة، وأسرت قسماً من العبديين(٢) ولذا جاءت وفودها إلى النعمان خير من تحت السماء، ويمضي الشاعر في مدح النعمان قائلاً(٣):

إلى ملك بذّ الملوك بســـعـــيـــه

أفـــاعـــيله حـــزم الملوك وجـــودها

فالنعمان فاق الملوك في نسبه الكريم، وحزمه الشديد، وجوده الكبير ورأيه السديد، وقد بالغ في المدح عندما جعله في الأبيات السالفة من دوحة أصيلة، وأنه خير من تحت السماء لكن هذا مقبول الآن في معرض الأمر الذي يريده المثقب ويسعى إليه، وبعد أن

(١) نفس المصدر ص ١٠٥ .

(٢) انظر: فصل الحرب.

(٣) ديوان المثقب: ١٠٤ .

التمس المثقب العذر للقبيلة الثائرة، وبعد المدح والثناء الذي ساقه للنعمان بدت الطريق ممهدة أمام مطالب الشاعر، والتي هي مطالب عبدالقيس فأقدم وقال[1]:

فــأنعم ابيت اللعن انك أصــبــحت
لديك لكيــز كــهلهــا ووليــدها
واطلقـــهم تمشي النســاء خــلالهم
مــفككة وسط الرجــال قــيــودها

الآن يطلب الشاعر من النعمان إطلاق سراح الأسرى والعفو عنهم لتفرح النساء ويبتهج العبديون.

والذي نفهمه أن المثقب قام مع وفد من عبدالقيس، فزار النعمان بن المنذر وطلب إليه باسم الوفد إطلاق سراح الأسرى، وكان الوفد العبدي يتألف من الشيوخ والشباب، ومن النساء والصغار، فقد اشترك فيه الكهل والوليد، وكان كثير العدد حتى بدا وكأنه وفود لا وفد واحد، وقد نقلت إلينا الأخبار أنه قد اشترك في الإصلاح والوساطة أيضاً رجال مشهورون من عبدالقيس أمثال خالد بن أنمار بن الحارث أحد بني أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن عبدالقيس[2] وأيضاً أسيد بن عمرو[3] ويبدو أنهما كانا من المقربين من النعمان.

وقد نجح الوفد، وأثمرت الوساطة، فأطلق سراح الأسرى وكان من بينهم ابن أخت المثقب، الشاعر شأس بن نهار، وقد ابتهج الوفد، وفرحت النساء، ولهج لسان الشاعر بالثناء والشكر.

ونتوقف الآن لنرى موقف المثقب من الملكين ابن هند والنعمان، فموقف الشاعر من ابن هند فيه قسوة العتاب، وعناد الموقف، بينما اختلف الأمر مع أبي قابوس، فكان الهدوء والاتزان والشكر والمدح، والذي أراه أن عمرو بن هند لم يكن واضحاً وصريحاً في مواقفه

(١) ديوان المثقب العبدي ص ١٦٦ .
(٢) نفس المصدر ص ٢٢١ .
(٣) نفس المصدر ص ٢١٧ .

مع عبدالقيس، وإنما كان يعتدي ويجور ويسفك الدماء، ويسيء إلى القبائل، ويوجع رجالاتها، أما النعمان فإنه رغم ثورة العبديين، وإيذاء شعرائهم له، فقد منّ على أسرى القبيلة بالعفو وأطلق سراحهم(١).

من استعراضنا لعلاقات المناذرة مع عبدالقيس، نجد أن المثقب شخصية هامة وكبيرة في عبدالقيس، وفي مدرسة السلام والإصلاح بالذات، لم لا وهو الذي يدافع عن القبيلة ويحفظ عليها كرامتها وكيانها، فقد كان يقوم بدور السفير بينهما وبين حكام المنطقة من المناذرة، وبينها وبين أعدائها، لقد ارتفع فوق الجراح، رغم أن ضربة النعمان كانت قاسية، وأن مصاب العبديين كان أليماً، لكنه كظم غيظه، ونظر بعين بصيرة، فلم يثر ثورة يزيد وسويد الشاعرين الشنيين، ولم يهاجم الملوك مهاجمة علنية عنيفة، وإنما راح يداوي الجراح، ويرأب الصدع ويتخذ من الصبر ومكارم الأخلاق سبيلاً يدفع عن قبيلته استمرار السوء والأذى فهو يقول(٢):

فإن تك أموالٌ أصيبت وحُولت
ديار فقد كنا بدارٍ نُقيمها
نعد لأيام الحفاظ مكارماً
فعالاً وأعراضاً صحيحاً أديمها

فلئن أصاب العبديين هذا الخطب الجلل فإنهم كانوا يحمون ديارهم ويردون غارات أعدائهم(٣):

ونحمي عن الثغر المخوف ويتقى
بغارتنا كيد العدى وضيومها

والذي أصاب العبديين فوق استطاعتهم، والمناذرة أصابوا كثيرين غيرهم، فأي قوم لم يستبح حماهم، ولم توجع الغارات قبائلهم؟

---

(١) ديوان المثقب العبدي ص ٢١٧ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٥٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٥٣ .

وأي أناس لا يبـــــيح بقـــــتله

يوازي كبـيدات السـماء عمودها

لقد كان المثقب رجل حكمة وإصلاح، وشاعر هدوء وسلام، وأهّله لذلك خلقه الكريم، وصفاته الحميدة، وكذلك نسبه في أسرته التي اشتهرت بالإصلاح والتحكيم، ولهذا عددناه في أول قائمة مدرسة السلام والإصلاح من عبدالقيس.

ولقد عرفت الجاهلية السفارة، وما يسمى بالوساطة للإصلاح، فالحرب عندما تشتعل، تزهق الأرواح، ويحدث دمار وخراب، ولذا تستيقظ في النفوس نوازع الخير والسلام، وتنزع إلى السلم والإصلاح، وقد عرفنا من سفارة الجاهلية هرم بن سنان، والحارث بن عوف اللذين أصلحا بين عبس وذبيان وتحملا ديات القتلى، وسجل ذلك الشاعر زهير بن أبي سلمى في ميميته الشهيرة(١).

ولا يفوتني أن أسجل أن المثقب لم يكن شاعراً مداحاً يتكسب بشعره وإنما استخدم المدح كما استخدمه زهير في الإشاده بالأفعال الحميدة، والخلال الكريمة، ومناحي الخير التي تعود على القبيلة بالنفع الجزيل، ومن هذ المنطلق كان رأينا أن يكون المثقب الشاعر الأول في مدرسة السلام التي أشرنا إليها.

ومع المثقب في قائمة مدرسة السلام والإصلاح، كان الممزّق العبدي الذي راح يمدح المناذرة من أجل العفو عنه، وعن أسرى قبيلته، يقول الممزق(٢):

تروح وتغـــدو مـــا يحل وضـــينهـــا

إليك ابن مــــاء المزن وابن مــحـــرّقِ

علوتم ملوك الناس في المجـــد والتـــقى

وغـــرب ندى من عـــروة العـــز يســـتـــقي

وأنت عـــمـــود الدين مـــهـــمـــا تقل نقل

ومـــهـــمـــا تضع من باطل لا يلحق

(١) ابن الأنباري: شرح المعلقات السبع الطوال ص ٢٨٤، وديوان زهير ٩١.

(٢) الأصمعي: الأصمعيات ١٦٤.

وإن يجنبوا تشجع، وإن يبخلوا تجد
وإن يخرقوا بالأمر تفضل وتفرق

في هذه الأبيات مدح الممزق ملكاً من ملوك المناذرة، فلم يذكر لنا اسمه، لكنه قال عنه إنه ابن ماء المزن، وإبن محرق، وإن هذا الممدوح ملك تقي، وصاحب منزلة رفيعة، ومجد أثيل، وعزة قعساء، وهو شجاع مقدام إذا جبن الآخرون، وجواد معطاء إن تخلف البخلاء وعادل حازم في أمور كثيرة، يفصل بين الحق والباطل.

فمن هو ممدوح الشاعر هذا؟ ولماذا قام الممزق يمدح ابن ماء المزن وابن محرق؟ والأخبار[1] تشير إلى أن ابن ماء المزن هو المنذر الأكبر بن امرئ القيس ملك المناذرة، وأنه والد الملك عمرو بن هند وحكم هذا المناذرة تسعة وأربعين عاماً، أما ابن محرق فهو الحارث ابن عمرو بن عدي وحكم مدة طويلة قبل المنذر[2] وفي الأصمعيات [3] «أن عمرو بن هند همّ بغزو عبدالقيس فقال الممزق هذه القصيدة فانصرف عن حرب العبديين».

فهل عني الشاعر بابن ماء المزن وابن محرق الملك عمرو بن هند؟ أم أن هذا الممدوح من نسل المناذرة؟ وإذا لم يكن عمرو بن هند فمن يكون إذن وفي بقية أبيات الأصمعية يقول الممزق[4]:

أحقاً أبيت اللعن أن ابن فَرتنا
على غير إجرام بريقي مُشرّقي
فإن كنتُ مأكولاً فكن خير آكلٍ
وإلا فأدركني ولما أمزّق

(١) الدكتور جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٠٧/٣ .
(٢) تاريخ اليعقوبي: ١٦٩/١ .
(٣) الأصمعيات: ص ١٦٤ .
(٤) نفس المصدر ص ١٦٥ .

ومرة أخرى ترك المزق اسم ممدوحه مجهولاً واستخدم التحية التي كانت تستعمل للملوك المناذرة، وهي أبيت اللعن، ونتساءل هل «أبيت اللعن» قيلت لعمرو بن هند كما ذكرت «الأصمعيات»؟

وقبل أن نقرر أن ممدوح الممزق كان عمرو بن هند أو غيره نمضي مع بقية أبيات الأصمعية[1]:

أكلفتني أدواء قوم تركتهم
وإلا تداركني من البحر أغرق
فإن يتهموا انجد خلافاً عليهم
وإن يعمنوا مستحقبي الحرب أعرق
فلا أنا مولاهم ولا في صحيفة
كفلت عليهم والكفالة تعتقي
وظني به أن لا يكدر نعمة
ولا يقلب الأعداء منه بمعبق

في هذه الأبيات يشير الممزق إلى قوم يبدو أنهم أذنبوا مع الممدوح وأن الممزق قد اشترك معهم في هذا الذنب فهو يتنصل منه ويبرأ من أعمال أولئك القوم، ويلتمس من ممدوحه أن لا يأخذه بافعالهم.

والممزق يؤكد أنه لم يفعل فعلتهم، وأنه سيخالفهم لا محالة، فإذا وردوا تهامة، فإنه سيأتي نجداً، وإذا ذهبوا إلى عمان، فسيمضي إلى العراق، ومعنى ذلك أنه يؤكد للممدوح عدم اشتراكه معهم ويتنصل من السير وراءهم، ويؤكد لنا أن أولئك القوم أرادوا محاربة الممدوح لكنه ينفي صلته بهم، وارتباطه معهم بعقد مكتوب، أو صحيفة مدونة تدينه، وتثبت اشتراكه، بل هو لم يتكفل بالعمل معهم، ويجأر بالشكوى أمام ممدوحه قائلاً لست مرتبطاً معهم بأية كفالة، ولابد لنا من أن نقرر أن الممزق كان في حل من كل ما يربطه بأولئك القوم الذين أذنبوا مع الممدوح، والآن من هؤلاء القوم الذين ثاروا وأذنبوا؟ وقد أشرنا فيما مضى

(١) المصدر السابق.

إلى أن قوماً من النكريين ثاروا في عمان على النعمان بن المنذر وأن الممزق كان أسيراً من الأسرى[1]، وهنا يبدو الأمر جلياً واضحاً في أمر هؤلاء القوم، فهم إذن من عبدالقيس والشاعر بالتأكيد كان يشرح للنعمان موقفه من أولئك الثائرين، ولقد اتضح أمامنا الآن أن ممدوح الممزق ليس عمرو بن هند وإنما هو النعمان بن المنذر ويؤكد هذا الزعم عندنا أن صاحب «الحماسة البصرية»[2] قال: «قال شأس بن نهار هذه القصيدة يمدح النعمان بن المنذر الأكبر وكان همّ بغزو عبدالقيس».

فالبصري يذكر أن القصيدة قيلت في مدح النعمان بن المنذر ويؤكد هذا ابن منظور[3] الذي يقول في معرض الحديث عن بيت الممزق التالي:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل

وإلا فأدركني ولما أمزق

إن النعمان قال عندما سمع البيت «لا آكلك ولا أدع غير يأكلك» وزيادة في التأكيد يذكر الممزق في قصيدة أخرى له أن الكتيبة الجأواء هي التي سارت لتأديب الثائرين.[4]

وقد أشرنا سابقاً إلى أن الجأواء هي كتيبة النعمان التي أغارت على عبدالقيس، وحتى لا يبقى لدينا مجال للشك في أن الشاعر خاطب في أصمعيته الملك النعمان بن المنذر لا عمرو بن هند فإن «دائرة المعارف الإسلامية»[5] أكدت لنا أن الذي غزا عبدالقيس وأخذ أسراها هو النعمان بن المنذر.

ومن كل هذا نفهم أن الممزق العبدي مدح النعمان بن المنذر وهو الذي عناه بابن ماء السماء، وابن محرق، إذ إن النعمان من نسل هؤلاء الملوك المشهورين، وإن تحية «أبيت اللعن» استخدمت للنعمان بن المنذر أكثر ما يكون وبذلك يثبت أن قول «الأصمعيات» بأن القصيدة كانت موجهة إلى عمرو بن هند ليس صحيحاً.

---

(١) انظر: شعر الحرب والقتال.

(٢) البصري: الحماسة البصرية ١٢٦/١ .

(٣) ابن منظور: لسان العرب ٣٤٣/١٠ .

(٤) المفضل الضبي: المفضليات ٣٠١ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية، مجلد - ١ ص ٧٣.

لقد سار الممزق على ذات الطريق التي سار عليها المثقب، فاتبع مع النعمان أسلوب اللين والهدوء، فلم يصخب صخب الثائرين، ولم يجاهر بالهجاء مجاهرتهم، وإنما أراد أن يبين له عدم اشتراكه مع القبيلة الثائرة، ولسان حاله يقول للنعمان لا تؤاخذني يفعل أناس ابتعدت عنهم، ولا تربطني بهم أية صلة أو علاقة ويستغيث بالنعمان أن يدركه قبل أن يتمزق ويغرق(١):

أكلفتني أدواء قوم تركتهم
وإلا تداركني من البحر أغرق

إنها صرخات متألم متوجع، يطلب إطلاق سراحه، وإنقاذه قبل أن يهلك ويناله الموت، ويبتلعه الردى، فهو أيضاً كالمثقب يطوي نفسه على جراحه، ويؤثر السلامة على الثورة، والسلام على العداوة لم لا والممزق من ذات القبيلة ومن نفس الأسرة التي أخذت على نفسها الإصلاح والدعوة إليه.

والاثنان المثقب وابن أخته الممزق تماسكا على الخطب، وأمسكا عن صيحات الوجع والألم، وراحا يشهدان للنعمان بن المنذر، بأنه واسع الجود قوي البأس، شديد البطش، والتمسا منه العفو والصفح.

ولئن قام المثقب بالسفارة بين قومه والمناذرة فإن الممزق كان أسيراً ولم يستطع أن يفعل مثل ذلك.

ومدرسة السلم والإصلاح، مدرسة متعقلة متزنة تؤثر الوداعة والمسالمة على الثورة والتمرد وقد أدرك شعراء السلم أنهم كانوا ينظرون إلى واقع حياتهم ومجتمعهم من زاوية أخرى مختلفة عن الآخرين، ولعلهم أدركوا قبل غيرهم مدى قوة وصلابة المناذرة وشدة سلطانهم فلا فائدة ولا جدوى من مجابهة الحيرة.

وقد أعطى شعر السلم ثماراً طيبة فقد لاحظنا كيف أطلق سراح الممزق عندما سمع النعمان قصيدته وعندما سمع شعر المثقب، وإن شعر المدح هو «الصحيفة الرسمية» التي كان يصدرها شعراء هذه المدرسة وإنه «اللغة الوحيدة» التي كانت تلقى قبولاً واستحساناً عند سائر ملوك المناذرة.

---

(١) الأصمعيات: ١٦٤.

نظرات في الموت والحياة:

ليس محض صدفة أن يأتي البحتري في حماسته، على ذكر طائفة كبيرة من شعراء عبدالقيس، في شعر يتحدث عن الموت ونظرة العبديين إليه، وهو أمر يعكس نظرة الجاهليين فيه، وآراءهم حوله، (وفلسفتهم) تجاهه، والذي لاشك فيه أن الشعر الجاهلي حفل بأبيات حزينة تكمن فيها مظاهر الطيرة، وتنبعث منها رائحة التشاؤم، فالدهر عندهم سريع التغيير، متقلب الأحوال، والحياة قاسية عسيرة، وسط طبيعة صحراوية جافة، حيث المطر الشحيح، والمرعي القليل في بعض المناطق والمناخات، ولذا قامت نظرة الجاهلي على العلم بيقين الموت والفناء، واعتقد أن وجوده محصور في عالمه المحدود، وأحس إحساساً مخيفاً بالموت وحتم وقوعه[1]، فخطره ماثل في كل أيامهم وأحداثهم يقول الشاعر توبة بن المضرس[2]:

رأت إخوتي بعد ائتلاف تفرقوا
فلم يبق إلا واحداً منهم فرد
تقسمهم ريب المنون كأنما
على الدهر فيهم أن يفرقهم عهد

فالدهر يفرق بين الأخوة، والمنون تأتي عليهم، فتبدل الائتلاف فراقاً والتلاقي بعداً، وتوبة متفجع متحسر يصحو على حقيقة مرعبة، ويطل على واقع مخيف، وجذل بن أشمط يقول[3]:

لا ينفع الهارب الفرار من
الموت إذا ما تقارب الأجل
تعدو المنايا على أسامة
في الخيس عليه الطرفاء والأسل

(١) محمد النويهي: الشعر الجاهلي ص ٣٩٩.
(٢) البحتري: الحماسة ٢٢٨.
(٣) البحتري: الحماسة ص ١٠٠.

كيف ينجو الإنسان من قبضة الموت؟ وأين منه المفر؟ فهو يسرع إليه وهو مدجج بالسلاح، فارس مغوار، إذ لا يكترث الموت بكل هذا.

وفي أبيات أخرى لجذل بن أشمط عن الدهر(١):

وسما فادرك أسعد الخيرات قد جمع العتادا

فاحتطه والدهر يعقب بعد صالحة فسادا

أمم كثيرة طواها الردى، والتهمها الموت فبادت وانتهت، إرم وعاد وإياد وهي قبائل قديمة عاشت على أرض البحرين(٢)، والدهر يغير ويبدل، فبعد أن رفلت تلك الأمم في النعيم، وعاشت حلاوة الأيام وبعد الفلاح والخيرات جاء الموت فأفسد كل صالح وأزال جل نعيم وليست الأمم هي التي أدركها الفناء وإنما ساداتها داؤد وأسعد الخيرات وغيرهما.

وشاعر من عبدالقيس يقول(٣):

ألم تر أن الدهر يوم وليلة

وأن الفتى يسعى بحبليه عانيا

يروح ويغدو والمنية قصده

ولابد يوماً أن يلاقي الدواهيا

إنها حتمية الموت والفناء، فالدهر قصير الأيام، غرير الأحداث، فمهما امتدت سنواته لا يعدو أن يكون يوماً أطل بنهار مشمس، وليله تلت قمراء أو ظلماء، والإنسان آناء الليل، وأطراف النهار يذهب ويأتي، يدأب ويجد، يروح ويغدو، ولكن خطر الموت ماثل أمام عينيه، والمنية تترصده، وترقبه فلابد من لقاء الموت ومواجهته.

---

(١) أبو تمام: الوحشيات ١٦٢.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٣٥/١ .

(٣) البحتري: الحماسة ص ١٠٠.

ولم يكن للجاهليين عقيدة تسمو بهم إلى حياة أخرى بعد الموت، فكان طابع الحزن والتشاؤم يواجههم، ويتبع سيرهم، ويطارد تفكيرهم[1] والداهية عندهم الموت، فلابد يوماً أن يلاقي الإنسان هذه الداهية وإزاء هذا المعتقد المرعب نجد الناس ضروباً وأصنافاً، فشاعر يقول[2]:

لا النائبات لهذا الدهر تقطني
والصبر مني على ما نابني خلق
إن الكريم صبور كيفما انصرفت
به الصروف إذا ما أفلق الفرق

فالصبر خلق الكرام عند الملمات والشدائد، والكريم لا يستكين لنائبات الزمان ولا تهزمه النوازل، فهو يتسلح بالصبر ويواجه الأمر، ولذا كان على الجاهليين أن يصبروا أمام هول الموت وفجيعة الأهل ونزول الكارثة.

والشاعر مسعود بن سلامة يرى أن لا فائدة من اللوم والعتاب[3]:

أقلي علي اللوم إني صائر
إلى جدث تسفي عليه الأعاصر
ألم تعلمي أن قد ترحل إخوتي
جميعاً وإخواني الذين أعاشر
إذا سار مَنْ خلف الفتى وأمامه
وأوحش من حداثه فهو سائر

إنها صورة أخرى تتابع مع بقية الصور في «فلسفة» الموت وحياة العبديين، إنه المرء يرقب إخوانه وأقرانه وعندما يجد الجميع قد ساروا وخلفوه، عندها يتأكد أنه وراءهم

(١) محمد النويهي: الشعر الجاهلي ٤٠٢.
(٢) البحتري: الحماسة ٢٢٨.
(٣) البحتري: الحماسة ٢٠٥.

سيمضي، وبعدهم يقضي نحبه، وتأتي حياة القبر تعصف به الأعاصير، وتذروه الرياح، ونجد في هذه الأبيات ذكراً للقبر وللحداث والمسامرين.

وصورة القبر تتردد عند يزيد بن الخذاق الذي رثى نفسه قبل غيره[1]:

وأرسلوا فـتـيـة من خـيـرهم نسـبـاً
ليـسـندوا في ضـريح التـرب أطبـاقي

يسرع الناس عند الموت، فيرسلون أكرم الفتيان، ليريحوا جسد الإنسان في تراب الضريح ويهيلوا على أطباقه التراب، فالقبر إلى جانب الموت أمر ماثل وقائم، يواجهه الفتى الجاهلي والرجل العبدي.

ويمضي المرء مخلفاً أمواله للوارثين، وتاركاً أولاده وكل ماله في الحياة[2]:

هـوّن عليـك ولا تـولـع بـإشـفـاق
فـإنما مـالنا للوارث البـاقي

وهذا أسامة بن ربيعة الشاعر العبدي يقول[3]:

الدهر يـومـان، ليل لا خـفـاء به
وذو حـجـول أقـرانه جـددا
لا يبليـان ويبلى مـا سـواهمـا
من قـبلنا أفنيـا الأمـوال والولدا

إنه الدهر كما ذكرنا، ليل ونهار، وإنها الحياة يوم وليلة، فالليل لا يخفي ظاهر بائن، والنهار لا يغطي، يتجدد ويمضي وراء الليل، يحمل المسرة والضياء فلا يتطرق الفناء والبلى للنهار أو الليل، لكن ذلك يصيب غيرهما، ففناء الأموال والأولاد ظاهر بائن، وأدلة كثيرة وبراهين عديدة للإنسان الجاهلي، إنها حقيقة مفزعة أن يبلى الإنسان وينتهي.

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٨٦/١ .
(٢) نفس المصدر.
(٣) البحتري: الحماسة ٩٤ .

والموت عندهم يفرق بين الزوج وزوجته، وهو منقذ وحلال لمشاكل عديدة فأم النحيف الشاعرة تقول في شأن زوجة ولدها سعد[1]:

تربص بهـا الأيام علّ صـروفـهـا
ستـرمي بهـا في جـاحم متسعـر
فكم من كـريم قـد مناه إلهـه
بمذمـومـة الأخـلاق واسـعـة الحـر
فطاولهـا حتى أتتـهـا منيـة
فـصـارت سـفـاة جـثـوة بين أقـبـر

فهي تريده أن ينتظر صروف الأيام، لترمي بزوجته في قبر مظلم، وتطلب إليه أن يصبر عليها حتى تأتيها المنية، فتطحنها رماداً بالياً بين جدران القبر.

وكان الجاهليون يستعينون بالكهنة، ويستخدمون التمائم والتعاويذ من أجل الحياة، وإبعاد شبح الموت، وطرد الأذى عنهم، ولكن ذلك لا يفيد ولا ينفع أمام سلطان الموت، فالممزَّق العبدي يقول[2]:

ولو كـان عندي حـازيان وكـاهن
وعلق أنجـاسـاً على المنجس
إذاً لأتتني حـيث كنت منيـتي
يخب بهـا هـاد إلى مـعـفـرس

الموت يخترق البيوت، ويتخطى الحواجز، وينفذ وسط الجموع والرجال، لا يأبه للعدد والعصبيات، ولا يحفل بالجموع الغفيرة المحيطة بالإنسان، لا يخشاها ولا يخافها وكيف ذلك؟ وتلك الجموع تفزع منه، وتقف دونما حركة أمام سطوته وعنفوانه، فمهما بذل الكهان وصنع المنحسون، وربطت التعاويذ والتمائم في مناطق جسمه وأعضائه، فإن المنية تتصدى لكل ذلك وتخطف فريستها وتمضي.

---

(١) أبو تمام: الحماسة ٥٥٩ .

(٢) البحتري: الحماسة ٩٧.

فإذا حضر الموت فلا كهان، ولا منحسون، ولا عدد ولا حسب، وإنما يمضي المرء إلى مصيره المحتوم، وهذهِ الصورة نادى بها وأكدها أكثر من شاعر فثعلبة بن عمرو يقول في مفضليته[1]:

ولو كنت في غمدان يحرس بابه
أراجيل أحبوش وأسود آلف
إذاً لأتتني حيث كنت منيتي
يخب بها هاد لاثرى قائف
أمن حذر آتي المهالك سادراً
وأية أرض ليس فيها متالف

يؤكد ثعلبة أن الانسان وإن حصن نفسه، وقبع داخل قصره، فالموت يصل إليه، ولو كان في حصن غمدان[2] الذي يحرسه الجند من الأحباش، فالموت يشق طريقه إليه، غير مبال بعظمة القصر، ورهبة الحرس، وقوة السكان، ثم يتساءل الشاعر أين هي الارض التي لا موت فيها؟ وأين المكان الذي لا يجد فيه المرء تلفاً وانتهاء؟

فحتمية الموت، ومصير الزوال، ومهالك الأيام حقائق قائمة وثابتة، ينام الجاهلي ويصحو عليها، وهو يوقن أن لا مفر له منها، ويؤكد علقمة الشاعر هذا المفهوم عندما يقول[3]:

وكل حصن وإن طالت سلامته
على دعائمه لابد مهدوم

ويتناول سائر الجاهليين انتهاء السلامة وانقضاء الآجال فالقصيدة الجاهلية واحدة والمفاهيم القبلية مشتركة، يقول الأسود النهشلي في قصيدة له[4]:

ماذا أؤمّل بعد آل محرق
تركوا منازهم وبعد إياد

---

(١) المفضل الضبي: المفضليات ٢٨١.
(٢) ياقوت: معجم البلدان ٣٠١/٦ .
(٣) محمد النويهي: الشعر الجاهلي ٤٠٣ .
(٤) الأنباري: شرح المفضليات ٤٤٨ .

جـــــــرت الـريـاح عـلـى مـكـان ديـارهـم
فكـأنمـا كـــــانـوا عـلى مــــيــــعـــــاد

فـــــإذا الـنـعـــيـم وكـل مــــا يـلـهـى بـه
يـومــــاً يـصــــيـــــر إلى بـلـى ونـفـــــاد

فـــــإذا وذلـك لا مـــــهــــــاه لـذكــــره
والـدهـر يـعـــقـب صـــالـحـــاً بـفـســـاد

فآل المحرق من المناذرة، وقبيلة إياد العدنانية[1]، بادوا وانتهوا بعد أن عاشوا نعيماً مقيماً مدة من الزمن، وبعد السرور والأمور الصالحة جاء الفناء والفساد، فإذا كل ما أحرزوه من أمور حياتهم لا معنى لوجوده فالأمم تفنى، والفساد يعم أرجائها، بعد أن ترفل في نعيم الحياة ردحاً من الزمان.

وبعد أن استعرضنا مجموعة من شعراء عبدالقيس ونظراتهم في الموت والحياة، نطل على حقائق ومعتقدات وقفوا عندها، فالموت أمامهم حقيقة ماثله، ويقين قائم لا مفر منه ولا مهرب، وكان على الإنسان العبدي أن يسلم لهذا المعتقد أكثر الأحايين، ويتذرع بوسائل أخرى عند وقوعه وحدوثه، فالمنون خطر مفزع وشر مخيف، والليالي والأيام أمام العبدي باقية ثابتة، لكن نوائبها وصروفها فيها تغير وتبدل، فمن صالح إلى طالح، ومن مسرة إلى إساءة، ومن نعيم شامخ إلى زوال هائل، والإنسان لا يدوم على حال واحدة مهما كانت صولته وسلطانه.

وذكر شعراء هذا الاتجاه ما يلحق بالموت من قبور وما يستعان به من وقاية وحماية، فالمرء أبداً حذر متربص، يفزع إلى الكهنة والراقين ويسرع إلى الرقية والتميمة، ولكن هيهات فالموت أقوى وأعظم من كل المحصنات، ولم يتطرقوا إلى ما بعد الموت وإلى حياة القبر وعذاب الإنسان وأغلب الظن أنهم كانوا واقعيين لا يدركون ما يحدث للجسد بعد الانتهاء والموت، فحياتهم جل معتقداتهم لذلك لم نلتمس عندهم تعليلاً خاصاً أو (فلسفة معينة)، ولم يكن لديهم دين يأتمرون بأمره، ويجتنبون نهيه، فتلك معارفهم ومفاهيمهم.

ولابد لي أن أشير إلى أن شعراء عبدالقيس ذكروا مفاهيم تقرب من تعاليم الإسلام تتصل بالموت والحياة، فقد عرفوا الله واستعانوا به في شؤون حياتهم يقول المثقب العبدي في ناقته[2]:

(١) انظر: فصل القبيلة.

(٢) ديوان المثقب العبدي ص ١٠١.

وأيقنت إن شاء الإله بأنه
سيبلغني أجلادها وقصيدها[1]

فلو علم الله الجبال عصينه
أتاه بأمراس الجبال يقودها

ويقول أيضاً[2]:

لحى الرحمن أقواماً أضاعوا
على الوعواع أفراسي وعيسي[3]

والشاعر الجمال العبدي يقول[4]:

إذا خفت في أمر عليك صعوبة
فاصعب به حتى تذل مراكبه

وأمر على مكروهه قد ركبته
فكان بحمد الله خيراً عواقبه

فالألفاظ إن شاء الإله، علم الله، الرحمن، بحمد الله، كلها ألفاظ إسلامية وإذن نحن إمام أمرين فإما أن تكون هذه الأشعار منحولة قد دخلتها الألفاظ الإسلامية وهو أمر نستبعده، وإما أن تكون هذه الأشعار قيلت في الجاهلية وهذا ما نقبله ويبقى أمامنا تعليل وجود هذه الألفاظ وتوفرها في شعر العبديين، والذي نعرفه ونفهمه أن الجاهليين عرفوا الله معرفة أكيدة واستعانوا به في نواحي أمورهم وتقربوا إليه بالضحايا بل وعبدوا الأصنام زلفى إلى الله[5]، وكان من بينهم الموحدون، ومن كان على دين المسيح فلا

(١) اجلادها: جسمها، قصيدها: مخها وفي رواية اخرى سمنها ولحمها.
(٢) ديوان المثقب العبدي ص ٢٧٦ .
(٣) الوعواع: اسم مكان.
(٤) البحتري: الحماسة ٢٢٧ .
(٥) سورة الزمر: آية ٢.

نستغرب أن يذكر شعراء عبدالقيس هذه الألفاظ ما دام مجتمع الجاهلية قد عرفها ولا غرو أن تكون تلك الألفاظ ملامح في رؤيا العبديين إلى تعاليم ومفاهيم قريبة من تعاليم الإسلام، ولقد رأينا كثيراً من الحكماء من رجالات عبدالقيس أمثال رئاب الشنى[1] والأشج العبدي[2] والجارود[3] وكلهم نظر بفكره وحكمته نظرة أوسع وأشمل من بقية العبديين والجاهليين إلى الله والطريق إلى تعاليمه.

لقد استطاع شعراء عبدالقيس أن يعبروا عن نظراتهم في الحياة والموت تعبيراً صادقاً، فذكروا الدهر وهو عندهم يوم وليلة، يفرق بين الإخوان، ويقسم الآجال والأعمار تفنى الأمم، والدهر ماثل لا يفنى والزمان قائم يتجدد، وأحداثه تغير من واقع الناس وحياتهم ولهذا تألموا وتشاءموا وشتم بعضهم الدهر والزمان.

وذكروا الموت فرأوه مقبرة كبيرة لكل مخلوقات الحياة على أرض الحياة، فلا ينجو منه أحد لا الإنسان ولا الحيوان ولا الطير وهو لا يعمى عن كل أولئك وانما يتقدم غير هياب، برهبته وبشاعته، فيغير من صالح إلى طالح، ومن مسرة إلى ضرر، ولذا عبر العبديون عن مدى عجزهم أمام سلطان الموت، وضعفهم عندما يقبض بيديه مصائرهم، فعاشوا حياتهم في ظلال الغزو والفروسية، طالبين أفضل طريق إلى الموت وهو في عرف الجاهلية طريق القتال والطعان.

وشعراء عبدالقيس لم يتعمقوا في نظرتهم إلى الموت والحياة ولم (يفلسفوا) لنا آراءهم وعقائدهم وإنما اكتفوا بذكر الموت والحديث عن الدهر.

(١) المسعودي: مروج الذهب ٨٣/١ .
(٢) ابن سعد: الطبقات ٥٥٧ .
(٣) ابن سعد: الطبقات ٥٥٩.

الرثاء:

إذا فرغنا من الحديث عن نظرات العبديين في الموت والحياة، نجد أنفسنا أمام موضوع الرثاء، وكان من حق الدراسة أن يلحق الرثاء بنظرات العبديين في الموت لأن الصلة بينهما شديدة والعلاقة وطيدة، فبعد الموت ينهض الشاعر فيرثي، ويقف ليعدد المناقب ويفخر بالمزايا، ولئن كان المديح ثناء في لحظات السرور في الحياة فإن الرثاء ثناء في مواقف الحزن بعد الممات، وليس الرثاء وقفاً على العبديين دون الجاهليين ولا على قبيلة دون غيرها من القبائل، وإنما هو مشترك عند مختلف القبائل والأمم والشعوب وفي شتى الأماكن والبقاع.

لقد ندب العبديون موتاهم، ووقفوا على قبورهم، فذكروا الخصال الكريمة، وتحدثوا عن الفعال الحميدة، وبكوا حين فقدوا الآباء والإخوان والأقارب والخلان، وعبروا عن عمق المأساة، ومرارة الحزن، ومع كل ذلك فقد تجملوا بالصبر أمام الملمات، وتجلدوا في ساعات فواجع الموت.

وتفوقت المرأة في جانب الرثاء لأنها أرق إحساساً، وأرهف مشاعر، فناحت وأعولت، فالشاعرة ابنة حكيم العبدية تقول في رثاء أبيها[1]:

أيرجو ربيع أن يؤوب وقد ثوى
حكيم وأمسى شلوه بمطبق

فإن كنتم قوماً كراماً فعجلوا
له جراة من باسكم ذات مصدق

فإن لم تنالوا نيلكم بسيوفكم
فكونوا نساء في الملاء المخلق

فالشاعره ترثي أباها، وقد قتله الربيع فهي حزينة، أصابتها الفجيعة، لكنها لم تستسلم لأحزانها، وإنما راحت تصرخ في وجوه قومها، طالبة إليهم أن يأخذوا بثأر أبيها، وإلا فإنهم ليسوا من الكرام في شيء، وعليهم أن يصدقوا في عملهم وألا يجبنوا أمام

(١) البحتري: الحماسة ٣١، انظر: ديوان عبدالقيس.

عدوهم، فإن تخاذلوا كانوا من النساء، فالحرب والسيف للرجال والثوب والملاء للنساء، وابنة حكيم لم تكن تقصد إظهار الحزن والألم فحسب، وإنما كانت تريد إثارة قومها أمام خصومهم وقتلة والدها، فهي تثير فيهم نخوة الدفاع عن الشرف والأخذ بثأر القتيل، «ومن عقائد الجاهليين أن القتيل لا يهدأ في قبره حتى تصيب القبيلة من دم قاتليه والدم عندهم لا يغسل إلا بالدم[1]»، وعدم الاستكانة أمام الربيع وأن لا يكونوا كالخراف التي تنحر فلا تملك الدفاع عن نفسها والوقوف أمام جزارها.

وهذه الشاعرة أخت سعد العبدية تؤبن أخاها وترثي فقيدها[2]:

يا سعد يا خير أخ
نازعت در الحلمه
يا ذائد الخيل ومجتاب
الدلاص الدرمه
سيفك لا يشفى به
إلا السناد السنمه
يا سعدكم أوقدت
للأضياف ناراً زهمه
جادك على قبرك غيث
من سماء رزمة

تعدد الشاعرة مناقب أخيها، وتشهر محامده، وتذيع فضائله، فهو شجاع مقدام، يرتدي الدروع اللينة ويتقلد السيف القاطع، يكرم أضيافه، ويحمي ذمار قبيلته، وما أعظم ناره وهي تتأجج لهباً، يتصاعد في الأعالي ليراه السائرون ويأتيه الأضياف، وسعد يهب لنجدة القبيلة ويكون عند أول نداء له وإذا اعتدى عليها فإنه يرد نوقها وحمالها وإزاء هذا التأبين من الشاعرة تدعو لقبر أخيها بغيث كثيف ومطر غزير لينعم ويستريح.

---

(١) ابن قتيبة: المعاني الكبير ١٠١٧/٢، الرثاء: تاليف لجنة من الادباء ص ٥٤ .

(٢) أبو تمام: الوحشيات ص ١٤٠ وانظر: ديوان عبدالقيس.

وهذه شاعرة عبدية أخرى تصبر على فجيعة الموت، وتخرج إلى قبر فقيدها، وقد أوجعها الزمان[1]:

خرجت لأعتاد القبور فلم أجد

سوى جدث ضمت عليه الصفائح

فيا وقعة الدنيا، فهلاً بغيره

فجعت البواكي، ترحتك المتارح

إنها المرأة العبدية تخرج لزيارة القبور، وقد فجعها الدهر بأهلها، فصرخت من شدة الألم، وبكت من هول المصيبة وكأنما سخطت على الدنيا لموت خليلها، وصرخت في وجه الحياة: ألم تجدي غيره لتأخذيه؟، إنه الموت لا يتقن إلا لغة الموت.

ورثى العبديون أنفسهم ساعة الموت، ويقال «إن أول من بكى نفسه وذكر الموت يزيد بن خذاق»[2] عندما قال[3]:

قد رجلوني وما بالشعر من شعث

وألبسوني ثياباً غير أخلاق

وأرسلوا فتية من خيرهم حسباً

ليسندوا في ضريح القبر أطباقي

ومن الطبيعي في لحظات التأمل والصفاء، أن ينظر الإنسان إلى حياته فيذكر الموت ويرثي نفسه، فالشاعر يتصور هذا المنظر، وقد خرج المشيعون من علية القوم وفتيان القبيلة، وهم من أرفع أنسابها، وأعلى أحسابها، ليدفنوا الميت ويواروه التراب، بعد أن مشطوا شعره وزينوه، وألبسوه أجمل الأثواب، وساعتها لا تنفع الرقية، ولا تفيد التعويذة، والتميمة، فأمام الموت لا واق ولا راق، وتعظم المصيبة عندما يجد الشاعر نفسه غريباً عن

---

(١) البحتري: الحماسة ص ١٠٥ .

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٤٤/٣ .

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٨٦/١ .

اهله ووطنه وقبيلته، وينظر حوله فلا يجد أحداً، وكأنما كان يزيد يتوقع الموت في كل لحظة، ويترقب المنية في كل موطن، فلجأ إلى ندب نفسه ورثاء حاله، قبل أن يحل الموت.

وعرفنا أن يزيد كان يحس ظلم المناذرة، ويرأى بشاعة أعمالهم في كثير من القبائل، وفي غيره من الشعراء[1]، فقام يشتم الزمان ويبكي الأيام من شدة أمله ومصابه[2]:

ولما رأيت الدهر وعراً سبيله

وأبدى لنا ظهراً أجبّ مسلّعا

وجبهة قرد كالشراك ضئيلة

وصعر خديه وأنفاً مجدعا

هناك ذكرت الذاهبين أولي النهى

وقلت لعمرو والحسام ألا دعا

فالشاعر يشرح لنا تقلبات الدهر فهو قد تنكر للعبدين، وشمخ بأنفه، وصعر خده، وتطاول وتكبر، وكان على الإنسان أن لا يركن إليه فقد طوى أمماً كثيرة، والأمر إذن أن يترك الخصام والنزاع ويستمع إلى صوت العقل ويتأمل في أخبار الذاهبين الأولين فذلك أجدى وأنفع.

وغير يزيد عاتب الشاعر ثعلبة بن عمرو النائبات على ما أوقعن بأخيه من محنة الموت فقال[3]:

ألوم النائبات من الليالي

وما تدري الليالي من ألوم

ونعيم الحياة لا يدوم لأحد، ومن هنا فقد ندب الشعراء قبائلهم وأممهم إلى جانب رثاء أنفسهم وأهلهم، وأبانوا للأحياء من بني قومهم مدى العبرة والعظة في الحياة والموت، وقد رأينا في أبيات جذل بن أشمط السالفة الذكر.

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٥٣/٣ .

(٢) ابو تمام: الوحشيات ص ٢٢٠ .

(٣) نفس المصدر ص ١٣٦ .

إن الكثير من القبائل والشخصيات قد بادوا وأتى الموت عليهم، بعد أن كانوا ذوي شأن وسلطان، وهذا الشاعر نشبة بن عمرو يرثي المناذرة وقد دالت دولتهم[1]:

كم كـــان عند بني النعـــمـــان من جنن
ومن ســيــوف مـــبـــاتيـــر وأرمـــاح
بـادوا فلم يك أولاهم كـــــاخـــــرهـم
وهل يتـــمـم إصـــلاح بإصــــلاح

فعلى الرغم من قوة المناذرة وكثافة أسلحتهم وعتادهم زالوا فلم يبق النعيم ولم يدم الإصلاح وإنما أعقب ذلك فساد وزوال.

والرثاء عند العبدين تقليدي كسائر رثاء الجاهليين وهو لا يتجاوز تعداد المناقب وبيان المحامد، ولكنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنظرتهم إلى الموت ولذا رأينا أن تكون هذه الصفحات امتداداً لموضوع نظرات في الموت والحياة.

موضوعات أخرى

شعر الحكم: تعود الحكمة عند العبديين إلى صفاء الذهن وسلامة التفكير واتزان العقل، وطول التأمل، فالمثقب العبدي يقول في إحدى قصائده[2]:

لا تـقـــولـن إذا مــــالـم تـرد
أن تـتـم الـوعـــــد فـي شـيء: نـعـم
فـــإذا قلت: نعم، فـــاصـــبـــر لـهـــا
بـنـجـــاح الـوعـــــد، إن الخـلـف ذم

✡✡✡✡

(١) البحتري: الحماسة ٢١٥، وانظر الأبيات في: ديوان عبدالقيس.
(٢) ديوان المثقب العبدي ٢٢٠ .

واعلم ان الذم نقص للفتى
ومتى لا يتق الذم بذم
أكرم الجار وارعى حقه
إن عرفان الفتى الحق كرم

✡✡✡✡

إن شر الناس من يكشر لي
حين يلقاني، وإن غبت شتم

✡✡✡✡

اجعل المال لعرضي جنة
إن خير المال ما أدى الذمم

في هذه الأبيات قدم لنا المثقب مجموعة من الحكم، تناولت عدة أمور هامة، حرص مجتمع الجاهلية عليها ومنها: الوعد وأهميته والمحافظة عليه، والجار ورعاية حقوقه، والمال وطرق إنفاقه، والناس وكيفية التعامل معهم، والخلال الحميدة التي يتحلى بها المرء.

فالعربي حريص على وعوده، شديد الوفاء بها، يصدق إذا تحدث وقال، وإذا وعد فلا يخلف، وإن قال نعم فلا مكان للفظة «لا» عنده، ويحذر المثقب من التهاون في الوعد وإخلافه، لأن المذمة تلحق بمن لا يفي بعهده ولا يحفظ وعده.

ومن أعراف المجتمع الجاهلي الوفاء، فإذا أعطى الرجل غيره وعداً أو قطع على نفسه عهداً، فلا يملك أن يغدر بصاحبه أو ينكث بوعده معه، ولهذا اعتبر الوفاء من أنبل الصفات التي يتخلق بها العربي(1) وهو محمدة عظيمة، وكان العربي يرسخ هذا المفهوم بأن بضع قوسه أو سهمه إشارة إلى وفائه وعهوده.

أما الحفاظ على الجار، فهو شيمة عربية أخرى، فلا يغدر العربي بجاره، ولا يلحق به الأذى ويقوم على رعاية حقوقه وإكرامه.

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/٤٠٢ - ٤٠٦ .

وليس الكرم وقفاً على الجيران فحسب، وإنما اعتبر من الخصال التي فرضها مجتمع الجاهلية، وأيدها العرف، فقد مدح المثقب خالد بن أنمار[1] بأنه رجل كريم، فجفانه كثيرة وتتقدم جفان غيره[2]:

باكر الجفنة، ربعي الندى
حسن مجلسه غير لطم

وأعراف العرب توجب تقديم حق الضيافة، ذلك أنه لا ملجأ في البادية يأوي إليه العربي، وإنما يجد في تلك الخيام المضروبة هنا وهناك في بطن الصحراء، ملاجئ غوث، وقوارب نجاة، من قسوة الطبيعة، وملمات الزمان[3].

والجود صفحة من صفحات الكرم، فالرجل يمطر ضيفه بمعروفه ويغمره بجوده فينحر له الذبائح ويقيم الولائم، فالكرم فضيلة كبرى وإحساس نبيل تختلج به النفوس، وقد أشار المثقف إلى أنه أكرم ضيفاً حل في منزله وسط ليلة غزيرة المطر، شديدة البرد[4].

أما المال فينفق في سبيل المحافظة على العرض، فللشرف مقام كبير، وللعرض منزلة عظيمة، ولذا حمى العربي عرضه بدمه وماله، وصان شرفه وحافظ على سمعته، وهذا المفهوم اكده اكثر من شاعر جاهلي كطرفة وعنزه وغيرهم[5].

ومن الخصال التي حرص شعراء عبدالقيس على ذكرها، الصفح عن الأشرار، والابتعاد عن فاحش القول، وسوء الكلام، والترفع عن مخاطبة السفهاء، ومقابلة الجهلاء، وبذلك يقدم شعراء عبدالقيس أسلوباً عظيماً في التعامل مع الآخرين.

والحكمة تصدر عن رجل خبر الأيام وعرف الليالي وعرك الزمان فالشاعر العبدي يقول:

---

(١) هو خالد بن الحارث بن انمار بن عمرو بن ربيعة من عبدالقيس.

(٢) ديوان المثقب ص ٢٢٣ .

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٧٤/٤ - ٥٧٨ .

(٤) ديوان المثقب ص ١١٧ .

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٧٣/٤، ٦٠١/٤ .

عرفت الحياة بؤسها ونعيمها
وحنكني صرف الزمان وأدبا[1]

واهتم العبديون بالأمور الصغيرة إلى جانب الكبيرة، قال شاعرهم:

فإن الدقيق يهيج الجليل
وإن العزيز إذا شاء ذل[2]

وحرص يزيد بن الخذاق [3] أن يذكر المكارم الأخلاقية وهي ذات الخصال والصفات التي وردت في ميمية المثقب:

ولست بقائل قولاً لأحظى
بقول لا يصدقه فعالي
فأكرم ما تكون عليّ نفسي
إذا ما قل في الأزمات مالي
فتحسن سيرتي وأصون عرضي
ويجمل عند أهل الرأي حالي

وهكذا كانت الحكمة عند عبدالقيس تعاليم واضحة إلى مكارم الأخلاق، ودعوة كريمة إلى الفضائل، فقد تحلوا بها وأدبوا أنفسهم عليها.

شعر البحر: عند حديثنا عن حياة القبيلة، أشرنا إلى أن عبدالقيس بحكم موقعها في البحرين، قد عرفت البحر، ومخرت عبابه، وخاضت مياهه، وقد وردت إشارات شعرية حول ذلك فالمثقب يقول[4]:

كأن الكور والأنساع منها
على قرواء ماهرة دهين

(١) البحتري: الحماسة ص ١٠٣ .
(٢) نفس المصدر ص ١٣٧ .
(٣) القالي: الأمالي ٢/٢٠٤ .
(٤) ديوان المثقب العبدي ١٨٨ - ١٩٠ .

يشق الماء جؤجؤها وتعلو
غوارب كل ذي حدب بطين

فالشاعر يعقد مقارنة بين ناقته التي يرحل عليها، وبين السفينة التي يراها، فالناقة بأحمالها وأحبالها، إنما هي سفينة طويلة مدهونة، تأخذ طريقها عبر أمواج البحر، وإذا كانت السفينة تمضي فتشق الأمواج بصدرها، وتعلو عليها، فإن الناقة تسير مخترقة رمال الصحراء، وكأنها الأمواج تعلو وتهبط بها.

ويؤكد المثقب مسيرة قرب شواطئ البحر وهو مرتحل إلى ممدوحيه فيقول(٢):

على طرق عند اليراعة تارة
توازي شريم البحر وهو قعيدها

ويذكر سوط الناقة وكأنه مجداف سفينة كلاهما يدفع ويؤمر بالحركة(٣):

تكاد إذ حرك مجدافها
تنسل من مثناتها واليد

ويؤكد المثقب العبدي معرفته لهؤلاء الملاحين في معرض الحديث عن ناقته(٥):

كأني واقتادي على خمشة الشورى
يجور صراري بها ويقيمها

فالسفينة الطويلة والمدهونة والأمواج وشريم البحر والمجداف والصراري والمكوس والضرائب والسواحل كلها مصطلحات بحرية وألفاظ سكان البحار وقد ذكرها الشعر العبدي.

---

(١) ديوان المثقب العبدي ١٤٨ .
(٢) نفس المصدر ٩٣ .
(٣) نفس المصدر ٢٣ .
(٤) المفضليات ٢٩٧ .
(٥) ديوان المثقب العبدي ٢٤٧ .

ومع البحر يرد اللؤلؤ الحبة النفسية من جوف البحر[1]:

مـــرمـــعـــلات كـــســـمطي لـؤلـؤ
خـــذلت أخـــراته فـــيـــه مـــغـــر

فالشاعر يصف دموع حبيبته، وهي تسيل متتابعة وكأنها حبات لؤلؤ انفرط عقدها، وانفردت حباتها.

ولقد وردت إشارات للسفن في شعر الجاهليين في بيئة البحرين، وأشرنا إلى ما ذكره طرفة بن العبد والأعشى وعمرو بن قميئة وغيرهم في هذا المجال[2].

وشعر البحر يهتم بذكر السفن وأسمائها، وحركتها وسرعتها، وأنواعها وأشكالها، ويبرز أهميتها في نواحي التجارة، وفيه وصف جميل للملاحين والغواصين ومهارتهم في الغياصة والملاحة، وشعراء عبدالقيس كانوا أكثر معرفة من غيرهم ببيئة البحر نظراً لقربهم منه، ومشاهداتهم للسفن القادمة والمغادرة، ورؤيتهم عن قرب للصراري والعاملين في ميدان البحر.

ونحن وإن كنا نطمع أن يسجل لنا الشعر العبدي أكثر وأكثر عن البحر، إلا أننا نقنع بهذا القليل كشاهد على اهتمام الشعر العبدي في البحرين ببيئة البحر.

شعر الطبيعة: لم ينس العبديون أن يذكروا الطبيعة، ويتناولوا في أوصافهم حيوانها وطيرها، ورياحها وسرابها، وطرقها وأماكنها، وكثبانها ورمالها، فهاجرة الصحراء وريح السموم، تلفح الوجوه، وتغير الألوان[3]:

أنص الســرى فـــيـــهـــا بكل هجـــيـــرة
تـغـــيـــر ألوان الرجـــال ســـمـــومـــهـــا

(١) نفس المصدر ٦٣ .
(٢) انظر: الحياة الاقتصادية.
(٣) ديوان المثقب العبدي ص ٢٥٢ .

والسراب عندهم أثواب بيضاء، وبرود تطوى وتنشر[1]:

وآمت صــــواديح النهـــار وأعــرضت

لـوامـع يـطـوى ربـطـهـــا وبـرودهـا

وهو في موطن آخر أشار لبدء الرحلة، فالمثقب يرحل على ناقته عندما يرتفع السراب[2]:

رجــوم بـاثـقـــال شـــداد رجـــيـلة

إذا الآل في الـتـيـه اسـتـقلت حـزومـهـا

ويتحدث المفضل عن الجراد والريح الشامية الباردة[3]:

كــــأن الـنـبـل بـيـنـهـم جــــراد

تـكـفـــيـــه شـــامـــيـــة خــريـق

وعن الغابة وتقصف أغصانها واحتراق أشجارها[4]:

كـــأن هـريـرنـا يـوم الـتـــقـــيـنـا

هـريـر أباءة فــــيـــهـــا حــــريق

وأكثروا من ذكر العقبان، وهذه صورة سريعة في معرض الحديث عن الكتيبة[5]:

لـهـــا فـــرط يـحــــمـي النـهـــاب كـــانـه

لـوامـع عـــقـــبـــان مــــروع طـريـدهـا

---

(١) ديوان المثقب العبدي ٨٧ .

(٢) نفس المصدر ٢٤٣ .

(٣) الأصمعيات ١٩٩ .

(٤) نفس المصدر ١٩٩ .

(٥) ديوان المثقب العبدي ١٠٨ .

وذكر العبديون الناقة[1] والحصان[2] والصقر[3] والنسر[4] والعقاب، والسبع والضبع[5]، وجنادب النهار وصدى الليل ويومه[6]، والنجوم[7] والجبال والكثبان[8] وعيون الماء[9] وغير ذلك، وصور الطبيعة وإن كانت قليلة في الشعر العبدي إلا أنها تعكس لنا مشاركتهم في هذا الميدان.

وقبل أن أترك الموضوعات التي تحدث عنها الشعر العبدي لابد من الإشارة إلى أن هذا الشعر ذكر بعض النواحي الحضارية والحياة اليومية اقتصادية واجتماعية[10] لكنه لم يتوقف عندها وإنما الذي استغرق هذا الشعر طويلاً هو شعر الحرب والقتال، فالفروسية أخذت جل أشعارهم لأن أكبر اهتماماتهم كانت تصوير نواحي البطولة وإبراز جانب التمرد والثورة فلا عجب أن رأينا شعرهم يدور في هذا المجال.

وبعد أن وضحت لدينا الموضوعات التي عالجها شعر العبديين والأغراض التي استأثرت باهتماماتهم نلاحظ أنهم أغفلوا الغزل وموضوعات أخرى، ولسنا ندري سبباً لذلك، فالدراسة هي التي تفرض علينا أن نسجل عليهم هذا الإغفال.

---

(١) انظر: شعر الناقة عند المثقب.

(٢) المفضليات ٢٩٧ .

(٣) ديوان المثقب العبدي ٥٤ .

(٤) انظر: ديوان عبدالقيس.

(٥) الأصمعيات ١٩٩ .

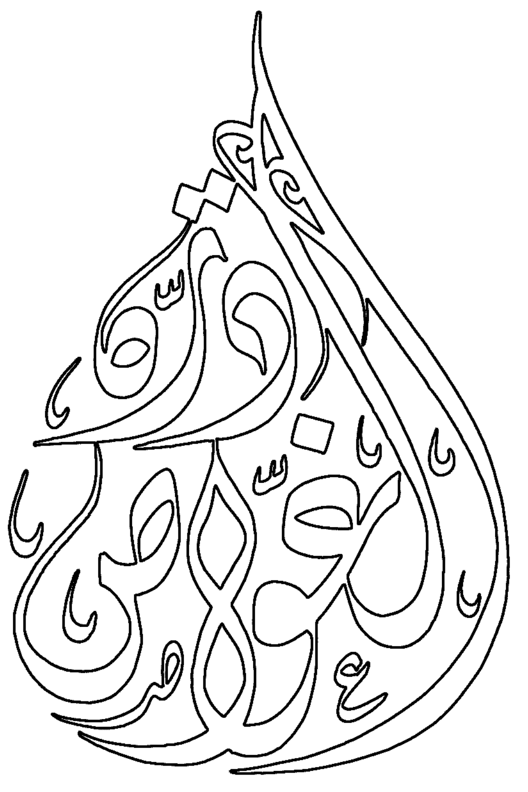
(٦) ديوان المثقب ٢٤٩ .

(٧) ديوان المثقب ٢٣٧ .

(٨) ابو تمام: ديوان الحماسة ٥٥٩ .

(٩) انظر: ديوان عبدالقيس.

(١٠) انظر: الحياة الأجتماعية والاقتصادية.



الفصل الرابع

الدراسة الفنية

الخصائص اللغوية والأسلوبية:

استخدم العبديون اللغة الأدبية، لغة العصر الجاهلي التي وصل الشعر إلينا بها قوياً ناضجاً، فالجانب اللغوي كان عاملاً مشتركاً بين سائر المجتمعات والقبائل الجاهلية.

والألفاظ في اللغة لبنات تبنى بها القصيدة، واللفظة الواحدة بدلالتها كائن حي[١]، يعيش ويتطور، وينقل ويصور كل ما في الحياة من مناظر ويستخرج الشعر هذه الألفاظ في مكان من جسم القصيدة يحدد قيمتها ويجدد حياتها.

وشعر العبديين كما نراه سهل الألفاظ، قريب التناول، كلماته يسيرة وتراكيبه واضحة، ومعانيه ظاهرة، فالمفضل العبدي يعتمد السهولة والوضوح وهو يتحدث عن تناثر الجماجم والأيدي وموت السادة في معركة طريف فيقول[٢]:

بكل قرارة وبكل ربع
بنان فتى وجمجمة فليق
وكم من سيد منا ومنهم
بذي الطرفاء منطقه شهيق

وفي كلمات يسيرة ومعان ظاهرة أخبرنا يزيد بن الخذاق عن مكر النعمان بن المنذر وخداعه وعن غزو كتيبة الخرقاء للأسرة العبدية فقال[٣]:

---

(١) احمد زكي: شعر الهذليين ٢٣٧ .
(٢) الاصمعيات: اصمعية ٦٩ ص ١٩٩ .
(٣) المفضليات: ٢٩٥ .

إن تغـــز بـالخـــرقـــاء أســـرتنا

تـلـق الـكـتـــــائب دونـنـا تـردى

ونفذ الممزق بسهولة شعره، ووضوح حجته، إلى قلب النعمان وهو يطلب إلينا أن يصفح عنه وأن لا يعاقبه لاشتراكه مع الثائرين في عمان، فليس هناك ما يدينه من عقد مكتوب أو كفالة موقعة، ويستجيب النعمان للشاعر ويسرع إلى نجدته وإطلاق سراحه قبل أن يتمزق ويهلك في عذاب السجن[1]:

أكلفـــتني أدواء قـــوم تركـــتـــهم

وإلا تداركني من البـــحـــر اغـــرق

فـــلا أنـا مـــولاهم ولا في صـــحـــيـــفـــة

كـــفلت عليـــهم والكفـــالة تعـــتـــقي

وفي وضوح يتحدث جذل بن أشمط عن عجز الإنسان أمام الموت، فإذا جاء الأجل فلا يفيد الفرار، فالموت يصيب الإنسان ويصيب الأسد في الغابات[2]:

لا ينفع الهـــارب الفـــرار من الموت إذا مـــا تقـــارب الأجل

تعدو المنايا على أسامة في الخيس عليه الطرفاء والأسل

وهل نجد سهولة ووضوحاً اكثر من سهولة ووضوح نونية المثقب أطول وأشهر قصائد العبديين وفيها يناجي الشاعر ناقته وقد نهض آخر الليل يرحلها، فلما رأته وعرفت مراده، شكت وتأوهت آهة الرجل الحزين ولسان حالها يقول أهكذا أنت، كل أيامك رحيل وأسفار، أما في قلبك من إشفاق فترأف وترحم؟، ويفهم الشاعر لغة ناقته ويحزنه ألمها فيعبر عن أحاسيسها بهذه الأبيات السهلة العذبة[3]:

تقـــول اذا درأتُ لـهـــا وضـــيـني

أهـــذا ديـــنـــه أبـــدًا وديـــنـــي

(١) الاصمعيات: أصمعية ٥٨ ص ١٦٤ .

(٢) البحتري: الحماسة ١٠٠ .

(٣) ديوان المثقب العبدي ١٩٤ .

أكـل الـدهـر حـل وارتحـــــــال

أمـــا يُبـــقى علـي ومـــا يقـــيني

حقًا كما يقول طه حسين[1] فإن هذا الشعر من أروع ما قاله الشعراء.

وليست سهولة الألفاظ ووضوح التراكيب ضعفاً أو إسفافاً، وانما الأمر في شأنها لا يحتاج أن نستخدم معاجم اللغة بشكل واسع وملح، ومن جانب آخر فإن المفردة في موقع من القصيدة تحمل طاقة، ولها حركة وإيحاء فالمثقب عندما أراد أن يعبر عن الحركة السريعة الخاطفة بطلائع كتيبة النعمان استخدم العقبان ولا يخفى علينا أن العقاب طائر كالنسر[2].

لهـــا فـــرط يحـــمي النّهـــاب كـــأنه

لوامع عـــقـــبـــان مـــروع طريدها

ولفظة الضرم وهي تعني اشتعال النار استخدمها الشاعر لتدل على شدة الجوع عند الأسد وقد شبه به مغتاباً والغاً في شؤون الناس وأعراضهم[3]:

لا تـراني راتـعـــــاً في مـــــجلـس

في لحـــوم الناس كـــالسـبـع الضـــرم

والشاعر حريث العبدي رأى في كلمة يخر إيحاء بحركة ليس أنسب منها في وصف السيف الذي يحمل الموت:[4]

مـــــهـنـد مـنـه الـردى يـخـــــر

الأمـنـا الـيـــــوم الـذي يـفـــــرّ

والأمثلة كثيرة إذا ما مضينا نستقصيها، فشعر العبديين في أكثره من هذه «النماذج» سهل في ألفاظه، واضح في معانيه، يكاد يخلو من الوعورة والخشونة التي ألفناها في قلب الصحراء وعند أهل البادية.

---

(١) طه حسين: حديث الأربعاء ١٦٧ .

(٢) ديوان المثقب العبدي ١٠٨ .

(٣) نفس المصدر ٢٢٩ .

(٤) البحتري: الحماسة ٣٩ .

وقد يكون في شعرهم شيء من الألفاظ الصعبة، والتراكيب الغريبة لكنه قليل وهو على سبيل المثال يختلف عن شعر الهذليين الذي يمتاز بغرابة ألفاظه[1].

والقصيدة عند العبديين كما هي عند غيرهم سلاح هام، والشاعر يستخدم هذا السلاح في سهولة وطواعية وكل همه أن يعبر بلسان قبيلته عن مفاخرها وإذاعة أخبارها والتحدث عن مشاكلها التي تعاني منها أو تعانيها من الآخرين ويحرص الشاعر على أن يصل شعره إلى قلوب الناس واضحاً، سهلاً، يسيراً، ليكون ادعى اي التأثير واقرب موقعاً في القلب.

ولعل مصدر هذه السهولة البيئة المدنية فإن المدن والمناطق الساحلية كانت أكثر استقراراً وتحضراً فلانت لغتها، وسهل شعرها، وقديماً لاحظ ابن سلام[2] أن عدي بن زيد إنما لان لسانه وسهلت أشعاره لأنه يسكن الريف والحيره.

ومن هنا فإن اتصال العبديين بالأمم الحضارية القريبة منهم والبعيدة عنهم كان له أثر في سهولة لغتهم ووضوح عباراتهم.

قد يكون هذا وذاك، وهم على أية حال غير قابعين في معامل التحبير والتنقيح الشعرية فلا يصنعون العبارات ولا يغتصبون الألفاظ وإنما صدروا عن طبع سهل في بيئة حضارية فجاء شعرهم سهلاً في ألفاظه، صافياً في كلماته، واضحاً في تراكيبه ومعانيه.

وفي شعر عبدالقيس نجد مفردات وألفاظاً انسربت فيه من الأمم المجاورة وهاجرت إليه عن طريق التجارة والنواحي الحضارية الأخرى[3] ومن هذه المفردات – رزدق –[4] وهي تعني الصف من الإبل والممتد من الأشياء، وقد وردت في شعر الممزق العبدي وهو يصف كتيبه النعمان الجأواء وهي تسير في طريق ممتد طويل بين السهل والحزن[5]:

---

(١) احمد زكي: شعر الهذليين ٢٣٩ .

(٢) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١٦١، في الحيوان ١٤٩/٧ .

(٣) انظر : الحياة الاجتماعية والصلات الخارجية.

(٤) الانباري: شرح المعلقات ٨٩٠ .

(٥) المفضليات ٣٠١ .

بجـــاواء جـــمـــهـــور كـــأن طريقـــهـــا

بســــرة بـين الحـــــزن والســــهل رزدق

ولفظتا «دكان ودربان» فارسيتان[1] الأولى بمعنى الحانوت أو «دكة الرمل» والثانية بمعنى البواب وقد وردتا في وصف المثقب لناقته التي لم يهدّها السير ولم يوهنها السفر وإنما ظلت قوية عظيمة عظم هذا الدكان الذي يجلس إليه الدربان[2]:

فـــــأبقى بـاطلي والجــــد منهـــــا

كــــــدكـــــــــان الـدرابـنـة المطـين

وكلمة ديباج من أصل فارسي[3] وهي الثياب من الحرير ووردت في شعر المثقب وهو يصف محاسن النسوة وما يرتدين من أثواب حريرية يتجملن بها ساعة السفر[4]:

أرين مــــحـــــــاسناً وكَنَنَّ أخـــــرى

من الـديبـــــاج والبَـــشَــــر المصـــــون

وكلمة «قنطار» فارسية[5] جاءت في شعر المثقب العبدي حينما تحدث عن البدرات التي تؤخذ من مال ملك تجبى له الضرائب وتصل إلى سبعين قنطاراً من الذهب[6]:

من مـــــال من يجـــــبي ويجـــــبى لـه

ســـبـــعـــون قنطارًا من العــــســـجــد

و«السدير» فارسية وتعني القصر[7] في شعر سويد بن الخذاق وهو يهجو عمرو بن هند صاحب السدير[8]:

---

(١) الأنباري: شرح المفضليات ٥٨٧، وفي «الصحاح» للجوهري ٢١١٤ دربان فارسي معرب وفي «اللسان» ١١/١٧ الدرابنة التجار وفي «أدب الكاتب» ٥٣٣ إنها فارسية.

(٢) ديوان المثقب العبدي ٢٠٠ .

(٣) عند الجواليقي في «المعرب» ١٤٠ إن الديباج أعجمي معرب وأصله فارسي.

(٤) ديوان المثقب العبدي ١٥٨ .

(٥) قنطار فارسية وقيل : إنها لاتينية في «تفسير الألفاظ الدخيلة» ٥٩ .

(٦) ديوان المثقب العبدي ١٣٠ .

(٧) طوبيا العنيسي: تفسير الألفاظ الدخيلة ٣٤ .

(٨) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١.

أبى القلب أن يأتي السدير وأهله
وإن قيل عيش في السدير غزير

و«السندس» فارسية[1] وهي ثياب من الحرير جاءت في شعر يزيد بن الخذاق في وصفه لفرسه الشموس التي أصبحت سريعة ونشيطة بفضل اهتمامه بغذائها وعلفها[2]:

وداويتها حتى شتت حبشية
كأن عليها سندساً وسديسا

ومن غير الفارسية لفظة «جدث» بمعنى القبر وهي من أصل عبراني[3] وردت في شعر مسعود بن سلامة عندما طلب إلى صاحبته أن لا تلومه على شجاعته وإنفاق ماله في وجوه الفتوة ما دام الإنسان يصير إلى قبر تذروه الرياح[4].

أقلي عليّ اللوم إني صائر
إلى جدث تسفي عليه الأعاصر

وقال عمرو المحاربي وهو يبكي الريان بن حويص صاحب «هراوة عبدالقيس» داعياً لقبره بمطر سكوب[5]»:

سقى جدث الريان كل عشية
من المزن وكاف العشي دلوح

وإذا مضينا نتتبع ظاهرة الألفاظ الدخيله والأعجمية تجد مفردات أخرى مثل بخت، وبرج ومسك، وبرد وغيرها[6].

وإلى جانب الألفاظ الدخيلة ورد في المصادر أن عبدالقيس كانت لها ألفاظاً تستخدمها خاصة بها ولغة لها مثل معين، وأقواع، ومجداف.

(١) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٤٩/١ .
(٢) المفضليات: ٢٩٧ .
(٣) طوبيا العنيسي: تفسير الألفاظ الدخيلة ٢٠.
(٤) البحتري: الحماسة ٢٠٥.
(٥) الكلبي: أنساب الخيل ص ٩٠.
(٦) طوبيا العنيسي: تفسير «الألفاظ الدخيلة» ٨، ٦، ٩، أما البخت في «اللسان» ٢١٣/٢ .

فالمعين معناها الأجير والمساعد وهي لغة بحرانية وقد سئل الأصمعي هل تعرف المعين الأجير؟ فقال: لا أعرفه، ولعلها لغة بحرانية[1]، وقد وردت في شعر المثقب وهو يصف سرعة ناقته، فالناقة عندما تسرع تنطلق الحجارة من أخفافها مسرعة وهذا يشبه الحصى الذي يقذف به المعين ناقة غريبة وردت على حوض القبيلة[2]:

كأن نفي ما تنفي يداها

قذافُ غريبةٍ بيدي معين

والقوع بمعنى مسطح التمر والبر لغة عبدية[3]، ويقابلها في الشام الأندر وفي الحجاز الجزين، وفي العراق البيدر، وفي البصرة المربد، فقشر الحديد يتطاير عند المقارعة وكأنه غبار البيادر أيام الحصاد لكثافته وكثرته[4]:

وطار قشارى الحديد كأنه

نخالة أقواع يطير حصيدها

ومجداف بمعنى السوط لغة بحرانية عبدية[5] وهو غير مجداف السفينة فناقة المثقب نشيطة ويكفي أن تحرك السوط دون عنف أو شدة حتي تمضي مسرعة في طريقها[6]:

تكاد إذ حرك مجدافها

تنسل من مثنائها واليد

وليس الأمر في هذه الدراسة أن نتتبع كل الكلمات الأعجمية ولا أن نتحرى عن جميع مفردات اللغة العبدية والبحرانيه فهذه مسألة في حاجة إلى بحث طويل ليس مكانه هنا ومن جانب آخر فإن شعر العبديين كما ذكرنا لم يصل إلينا كاملاً لنقف فيه على مثل هذا البحث وتلك الظواهر.

---

(١) الانباري: شرح المفضليات ٥٨٧ .
(٢) ديوان المثقب العبدي ١٨٠ .
(٣) الأنباري: شرح المفضليات ٣١٠، المحكم ١٩٧/٢، اللسان ١٧٩/١٠ .
(٤) ديوان المثقب العبدي ١١٣ .
(٥) ابن منظور: اللسان ٣٦٦/١٠ .
(٦) ديوان المثقب العبدي ٣٣.

وكل ما أردناه من تعقبنا لبعض المفردات والكلمات أن نشير إلى أن لغة عبدالقيس تأثرت بالمواطن والمراكز الحضارية وبلغات الأمم التي اتصلت بها وأشهر تلك الأمم الفرس ومن هنا كان هذا الظهور للمفردات الفارسية في لغة العبديين، وقد لاحظ الباحثون[1] أثر المفردات الفارسية في شعر الأعشى والمتلمس وأبي دؤاد الإيادي وعدي بن زيد وذلك لصلتهم وصلة قبائلهم المباشرة وغير المباشرة مع الفرس.

وتكثر في شعر العبديين صيغ التبليغ وألفاظ الاستفهام لإيصال الأخبار وتثبيت الحقائق في الأذهان ونسوق هنا طائفة من الأمثلة:

يقول عمرو بن أسوى في رسالته إلى عمرو بن قيس[2]:

ألا أبلغا عمرو بن قيس رسالة
فلا تجزعن من نائب الدهر واصبر

ويقول أنس بن مساحق لصديقه راشد[3]:

ألا ابلغا خلتي راشداً
وصنوي قديماً إذا ما اتصل

ويقول الممزق في مفضلته[4]:

فمن مبلغ النعمان أن ابن أخته
على العين يرتاد الصفا ويمرّق

ويقول مسعود بن سلامة مخاطباً صاحبته[5]:

الم تعلمي أن قد ترحل أخوتي
جميعاً وإخواني الذين أعاشر

---

(١) جرونباوم: دراسات في الأدب العربي ٢٦٥ .

(٢) المرزباني: معجم الشعراء ٤١ معجم البلدان ١٣٤/٥ .

(٣) المفضليات: ٣٠١ .

(٤) البحتري: الحماسه ٢٠٥ .

(٥) المفضليات: ٢٩٧ .

ويكثر التكرار في الألفاظ والمعاني في شعرهم، للتأكيد والتثبيت وزيادة التأثير في النفوس وأكثر ما يكون ذلك في المقارنات وشرح القضايا الهامة.

فالشاعر ثعلبة بن عمرو أكد عزمه على أن ينال من عدوه وكرر لفظة «يلقني» دليلاً على أنه وجه إليه ضربة أذلته فقال [1]:

وأقسم بالله لا يأتلي
وأقسمت إن نلته لا يؤوب
وإن يلقني بعدها يلقني
عليه من الذل ثوب قشيب

ويقول الممزق وهو يستعطف النعمان طالباً إطلاق سراحه[2]:

فإن كنتُ مأكولاً فكن خير آكلٍ
وإلا فأدركني ولما أمَزَّقِ
أكلّفتني أدواء قوم تركتهم
وإلا تداركني من البحر أغرق

ويقول جذل بن أشمط في صاحبة أنكرت شجاعته، وعلو همته، لرثة ثيابه، وسوء حاله[3]:

أو كنت أنكرت بردية وقد خلقا
فالبحر من فوقه الأقذاء والزبد
أو كان صرف الليالي عنك غيره
فإن تحت ثيابي ضيغم أسد

ويكرر المثقب لفظتي «لا ونعم» ليعالج مسألة هامه هي الوفاء بالوعد[4]:

لا تقولن إذا ما لم ترد
أن تتم الوعد في شيء «نعم»

(١) المفضليات: ٢٥٣ .

(٢) الأصمعيات: اصمعية ٥٨ ص ١٦٤ .

(٣) التذكرة السعدية ١٥٤ .

(٤) ديوان المثقب العبدي: ٢٥٧ .

حـــسن قـــول «نـعـم» مـن بـعـــد «لا»
وقـــبـــيح قـــول «لا» بـعـــد «نـعـم»

المقطوعات الشعرية:

إذا استثنينا بعض قصائد المثقب، ومنصفة المفضل، وأصمعية الممزق ومفضليات يزيد بن الخذاق وثعلبة بن عمرو، فإنه يتبقى لدينا عدد هائل من المقطوعات الشعرية يزيد على سبعين مقطوعة، وهو أمر يستدعي منا أن نسجل ذيوع المقطوعة عند شعراء عبدالقيس.

وقد عرفنا طائفة من الشعراء أصحاب مطولات، ورأينا الشعر الجاهلي يزخر بمئات من القصائد، لكن ظاهرة المقطوعة عند العبديين تستوقفنا وتضعنا أمام أسئلة عدة، لماذا شاعت تلك الظاهرة في شعرهم؟ وكيف نبرر هذا العدد الهائل من مقطوعاتهم؟ وهل هذا هو حجم القصيدة عندهم؟

وأمامنا عدة احتمالات ومنها أن تكون هذه المقطوعات من قصائد ضاعت أبياتها قبل أن تصل إلينا، وهذا يتفق مع ضياع الشعر الجاهلي بشكل عام، وهو احتمال مقبول، فمفضلية الممزق فيها حذف ظاهر، واضطراب بائن ومطلعها[1]:

صـحـا عن تـصـابيـه الـفـؤاد الـمُـشـوّقُ
وحـــان من الحي الجــمـــيـع تفـــرُّقُ

والرواة في مثل هذا الضياع يقومون سبباً قوياً من أسباب هذه الظاهرة، فقد حفظوا الكثير من القصائد والمطولات ولكثير من الشعراء، فلا نستبعد أن يكون النسيان قد غلب عليهم عند رواية الشعر أو اختلط الأمر عندهم في قسم آخر منه، فلعبت به أيديهم وحذفت ما حذفت ولذا وصل إلينا بعض أبيات من القصيدة الطويلة وضاع سائرها.

ومن الاحتمالات القائمة أن بعض الرواة كانوا يختارون من القصيدة أبياتا تفي بحادثة معينة أو خبر هام فيقتطفون من القصيدة ما يلبي هذا المطلب عندهم، وباقي القصيدة أهمل فعدا عليه الزمان وضاع ولم يصل إلينا.

(١) المفضليات: مفضلية رقم ٨١ ص ٣٠١.

وهذا الاحتمال تنهض شواهده في حماسة البحتري الذي أورد طائفة من المقطوعات لعبدالقيس فالشاعر مسعود بن سلامة ينقل لنا رأيه في الموت، فهو صائر إلى الموت بعد أن رحل عنه إخوته ومحدثوه وبنو قومه، وأفرد لوحده من بين ذلك الحشد الكبير والجمع الغفير، فهو موقن أن الموت سيأتيه، وأن حياته ستنتهي فالدليل قائم أمامه، موت إخوته وأبناء عشيرته فهو يقول[1]:

ألم تعلمي أن قد ترحل إخوتي
جميعاً وإخواني الذين أعاشر

وهذه المقطوعة لها بقية في حماسة ابن الشجري ومنها:[2]

وما أدرك الساعون فينا بوترهم
ولا فاتنا من سائر الناس واتر

وإذن اختار البحتري قسماً منها تحت باب «ما قيل في الكبر والهرم» واختار ابن الشجري قسماً آخر تحت باب «الشجاعة والقوة» وضاع سائر أبيات القصيدة[3].

وإذا كانت مقطوعة مسعود قد انتزعت من قصيدة بقي قليل منها فإننا نجد مقطوعات أخرى لا بقية لها فابنة حكيم العبدية تدعو قومها لأخذ ثأر أبيها، وتبعث فيهم الحمية لكيلا يجبنوا أمام الربيع قاتل والدها، ويتقاعسوا كالنساء عن ثأرهم، فاستخدمت الشاعرة هذه المقطوعة قائلة:[4]

أيرجو ربيع أن يؤوب وقد ثوى
حكيم وأمس شلوه بمطبق
فإن كنتم قوماً كراماً فعجلوا
له جرأة من بأسكم ذات مصدق
فإن لم تنالوا نيلكم بسيوفكم
فكونوا نساء في الملاء المخلق

---

(١) البحتري: الحماسة ص ٢٠٥.

(٢) ابن الشجري: الحماسة الشجرية ١/٦٠٥ .

(٣) انظر: ديوان عبدالقيس.

(٤) البحتري: الحماسة ص ٣١.

والمزق يقول في مقطوعة له أن الموت واقع لا محالة فلا تفيد الحيل ولا تنفع التمائم، ولا يحول طب الكاهن دون الموت:[١]

ولو كنت في بيت تسد خصاصه
حوالي من أبناء نكرة مجلس
إذاً لا تتنى حيث كنت منيتي
يخب بها هادٍ إلى معفرس

وهناك أمثلة كثيرة وشواهد قائمة عند البحتري وعند غيره من الرواة، ومن الأمثلة والشواهد:[٢] مقطوعات يزيد بن الخذاق العينية والبائية واللامية والقافية، ومقطوعات جذل بن أشمط الرائية واللامية والدالية، ومقطوعات ثعلبة بن عمرو وهما الرائيتان والميمية، والمقطوعات التالية الأخرى ومنها لامية أنس بن مساحق، ورائية حدار بن بن ظالم وميمية سلمة بن أبي هبابة، وفائية ربيعة بن ثوبة وحائية نشبة بن عمرو ودالية أسامة بن ربيعة، ولامية مويلك بن قابس ومرثية أخت سعد ومقطوعة أم النحيف في زوجة ولدها.

ومن تلك الاحتمالات أيضاً في المقطوعات الشعرية حياة فرسان الحرب في عبدالقيس فسرعة القتال تستدعي سرعة القول وإيصال المعلومات بأوجز عبارة وأقصر طريق.

فمالك بن عروة يخبر أعداءه بأنه عازم على أخذ الثأر وهو يتحين الفرص وينتظر الأيام المواتية ويستعد بالعوالي السمر فيقول:[٣]

فلا تحسبوا أنا نسينا بحابل
حريز الندى والعسكر المتبددا
ولا تستريثونا فإنا كأننا
وسمر العوالي فيكم اليوم أو غدا

(١) البحتري: الحماسة ٩٧.
(٢) انظر : ديوان عبدالقيس.
(٣) البحتري: الحماسة ص ٣٠.

والجمال العبدي يتحدث عن شجاعته وقوته أمام أعدائه فيعلن أن السيف والرمح صديقان له يشهدان بطولاته وجولاته الحربية وأعداؤه لابد مهزمون إذا سدد طعنة رمحه إلى صدورهم وضربة سيفه في رقابهم:[1]

السيف والرمح لي خدنان قد شهدا
أني شجاع فما داناني الأسد
إذا شددت على قوم هزمتهم
ببأس ذكرى فلا يبقى لهم مدد

ويتألم سويد بن الخذاق لما أصاب قومه في يوم القطيف على يدي قابوس بن هند وأخيه، فهما قد أغارا على العبديين وفرقا أحلافهم واستباحا ديارهم وسويد ينتظر اليوم الذي سيخوض فيه حرباً ينتقم من المناذرة ويغسل عار الضربة القاسمة، فهو يقول[2]:

وإلا تغاديني المنية أغشكم
على عدواء الدهر جيشاً لهاما

وفي مقطوعة أخرى تحدث عن السدير وظلم صاحب السدير عمرو بن هند وحذر الراغبين من الذهاب إليه حتى لا يلقوا سوءاً من حيوانات القصر وأمراضه وظلمه من صاحب القصر[3].

وتحدثت الشاعرة العبدية عن بطولة قومها فأذاعت نبأ صمودهم وعدم فرارهم أمام أعدائهم فقالت في مقطوعة لها:[4]

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم
ولم يبتغوا من رهبة الموت سلما
ولو أنهم فروا لكانوا أعزة
ولكن رأوا صبرًا على الموت أكرما

---

(١) الخالديان: الأشباه والنظائر ٤٤٨/٢ .
(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٨٧/١ .
(٣) المصدر السابق ٣٨٦/١ .
(٤) البحتري: الحماسة ٣٧ .

وهناك أمثلة أخرى نذكر منها مقطوعة يزيد في دوسر، وثعلبة في يوم فارعة المنقى، وعمرو بن أسوى في حرب إياد وبكر بن وائل، والجمال في إغاثة الملهوف وفي يوم القطيف، وعمرو بن سلمة في الحرب، ومالك بن ثعلبة في المعركة وهرم بن سنان في فرسه قدام وعمرو المحاربي في «هراوة عبدالقيس»[1].

وقد يغرينا القول في أن مدرسة الحرب عند عبدالقيس لم يكن لدى شعرائها كبير وقت للتنقيح والتحبير فجاء شعرهم في مقطوعات ولكن ذلك لا يثبت أمام الدراسة إذا ما عرفنا أن منصفة المفضل ومفضلية يزيد السينية ومفضلية ثعلبة الفائية قصائد طويلة وفيها جهد وعناية واهتمام بتصوير الحرب وما يتصل بها من أسلحة وفنون في القتال.

وحاول بعض الباحثين[2] أن يربط بين المقطوعة ودرجة الانفعال وبين المقطوعة والغرض فالشعر إذا قيل وقت الانفعال النفسي فإنه يكون في صورة أبيات قصيرة وعندما يتناول خبرًا أو يروي حادثة مختصرة أو يقول حكمة فإنه يكون أقرب إلى نظام الإيجاز والقصر وعندما يريد أن يبرهن على مقدرته الشعرية يعمد إلى التنقيح والإطالة، ونحن إذ لا ننكر طبيعة الغرض وظروف الموضوع ودرجة الانفعال إنكارًا تامًا إلا أن هذا غير محتمل في كل الحالات وعند البحث والتقصي لا تنهض تلك العوامل دليلاً وحيداً على ذيوع المقطوعات الشعرية.

ومن الاحتمالات القائمة في أمر هذه المقطوعات كذلك عدم وجود شعر غزلي عند العبديين باستثناء غزل المثقب ونحن ندرك أن الغزل كان يتصدر القصائد الجاهلية وأن الشاعر كان يطيل في هذا الغزل بل في بعض الأحايين يستغرق القصيدة كلها ويكون الغرض الأساسي فيها كما في معلقة امرئ القيس.

فالإطالة والاستغراق في الغزل من ناحية «الكم» ينقلان الشعر من المقطوعة إلى القصيدة، ولذا فإن ظاهرة اختفاء لوحة الغزل في موضوعات العبديين تقوم إحدى الاحتمالات في شيوع المقطوعات عندهم.

---

(١) انظر: ديوان عبدالقيس.

(٢) إبراهيم انيس: موسيقى الشعر ١٧٧، وجرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ١/٦٧ .

والواقع أن كل الاحتمالات التي ذكرناها قائمة ولكننا لا نرجح واحداً منها لأن الكثير من شعر عبدالقيس لم يصل إلينا، فإذا عثرنا على نصوص كاملة وقصائد تامة غير التي بين أيدينا جاز أن نصل إلى حلول أخرى مريحة وموافقة.

ومع ظاهرة انتشار المقطوعات عند العبديين تبرز ظاهرة أخرى وطيدة الصلة بها وهي وحدة الموضوع.

فنحن ندرك أن هذه المقطوعات تعالج كل واحدة منها موضوعًا واحداً لا يتسع المجال لأكثر منه، بل إن قصر المقطوعة لا يسمح بتعدد موضوعاتها وكثرة أغراضها ويمكننا أن نضع عنواناً مناسباً لكل مقطوعة تحمل موضوعاً معيناً، وأمامنا كما أشرنا عدد هائل من المقطوعات.

فمقطوعة يزيد بن الخذاق القافية تأتي تحت عنوان «شاعر يرثي نفسه» ومقطوعة سويد الميمية بعنوان «يوم القطيف» ورائيته بعنوان «دوسر» و«نهاية زوجة» لأم النحيف، و«يأس من البقاء» للممزق، و«صديقان» للجمال، و«ذم الفراق» لشاعرة عبدية و«رسالة» لعمرو بن أسوى، و«مصرع هداج» لحدار بن ظالم و«هراوة عبدالقيس» لعمرو المحاربي و«غدر» لجذل بن أشمط و«من أرض المعارك» لثعلبة بن مالك وغيرها من الأمثلة.

ولقد رأينا فيما سبق أن بعض الرواة ومنهم البحتري اختار عناوين للأبواب والمقطوعات التي ذكرها في حماسته وبلغت أكثر من مئة وسبعين مقطوعة شعرية ومعنى هذا أن الباب الواحد كان يتسع لقرابة تسع مقطوعات.

فمقطوعة عمرو بن أسوى القافية جاءت تحت باب «ما قيل في صحة المودة وحفظ الإخاء» ومقطوعة جذل بن أشمط تحت باب «ما قيل في البقاء وحذر الموت وترقبه وقلة الحيل» ومقطوعة أنس بن مساحق تحت باب «ما قيل في صغير الأمور وكبيرها» وهكذا فإن هذه الأمثلة وغيرها أدلة على وحدة الموضوع في شعر العبديين.

ويبقى أمامنا من شعر عبدالقيس القصائد الطويلة، فهل توفرت فيها وحدة موضوعية؟ قد يكون هذا محتملاً إذا تجاوزنا المقدمات والنهايات لتلك القصائد ولكننا

نعلم أن بناء القصيدة الجاهلية نظام متوارث يضم مقدمة تتناول الطلل والغزل والوصف مجتمعة أو متفرقة، ويخوض في موضوع أنشئت القصيدة من أجله وبعد ذلك تنتهي بما تنتهي به، فإذا أخذنا هذا كله في الاعتبار لا يتبقى عندنا إلا ثلاث قصائد اثنتان ليزيد بن الخذاق وواحدة لثعلبة بن عمرو توفرت فيها الوحدة الموضوعية وكلها في موضوع واحد هو شعر الحرب.

عدم الحرص على المقدمات وندرة التصريع:

لعلّ من أعرق الظواهر الفنية التي أرسى دعائمها شعر الجاهلية المقدمة بأنواعها المختلفة، وتمتاز المقدمة الطللية والغزلية من بينها بأنهما أكثر المقدمات انتشاراً في صدور القصائد الجاهلية.

وفي الشعر الجاهلي قصائد كثيرة بدون مقدمات، لم يفتتحها الشعراء بالطلل أو الغزل بل كانوا يشرعون في موضوعاتهم وأغراضهم الأساسية دون تمهيد وبلا مقدمة.

والأمر مع شعراء عبدالقيس أنهم لم يحرصوا على مثل تلك المقدمات وإنما كانوا يدخلون مباشرة إلى أغراضهم، فهم لا يهيئون الأذهان بل ولا يستأذنون في استقبال الموضوعات الأساسية ومن هنا قل وجود المقدمات في أشعارهم.

فيزيد بن الخذاق يبدأ قصائده بلا مقدمات ويتقدم مباشرة إلى أغراضه الأساسية وهي الحرب والقتال، ففي قصيدته الدالية يتحدث عن فرسه سبحة وشكة سلاجة فهو مقاتل شجاع وثائر متمرد، خرج على سلطان النعمان بن المنذر ملك الحيرة ونعته بالغدر والخيانة فقال:(١)

أعددت سبحةَ بعدما قرحتْ
ولبستُ شِكةَ حازم جَلد

نعمان إنك خائن خدع
يخفي ضميرك غير ما تبدي

(١) المفضليات رقم ٨٧ ص ٢٩٠ .

وفي قصيدة أخرى له يتحدث عن فرسه الشموس وشكة سلاحه والمناذرة مقدمة بين يدي موضوعه فيقول:(١)

ألا هـل أتـاهـا أن شِكـة حـــــازمٍ

لديّ واني قــد صنعتُ الشُّـمـوســا

أقـيـمـوا بني النعـمـان عنا صدوركم

وإلا تقـيـمـوا كـارهين الرؤوســا

وحدار بن ظالم وهو يتحدث عن مصرع هداج خطيب عبدالقيس ولاعب الميسر فيها، لم يستخدم المقدمات وإنما باشر موضوعه في أن قتله كان على يد رجال ابن ضجغم فقال(٢):

لعـمـري لقد أردت سيوف ابن ضجعمٍ

غداة التقـوا منا خطيبـاً وياسِرا

وبدأ المثقب قصيدته البائية في الكرم والضيافة دون أن يلجأ إلى المقدمة، عن ضيف طرق بيته ليلاً، في فصل الشتاء فلقيه بالترحاب وقال:(٣)

وســار تعـنـاه المبـيـت فلم يدع

له طامس الظلمـاء والليل مـذهـبـا

فلمـا أتـاني والسـمـاء تبله

فلقـيـتـه: أهلاً وسـهـلاً ومـرحـبـا

والأمثلة التي تستوقفنا في هذا المجال كثيرة، وعندما أجرينا إحصائية لمقدمات

(١) المفضليات رقم ٧٨ ص ٢٩٧ .

(٢) محمد بن حبيب: اسماء المغتالين (نوادر المخطوطات) ١٢٧/٦ .

(٣) ديوان المثقب العبدي ١١٧ .

القصائد عند العبديين وجدنا أن كل شعر يزيد بن الخذاق وشعر أخيه سويد بلا مقدمات، وكل شعر الممزق باستثناء قصيدتين بدون مقدمات، وكل شعر ثعلبة ما عدا قصيدة واحدة بدون مقدمات.

ويلحق بهؤلاء كل شعر النساء وشعر جذل بن أشمط وشعر عمرو بن أسوى كذلك قصائد كل من عمرو بن سلمة، وأنس بن مساحق، وتوبة بن المضرس وعمرو المحاربي وربيعة بن توبة وآخرين.

وهذا الإحصاء لمقدمات شعر العبديين يجعلنا نتساءل عن ظاهرة عدم الحرص على المقدمات وقلتها في شعرهم؟

نحن أمام أمرين: الأول أن هذه المقدمات ضاعت مثل سائر الأشعار الجاهلية التي لم تصل إلينا، وهذا كما ذكرنا أمر مقبول وله ما يبرره، ومن جانب آخر فإن شعر القبيلة لم يصل إلينا مجمعاً كاملاً لنقطع فيه برأي.

ويبقى أمامنا أن نرجح الأمر الثاني وهو أن شعر العبديين كما رأينا شعر مقطوعات، والمقطوعة لا تتسع للمقدمات، إذ هي تعالج موضوعا واحداً معينا وتباشر نقل الأخبار وعرض الأغراض بلا تمهيد ومن هنا كانت ظاهرة عدم الحرص على المقدمات في الشعر العبدي.

ونخلص من المقدمات إلى التصريع، فقد جرت عادة الشعراء أن يصرعوا قصائدهم، والتصريع صفة موسيقية كان الشعراء إليها يميلون، وهي في الشعر الجاهلي من أهم ميزات القصائد الطوال، فقد عرفنا أن بعض تلك القصائد تصرع أكثر من مرة، فمعلقة عنتره صرعت مرتين، ومعلقة عمرو بن كلثوم كذلك بل وزاد التصريع في معلقة امرئ القيس إلى ثلاث مرات.

وأما التصريع في الشعر العبدي فقد جاء نادراً فالمفضل العبدي يبدأ قصيدته الطويلة بدون تصريع فيقول:(١)

الم تر ان جـــيـــرتـنـا اســـتـــقلوا
فنيـــتـنـا ونيـــتـــهـم فـــريق

كذلك يبدأ المزق أصمعيته المشهورة «وهي أيضاً طويلة» بلا تصريع فيقول(٢):

ارقت فلم تـخـــدع بـعـــيـني وسـنـة
ومـن يلـق مـــا لاقـــيـت لابد يـارق

وبدأ عمرو بن أسوى مقطوعته الشعرية دون أن يلجأ إلى التصريع (٣)

وعندما أجرينا إحصاء للمطالع المصرعة أيضًا وجدنا أن جميع شعر العبديين باستثناء شعر المثقب، ومفضلية المزق، ومرثية يزيد بن الخذاق، وفائية ثعلبة بن عمرو، ودالية جذل بن أشمط، ورائية مسعود بن سلامة جاءت بدون تصريع.

ولا نستغرب مثل هذه النتجية التي تشير إلى أن أكثر من ستين قصيدة شعرية غير مصرعة.

والسبب أيضاً في ندرة هذه المطالع المصرعة يعود إلى وفرة المقطوعات فكما أن المقطوعة لا تتسع للمقدمة كذلك لا يشترط في المقطوعة أن تكون مصرعة.

أما القصائد الطويلة التي جاءت بلا تصريع مثل منصفة المفضل وأصمعية المزق فالأمر فيها أن تكون قد تشبهت بالمقطوعات فلم تصرع أو أن المفضل والمزق لم يصرعا في هاتين القصيدتين عزوفاً عن التقليد الذي جرى عليه غيرهم من الشعراء.

ومن كل ما قدمنا نخلص إلى القول في أن الشعر العبدي الذي بين أيدينا ندرت فيه المطالع المصرعة وقلت العناية بالمقدمات الشعرية.

---

(١) الأصمعيات: اصمعية ٦٩ ص ١٩٩ .
(٢) نفس المصدر، اصمعية ٥٨ ص ١٦٤ .
(٣) ياقوت: معجم البلدان ٥/١٣٤ .

الواقعية:

إذا كان مفهوم الواقعية هو تصوير واقع الحياة والتعبير عنه بصدق وأمانة فإن الشعر الجاهلي نقل لنا واقع حياة القبائل والمجتمعات الجاهلية نقلاً صادقاً وعرض أمامنا صوراً حية من الطبيعة حولهم فالحياة واسعة كبيرة، فكان شعرهم عظيماً كبيراً تحدث عن كل جوانب تلك الحياة.

والشعر العبدي جزء من التراث الشعري الجاهلي نقل لنا واقع حياة عبدالقيس واتخذ تلك الحياة بكل أبعادها وأعبائها مادة لموضوعاته.

تحدث الشعراء عن الصحراء القاسية، بشعابها، وطرقها، بسمومها التي تغير ألوان الرجال وشدة الهاجرة منها، بليلها الرهيب الموحش، بحيواناتها وطيرها وحشراتها، بنجومها وسمائها وغيثها.

ووصفوا الناقة وهي تجتاز تلك الصحراء في ليل موحش، وفلاة مقفرة تدك الأرض بأقدامها، نشيطة، سريعة، غير عابئة بالمتابع والمصاعب، فالمثقب يقول:[1]

ويعمَلَةٍ أرمي بها البيدَ في السُرى
يقطعُ أجواز الفلاةِ رسيمُها[2]

أمضي بها الأهوالَ في كل قفرةٍ
ينادي صداها آخر الليل بومُها[3]

انصُّ السُرى فيها بكل هَجيرةٍ
تغيرُ الوانَ الرجال سَمومُها

(١) ديوان المثقب العبدي ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥٢.
(٢) اليعملة: الإبل النجيبة المطبوعة على العمل (لسان العرب ٥٠٤/١٣) وفي ديوان المثقب ٢٤٢ الناقة السريعة السير، السرى: السير في الليل، الاجواز، الاوساط، الرسيم: ضرب من السير مؤثر في الأرض.
(٣) الصدى: الذكر من البوم، وجاء في «اللسان ٤٥٤/١٤» والصدى طائر يصيح في هامة المقتول إذا لم يثار له وقيل هو طائر يخرج من راس المقتول ويدعى الهامة وفي ديوان المثقب: الصدى هو الطائر الذي يصير بالليل ويقفز ويطير ويبدو أنه الصحيح.

ويتحدث المثقب كسائر الناس ومن واقع حياته عن الهموم والنجوم، فقد ضاق صدره ذات ليلة وزارته الهموم، فحرمته النوم وطالت ليلته وهو يرقب نجومها:[1]

كـأني أقـاسي من سـوابق عَـبـرةٍ
ومن ليلةٍ قد ضاف صدري همومُها
تردُّ باثناءٍ كـأن نجـومَـهـا
حيارى إذا ما قلتُ غاب نجومُها

ووصف العبديون البيئة البحرية بما فيها من سفين وملاحة وأنهم يسخرون البحر في النواحي التجارية، فيزيد بن الخذاق يصف لنا الملاحين وهم يدفعون الضرائب التجارية فيقول:[2]

ألا ابن المعلى خلتنا ام حسبتنا
صراري نعطي الماكسين مكوسا

وهذا المعنى يؤكده المثقب وهو علىٰ ظهر ناقته كملاح علت سفينته موج البحر تصعد تارة وتهبط أخرى فيقول:[3]

كـأني واقتـادي على حَـمشَـةِ الشَـوى
يجـورُ صـراريٌّ بهـا ويُقـيـمـهـا

ويذكر المثقب السفين وهو يتحدث عن البخت في ظعائن فاطمة فيقول:[4]

يشبهن السفين وهو بخت
عراضات الأباهر والشؤون

(١) ديوان المثقب العبدي ٢٣٦، ضاف صدري همومها: نزلت به الهموم، اثناء: اطراف الحبال، وقيل كل ما انثنى وانعطف من الجبال والوديان.

(٢) المفضليات : مفضلية ٧٩ ص ٢٩٧ .

(٣) ديوان المثقب العبدي ٢٤٧، الاقتاد: عيدان الرجل، حمشة الشوى: دقيقة الساقين، والشوى اليدان والرجلان، يجور بها: يعدل بها ويميل، والصراري: الملاحون.

(٤) ديوان المثقب العبدي: ١٤٩ الأباهر: اوردة الدم، الشؤون شعب الراس.

وفي واقع حياة العبديين الحربية نقل لنا الشعر الثورة التي حملوا لواءها ضد المناذرة، والحرب التي خاضوها مع القبائل، والأسلحة التي استخدموها والكتائب التي أغارت عليهم فالمثقب العبدي يصف كتيبة النعمان «الجأواء» بأنها شديدة المراس قوية البطش، ضخمة عظيمة، تحمل الموت والدمار لكل من تمضي إليه، تضم فرقًا متقدمة وهو ما يعرف بلغة الحرب المعاصرة «الفرق الاستطلاعية» وتضم هذه الفرق النهابين والمروعين الذين يغيرون على القبائل ويحملون الرعب إليها:[1]

وجأواء فيها كوكبُ الموت فخمة
تقمّص بالأرض الفضاء وئيدها
لها فرط يحمي النهاب كأنه
لوامعُ عقبان مَروع طريدها

وعلى ساحة المعركة وقد لمعت السيوف وتعاورت الرماح وسالت الدماء وتطايرت الرؤوس نقل لنا المفضل صورة حية من واقع المعركة، تلفت بعينه ماذا رأى؟ بناناً مقطوعة، وجماجم مسلوقة، وجثثا تناثرت أشلاؤها، وتقطعت أوصالها، وانظر تجد على الساحة الكبيرة عدداً من السادة يلفظون انفاسهم، وكثيرا من الفتيان يلقون الموت باسمين، إنها صورة أخاذة من واقع حياة الحرب بين قبيلتين هما لجيم وعبدالقيس[2].

وينقل المفضل أخبار القتلى بالتفصيل فهم الحارث بن الوضاح زعيم بني لجيم وثعلبة بن سيار فارسهم وابن قران فارس آخر فيهم ومن العبديين قتل فتى كريم النسب[3]:

قتلنا الحارث الوضاح منهم
فخرّ كأنه سيف دلوق
وقد قتلوا به منا غلاماً
كريماً لم تؤشبه العروق

(١) ديوان المثقب العبدي ١٠٧ .
(٢) الأصمعيات: اصمعية ٦٩ ص ١٩٩ .
(٣) الأصمعيات.

وسـائلة بثـعلبـة بن سـيـر
وقـد أودت بثـعلبـة العلوق
وأفلتنا ابن قـران جـريضـاً
تمر به مـسـاعـفـة حـروق

ومثل هذه التفاصيل عن القتلى يذكر مالك بن ثعلبة مقتل أربعة من أعدائه وهم «شريح، وابن أم غضبان، وحبتر، ومسمع» وقد تناثرت جثثهم على أرض المعركة وصدرت عنها الضباع والنسور بعد أن شبعت منها:[1]

تركنا شـريحـاً قـد علتـه بصـيـرة
كحـاشـيـة البـرد اليـمـاني المحـبـر
ونحن فـجـعنا أم غـضـبـان بابنهـا
ونحن كـسـرنا الرمح في عين حـبـتـر
ونحن تركنا مـسـمـعـاً مـتـجـدلا
رهينة ضـبـع تعـتـريه وأنسـر

وخارج دائرة الحرب والمعارك نجد العبديين واقعيين في نظرتهم إلى الموت فهو يصيب كل شيء، يطوي الأمم، ويغير من صالح إلى طالح والأمثلة قائمة في تاريخ الإنسانية في نهاية إرم وعاد وقبيلة إياد وشخصيات قديمة كثيرة، إنها حتمية الموت فالدهر قصير الأيام، غرير الأحداث.

وهذه النظرة إلى واقع الحياة والموت نقلها لنا جذل بن أشمط حين خاطب ابنه قائلاً:[2]

أأمـام إن الدهـر أهلك صـرفـه إرمـاً وعـادا
وابتـزّ داوداً وأخـرج من مـسـاكنهـا إيادا
وسـمـا فـأدرك أسـعـد الخـيـرات قـد جـمـع العـتـادا
فـاحـتطه والدهر يعـقـب بعـد صـالحـة فـسـادا

(١) البلاذري: فتوح البلدان ١/١١٥ .
(٢) ابو تمام: الوحشيات ١٦٢ .

ونجد الواقع في ظعائن فاطمة، فالمثقب يتتبع أماكنها، ويتغنى بها، ويهتم بتحديد «المناطق الجغرافية» التي تعبرها، فالظعائن تخرج من «ضبيب» إلى «شراف» إلى «ذات رجل» وتكون «الذرانح» عن يمينها وهي تجتاز منطقة «فلج» إلى أرض مستوية، وهنا تبدو الظعائن سفناً على امتداد البصر تعبر بحر الرمال، فهذه الأماكن تحمل إلى الشاعر أجمل الذكريات:(١)

لمن ظعن تطلّع من ضبيب
فما خرجت من الوادي لحين

مررن على شراف فذات رجل
ونكبن الذرانح باليمين

وهن كذاك حين قطعن فلجاً
كأن حمولهن على سفين

والمثقب يخصص نوع الإبل التي ظعنت بفاطمة، فهي إبل خراسانية عراض الظهور، ضخام الرؤوس:(٢)

يشبهن السفين وهن بخت
عراضات الأباهر والشؤون

ويتحدث المثقب بدقة وعناية في واقع هذا الظعن، فنحن نرى حرصاً من صاحبة المثقب على تثقيب «وصواصها» ورفع جانب من الستائر الرقيقة على الحداجة لتشاهد الأحبة عند الوداع وتنظر إلى من يودعها حين الفراق فتبدو محاسنها وجمال أثوابها:(٣)

ظهرن بكلة وسدلن رقماً
وثقبن الوصاوص للعيون

---

(١) ديوان المثقب العبدي ص ١٤٢ .

(٢) نفس المصدر ١٤٩ .

(٣) نفس المصدر ١٥٦ .

أرين محاسناً وكنن أخرى

من الديباج والبشر المصون

والمزق كالمثقب ينقل لنا واقع حزنه وفزعه من رحلة صاحبته وقد أزمع أهلها الرحيل عند الصباح فراح يحدد ويعدد الأماكن التي تعبرها الظعائن فقال:[1]

لدن شال أحداج الفطين غدية

على جلهة الوادي مع الصبح توسق

تطالع ما بين الرجا وقراقر

عليهن سربال السراب يرقرق

ويرتبط بالواقعية مظهر هام من مظاهرها هو الصراحة، فحياة العبديين في بيئة مغرية بالبقاء فيها، والمحافظة عليها من الحيرة المتسلطة والقبائل الطامعة، جعلتهم ينهجون منهجاً صريحاً في هذا الواقع، مع أنفسهم ومع من حولهم.

وهذه الصراحة أورثتهم جانباً كبيراً من الإيذاء والاعتداء، فهوجموا من قبل المناذرة واستبيحت منازلهم، وكثرت الغارات عليهم، وهذا ما دفع بعض شعرائهم إلى الثورة على النعمان ملك الحيرة، وأطلق الشاعر يزيد بن الخذاق صيحة مدوية عندما رأى هول الضربة، وقسوة الهجمة، وشراسة الغاره على بني قومه العبديين.

وكان صريحاً أمام النعمان فلا مهادنة ولا مودة، وكيف يأتي الود؟ وقد رأى أهله وأبناء قبيلته يسامون الأذى ويساقون إلى الموت وإنما هي ثورة على النعمان لأنه مخادع وخائن، يتعمد المكر ويبيت الغدر:[2]

لن تجمعوا ودي ومعتبتي

أو يجمع السيفان في غمد

(١) المفضليات ٣٠١ .

(٢) المصدر السابق ٢٩٥ .

ومكرت معتلياً مذلتنا
والمكر منك علامة العمد

وإزاء هذه الصراحة أعلن أنه يستعد للحرب ويتهيأ للثورة وليكن ما يكون:[1]

نعد ليوم الروع زعفاً مفاضة
دلاصاً وذا غرب أحذ ضروسا

أما المثقب فقد كان رجلاً حكيماً، يعلو فوق الجراح، لذلك اعترف للنعمان بالقوة والغلبة وهدّأ الخواطر الثائرة وأعلن أن كثيرين غير عبدالقيس أصابهم بطش النعمان والتمس منه العفو والصفح عن أسرى قبيلته، واستجاب النعمان وأطلق سراحهم وكانت فرحة غامرة:

وأي أناس لا يبيح بقتله
يوازي كبيدات السماء عمودها

☆☆☆☆

فأنعم «أبيت اللعن» أنك أصبحت
لديك لكيز كهلها ووليدها
وأطلقهم تمشي النساء خلالهم
مفككة وسط الرجال قيودها

إنها جوانب من واقع الحياة، فيها صراحة وصدق، وفيها اعتراف بواقع يعيشه الإنسان، فالحياة هذا شأنها، مختلفة اتجاهاتها، الفرسان يثورون والعقلاء يصلحون، والحرب تشتعل والسلم يطفئ لهيبها ويمنع استمرارها.

وإلى جانب ماذكرنا من أمثلة لن أغفل منصفة المفضل وغيرها من المنصفات الشعرية عند العبديين وجميعها تعمق وترسخ واقعية الصراحة ومبدأ الصدق عندهم.

---

(١) المفضليات ٢٩٧ .

التصوير الفني:

الأدب روح الحياة، وجدولها الرقراق، يصب في نهر الوجدان الإنساني، وينساب صافياً رقيقًا في أوصال المشاعر البشرية، والخيال جوهر الأدب، في ظله تتلاقى الأشياء في إخاء جميل، وتتعانق في مودة لغوية، ومن هنا رقص الشعراء في سلاسل ذهبية من التشبيهات والاستعارات، وقدموا لنا عبر الزمن صورًا حية، وباقات شعرية، ترنو في شموخ، وتتطلع في كبرياء[1].

والميل إلى التصوير فطرة إنسانية، فالمرء أبداً شغوف بنقل ما حوله من مشاهد سبق غيره إليها[2] فأجاد في تقديمها، وبرع في عرضها، والصورة الشعرية تجذب فينا مشاعرنا، وتشد عقولنا، لأن رسم الواقع الإنساني بلوحات فنية باهرة هو الذي يجعلنا نستمتع بها، ونقبل عليها.

وقد شاع التصوير في شعر العبديين، واتسعت فيه مكانة للتشبيه والاستعارة ونزع الشاعر العبدي منزعًا حسياً في صوره، ينتزعها من عالمه المحيط به ومن واقعه الذي يعيش فيه، وقد منحته البيئة وضوحاً وبساطة في الرؤيا، ومن هنا جاءت صوره حسية واضحة، لا غموض فيها، ولا تعقيد وكما يقول الدكتور شوقي ضيف:[3] «ليس فيها أشراك ذهنية تضل في ممراتها وشعبها الفكرية».

فالشاعر لم يخرج أبعد من حدود قبيلته وبيئته، ولم يتخيل إلا ما يراه حوله وما هو ماثل أمامه، فصوره في أغلبها بصرية، تمتاز بالبساطة وتعتني بالحركة.

فعندما أراد المفضل العبدي أن يصور لنا لقاء بني لجيم مع قومة في معركة طريف وأن يحدثنا عن كثرة عددهم وشدة اندفاعهم، استعمل صورة السحاب وصورة السيل

(١) دكتور مصطفى ناصف: الصورة الأدبية ٥٩ .
(٢) عبدالحميد حسن: الأصول الأدبية ١٢٠ .
(٣) دكتور شوقي ضيف: العصر الجاهلي ٢٢٦ .

فاللجيميون سحاب منهمر شديد البرودة والعبديون سيل متدفق يغمر كل ما حوله وتضيق به الطريق، والسحاب والسيل منظران حسيان، مشاهدان من واقع البيئة:[1].

فـجـاءوا عـارضـاً برداً وجـئـنا
كـمـثل الـسـيل ضـاق به الطريق

وفي تصوير شدة الضربة في مقتل الحارث الوضاح زعيم بني لجيم استخدم المفضل السيف صورة حسية، مشاهدة وواضحة فقال:[2]

قـتلنا الحـارث الوضـاح منهم
فـخـرّ كـأنه سـيف دلوق

وشاعر عبدي يصف لنا رمحه وقد اخترق جسم عدوه، فاختار خرطوم النسر صورة مرئية يعبر بها عن سرعة الطعن وقوة الضرب فقال:[3]

تركت الرمح يبـرق في صـلاه
كـأن سنانه خـرطوم نسـر

والممزق في معرض حديثه عن ناقته، وتأثير رجله في جنبها، وقد انحصر عنه الوبر تاركاً أثراً من الملاسة، اختار أفحوص القطا صورة حسية فالقطاة تعد مكانها بمهارة، وتسوّيه بدقة لتطمئن إليه وتبيض فيه:[4]

وقـد تخـذت رجلي لدى جنب غـرزها
نسـيـفـاً كـأفـحـوص القطاة المطرق

ويزيد بن الخذاق أراد أن يعبر عن حالته وهو يدرج في القبر إذ يصبح كالمخراق التي يلهو بها الصبيان، وكان هم أهله أن يعلنوا نبأ موته ليقتسموا أمواله وقد أسدل الستار على حياته فهي صورة من الواقع المشاهد صورها يزيد قائلاً:[5]

---

(١) الأصمعيات: ١٩٩ .

(٢) الأصمعيات: أصمعية ٦٩ ص ١٩٩ .

(٣) المفضليات: مفضلية ١٣ ص ٧٠ .

(٤) الأصمعيات: أصمعية ٥٨ ص ١٦٤ .

(٥) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٨٦/١ .

وحـــــملوني وقـــــالوا أيما رجل

وأدرجـــوني كـــاني طي مـــخـــراق

وقـــســـمـــوا المال وارفـــضت عـــوائدهم

وقـــال قـــائلهم: مـــات ابن خـــذاق

والمثقب وهو يتحدث عن تريبة صاحبته المصقولة البيضاء، وقد تدلى عليها الذهب، فأضفى عليها جمالاً، لجأ إلى لون العاج الأبيض ونقل لنا هذه الصورة الحية فقال:(١)

ومـــن ذهـــب يـــلـــوح عـــلـــى تـــريـــب

كلون العـــاج ليس بذي غـــضـــون

والمثقب أيضاً وهو يتحدث عن عفة أقواله وبعده عن الولوغ في أعراض الناس وعدم غيبتهم تناول صورة السبع الجائع فقال:(٢)

لا تـراني راتـعـــــاً فـي مـــــجـلـس

في لحـوم الناس كـالسـبـع الضـرم

هذه الأمثلة وغيرها تنهض أدلة على أن صورة الشاعر العبدي حسية تمتاز بالبساطة والوضوح، ولا تنقصها الحركة، ومنتزعة من بيئته وحياته.

ولكن هل معنى ذلك أن نقول بنفي الصور العميقة والتي فيها جانب من الغموض في شعر العبديين.

مثل هذه الصورة نلقاها عند المثقب وهو يصف لنا سرعة ناقته، فقد عقد مقارنة بين سرعة حركة اليدين عند النائحة ابنة الجون وترجيعها لتدق صدرها، وهي تحمل مجلدها، وسرعة حركة اليدين عند الناقة وهي ترجعها إلى صدرها، مسرعة في عدوها، نشيطة في

---

(١) ديوان المثقب العبدي ١٥٩ .

(٢) ديوان المثقب العبدي ٢٢٩ .

حركتها وتزعم الأخبار أن ابنة الجون امرأة من كندة، كانت تستخدم المجلد عندما تنوح على الموتى ويبدو أنه كان لها شهرة في هذا المجال وقد نقل لنا المثقب هذه الصورة فقال:(٣)

كـأنما أوب يديهـا إلى حـيـزومـهـا فـوق حـصى الفـدفـد
نوح ابنـة الجـون علـى هـالـك ، تنـدبه رافـعـة المجلد

ويهمنا أن نشير إلى أن شعر العبديين لم يخل من الصور الممتده تضم عناصر الحركة والصوت واللون ولا تنقصها البراعة في عرض المشاهد وفنية التصوير.

فالمفضل يصور لنا بداية معركة طريف، رماية كثيفة من السهام، و ويتقدم الفرسان، والأمر في هذه الرماية كما يقولون في الحرب المعاصرة «لتغطية زحف المشاة». – ويتقابل الجمعان، ويبدأ الطعان بالرماح، وعندما تشتد الحرب ويستعر أوارها يترك المحاربون الرماح، ويسلون السيوف يضربون الهامات ويفلقون الرؤوس ويذيقونها طعم الروى، وتنجلي المعركة عن قتلى من الفتيان، فخر الشباب وزينة القبيلة وقد قلص الموت أفواههم ورقق شفاههم، وفي الساحة من الفرسان قل أن نجد فيهم فارساً صريعاً بدون سهم قاتل، ويحاول بعض الفرسان الحركة والقيام، لكن السنان الذي أصابه أو القرن الذي نفذ فيه يستقر في جسمه ويحمل له الموت، وبعد ذلك تشبع السباع من جثث الفريقين وتمضي وهي تتجشأ لكثرة ما تناولت من الطعام، ويسيطر الحزن والألم، وتبكي النساء قتلى الطرفين وتصحل أصواتها من شدة البكاء.

إن المفضل تناول من قلب المعركة هذه الصورة الفنية، دافقة الحيوية وفيها الصدق والجمال حتى كأنما هي تتحرك أمامنا في مشاهد واضحة وسريعة الحركة، وجميلة العرض:(٢)

(١) ديوان المثقب العبدي ٢٨، أوب: سرعة تقليب اليدين في السير، الحيزوم: الصدر ووسطه، الفدفد: الأرض الغليظة ذات الحصى، أو المكان المرتفع الذي فيه صلابة، المجلد: خرقة سوداء تشير بها النائحة، وفي «اللسان» المجلد قطعة من جلد تمسكها النائحة بيدها وتلطمه بها وجهها وخدها، وقال ابو عبيد المجلد خرقة تمسكها النائحة بيدها إذا ناحت.

(٢) الأصمعيات: ١٩٩ .

وَبسلٌ أن ترى فـيـهم كـمـيّـاً
كـبـا ليـديه إلا فـيه فـوق

يـهـزهز صـعـدة جـرداء فـيـهـا
سنان الموت أو قـرن مـحـيق

فـالقـينا الرمـاح وكـان ضـربا
مـقـيل الهـام كل مـا يذوق

كـأن هـزيرنا يوم التـقـينا
هزير أباءة فـيـهـا حـريق

بكل مـجـالة غـادرت خـرقـا
من الفـتـيان مـبـسـمة رقـيق

وبعد أن عرضنا للصور الحسية، وتناولنا صوراً واضحة وعميقة وممتدة ندرك أن التشبيه يعتمد الموازنة الواضحة ويكتفي بالملاحظة الدقيقة ويجسم لنا الصورة تجسيماً يبرز جمالها، ويكون من المفيد أن نتناول روافد هذا التشبيه عند العبديين وهي كثيرة لكننا سنقف عند أهم رافدين هما: البيئة البحرانية والحياة الإنسانية.

البيئة البحرانية : لقد عرفنا أن العبديين يقتربون من البحر فهم ينتزعون تشبيهاتهم من مشاهداتهم البحرية كالسفينة واللؤلؤ والملاحين.

فالسفينة يستغلها المثقب في تشبيهاته عندما يصف ظعائن فاطمة فيقول[(١)]:

وهـن كـذاك حين قطعن فلجـاً
كـأن حـمـولهـن على سـفين

والناقة التي تحمل المثقب وتجتاز الرمال سفينة طويلة تمخر عباب البحر[(٢)]:

كـأن الكور والأنسـاع منهـا
على قـرواء مـاهـرة دهـين

(١) ديوان المثقب العبدي: ١٤٨ .
(٢) نفس المصدر ١٨٨ .

ويصف المثقب دموعه الغالية بأنها حبات من اللؤلؤ النفيس وقد انفرط عقدها فتبعثرت.[1]

ويتناول المفضل نفس التشبيه فيصف انحدار دموعه بلؤلؤ يتحدر في عراه:[2]

فدمعي لؤلؤ سلس عراه

يخر على المهاوي ما يليق

وينتزع يزيد بن الخذاق تشبيهه من واقع الملاحين فيخاطب ابن المعلى قائلاً لا تظننا كالملاحين الذين يرضون بالجور ويدفعون المكوس والضرائب:[3]

الا ابن المعلى خلتنا وحسبتنا

صراري نعطي الماكسين مكوسا

واستخدم العبديون النخلة في تشبيهاتهم، فالمفضل وهو يصف سرعة فرس ابن قران وقد فرت من أرض المعركة، فعنقها نخلة طالت، يتقدم أمامها، وهي تمد بذنبها للخلف ليكون أشد لعدوها وأسرع في شرودها[4]:

تشق الأرض شائلة الذناني

وهاديها كأن جذع سحوق

ويستغل المثقب مظاهر العمران في البحرين وما فيها من قصور شاهقة فيعمد إلى تشبيه ناقته وقد سمنت وطال سنامها بالقصر فيقول[5]:

ينبي تجاليدي وأقتادَها

ناوٍ كرأس الفَدن المُؤيد

(١) نفس المصدر ٦٣ .

(٢) الأصمعيات ١٩٩ .

(٣) المفضليات: ٢٩٧ .

(٤) الأخفش: كتاب الاختيارين ٢٥٢ .

(٥) ديوان المثقب العبدي ٢٣ .

وهذا التشبيه وإن جرى عليه كثير من الشعراء إلا أن قصور البحرين وحصونها مشهورة وأخص بالذكر قصور سماهيج إحدى مدن البحرين وفيها يقول الشاعر أبو دؤاد الأيادي[1]:

وإذا أعــــرضت نقـــول قـــصــــور
من ســـمـــاهيج فـــوقـــهـــا آطام

وفي تشبيهات العبديين نجد اهتماماً بما عرفوا في بيئتهم من حيوان وطير فالمثقب يصف ناقته بالنشاط والسرعة وكأن هراً قد علق يعقد حزامها وأنشب أظفاره فيها وهي تصده عنها، ولكن هيهات فهو يزيدها أذى وهي تسرع لتنجو منه وكأنها قطاة اشتد عطشها فهي تسرع في طيرانها حين ورودها[2]:

كـــأن جنيـــبـــاً عند مـــعـــقـــد غـــرزها
تـــراوده عـن نـفـــســــــــه ويُـريـدُها
تـهـــالك مـنـه في الـنَجـــاء تـهـــالكاً
تـقـــاذف إحـــدى الجـــون حـــان ورُودُها

وصورة الهر مألوفة عند العبديين وعند غيرهم فالممزق يذكر مثل هذا قائلاً[3]:

ترى أو تراءى عند مـــعـــقـــد غـــرزها
تـهـــاويل من أجـــلاد هر مـــعـــلق

والمثقب يعود إلى تشبيه بروك الناقة بآثار القطا عندما تعرس ليلاً فلا تحدث جلبة ولا ضوضاء إنما هو نزول خفى فهو يقول[4]:

كـــأن مـــواقـــع الـثـــفـنـات مـنـهـــا
مـــعـــرس باكـــرات الـورد جـــون

---

(١) الاصمعيات: ١٧١ .

(٢) ديوان المثقب العبدي ٩٥، الجنيب: الهر، غرزها: رحلها، يريدها: يقصدها وروى ابو عبيده ويزيدها اذى كلما زاولته وابعدته، وذكر الانباري كان ابن اوى عند معقد غرزها. والجون: القطا. تقاذف: تباعد.

(٣) الاصمعيات: ١٦٤ .

(٤) ديوان المثقب العبدي ١٧٤، الثفنات: ركب البعير وما يمس الأرض منه إذا برك، المعرس: مكان النزول آخر الليل، باكرات الورد: مبكرات، جون : سود.

ويشبه ناقته بثور وحشي فيه سفعة وسواد وقد امتدت خطوط ملونة في ظهره ومناطق أخرى من جسده فيقول(١):

كـــانهــــا أســـــفعُ ذو جُـــدةٍ
يمسُـــــدُه الـوبلُ ولـيـل سَــــــدِ

ويشبه النسوة الظاعنات وقد اشرأبت أعناقهن ومددن أبصارهن ينظرن إلى المودعين بغزلان تمد أعناقها إلى دانيات العضون(٢):

كـــغــــزلان خـــذلـن بذات ضـــال
تنوش الدانيــــات من الـعـــضـــون

ويشبه مسعود بن سلامة خيولهم بالنسور الجارحة قائلاً(٣):

مـعـــاقلنا في الحـرب جـرد كـانـهـا
أجـــادل في جـــو الـســمـــاء كـــواســـر

ويشبه المفضل كثافة النبال في أرض المعركة بالجراد فيقول(٤):

كـــــأن الـنـبـل بـيـنـهـم جـــــراد
تكفـــيــــه شـــامـــيــــة حـــريق

ويختار ثعلبة بن عمرو الغدير ليشبه به درعه فشآبيت الغيث عندما تتساقط على الغدير تترك على صفحة مائه دوائر واهتزازات وهذا شأن الدرع فهي منسوجة من حلقات ومزردة على شكل هذه الاهتزازات(٥):

---

(١) ديوان المثقب العبدي ٣٧ الأسفع: الثور الوحشي فيه سواد يضرب إلى حمرة، الجدة: خطوط في الظهر بيض وسود. يمسده: يطويه أي أنه أكل ما نبت الوبل عليه، وليل سَدي: ليل ندى فالسدى مثل الندى، سد ما كان من السماء في الليل والندى ما كان منها في النهار.

(٢) ديوان المثقب العبدي ١٥٤ خذلن: نافرن، تنوش: تناول، ذات ضال موضع شبه الشاعر النساء بالغزال في مجال الأعين ودقة الأجسام ورشاقة القوام.

(٣) الحماسة الشجرية ٦/١ .

(٤) الأصمعيات ١٦٩ .

(٥) المفضليات ٢٨٧ .

بيـــضـــاء مـــثل النهى ريح ومـــده
شـــابيب غــيث بحـــفش الأكم صـــائف

والأمثلة في هذا المجال كثيرة وحسبنا أننا تناولنا نماذج من البيئة البحرانية بما فيها من بحر ونخل وقصور وبما يعيش فيها من حيوان وطيور .

الحياة الإنسانية: وأعني بها كل ما يمت بصلة إلى النواحي الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فناقة المثقب وقد نهض آخر الليل يرحلها، ضاقت وتأوهت آهة الرجل الحزين الذي يذعن للقضاء النازل، وكأنما لسان حالها يقول «أما في نفس هذا الرجل من إشفاق يحمله على أن يرحمني ويرأف بي»، ويؤلم المثقب أن تشكو إليه ناقته فيستخدم التشبيه ليعبر لنا عن كل هذه الأحاسيس فيقول[1]:

إذا مـــا قـــمت أرحلـهـــا بـليـل
تـــأوه آهــة الـرجـل الحـــــزيــن
تقـــول إذا درأت لـهـــا وضـــيـني
أهـــذا ديـــنـــه أبـــدًا وديـــنـــي

ولقد ظلم أبو هلال العسكري هذا الشعر عندما عده من المعيب[2] وجار عليه ابن طباطبا[3] إذا اعتبره من الحكايات الغلقة وأنصفه الباحثون المحدثون وقال فيه طه حسين «إنه من أروع ما قاله الناس»[4].

والممزق عندما تهجم عليه الهموم، وتطارده الأهوال، يفزع إلى التشبيه بالرجل الملدوغ قائلاً[5]:

نبـيت الـهـــموم الطارقـــات يعـــدنني
كـــمـــا تعـــتـــري الأهوال رأس المطلق

(١) ديوان المثقب العبدي ١٩٤، الوضين: الحزام، دينه: عاد.
(٢) العسكري: الصناعتين ٤٥٠ .
(٣) ابن طباطبا: عيار الشعر ٤٤٩ .
(٤) طه حسين: حديث الأربعاء ١٦٤ .
(٥) الأصمعيات: ١٦٤ .

وهذا التشبيه للملدوغ يتكرر عند المثقب وقد راح يضم رجليه إلى صدره مخافة أن يتسرب الألم إلى جميع جسمه ويقول(1):

فبت أضم الركبتين إلى الحشا

كأني راقي حية أو سليمها

ونخالة البيادر في مواسم الحصاد يستغلها المثقب في التشبيه فالحديد المتطاير من شدة القتال والمقارعة يشبه نخالة الأقواع التي تتطاير أثناء عملية تنقية الحب بعد الحصيد(2):

وطارِ قُشاريُّ الحديدِ كأنه

نخالةُ أقواع يطيرُ حَصيدُها

والحرائق في الغابات استخدمه المفضل عندما تحدث عن أصوات المقاتلين وقعقعة اسلحتهم وكأنها غابة تحترق فتتقصف أغصانها وتهوي أشجارها(3):

كأن هريرنا لما التقينا

هرير أباءة فيها حريق

واستغل شعراء عبدالقيس الأثواب وألوانها في تشبيهاتهم فالشاعر مالك بن ثعلبة يتحدث عن دماء شريح وقد سالت على الأرض بأنها يماني مخطط بألوان حمراء(4):

تركنا شريحاً قد علته بصيرة

كحاشية البرد اليماني المحبر

ولون الدم يستخدم في التشبيه عند المثقب فظعائن ليلى تغطى أحداجها بأثواب حمراء كالدم(5):

---

(1) ديوان المثقب العبدي ٢٣٨ .

(2) ديوان المثقب العبدي ١١٣ .

(3) الاصمعيات: ١٩٩ .

(4) البلاذري: فتوح البلدان ١/١١٥ .

(5) ديوان المثقب العبدي: ٦٥ والأنماط ثياب من صوف ملونة تطرح على الاحداج والرقم ضرب من الثياب المخططة والشقر الدم واللون الاحمر.

قد علت من فوقها أنماطها
وعلى الأحداج رقم كالشقر

وثعلبة بن عمرو يشبه الشباب بثوب فهو سرعان ما يتغير ويبلى[1]:

عمرك هل تدرين أن الفتى
شبابه ثوب عليه معار

والطرق والممرات أثواب مخططة في قلب الصحراء والبيئة البحرانية[2]:

في لاحب تعزف جناته
منفهق القفرة كالبرجد

ويستعين يزيد بن الخذاق «بمفرمة الجزار» واللحم عليها عندما أراد أن يصور للنعمان عدم قدرته على الفتك بهم وذبح رجالهم فقال[3]:

أحسبتنا لحماً على وضم
أم خلتنا في البأس لا نجدي

فالأمثلة التي عرضناها وتمثلت في آهة المسكين، والرجل الملدوغ، والأثواب ولون الدم، واللحم، ونخالة البيادر، وحريق الغابات كلها تدخل ضمن النواحي الاقتصادية والاجتماعية والنفسية.

وبعد أن فرغنا من التشبيه نأتي إلى الاستعارة الركن الهام الثاني في الصورة التي رسمها شعراء عبدالقيس، والاستعارة في شعرهم أقل بروزاً لأنها ربما كانت كما يقول الباحثون[4] تحتاج إلى جهد وأناة وتعتمد على مافي الكلمة من حمل أو خصب كامن.

---

(١) السجستاني: المعمرون والوصايا ٤١.

(٢) ديوان المثقب العبدي ٣١ واللاحب: الطريق، منفهق: واسع، والبرجد: الثوب المخطط، وتعزف جناته: صوت الرياح يتوهمه أهل البادية من أصوات الجن.

(٣) المفضليات ٢٩٥ .

(٤) مصطفى ناصف: الصورة الأدبية ص ٥٩.

فثعلبة بن عمرو يستخدم الاستعارة وهو يصف لنا صلابة رمحه وشدة اختراقه، لا يتمايل فيما يصادف ولا يعوج مسيره، فهو رمح يعجب كل ناظر اليه ومتذوق لأفعاله، وبه يشهد الحرب الحامية، كذلك تبدو المعركة أمامنا حيواناً مفترساً، وأرضاً احمرت أطرافها لكثرة ما سفك من الدماء[١]:

ومطرد يرضيك عند ذواقه
ويمضي ولا يناد فيما يصادف
به أشهد الحرب العوان إذا بدت
نواجذها واحمرّ منها الطوائف

وعندما أراد حريث أن يتحدث عن قوة سيفه وأنه يحمل الموت لأعدائه استخدم الاستعارة، فسيفه يقطر موتاً بدلاً من قوله يقطر دماً[٢]:

مهند منه الردى يخر
الأمنا اليوم الذي يفر

وهذه الاستعارة من البيئة الرعوية التي تعرف الحلب وتجيده وقد استعان بها الشاعر ليدلل أمامنا على خبرته بالأيام ومعرفته للتجارب وحنكته مع الزمان[٣]:

ولقد حلبت الدهر أشطره
وعرفت ما أتى من الأمر

وهذا شاعر محارب يستخدم الاستعارة في مجال وصف السيف وقد تطايرت الرؤوس من شدة الضرب[٤]:

إذا ما انتضيناها ليوم كريهة
رأيت لها هام العدى تتطاير

وفي شعر العبديين إشارات إلى أنهم استخدموا الأصباغ البديعية وأنها جاءت عندهم كغيرهم من الجاهليين وحسبنا أننا وجدناها.

---

(١) المفضليات رقم ٧٤ ص ٢٨٣ .

(٢) البحتري: الحماسة ٣٩ .

(٣) نفس المصدر السابق ١٠٣ .

(٤) ابن الشجري: الحماسة الشجرية ٦/١ .

فالطباق عند يزيد بن الخذاق في يخفي ويبدي وفي ودي ومعتبتي[1]:

نعـــمــــان إنك خـــائن خــــدع
يخــفي ضــمــيــرك غـيــر مــا يبــدي

✡✡✡✡

لن تجـــمـــعــوا ودي ومـــعـــتـــبــتـي
أو يجـــمع الســـيـــفـــان في غـــمـــد

وعند الممزق العبدي نجد مطابقات بين تهامة ونجد، وعمان والعراق والجبن والشجاعة، والبخل والجود، والسوء والصلاح:[2]

فــإن يُتــهــمــوا أنجـد خــلافــاً عليــهمُ
وإن يعــمِنوا مســتــحــقـبي الحــرب أعـرقِ
وإن يجــبُنوا تشـجُع وإن يبــخلوا تجــد
وإن يخــرُقــوا بـالأمــر تفــصل وتفــرق

وفي نونية المثقب وردت مثل هذه المطابقات والمقابلات فهو يقول[3]:

أرين مــــحــــاسنًا وكـن أخــــرى
من الديبـــاج والبــــشـــر المصـــون

✡✡✡✡

علـون رباوة وهـبطـن غـــنــــيـــبــــاً
فلـم يرجــــعـن قــــائلـة لحـين

وفي مرثية يزيد بن الخذاق نجد جناساً ناقصاً حيث يقول[4]:

هل لـلفـــتـى من بنـات الدهـر من واق
أم هل لـه مـن حـــمـــام الموت من راق

---

(1) المفضليات: ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(2) الأصمعيات: ١٦٥ .

(3) ديوان المثقب العبدي ١٥٨، ١٦٣ .

(4) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٨٦/١ .

ظواهر عروضية:

قطع الشعر العربي مسافات طويلة، واحتمل تطورات كثيرة حتى وصل إلى درجة عالية من البنية الفنية وولادة النغمة الموسيقية، وأول صورة راقية لأنغام شعرنا العربي وموسيقاه الجميلة هي صورة العصر الجاهلي الذي ولد في قلب الصحراء واطراف الجزيرة العربية(١).

فالأوزان والأوضاع الشعرية المختلفة تضرب جذوراً عميقة في أغوار التاريخ، ولذا كان طبيعياً أن لا يقف عمر القافية والوزن عند حدود مائتي عام وإنما امتد إلى ما قبل ذلك بكثير(٢).

ونحن لا نستطيع أن نعثر على تحديد أو تعيين لبداية الأوزان فطفولة الشعر الجاهلي من الأمور التي لم يقطع فيها الباحثون برأي، فزيدان وبروكلمان(٣) أشارا إلى أن الشعر بدأ مع الرجز والمقاطع الصوتية القصيرة ثم وصل إلى البحور الشعرية المعروفة التي أعلن اكتشافها فيما بعد الخليل بن أحمد الفراهيدي ويضيفا إلى أن الموسيقى عند العرب لعبت دورا كبيراً في سجع الكهان وأحاجي الساحرين.

ونؤمن أن الشعر صناعة معقدة تخضع لقوانين صارمة(٤)، لكننا يجب أن لا نتردد في قبول هذه الصناعة بشيء من اليسر والطواعية، ذلك أن الشعر في جوهره وحقيقة أمره كلام موسيقي جميل، تنفعل له النفوس وتتأثر به القلوب(٥).

وأجمعت الروايات والأخبار على أن هذا الشعر كان بضاعة أدبية رائجة في أسواق العرب في الجاهلية، لقي قبولاً واستحساناً، وكان العربي يهتز لهذا الإنشاد ويطرب إليه، ولم يعرف الشعر له استقراراً في مناخ واحد وإنما عرف التنقل والارتحال شأن القبائل

(١) شوقي ضيف: في النقد الأدبي ص ١٠٠ .

(٢) تاريخ الشعر الجاهلي: نجيب البهبيتي ٨٩.

(٣) زيدان: تاريخ اداب اللغة العربية ٦٤/١، وتاريخ الادب العربي لبروكلمان.

(٤) إحسان عباس: فن الشعر ١٤٣ .

(٥) إبراهيم انيس: موسيقى الشعر ١٧.

المرتحلة، وهو في رحلته عبر العصور الأدبية بدءاً من الجاهلية ظل يعيش ناحية التكوين الموسيقي، وعن طريق قوالبه الشعرية راح الشاعر يغني أناشيده ويفتح أبواباً على عالم نفسه وعالم الأشياء من حوله[1].

واستخدم العبديون من البحور الشعرية التي شاعت في العصر الجاهلي الطويل والوافر، والكامل، والبسيط، والرمل، والسريع، والمتقارب، والمنسرح وكانت البحور الخمسة الأولى أشهر بحور الشعر عندهم استخداماً.

وعندما أجرينا إحصاء للشعر العبدي من حيث الأغراض والقصائد والمادة الشعرية وجدنا أن البحر الطويل ينفرد من بينها بمكانة عالية ويمثل فيها منزلة كبيرة، فقد استخدم في سائر الأغراض والموضوعات التي تناولوها من حرب وسلم ونظرات في الحياة والموت وغيرها وكان نصيبه من القصائد ما يزيد على أربعين قصيدة وفي المادة الشعرية خمسها.

ويتلوه البحر الوافر فهو أيضاً استعمل في سائر الأغراض التي ذكرها العبديون، وكان نصيبه من القصائد إحدى عشرة قصيدة وفي المادة الشعرية ما يتجاوز خمسها.

وجاءت ثماني قصائد من البحر الكامل، مادتها الشعرية قليلة لكنها استوعبت موضوعاً واحداً هو شعر الحرب.

وجاءت سبع قصائد من البحر البسيط، ومادتها الشعرية قليلة واستغرق موضوعين هما الحرب والرثاء.

وكان نصيب الرمل خمس قصائد، مادتها الشعرية وفيرة وتناولت موضوعين هما المدح والحكم.

ويفيد في مجال دراسة الظواهر العروضية أن نتبين خصائص البحور التي اشتهرت وكثر استخدامها عند العبديين وسأتناول البحور الثلاثة الأولى وذلك لأن البسيط يلحق بالطويل والرمل بالوافر من حيث الخصائص والمميزات.

(١) شوقي ضيف: في النقد الأدبي ١٠١ .

فالبحر الطويل يمتاز بطوله وكثرة مقاطعه وبطء إيقاعه وتناسبه الأغراض الجليلة كالحرب والرثاء وهو أصلح البحور للتأمل والتفكر والعظة والتاريخ ويرى بعض الدارسين لموسيقى الشعر أن الطويل أخذ حلاوة الوافر ورقة الرمل وترسل المتقارب وتخلص من جلبة الكامل فهو بحر فيه كثير من صفات البحور الأخرى[(١)] ونجد عناية الجاهليين بهذا البحر كثيراً.

وقد استخدمه العبديون أكثر ما يكون في مجالات الرثاء والنظرات إلى الموت والدهر فعندما أراد توبة بن مضرس أن يتحدث عن إخوته الذين أودى بهم الموت نذر الدهر أن يفرق بينه وبينهم اختار البحر الطويل فقال[(٢)]:

أربَّ بهم ريب المنون كأنما
على الدهر فيهم أن يفرقهم نذر

وعندما أراد شاعر من عبدالقيس أن يعبر عن لقاء الإنسان للموت الداهية الكبير اختار البحر الطويل وقال[(٣)]:

يروح ويغدو والمنية قصده
ولابد يوماً أن يلاقي الدواهيا

وأم النحيف وهي تتحدث عن زوجة ولدها وتنصحه أن يسامحها ولا يعمد إلى طلاقها تجد في البحر الطويل أنسب البحور استخداماً لعظتها فتقول[(٤)]:

لعمري لقد أخلفت ظني وسؤتني
وحزت بعصياني الندامة فاصبر

وتتعدد الأمثلة وتنهض الشواهد في مجالات النظرة إلى الموت والتفكير والتأمل وفي الرثاء ومنها قصيدة ربيعة بن توبة، ومويلك بن قابس وعينية يزيد بن الخذاق وبائية الجمال ورائية مسعود وقافية ابنة حكيم[(٥)].

---

(١) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر ٩٥ وفي المرشد إلى فهم أشعار العرب ٢/١، وفي الشعراء وإنشاد الشعر ١٠٠.
(٢) البحتري: الحماسة ٢٢٨ .
(٣) البحتري: الحماسة ٤٥٥ .
(٤) أبو تمام: الحماسة ٥٥٩ .
(٥) انظر : ديوان عبدالقيس.

ونجد البحر الطويل يستخدم كثيراً في شعر الحرب فثعلبة بن عمرو يختار وزن الطويل ليحدثنا مفصلاً عن الأسلحة الحربية التي أشرنا إليها في دراستنا الموضوعية، وبهذا السلاح كان ثعلبة والعبديون يخوضون المعارك ويشهدون الحروب(١):

به أشـــهـــد الحـــرب العـــوان إذا بدت
نواجـــذها واحـــمـــرّ منهـــا الطوائف

واختار يزيد بن الخذاق موسيقى الطويل ليحدثنا عن درعه وسيفه وعنايته بهما واستعداده للحرب والقتال فيقول(٢):

نعـــدّ ليـــوم الروع زعـــفـــاً مـــفـــاضـــة
دلاصـــاً وذا غـــرب أخـــذ ضـــروســـا

والقصائد التي تناولت الحرب على موسيقى الطويل كثيرة ومنها حائية عمرو المحاربي ورائية مالك بن ثعلبة، ورائية وميمية سويد بن الخذاق، ورائية عمرو بن أسوى وغيرها(٣).

والبحر الوافر(٤) يمتاز بحركة وقوة وسرعة، سريع النغمات، متلاحق النبر فيه يسر وسهولة، وتدفق وعذوبة، تستريح له الأذن وتطمئن عنده النفس واستخدم هذا البحر في أشعار الحرب فالمفضل العبدي اختار موسيقى الوافر وهو يصور لنا ساحة المعركة وتقابل الابطال فيها وكيفية مجيء العبديين:(٥)

فـــجـــاءوا عـــارضـــاً برداً وجـــئـنـا
كـــســـيل العـــرض ضـــاق به الطريق

وجاءت نونية المثقب الشهيرة على وزن الرمل وهي القصيدة التي أجمع الدارسون على عذوبتها وسيولة موسيقاها فالمثقب وهو يصف الظعائن يقول في موسيقى فيها الحركة والتدفق والسهولة(٦):

---

(١) المفضليات: ٢٩٧ .
(٢) نفس المصدر ٢٨٧ .
(٣) انظر: ديوان عبدالقيس.
(٤) إبراهيم انيس: موسيقى الشعر ٧٦، وفي المرشد إلى فهم أشعار ١/٣٣٠ وفي الشعراء وإنشاد الشعر ١٠٦ .
(٥) الأصمعيات: ١٩٩ .
(٦) ديوان المثقب العبدي ١٥٤ .

علون رباوة وهبطن غيبا

فلم يرجعن قائلة لحين

والبحر الكامل يمتاز بالجد وفيه موسيقى صاخبة فخمة تتفق وروح المعارك والحروب(١) وهو بعيد في غالب الأحيان عن الهدوء والتأمل ومن الغريب أن جميع القصائد الشعرية في هذا البحر من شعر الحرب، فيزيد بن الخذاق يتحدث عن فرسه سبحة وشكة سلاحه وهو يخاطب النعمان موجهاً إليه قصائد نار لا تتقن غير لغة القتال والحرب وهو يختار الكامل ويقول(٢):

أعددت سبحة بعدما قرحت

ولبست شكة حازم جلد

ومن القصائد التي جاءت على وزن الكامل في مجالات الحرب لامية عروة بن سنان، وعينية عمرو بن أسوى ولامية عمرو بن سلمة وتائية عبدالله بن جنح النكري وغيرها(٣).

واستخدم العبديون مجزوءات البحور فقصيدة جذل بن أشمط في النصائح جاءت على وزن مجزوء الكامل(٤):

أأُمام إن الدهر أهلك صرفُه إرماً وعادا

وقصيدة أخت سعد في رثاء أخيها جاءت على وزن مجزوء الرجز(٥):

يا سعد يا خير أخ

نازعت دُرَّ الحلمة

والصلة بين الأوزان والمعاني والعلاقة بين الأوزان والعواطف من الأمور التي أثارت اهتمام الباحثين فاليزابيث دور(٦) تربط بين الوزن والمعنى وترى أن الوزن صدى للمعنى

(١) إبراهيم انيس: موسيقى الشعر ٧٧.
(٢) المفضليات ٢٩٥ .
(٣) انظر : ديوان عبدالقيس.
(٤) أبو تمام: الوحشيات ١٥٦ .
(٥) أبو تمام: الحماسة ٥٥٩/١ .
(٦) اليزابيث دور: الشعر كيف نفهمه ٤٩.

وأنه خاضع له باستمرار وجرجي زيدان[1] يرى بأن كل بحر له غرض يلائمه فالطويل للحماسة والوافر للفخر وهكذا.

وهذان الرأيان لا يثبتان أمام البحث والدرس إذا ما عرفنا أن البحر الوافر يستخدم في كثير من الأغراض وقد رأينا فيما سبق أن البحر الطويل وكذلك الوافر استغرقا كل الموضوعات الشعرية من حرب وسلم ورثاء وحكم وفخر عند العبديين وأن هذين البحرين لم يقفا عند غرض واحد أو موضوع معين.

وأما مسألة الوزن والعاطفة فيجيب عليها باحث آخر بقوله «قد يكون من المغالاة تصور اشتراك الشعراء في العاطفة لمجرد اشتراكهم في موضوع واحد[2] ذلك لأن الوقت وشدة الانفعال عاملان لا نملك أمر تحديدهما، ويكون من المتعذر علينا أن نحكم على تلك العواطف لأنها ستكون حتماً مغايرة ومختلفة عند الشعراء، فعاطفة توبة بن المفرس في رثاء أخوته تختلف عن عاطفة مسعود بن سلامة في رثاء إخوته وأيضاً تختلف عن عاطفة أخت سعد في رثاء أخيها.

ويرى باحث آخر أن أمر اختيار البحور ليس بايدي الشعراء ويقول:[3] «ان الشاعر الحقيقي لا طاقة له عن اختيار البحر والقافية في غرض معين لأن من أحاسيسه الجياشة ما يصرفه عن كل ذلك».

ومسألة البحور واختيارها قد يكون الأمر فيها أنها تلقى رتابة وملائمة للعواطف التي تجيش في صدورهم، ولقد رأينا أن العبديين استخدموا تلك البحور التي لقيت مثل هذه الرتابة وأنهم استخدموا البحور الشائعة الاستعمال عند الجاهليين.

---

(١) جرجي زيدان: تاريخ اداب اللغة العربية ١/٦٦ .

(٢) إبراهيم انيس: موسيقى الشعر ١٧٦.

(٣) احمد كمال: شعر الهذليين ٢٣٠ .

ويبقى أن نقول: إن الشاعر إذا اختار بحراً مناسباً وألفاظاً ملائمة إلى جانب العناصر المكونة للعملية الشعرية فإن جميع هذه المكونات تحدث التأثير المطلوب وتنقل ما يحس به الشاعر إلى الآخرين.

القوافي: القافية هي تكرار عدة أصوات في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة وهذا التكرار جزء هام من الموسيقى الشعرية التي يتوقع السامع ترددها.

وفي إحصائية أجريناها لحروف القوافي من حيث عدد القصائد كانت الحروف التالية وأهمها الراء، والدال، والقاف، واللام، والباء، والميم.

واحتل حرف الراء ربع القصائد، وحرف الدال خمسها، وكان للحروف الثلاثة الأولى مجتمعة أكثر من نصف القصائد.

أما من حيث المادة الشعرية وعدد الأبيات فكانت الحروف التالية وأهمها الدال والقاف والراء والنون والميم واللام والباء حيث احتل حرف الدال المرتبة الأولى ودخل حرف النون في المرتبة الرابعة، وكان لحرف الدال خمس المادة وللحروف الثلاثة الأولى مجتمعة أكثر من نصف المادة.

وهذه الحروف التي ذكرناها تعتبر عند الدارسين لموسيقى الشعر حروف من الدرجة الأولى[١] ومن حروف القوافي الذلولة[٢]، وقد اتسعت الحروف الثلاثة الدال والراء والقاف لكل أغراض الشعر العبدي مما يشير إلى أهمية هذه الحروف عندهم ويدل على أنهم استخدموا أشهر الحروف في موسيقى القافية زمن الجاهلية.

وللقافية عند العبديين عيوب وأشهرها الإقواء وهو مخالفة الإعراب وقد ورد مثل هذا في قصيدة للمثقب العبدي عندما قال[٣]:

---

(١) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر ٢٤٦ .

(٢) عبدالله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب ٤٦/١ .

(٣) ديوان المثقب العبدي ١٥/١٣ .

من مـــال من يجـــبـــبي ويجـــبـــبي لـه
سـبـــعـــون قنطاراً من العـــســـجـــد
أو مـــــائه تجــــعـل أولادهـا لـغـــــواً
وعــــــــرض المائـة الجـلمـــــــد

فالشاعر رفع الجلمد وكان حقها أن تكون مكسورة لأن القصيدة وردت مكسورة الدال.

ومن عيوب القافية كذلك عندهم الإيطاء وهو تكرار كلمة معينة في القصيدة الواحدة ونجد مثل هذا الإيطاء في شعر المثقب فكلمة الوضين تكررت في البيت الثاني والعشرين والبيت الرابع والعشرين من القصيدة النونية عندما يقول[1]:

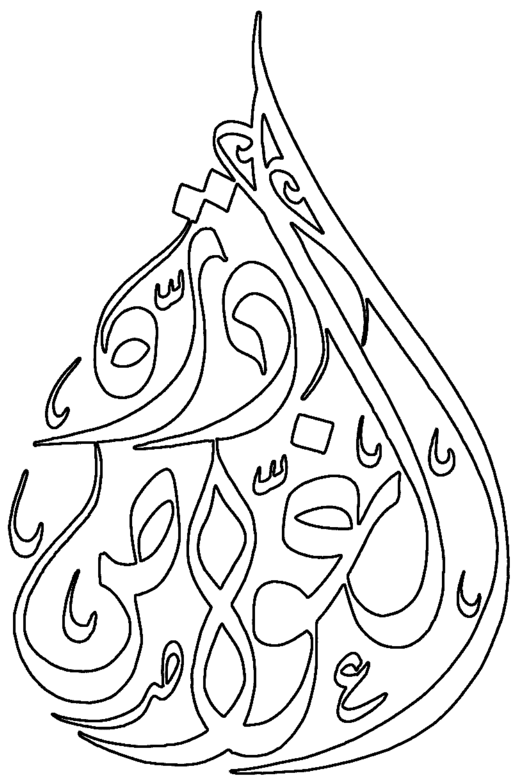
بـصـــادقـــة الـوجـــيـف كـــان هـراً
يـبـــاريـهـــا ويـاخـــذ بـالـوضـين
إذا قـلـقـت أشـــد لـهـــا سـنـافـــاً
أمـــــام الـزور مـن قـلـق الـوضـين

ومثل هذا عند يزيد بن الخذاق عندما يقول[2]:

إن تـغـــز بـالـخـــرقـــاء أســـرتـنـا
تـلـق الـكـتـــــائـب دونـنـا تـردى
✡✡✡✡
وهـزت ســـيـــفـك كي تـحـــاربـنـا
فـــانـظـر بـســـيـــفـك من بـه تـردى

وما عدا الإقواء والإيطاء لم نعثر على عيوب أخرى وواضح أن مثل هذه العيوب لا تنقص من أهمية الشعر.

(١) المثقب العبدي ١٧٠، ١٧٣ .
(٢) انظر : ديوان عبدالقيس .



الفصل الخامس
المثقِّب العبدي

حياته:

تجمع المصادر على أن المثقِّب هو عائذ بن محصن من قبيلة نكرة ومن عبدالقيس فهو «نكري» «وعبدي» أما نسبه الكامل: عائذ بن محصن بن وائلة بن عدي بن دهن بن منبه بن نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس[1].

وأشد المصادر شذوذاً وإغراباً في اسم المثقب «معجم الشعراء» فهو يقول عنه:[2] «اسمه عائذ بن محصن» ثم يعود فيقول: «وقيل اسمه نهار بن شأس»، فالمرزباني يخلط بين المثقب وابن أخته المزق ويخطئ أيضا في اسم الممزق فهو شأس وأما نهار فهو أبوه، وذكر في نسب المثقب جداً له هو زهر والصحيح دهن فالاضطراب واضح بائن عند المرزباني.

وابن قتيبة[3] يذكر اسم المثقب فيقول محصن بن ثعلبة والواقع أن هذا اسم أبيه وذهب مذهب ابن قتيبه البطليوسي[4] والاشنانداني[5].

ويذكر لويس شيخو[6] اسمه فهو العائذ والعابد والعائذ بالله ويسوق نسبه السابق ويعدد طه حسين[7] أسماء الشاعر فهو عنده محصن، وعائذ وعائذ الله ويقول عنه: «إنه شاعر معروف مات في الجاهلية».

---

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٩٦، والجمحي في «طبقات فحول الشعراء» ٢٧١.

(٢) المرزباني: معجم الشعراء ١٦٧ .

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣١١ .

(٤) البطليوسي: الاقتضاب ٤٢٦ .

(٥) الأشنانداني: معاني الشعر ١٦٥ .

(٦) لويس شيخو: شعراء النصرانية ٤٠١ .

(٧) طه حسين: حديث الأربعاء ١٦٤ .

والذي نطمئن إليه من كل هذه الأقوال أن المثقب هو عائذ بن محصن بن ثعلبة العبدي، والمثقِّب بالكسر والتشديد لقب أطلق عليه بسبب بيت من الشعر قاله:[1]

ظهـرن بكلة وسـدلن أخـرى
وثقبن الوصـاوص للعـيـون

ويرى ابن سلام أنه لقب بذلك بسبب بيت آخر من الشعر:[2]

ظعـائن لا توفي بهن ظعـائن
ولا الثـاقـبات من لؤي بن غـالب

ويرى البطليوسي أنه لقب بذلك لأنه قال[3]:

فـلا يدعني قـومي لنصـر عشـيرتي
لئن أنا لم أجلب عليـهم وأثقب

والمسألة في هذه الأبيات الثلاثة أن الأول منها جاء في قصيدته النونية وتجمع أكثر المصادر على أنه سبب التسمية، وأن البيتين الآخرين نسبا إليه ولم يردا في ديوانه، ويذكر السيوطي[4] والعيني[5] أن المثقب بالكسر والفتح معاً، أما ابن قتيبة[6] وابن سلام[7] وابن دريد[8] والآمدي[9] ومحمد بن حبيب[10] والعسكري[11] فكلهم أجمعوا على أنه المثقب بالكسر وفي «لسان العرب» تحت مادة ثقب أشار ابن منظور[12] إلى المعاني التالية: الثقب:

(١) ديوان المثقب العبدي ص ١٥٦ وفي رواية أخرى وسدلن رقماً.

(٢) الجمحي: طبقات فحول الشعراء ص ٢٧٢ .

(٣) البطليوسي: الاقتضاب ٤٢٦ .

(٤) السيوطي: شرح شواهد المغنى ٦٩ .

(٥) العيني: المقاصد النحوية ١٩١/١ .

(٦) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٩٥ والمعارف ص ٩٣ .

(٧) الجمحي: طبقات فحول الشعراء ص ٢٧٢ .

(٨) ابن دريد: الاشتقاق ٣٣٠ .

(٩) الآمدي: المؤتلف والمختلف ٢٨٣ .

(١٠) محمد بن حبيب: ألقاب الشعراء ٣١٦ .

(١١) العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١٨١ .

(١٢) ابن منظور: لسان العرب ٢٤٠/١ مادة ثقب.

الخرق النافذ، مثقب بالتشديد يدل على الكثرة، كوكب ثاقب: شديد الإضاءة وثقبت النار: أخرمت والمثقب بالكسر العالم الفطن ورجل مثقب نافذ الرأي وحسب ثاقب إذا وصف بشهرته وارتفاعه.

ومثقب اسم طريق بين اليمامة والكوفة وقيل هو نبع ماء وأيضاً موضع في البادية وبعد كل هذه المعاني يقول ابن منظور والمثقب لقب شاعر معروف من عبدالقيس، ومن استعراضنا لهذه المعاني المتجمعة لكلمة مثقب ومادة ثقب يمكننا أن نقول: إن المثقب لقب بهذا اللقب وبالكسر لسببين:

الأول: بيت الشعر الذي ورد في قصيدته النونية فهناك شعراء آخرون لقبوا بسبب بيت من الشعر ومنهم الممزق والمرقش والمسيب وغيرهم[١].

والثاني: أن معاني مادة ثقب تدل دلالة كبيرة على شخصية المثقب الشاعر فهو زعيم قبيلته وصاحب رأي سديد فيها، وهو مشهور النسب، شديد المروءة ذو فطنة وذكاء، ويورد طه حسين[٢] في هذا المجال هذه الملاحظة «وجدير بمن يثقب الوصاوص والبراقع أن يلقب بالمثقب».

ويكنى المثقب بأبي ماثلة ووائلة[٣] وعند البكري أنه أبو عدي[٤] ويذكر عمر فروخ[٥] أن كنيته أبو عمرو وإلى ذلك يذهب الزركلي[٦]، وتعداد هذه الكنى يوقعنا في حيرة فالمصادر التي بين أيدينا لم تحدثنا عن حياته الزوجية ولا عن أولاده، ويبدو لي أن رواية البكري أصح الروايات فعدي أحد أجداد الشاعر ولم يخلط البكري كما خلط غيره عندما ساق نسب الشاعر.

---

(١) السيوطي: المزهر ٤٢٥ .

(٢) طه حسين: حديث الأربعاء ١٦٨ .

(٣) المرزباني: معجم الشعراء ٤١ .

(٤) البكري: سمط اللآلئ ١١٣ .

(٥) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ١/١٦٠ .

(٦) الزركلي: الأعلام ٤/٤ .

والمثقب ولد على أرض البحرين في منازل عبدالقيس، والمصادر التي بين أيدينا لا تذكر مدينة معينة أو تحدد مكاناً لولادته لكننا نعلم أن قبيلته نكرة كانت تسكن وسط القطيف وما حولها من قرى وأرياف وأنها قبيلة كبيرة امتدت بطونها حتى وصلت بينونه بل واستقر قسم منها في عمان[1].

والشاعر لم يكن من نكرة التي في عمان لأنه عمل في سفارة قومه لطلب العفو والصفح عن أولئك النكريين الثائرين في عمان[2]، ويبقى أمامنا أن نؤكد أن المنطقة الممتدة مابين القطيف وبينونه هي التي ولد فيها، لكننا نرجح أن تكون القطيف المدينة الجميلة والمناطق الساحرة القريبة منها هي التي شهدت ميلاد هذا الشاعر، وهذا يتفق مع ما ذكره محقق ديوانه الأستاذ حسن كامل الصيرفي[3] «فعلى زرقة مياه الخليج العربي تخفق فيه السفن وتترامى على شواطئه حبات اللؤلؤ وتحت ظلال النخيل تفتحت عينا الشاعر، يستلهم من جمال الطبيعة وفتنتها ترنيماته ويغوص وراء المعاني يستخرج من لآلئها حبات أبياته».

وتاريخ ميلاد الشاعر مجهول وتاريخ وفاته مختلف فيه فجرجي زيدان قرر أن وفاته كانت «٥٢٠م»[4]، ثم عاد بعد ذلك فقال: إن الوفاة كانت «٥٨٧م»[5] والأخبار التي تحدثت عن المثقب أشارت إلى أنه كان في زمن عمرو بن هند وهو الذي خاطبه في قصيدته النونية[6] وأنه عاش حتى زمن النعمان بن المنذر ومدحه في قصيدته الهائية[7] وتكاد المصادر[8] تجمع على أن تاريخ الوفاة كان ما بين عامي «٥٨٧ – ٥٨٨» وهذا الزمن في اعتقادنا صحيح إلي حد كبير لأنه يتفق ومدح النعمان الذي بدأ حكمه عام «٥٨٢م» واستمر حتى «٦١٣م».[9]

---

(١) انظر: منازل عبدالقيس.

(٢) انظر: مدرسة السلم.

(٣) مقدمة ديوان المثقب تحقيق الصيرفي ص ١٩ .

(٤) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ص ٨٤ .

(٥) نفس المصدر ص ١٨١ .

(٦) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٥٦ (الحلبي).

(٧) ديوان المثقب العبدي ٨٣٠ .

(٨) الأشناندانى: معاني الشعر ١٦٥، شيخو: شعراء النصرانية ٤٠٠، الزركلي: الأعلام ٧١/٣ .

(٩) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦٧/٢.

ويبقى أمامنا أن نحاول معرفة زمن ميلاده فجرونباوم يقول: إنه ولد عام «٥٥٠م» وهذا القول بعيد عن الواقع لأنه لا يتفق ومدحه لعمرو بن هند الذي حكم ما بين «٥٥٤ – ٥٦٩م»[١] وقد خاطب الشاعر الملك بلفظة أخي فلا يعقل أن يكون صغيراً إلى هذا الحد فعمر المثقب عندها لابد أن يكون مناسباً ويؤهله في أن يمدح الملوك ويختار مثل هذه الألفاظ في أشعاره ولابد كذلك من أن يكون المثقب قد تجاوز الخامسة والثلاثين على الأقل أو هو في حدود الأربعين فالعرب تعتبر ذلك زمن الرجولة، ولما كان عمرو بن هند قد مات في حوالي ٥٧٠م[٢] فيكون تاريخ ميلاد المثقب قريباً من «٥٣٠م» وحتى لا نستخدم رقماً معيناً ومحدداً في بطاقة ميلاد الشاعر نقول: إنه ولد في العقد الثالث من القرن السادس الميلادي على أرجح تقدير، وبهذا يكون شاعرنا قد عاش ما يقرب من ستين عاماً وهو عمر يؤهله أن يكون زعيماً وسفير القبيلة عند المناذرة.

وتنضج شاعرية المثقب تحت شمس الصحراء وبين فتنة طبيعة الأحساء ويمضي يشق طريقه في الحياة صوتاً شعرياً رقيقاً يأسر الأسماع ويستوقف القلوب.

ويبدو لنا من أشعاره أن والده ووالدته كانا عبديين وجده ثعلبة بن وائلة يلقب بالمصلح[٣] فقد اشترك مع قيس بن شرحبيل في إصلاح ذات البين بين قبيلة بكر وتغلب بعد حرب البسوس[٤] وإلى هذا يشير المثقب[٥]:

أبي أصلح الحيين بكراً وتغلباً

وقد ارعشت بكر وخف حلومها

وهو هنا يقصد جده ثعلبة وإلى هذا الجد أشار بعض شعراء عبدالقيس[٦]:

(١) الخليفه والحمر: البحرين عبر التاريخ ٨٧ .
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) ديوان المثقب ص ٢١.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر ٢٥٧ .
(٦) نفس المصدر ٢٥٨ .

ومنا مصلح الحي بين بكر
وتغلب بعدما عما فسادا
بنى لبنيه مكرمة وعزاً
فكان الماجد البطل الجوادا

فثعلبة جد المثقب بنى لأسرته وأبنائه مكانة عالية وأورثهم مكارم حميدة وهذا الجد جواد كريم وماجد بطل، وقام بصلح آخر وبسفارة ثانية بين قبيلة عبدالقيس ذاتها وأنه نجح في إعادة المياه إلى مجاريها بين بطون عامر بن الحارث وعوف بن أنمار بعد خصام بينهما وفي الأخبار أن قبائل جذيمة بن عوف كانت تشكل أحلافاً واسعة وتتصارع مع بني عامر بن الحارث الأقوياء[١]:

وقام بصلح بين عوف وعامر
وخطة فصل ما يعاب زعيمها[٢]

ومن هنا ندرك أن ثعلبة كان رئيساً في عبدالقيس وزعيماً من زعمائها بل كان حكيماً أسعفته حكمته ومقدرته على أن يتولى منصب الإصلاح وفض النزاع فيشتهر بلقب - المصلح ويرث المثقب خصال جده الحميدة ويسير على دربه مترسماً خطاه.

وما عدا الشعر الذي أورده المثقب في جده ذكرت المصادر خبر أخته أم الشاعر الممزق شأس بن نهار[٣] وإن كان بروكلمان يقول عن الممزق: «إنه ابن أخت المثقب»[٤].

أما زوجته فلسنا نعرف شيئاً عنها على الرغم من أنه أشار في قصائده إلى نساء كثيرات منهن فاطمة وهند وليلى وطلحة، فهل كانت زوجته واحدة منهن، أمر لا نجزم فيه وكذلك تلفنا الحيرة حول أبنائه وبناته فكم أنجب من الأولاد ومن أشهرهم وظروف حياته الزوجية، كل ذلك لم تسعفنا المصادر في التحدث فيه وعنه.

(١) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٧٤ وجمهرة أنساب العرب ص ٢٩٦ .
(٢) ديوان المثقب العبدي ص ٢٥٧ .
(٣) ديوان المثقب العبدي ص ٢١.
(٤) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١/٨٥ .

وكل ما نعرفه أن المثقب نشأ في بيئة شعرية وأن أسرته ذات مكانة مرموقه ومنزلة عالية بين أسر قبيلة نكرة التي أنجبت أشهر شعراء العبديين[1].

شخصية المثقب:

وأخبار المثقب غامضة كل الغموض، ومن الغرابة أن صاحب «الأغاني» أغفله ولم يترجم له مع إن في حياته جوانب تستحق البحث والدرس، فهو أشهر شعراء قبيلته، ومثل قومه في اتجاه له دوافعه، وهو شخصية مهمة في عبدالقيس، فأين نجد معالم هذه الشخصية وصفاتها مادامت الأخبار غائمة وغامضة، لابد والأمر كذلك من أن نلجأ إلى الشعر ليحدثنا عن تلك المعالم والصفات.

فالمثقب سياسي بارع، وسفير ناجح، استغل مهارته السياسية في إحلال السلام وإنهاء الخصام بين المناذرة والعبديين، فهو سيد يناقش مع السادة شؤون القبيلة خاصة في الأمور العاجلة والأحداث المفاجئة، ونحن نعلم أن من واجبات السيد في الجاهلية عقد الأحلاف وإجراء المصالحات[2] ولذا كان «وزيراً مفوضاً لقبيلته عند المناذرة».

إنه ليرى منازل قبيلته تستباح، وحمى عشيرته يغار عليه، وأسرى قومه يساقون إلى سجن النعمان ملك الحيرة، وتكون الغارة قاسية، والهجمة شرسة والضربة موجعة ويقرر مجلس القبيلة - عاجلاً - إرسال وفد عبدي، يجري المصالحة وينهي الخلاف، ومن غير المثقب يرأس الوفد؟

وبين يدي الملك وقف الشاعر يلقي داليته المشهورة، مستعطفاً، مستشفعاً في الأسرى وجمهرة العبديين، وتتهلل أسارير النعمان، ويأمر حاجبه بأن يطلق سراح كل الأسرى، وتكون الفرحة غامرة، وتنطلق الأغاريد، ويعود العبديون مبتهجين[3].

---

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ص ٢٧٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٤٣٩/٢ .

(٣) ديوان المثقب العبدي ١١٦ .

لقد كانت سياسة المثقب تغاير سياسة معاصريه كالمتلمس الضبعي وطرفة بن العبد وكانت الأسلحة التي استخدمها أكثر فعالية وأجدى نفعاً من أسلحتهم فلم يهاجم ملوك المناذرة، ولم يتنكر لهم وإنما في «دبلوماسية» هادئة وصل إلى مبتغاه، وما أراده لبني قومه.

وكانت سياسته أيضاً تخالف سياسة شعراء قومه، فإذا كان ابنا خذاق العبديان يزيد وسويد[١] قد فشلا في العصيان الذي تزعماه وفي الثورة التي حملا لواءها، فإن المثقب نجح في السفارة التي قام بها واستخدم المدح «الخاتم الرسمي في وثيقة السلام وعودة السجناء».

وكان من سياسته الحكيمة وجهوده المتواصلة دعوة الشخصيات الهامة من عبدالقيس وغير عبدالقيس[٢] إلى مشاركته في إحلال السلام ووقف نزيف الدماء على أرض العبديين، فمدح خالد بن أنمار الذي تشفع عند النعمان في ابن أخت المثقب شأس وفي سائر أسرى عبدالقيس[٣]:

إنما جـــاد بِشَــــاس خــــالدٌ
بعـــدمـــا حـــافت به إحـــدى العِظَم

والسفارة من أعراف الجاهلية فكان النابغة الذبياني وزيراً متنقلاً لقبيلته بين القبائل وعند المناذرة والغساسنة واستشفع علقمة بن عبدة لأخيه وأسرى قومه عند الحارث الغساني[٤] واستشفع كذلك حاتم الطائي لقيس بن حجدر عند عمرو بن هند[٥] وكان زهير بن أبي سلمى داعية سلام ورجل إصلاح في حرب داحس والغبراء.

والعوامل التي أهلت المثقب لهذه السفارة الناجحة وتلك السياسة الحكيمة تعود إلى صفات وراثية عن جده - المصلح[٦] - وأسرته العريقة في نكرة ونسبه الكريم في عبدالقيس وأبعد من هذا كما يقول - في معد - ثم هدوء في طبيعته وتكوينه فهو يكره تطاير الرؤوس وإراقة الدماء وينفر من الحروب.

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٨٧/١٠ .
(٢) من هؤلاء اسيد بن عمرو بن تميم كما في «شرح المفضليات» للانباري.
(٣) ديوان المثقب العبدي ٢٢١، يتخاسين: يترامين، الخسا: الفرد، يبتدرن: يعالجن، الزول: الداهية.
(٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١٤٧/١ .
(٥) نفس المصدر ٤٨٩/٢ .
(٦) انظر: دراسة حياة المثقب.

وأخيراً مصارع الشعراء الذي يتطاولون على سلطان المناذرة، ويتجرأون على إيذاء ملوكهم وهجائهم مثل طرفة بن العبد وغيره من الشعراء[1]، فهذه العوامل الثلاثة جعلت منه سفيراً قديراً يبحث عن سبيل بديل فهو ليس بالرجل الذي يستقل بشؤونه ولا تعنيه أحداث قومه وإنما شغل نفسه بتحقيق السلام لقومه وظل طول حياته مشدوداً إلى هذه المهمة، ومن هنا كان شخصية هامة في عبدالقيس.

والمثقب حكيم خبير، حنكته الأيام، وصقلته الأحداث، كان عاقلاً لا مندفعاً وصابراً لا متعجلاً، وهادئاً لا ثائراً، وارتفع فوق الجراح، وكظم غيظه وراح يغمد جراحات قومه بالعقل والحكمة.

كان من حكمته أن يتجاوز عن السيئات، ويتقي المذمات، فليس عاراً أن يلتمس المرء مخرجاً لإزاحة الظلم عن قومه، وإنما كل العار أن يقعد عن درأ الأخطار حين تقع، وعن دفع الخطوب عندما تصيب، وكان لا يتوقف عند شيء من القول أو فاحش من الكلام، يعرض عن الجاهلين، ويصفح عن المسيئين :[2]

واعلم أن الذم نقص للفتى
ومتى لا يتق الذم يُذم
وكلام سيئ قد وقَرَتْ
عنه أذناي ومابي من صمم
فتعزيت خشاة أن يرى
جاهل أني كما كان زعم

والمثقب الحكيم كان جواداً كريماً، يقضي الحوائج ويلبي المطالب، ترى ناره منارة في ليل الصحراء، تدعو الأضياف، وتنادي المستغيثين، فيلقاهم بالترحاب ويحلون في أفناء بيته، ينحر لهم النوق السمان، ويخفف عنهم متاعب السفر وأعباء الحياة:[3]

(١) ديوان طرفة ص ٨.
(٢) ديوان المثقب العبدي ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢ .
(٣) نفس المصدر ١١٧، ١١٩ .

وســـــار تعنـاه المبـــــيت فلم يـدع
لـه طامس الظلمـــاء والليل مـــذهبـــا
رأى ضـــوء نار من بعـــيـــد فـــخـــالهـــا
لقــد أكـــذبتــه النفس بل رأى كـــوكـــبـــا
فلمـــــا أتـاني والســـمــــاء تبلـه
فلقـــيتـــه أهلا وســـهـــلاً ومـــرحـــبـــا

ومن حكمته أنه كان يلتمس الأعذار بمهارة لقومه فإذا كانت بعض عشائر نكرة في عمان قد ثارت وتمردت على سلطان النعمان فقد نالها عقابه وأخذت جزاءها من كتيبته الجأواء[1]، وأنها ندمت على أفعالها معه وأرسلت وفودها مسترضية ومجددة ولاءها طالبة إليه أن يمسح زلتها ويتجاوز عن أخطائها[2]:

فــــإن تك منا في عـــمــــان قـــبـــيلة
تـــواصـت بـــاجـنــاب وطـــال عـــنـــودهـــا
وقـــد أدركـــتـــهـــا المدركـات فـــأصـــبـــحت
إلى خـــيـــر من تحت الســـمـــاء وفـــودها

والمثقب حكيم قدري، عبر عن موقف الإنسان أمام الغيب المحجب الذي لا يعرف ما تخبئه له الأقدار، فهو حين يقصد أمراً يريد الخير لا يدري أن هذه الأقدار تمكر به وتغدره وأن الشرور تكمن له وتترصده ولذا طلب من العاذلين أن لا ينكروا عليه إتلاف ماله في وجوه الفتوة ومواصلة جهده من أجل السلام[3]:

ومـــــــا أدري إذا يمّـمـت أمـــــــراً
أريدُ الخـــــيـــــر أيـهـــــمـــــا يَليني
االخـــــيـــــرُ الذي أنا أبتـــــغـــــيـــــه
أم الشـــــرُّ الذي هو يَبْـــــتـــــغـــــيني

(١) انظر: الدراسة الموضوعية.
(٢) ديوان المثقب العبدي ١٠٥ الأجناب: المباعدة، العنود: المخالفة والاعتراض، المدركات: الحادثات.
(٣) ديوان المثقب العبدي ٢١٢ .

والحكمة في عبدالقيس قديمة[1]، وقد أشرنا إلى حكمائهم ومنهم الجارود والأشج ورئاب الشنى وعمرو بن الجعيد وامتدح الرسول عليه السلام الأشج بصفتين هما الحلم والأناة[2]، فلا عجب أن يكون المثقب واحداً من هؤلاء الحكماء تسعفه حكمته في إقامة السلام وتهيئة الأجواء لعلاقات وصلات طيبة.

والمثقب إنسان يريد السلام، ومن أجله مضى يعتسف قفار الصحراء ويتخطى الصعاب في غياهب البيداء، ويتنقل في طرق توازي شاطئ البحر وتراه مسرعاً، نشيطاً، دؤوباً، همته فوق السحاب، وعلى صخرة جلده تتحطم الاخطار، وهو صلبٌ صلابة الحزماء التي يجتازها، وسهلٌ سهولة النبع الذي يلقاه.

ولقد أحب الوفاء بالعهد[3]، وأنكر المماطلة والخداع فهو يكره في المناذرة قسوتهم وخداعهم ويبغض في صاحبته كذبها وتمنعها، ويمقت في الناس الحروب وسفك الدماء.

وهو يغضب في مواقف الغضب، فلا يهادن ولا يداهن فإذا تنكر له عمرو بن هند وأراد من قومه أن يركعوا أمام جبروته فإن المثقب يقف حازماً صارماً، يقسو على الملك في الخطاب ويطلب إليه واحدة من اثنتين في قرار صريح فإما أن يصادق العبديين مخلصاً في صداقته وإما أن يخاصم مجاهراً في خصومته فإذا كانت الأولى فإن عبدالقيس تحالفه وتقيم أحسن الصلات معه وإذا كانت الثانية فإنها ستعمل على اتقاء خطره والاستعداد لمواجهة غاراته وشروره[4]:

إلى عمرو ومن عمرو اتتني
أخي النجدات والحلم الرصين

(١) انظر: الحياة الاجتماعية والدينية.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٥١١/٥ .

(٣) ديوان المثقب العبدي ٢٢٧ .

(٤) ديوان المثقب العبدي ص ٢٠٨ .

فـــــإمـــــا أن تكون أخـي بـحـق
فـــاعـــرف منك غَـــثي من سَـــمـــيـني
وإلا فـــــــاطَـرحـنـي واتّـخـــــذنـي
عـــــدوّاً اتقــــيكَ وتتـــــقـــــيـني

والمثقب في سماته هين ولين، عطوف شفوق، مرهف الإحساس، رقيق المشاعر وقد تجاوزت فيه تلك الأحاسيس والمشاعر إلى حد الرأفة بناقته والإشفاق فلئن أحدثت الغارات في نفسه جرحاً غائراً، فقد أصاب السفر منها عناءً كبيراً فهي تتأوه آهة المسكين وتخاطبه مخاطبة الحزين، أنمضي الحياة تعباً ومشقات أما لهذا الرحيل من نهاية ولتلك الأسفار من آخر؟ إنه ليتألم ويحزن، ويمسك على جبينها، ويلتمس الصفح، وما حيلته؟ والأخبار تأتيه مسرعة ولابد من رحيل سريع، فهو يناجيها وكأنما يناجي نفسه ويتألم لمصائب قومه، والضربات المتتالية فيهم(١):

أكـل الـدهـر حـلٌ وارتحــــــــال
أمـــا يُبـــقي علي ومـــا يقــيني

وبعد فهذه أهم صفات المثقب العبدي ومعالم شخصيته، المثقب السياسي والمثقب الحكيم والمثقب الانسان، نعم لقد كان المثقب سياسياً بارعاً، وحكيماً ألمعياً، وإنساناً سلمياً، وإلى جانب كل هذا كان شاعراً قديراً.

---

(١) ديوان المثقب العبدي ١٩٤ .

الدراسة الموضوعية

الغزل

يحتل الغزل مكاناً فسيحاً من الشعر الجاهلي، تألقت فيه المرأة حسناً ودلالاً، وراح الشعراء يصفون فيها وجهها المشرق، وعيونها الناعسة، وغدائرها المرسلة، وحديثها العذب، وحدثوا عن وصلها ومتاعها، وعن صدودها ومطلها.

وصدر الشعراء قصائدهم بالغزل في كل أغراضهم الشعرية حتى الرثاء وكانت افتتاحياتهم الغزلية من البدايات الشعرية الجميلة، بل كادت تكون أجملها، وهل أشهى إلى النفس وأحلى في القلب من شعر يصف جمال المرأة وسحرها، ويترجم عن دفقة الحب، وشغف النفس، وحنين الفؤاد إليها؟

والأمر مع المثقب، هل كان شاعراً غزلاً كسائر الشعراء، أحب المرأة وأسمعها ذوب قلبه، وكشف لها عن لواعج صدره؟، أم أنه أعرض عنها وابتعدت عنه، فراح يصور آلامه وأحزانه، ويصف صدودها وهجرها.

وفي الحقيقة فإن المثقب لم يكن شاعراً غزلاً، ولم يفرد في قصائده قصيدة كاملة في الغزل، وإنما جاء غزله في بدايات قصائده فهو غزل تمهيدي أو تقليدي تستهل به القصائد وتفتتح به الأشعار بل هو من المقدمات الغزلية الشعرية.

وفي هذا الغزل تطالعنا صورة المرأة عند المثقب، فهي واعدة حروم، ومماطلة صدود، ومخادعة كاذبة، تعرض عنه، وتمتنع عليه وتغلي حبها، وتقطع حبل ودها، والشاعر لا يتهالك على وصلها، ولا يركع أمامها، وإنما هو حازم صارم في شأن هذا الود، فهي إن وصلته وصلها، وإن قطعته قطعها وإن نأت عنه لا يكتوي بنيران أشواقها.

فصاحبة المثقب فاطمة تبخل عليه بمتاعها، وتمطل في وصلها، وتمعن في هجرها، لا تصدقه المواعيد ولا تجود عليه بودها، وحاله معها حال رياح الصيف التي لا تجدي نفعاً، ولا خير يرجى من هبوبها، وفي هذا الغزل نجد المثقب هائجاً، ثائراً، مهدداً بالقطيعة، ومصرحاً بأنه لا يحب المخاتله والخداع، فلو أن يده اليسرى خدعته خدعها، ولو أهملته أهملها، بل لقطعها واستراح منها(١):

أفاطِمُ قبل بينكِ مَتِّعيني
ومنعُكِ ما سَألت كان تبيني
فلا تَعِدي مواعدَ كاذباتَ
تمرُّ به رياحُ الصيف دوني
فإني لو تخالفني شمالي
خلافك ما وصلتُ بها يميني
إذاً لقطعتُها ولقلت بيني
كذلك أجتوي من يجتويني

وصاحبته هند مثل فاطمة، تضن بسلامها ومتاعها، وتعرض عنه وينفصل عنها بعد أن كان الوصل وطيداً والغرام شديداً، يلقاها وتلقاه ويسرقان المتعة ويصطادان الود، وهو يخبرنا عن هذه الصاحبة بأنها من هذا النوع الذي تستميله أدنى بشاشة وأقل صحبة، فهي تنصرف عنه عند أية بارقة أمل في ود غير وده ومتاع غير متاعه(٢):

ألا إن هنداً امس رَثَّ جديدُها
وضنَّت وما كان المتاعُ يؤودها
فلو انها من قبل جادت لنا بهِ
على العهد إذ تصطادني واصيدُها
ولكنها مما تميطُ بودها
بشاشة أدنى خلةٍ تستفيدُها

(١) ديوان المثقب العبدي ١٣٦ .

(٢) ديوان المثقب العبدي ١٣٦ .

وصاحبته ليلى ترحل بعيداً عنه، وتقطع وصلها معه فيبكي دموعاً غالية غلاء عقد اللؤلؤ ويطلب إلى قلبه أن يسلو حبها ويأمر دموعه بأن تكف عن انسكابها، فليس من الحكمة أن يبكي المرء امرأة فارقته ورحلت عنه[1]:

هل لهـــذا القلب ســـمع أو بصـــر
أو تناه عن حـــبـــيب يدكـــر[2]
أو لدمعٍ عن ســفــاه نهــيــة
تمتــــري منه أســـابي الدرر

وصاحبته الجميلة «غانية» إنه ليطلب إليها وصالاً يروي فؤاده الظمآن وهو لا يغتصب المتعة اغتصاباً ولا يتعجلها فلا مانع عنده أن تكون في يوم آخر وهذه الجميلة لا ترفضه حبيباً لها ولكنها تغلي ثمن حبها فهي تريده أن يحضر لها بدرتين من الذهب مع إشراقة كل صباح حتى آخر العمر، أو مائة ناقة ضخمة سمينة وأولادها معها والمرأة هذا شأنها وهذه مطالبها الباهظة الثمن إنما هي في حقيقة أمرها تمنعه وصلها وتصده عنها[3]:

هل عند غـــان لفـــؤادٍ صـــدٍ
من نهلةٍ في اليـــوم أو في غـــدِ
قـــالت: ألا لا يشـــتـــرى ذاكم
إلا بما شـــئنا ولم يوجـــدِ
إلا ببـــدْرَي ذهبٍ خـــالص
كل صـــبـــاح آخـــر المُـــسندِ

(١) ديوان المثقب ٦٢.

(٢) تمتري: تستخرج، الأسابي: الطرائق (للدمع وما سال منه) النهية: الانتهاء، الدرر: اللبن إذا كثر وسال او الأمطار تتبع بعضها بعضاً، مرمعلات: سائلات متتابعات، مغر: حمرة من الدم، خذلت: انقطعت.

(٣) ديوان المثقب العبدي ١٠، غان: جميلة، نهلة: رية، صد: عطشان، بدرة: كيس فيه الف دينار، عرض: قوية، الجلمد: الصخر. وقال ابو اسحق: اراد ناقة قويه لا يعارضها في قوتها الجلمد ولا تجعل أولادها من عددها، «اللسان» مادة جلمد.

وهكذا فإن غزل المثقب مع أولئك النسوة يخبر عن صدود وإعراض وعن هجر وانفصال وعن ألم وأحزان، وهذا الغزل لا يتناول الصبابة ولا يصف التباريح ولا يحدث عن شوق أو يفصح عن حب، وما هكذا عهدنا الشعراء يتغزلون وإنما عهدناهم يعبرون عن أسر المحبوبات والتذلل لهن بأسلوب هين بسيط وناعم لطيف.

والمسألة في هذا الغزل أنه يرتبط بموضوع القصيدة ارتباطاً وثيقاً وأن العلاقة بينهما وطيدة وهي علاقة نفسية، فهما في الأصل تعبير عن موقف واحد يتمثل في وحدة الجو النفسي عند الشاعر، وقد أشار القدامى إلى مثل هذه الوحدة النفسية وذلك الترابط العاطفي عندما قال الحاتمي[١] «من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما يعده من مدح أو ذم متصلاً به» وكذلك ذكر جرونباوم الرابطة النفسية[٢] عندما قال «إن هناك نوعاً من رابطة نفسية بين القفز الاستطرادي من موضوع إلى موضوع».

وهذه الوحدة النفسية تنسحب على كل قصائد المثقب الشعرية التي صدرت بالغزل، فالقصيدة عنده كما عند غيره لوحات تعرض جوانب من الحياة العربية وتبرز صوراً من واقع تلك الحياة في قلب البادية وعلى امتداد السواحل التي تتاخمها، وهذه اللوحات إنما تسيطر عليها جميعها وحدة الجو النفسي.

فغزله في فاطمة جاء في مقدمة القصيدة التي يمدح فيها الملك عمرو بن هند[٣]، ويبدو أن الملك بعد ضربة دوسر الضربة المؤلمة[٤] اختلف مع عبدالقيس وتنكر لها وراح يماطل في وعوده معها ويخون عهوده لها، الأمر الذي ترك الحيرة تمزق الشاعر فثار غضبه واشتدت حميته وراح يخاطب النعمان في قسوة وحدة ويطلب إليه أن يبين موقفه من العبديين في قرار صريح فإما عداوة وجفاء وإما عودة وإخاء، وهكذا كان شأنه مع فاطمة

(١) ابن رشيق: العمدة ١١٧/٢ .

(٢) جرونباوم: دراسات في الأدب العربي ٤٣ .

(٣) التبريزي: شرح المفضليات ٤٠٨ والأنباري: شرح المفضليات ٥٨٧ .

(٤) الميداني: مجمع الأمثال ١٢٥/١ .

إن وصلته وصلها وإن صدته صدها، حتى مع يده اليسرى إن خالفت يده اليمنى بترها واجتواها، والشاعر إذن يكره المراوغة والمماطلة من الملك[1].

والوحدة النفسية تسيطر على قصيدته الرائية التي ذكر فيها صاحبته ليلى فالقصيدة أيضا موجهة إلى الملك عمرو بن هند، وقد ضرب العبديين ضربة قاصمة بكتيبة دوسر وآذاهم وبطش بهم، فالتنكر واضح، والجفاء بائن، تماما كما هي حالته مع ليلى التي رحلت عنه وتحقق له هجرها وانفصالها، فالشاعر حزين متألم، يبكي ضربة قومه في منطقة قطر بتوجع وتفجع فيقول[2]:

كل يوم كان عنا جللاً
غير يوم الحِنو في جنبي قطر
ضربت دوسرُ فينا ضربةً
أثبت أوتاد مُلك فاستقر

وقصيدته الدالية نجد فيها مثل هذا الجو النفسي، وهي موجهة إلى الملك النعمان ابن المنذر «أبي قابوس» فالمثقب عندما تلوح له بارقة أمل في ود جديد من الملك يسرع إليه في سفارته ويستعطفه في جمهرة العبديين وأسراهم، وهذا نفس موقفه من صاحبته هند التي تلوح لها بارقة أمل في ود جديد تنصرف إليه وهو حزين لما أصاب قومه، لكنه كان يطمع في رضى النعمان الذي طوق العبديين بمكرمته العظيمة في إطلاق الأسرى فمدحه المثقب قائلاً[3]:

فإن أبا قابوس عندي بلاؤه
جزاءً بنُعمى لا يحِلّ كُنودها
رايت زنادَ الصالحين تمينةً
قديماً كما بذ النجوم سُعودها

(١) ديوان المثقب العبدي ٢٠٨ .
(٢) ديوان المثقب العبدي ٢١٠ الجلل: العظيم. حنوقطر: مكان في قطر.
(٣) نفس المصدر ١٠٢ .

ويبقى أمامنا من قصائده التي تصدرها الغزل قصيدتان: الأولى في صاحبته «غانية»[1] وهذه ضاع موضوعها على ما نعتقد إذ نجد بعد الغزل وصفاً للناقة ثم تنتهي القصيدة.

أما القصيدة الثانية وهي الميمية فإن المثقب فيها ينهض فرحاً مسروراً يستقبل صاحبته «طلحة» التي جاءته ليلاً زائرة، وهو لا يكاد يصدق ما يرى، لكنها الحقيقة هذه طلحة أمامه تجود عليه بهذا اللقاء، فيطير فرحاً ويتهلل وجهه بشراً، وإذا ما علمنا أن المثقب في هذه القصيدة يمدح خالد بن أنمار وقد أبهجته شفاعة خالد عند النعمان في شأن الممزق العبدي، أدركنا مدى سيطرة الوحدة النفسية في قصيدته الميمية، وفيها يقول[2]:

طرقت طلحـــة رحلي بعـــدما
نـام أصـــحـــابي، وليلي لم أنم
طـرقـــتـنـا ثـم قـلـنـا إذ أتـت:
مـــرحـــبـــاً بـالـزور لما أن ألـم

وبعد كل هذا لا يتبقى أمامنا شيء في الغزل، فقد لاحظنا أنه في مقدماته الغزلية يربط بينها وبين موضوعاته التي عالجها وأشار إليها.

وفي كل تلك القصائد ذكر الشاعر خمس نساء هن فاطمة، وهند، وليلى، وطلحة، وأخرى لم يذكر اسمها واكتفى بأن يقول عنها «غان» وهي التي أشرنا إليها بأنها الجميلة.

ولسنا ندري سبباً لهذا التعدد في الأسماء، فهل كانت تسميات لمعشوقة واحدة، وحبيبة فريدة، فأحب أن يعدد أسماءهما؟. أم أنها من عرائس الشعر التي أشار إليها الباحثون[3]؟ ومن الأسماء التقليدية التي تجري في الشعر عند الشعراء[4] وأغلب الظن عندنا أنها من عرائس الشعر وأنها تقليد سار عليه المثقب كما لا حظنا ليلائم بين غزله

---

(١) الغانية هي التي تطلب وهي المراة الجميلة.

(٢) ديوان المثقب العبدي: ٢٢٠.

(٣) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٩٢/١.

(٤) البهبيتي: تاريخ الشعر العربي ص ١٠٠

وموضوعاته، فالمثقب لم تشغله المرأة، وإنما شغلته أحداث قومه، ومهمة السلام التي نهض بأعبائها وأمضى طيلة حياته مشدوداً إليها.

وهكذا كان الغزل أول لوحة من لوحات قصيدة المثقب التي سنمضي معها إلى الظعن فالناقة فالمدح فالحكم.

شعر الظعائن:

الظعن في الشعر الجاهلي لون غنائي عذب، وقف الشعراء عنده وأطالوا الوقوف وفاضت لواعج صدورهم بأغاريد زاخرة بالحب، مليئة بالحنين، ممزوجة بالحزن.

وصف الشعراء الظعائن، وتتبعوا أماكنها، وذكروا طرقها، فأنجدوا وأسهلوا، وتحدثوا إلى المرأة الظاعنة ملتمسين ودها، وراحوا يرقبون رحيل أحبابهم، وحمول صاحباتهم، وبعدها يسكن الحزن نفوسهم، وتفيض بالدمع أعينهم، فيبكون بحرقة، ويجأرون بالشكوى، فلحظات الوداع قاسية موجعة، والفراق مؤلم محزن.

والمثقب العبدي عاش تجربة الارتحال بعاطفة جياشة، ومشاعر دفاقة، وتناول شعر الظعن بحماسة وانفعال شديدين فجاء شعره رقيقاً، عميق التأثير في النفس.

وتناول هذا الشعر عنده النواحي التالية: طريق الظعائن، والإبل الظاعنة، والأحداج والرجائز، والنسوة الظاعنات.

طريق الظعائن:

ورد الظعن في قصيدتين من القصائد السبع المشهورة التي بقيت في ديوان المثقب، ففي القصيدة النونية يتحدث عن خط سير الإبل ويعرج على ذكر الأماكن التي تجتازها، والبداية من وادي ضبيب حيث ظهرت الظعائن بعد لأي وتباطؤ، ثم تمضي إلى منطقة شراف، ومباشرة إلى ذات رجل، وتنعطف قليلاً لتكون الذرانح عن يمينها، وأخيراً تصل إلى فلج وهي أرض مستوية، فتبدو الظعائن وهي تتهاوى وسط بحر من الرمال سفناً عظيمة تعلو غوارب البحر[1]:

---

(١) ديوان المثقب العبدي ١٤٢ – ١٤٨ .

لمن ظُعنٌ تطالع من ضُبَيبٍ
فما خرجت من الوادي لحين

تبصر هل ترى ظعناً عجالاً
بجنب الطحان إلى الوجين

وهذه الأماكن هزت مشاعر المثقب ودفقت أحاسيسه وحملت له أجمل الذكريات، فراح مع الظعائن يهبط الوهاد والوديان، ويصعد التلال والمرتفعات يعلو إذا علت، ويهبط إن هي انحدرت(١):

علون رباوة، وهبطن غيباً
فلم يرجعن قائلة لحين

وذاك التحديد لتلك الأماكن والتنقل مع الظعائن وإن كان أمراً غير ذي بال عند غير المثقب أو كما يقول بعض الدارسين يجلب السأم(٢)، فهو عند الشاعر عظيم الأثر، كبير الأهمية، يجد فيه ارتياحاً لنفسه واطمئناناً لقلبه.

والمثقب عندما يحدد الأماكن ويسمي المناطق في طريق سير الظعائن فإنما يدلل على قيمة إنسانية كبيرة في نفسه للربوع الحبيبة وأرض الحمى «الوطن» ومنازل قومه العبديين.

أما في القصيدة الرائية فلم يتبع الأماكن، وليست صاحبته فاطمة التي تظعن هذه المرة وإنما هي «ليلى»، وظعائنها ترحل مبكرة وتجتاز أرضاً حزماء صعبة الصعود، صلدة الحجارة، وإنها على امتداد البصر أسر وجماعات.

ويبدو أن أبياتاً ضاعت من القصيدة، وأوصافاً أخرى كان لابد من وجودها لتكتمل معالم الصورة، ويؤكد هذا الضياع عندنا أن جواب الشرط بعد البيت الرابع في القصيدة غير موجود والمثقب يبدأ ذكر الظعن من البيت الرابع فيقول:(٣)

(١) ديوان المثقب العبدي ١٦٣، الرباوة: ما ارتفع من الأرض والغيب ما اطمئن منها.

(٢) القنادي: الوصف في الشعر الجاهلي ٣١٨ .

(٣) ديوان المثقب العبدي ٦٤، الحزماء: ما أشرق من الأرض وكثرت حجارته، الانماط: ثياب ملونة، الرقم: نوع من الثياب.

إن رأى طعناً لليلى غدوة
قد علا الحزماء منهن أسر
قد علت من فوقها أنماطها
وعلى الأحداج رقم كالشقر

الإبل الظاعنة:

تسير هذه الأبل أسراً وجماعات، وترحل في قوافل، تشق رمال الصحراء وتجتاز معابر الفلاة، سترسله في سيرها، عظيمة في امتدادها، وقد أخبرنا المثقب بأنها إبل خراسانية، طوال الأعناق عراض الصدور، ضخام الرؤوس[1]:

يشبهن السفين وهن بخت
عراضات الأباهر والشؤون

وتشبيه الجمال بالسفن صورة يكررها المثقب في حديثه عن ناقته متأثراً بما يشاهده في بيئة البحرين[2]:

كأن الكور والأنساع منها
على قرواءَ ماهرةٍ دهين

وتأتي هذه الصورة من الضخامة والتتابع في المسير، فالإبل تتمايل وتضطرب وتمضي مسرعة وكذلك السفن يميلها الملاح ويعدلها وهي تتابع سيرها وسط الأمواج وقد أكثر الشعراء في الجاهلية من استخدام صورة السفن عند ذكر الظعائن فطرفة يتحدث عن حدوج صاحبته المالكية قائلا[3]:

كأن حدوج المالكية غدوة
خلايا سفين بالنواصف من دد

(١) ديوان المثقب العبدي ١٤٩، البخت: الإبل الخراسانية، الأباهر: عروق الظهر، الشؤون: شعب الرأس.
(٢) نفس المصدر ١٨٨، الكور: الرمل، الانساع: الحبال، قرواء: سفينة طويلة، ماهرة: سابحة، دهين: مدهونة.
(٣) الأنباري: شرح القصائد السبع ١٣٧ .

ويقول عبيد بن الأبرص لصاحبه وهو يحدثه عن حمول القوم(١):

تبين صـــاحــــبي أترى حـــمــــولاً
يشـــبـــه ســـيـــرها عــــوم الســـفين

ويستخدم عمرو بن قميئة نوع السفن حين يتحدث عن سرعة العير والقافلة(٢):

هل ترى عـــيــرها تجـــيـــز ســـراعـــاً
كـــالعـــدولى خـــارجـــاً من أوال

ويتباهى المثقب بأن ظعائن صاحبته فريدة من نوعها، تفوق ظعن أشهر قبائل العرب، قريش وبكر بن وائل وتميم(٣):

ظعـــائن لا توفي بـهن ظعـــائن
ولا الثـــاقـــبـــات من لؤي بن غـــالب
ولا ثعلبـــيـــات حللن عـــبـــاعـــبـــاً
ولا أســـرة القـــعـــقـــاع من رهط حـــاجب

والشاعر الوحيد من بين شعراء عبدالقيس الذي شارك المثقب في إبراز صور الظعائن هو الممزق فقد أعلن عن فزعه من رحيل صاحبته وقد رأى أهلها يستعدون للسفر عند الصباح، وعندما استوت النساء على الأحداج راحت الإبل تجتاح مناطق الرجا وقراقر(٤):

صـــحـــا من تصـــابيـــه الفـــؤاد المشـــوق
وحـــان من الحـــي الجـــمـــيع تفـــرق

(١) ديوان الشاعر: ١٣٢، وفي رواية أخرى «نساق كانها عوم السفين».

(٢) ديوان عمرو بن قميئة ٦٠ العدولى: سفن منسوبة إلى عدولى بالبحرين.

(٣) ديوان المثقب العبدي ٢٦٢، ثاقبات: كريمات النسب، لؤي بن غالب: من قريش أكرم الناس حسباً وهو جد الرسول عليه السلام، ثعلبيات: من بني ثعلبة بن بكر بن وائل، عباعب: موضع في ديار بكر، القعقاع: من تميم، وحاجب: عم القعقاع.

(٤) المفضليات ١٦٤، جلهة الوادي: جانباه، توسق: تعدل.

لدن شال أحداج القطين غدية
على جلهة الوادي مع الصبح توسق
تطالع ما بين الرجا فقراقر
عليهن سربال السراب يرقرق

ولم يذكر المثقب لنا زمن الرحلة أو الظروف المحيطة بها لكنه في حديثه عن ناقته يطيل الوقوف عند كل أمر وسنأتي على ذلك في شعر الناقة.

الأحداج والرجائز:

عند الرحيل تأخذ المرأة أجمل زينتها، ويستعد القوم، وتزين الإبل الظاعنة بأبهى الحلل وتغطى الأحداج بأكسية زاهية فاخرة، ويشير المثقب إلى الأحداج والرجائز في نونيته فيقول[1]:

وهن كذاك حين قطعن فلجاً
كأن حدوجهن على سفين
وهن على الرجائز واكنات
قواتِلُ كل أشجعَ مستكين

فالحدوج جمع حداجة مركب تركبه النساء مثل «المحفة» والهودج[2]، أما الرجائز جمع رجازة فهي أيضاً مركب من مراكب النساء لكنها أصغر من الحداجة، وعند ابن سيده[3] أن الرجازة كساء من الصوف تجعل فيه أحجار يوضع بأحد جانبيها الهودج يعدله عند الميل والاضطراب أثناء السير، ويرى ابن منظور[4] أن الرجازة مركب للنساء دون الهودج يزين بصوف وشعر أحمر، أما اليزيدي فيقول بأن الرجازة هي الهودج[5] ومن

(١) ديوان المثقب العبدي ١٤٨ – ١٥٠ .
(٢) لسان العرب ٢/٢٣٠ .
(٣) ابن سيده: المخصص ٧/١٤٧ .
(٤) لسان العرب ٧/٢١٩ .
(٥) ديوان المثقب العبدي ١٥٤ .

كل هذا ندرك أن الأحداج والرجائز نوعان من أنواع المراكب التي عرفها الجاهليون واستخدموها في رحيل نسائهم، ويبدو أن المثقب استخدم الحدوج بمعنى المراكب والرجائز بمعنى البسط والطنافس لأنه قال: إن النساء جالسات مطمئنات على الرجائز.

وتزين الأحداج بالأنماط وهي أكسية ملونة وبسط فاخرة[1] وتغطى بالكلل من الستائر الرقيقة فتبدو وكأنها غرف أنيقة لعبت فيها يد فنان عند الطلاء وهذه الأكسية وتلك الأغطية غالباً ما تكون من اللون الأحمر، ومن أنواعها العقل والرقم فالعقل أثواب حمراء كان العرب يسدلونها على الهوادج، أما الرقم فهو خز موشى وضرب من البرود المخططة كما يقول ابن منظور والمثقب بين لنا أن الرقم قماش أحمر يشبه في احمراره شقائق النعمان ولون الدم عندما يقول[2]:

قد علت من فوقها أنماطها
وعلى الأحداج رقم كالشقر

ويتحدث عن ظهور النسوة خلال الكلل والستائر وهي تمضي مرتحلة.[4]

ومن هنا ندرك أن أحداج صاحبة الشاعر كانت تغطى بصوف أحمر اللون وبأكسية من النوع الفاخر الثمين وأن قماش «الرقم» أكثر الأنواع استخداماً في زينة الحدوج عند العبديين.

وقد أشرنا إلى أن الحداجة والرجازة من المراكب التي تصنع على أرض عبدالقيس[5] وربما كان الرقم والأكسيه الأخرى من منسوجاتهم.

---

(١) ديوان المثقب العبدي ص ٦٥.
(٢) لسان العرب ٦/٩٠ وقال الأنباري: الرقم والعقل من ثياب اليمن.
(٣) ديوان المثقب العبدي ٦٥ .
(٤) نفس المصدر ١٥٦ .
(٥) انظر: الصناعة عند عبدالقيس.

النسوة الظاعنات:

لا نغالي إذا ما ذكرنا أن صاحبة المثقب فاطمة كانت من وسط ثري، وهي حسناء، جميلة، منعمة، زاهية الثياب، طويلة الضفائر، والنسوة اللائي رحلن معها وبرفقتها من وسط «اقتصادي» حسن، يجلسن مطمئنات على الرجائز وفي الأحداج ساحرات فاتنات، ودولة السحر والجمال يخضع لها أشجع الرجال وهن جميلات العيون، رشيقات القوام، تعمدن النظر إلى الأحبة وكأنهن غزلان اشرأبت أعناقها تتناول دانيات الأغصان في ذات ضأل[1]:

وهن على الرجائز واكنات ... قواتل كل أشجع مستكين
كغزلان خذلن بذات ضأل ... تنوش الدانيات من الغصون

وببراعة فائقة يصف لنا المثقب هذا الإصرار عند النسوة على مشاهدة المودعين والنظر إلى الأحبة، فهن يرخين الستائر الرقيقة والكلل الموشاة من جانبيها ويرفعن قسماً منها من جانب آخر وليس الأمر كذلك فحسب وإنما يثقبن الوصاوص «البراقع» فتبدو العيون الناعسة والوجوه المشرقة، ولهذا يقول طه حسين[2]: «وجدير بمن يثقب الوصاوص أن يلقب «بالمثقب».

وفي تسلسل شيق ووصف رشيق مضى المثقب يتحدث عن أسباب محاسن الظاعنات، فهن يرتدين أثواباً من الديباج ويتزين بالذهب يتموج على صدورهن الناصعات البياض وقد أرخين ذوائبهن على ظهورهن، وهن مع ظلمهن للرجال مطلوبات مرغوبات فإذا ما وقع الإنسان في فتنتهن وتملكن قلبه أصبح من العسير عليه أن ينجو من حبهن فيتودد إليهن ويطلب الوصل منهن[3]:

(١) ديوان المثقب العبدي: ١٥٠، ١٥٤، واكنات: مطمئنات، الأشجع: الشجاع، ذات ضال: موضع فيه شجر السدر.
(٢) طه حسين: حديث الأربعاء ١٦٦ .
(٣) ديوان المثقب ١٥٧ .

وهن على الظلام مُطلبات

طويلات الذوائب والقرون

إذا ما فُتنه يوماً برهن

يعزُّ عليه لم يرجع لحين

والمثقب بعد ذلك يزمع الرحيل في شدة الهاجرة ويمضي عاصباً جبينه من الحر اللافح، ويقترب من الظعن، وهو يرى صاحبته تفوق النسوة حسناً وجمالاً، ويحلو له الحديث مع واحدة منهن وهو يقصد فاطمة، ويطلب إليها أن لا تقطع حبل الود بينهما فهي إن فعلت فهو مضطر إلى القطيعة بالرغم من أن قلبه لا يطاوعه على الفراق(١):

فقلت: لبعضهن وشُدّ رحلي

لهاجرةٍ عصبت لها جبيني

لعلك إن صرمت الحبل مني

أكون كذاك مُصحِبتي قروني

لقد رسم المثقب بصبر طويل، وجهد كبير منظر الرحيل، وبرع في التعبير عن لهفته وحنينه وذكرياته، وأجاد في وصف محاسن الظاعنات، فشعر الظعن حبيب إلى النفس، قريب من القلب وما يصدر عن النفس يلقى قبولاً في القلب(٢).

والظعن هو اللوحة الشعرية الثانية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالغزل وتتابع مع بقية لوحات القصيدة عند المثقب.

وما دمنا قد ارتضينا الوحدة النفسية في لوحة الغزل عند المثقب فنحن نرى مثل هذه الوحدة في لوحة الظعن عنده كذلك، فهو ينتقل من الغضب والثورة على صد الحبيبة

(١) ديوان المثقب العبدي ١٦٣، قرونه: نفسه، مصحبتي: منقادة لي.

(٢) عطوان: مقدمة القصيدة العربية ١٨٨.

وهجرها إلى الهدوء والسكينة في أيام الود والصفاء معها فينظر إلى تلك الأيام الغابرة وساعات الذكريات الجميلة، وتراه ينقل بصره ويطوف بعينيه في مرابع الأحبة ينظر من خلال آلة تصويره فيرى فاطمة القديمة، فاطمة الجميلة التي تحبه وترضاه والتي تدنيه منها وتقربه إليها، إنه يذوب وجداً في ذاك الوصال ويمتلئ حنيناً إلى أيام المتاع وفي هذا الموقف يعدد أسباب حسنها، وتتبع آيات جماليها وينقلنا معه في رحلة جميلة.

وفجأة يجذبه حاضره مع فاطمة فيصرخ ويصرح بأنه لن يخضع لها ولن يأسره حبها، فإن هي صرمته صرمها، وإن أنكرته أنكرها.

وهو إنما يعطي الفرصة للملك عمرو بن هند ليراجع سياسته مع العبديين ويفسح له المجال في أن يصدر قراراً سياسياً لا تعصف به رياح الفتن ولا ساعات الغضب ولا تنكره شبهات الأقوال والأمر مع هذا الملك أن يكون أخاً صديقاً أو عدواً مخادعاً وكل ما يريده المثقب منه حزماً في الأمر، وسداداً في الرأي وصراحة في الموقف وصدقاً في القول.

شعر الناقة:

تحتل الناقة مكاناً بارزاً في أشعار المثقب، فقد وقف عندها ومعها طويلاً، هام بها، وغنى لها أجمل القصائد، وتحدث إليها، ووصفها وصفاً دقيقاً فلم يترك صغيرة ولا كبيرة فيها إلا ذكرها، فهي مهوى فؤاده ومحط بصره وباعث الحسرة على لسانه إنه يحدث عنها، وكأنه عاشق لها وبينهما صداقة حميمة، ولم تحرمه من هذا العشق؟ وتتنكر عليه تلك المودة؟ أليست ناقته التي ترحله إلى الملوك وتصحبه في أجواز الفلاة، وتمضي به في كل قفرة وعلى مثلها ترحل صاحبته، منها جل فوائده، وهي معوانة على بلوغ المآرب والحاجات.

فلا غرو أن وقف في إعجاب يصف كل شيء فيها، وينظر إليها بالعيون التي ينظر بها إلى العالم ويتحدث عن طباعها وخصالها وأحاسيسها ويكفي أن نقول هنا: إن شعر الناقة وحده يمثل مكانة بارزة فربع ديوان المثقب المتبقي من أشعاره في وصفها.

وللناقة نعوت كثيرة فهي ذات لوث[١]، وعذافرة[٢]، وعرفاء[٣] ووجناء وفتلاء اليدين، ولكية[٤]، وذريعة[٥]، ورجوم[٦]، ويعملة ورجيلة[٧].

والمثقب مثل شعراء الجاهلية يذكر تسلية الهموم بركوب ناقة ضخمة الجسم، مرتفعة السنام، وعظيمة الوجنات، مفتولة الذراعين، مكتنزة اللحم موثقة الرساغ، نجية الطباع، كريمة الأصل، تنهب الأرض بأخفافها وتقطع أجواز الفلاة برسيها، فلا يتعبها رحيل ولا يأخذ منها سفر، وفي كل هذه المعاني والأوصافـيقول المثقب:

فســـــــل الهـم عـنـك بـذات لـوث

عــذافــرة كــمطرقــة القــيــون[٨]

✡✡✡✡

عـــرقـــاء، وجـنـاء، جُـــمــــالـيــةٍ

مُكربةٍ أرســـاغُـــهـــا، جـلمـــد

✡✡✡✡

قطعت بفـــتـــلاءِ اليـــدين ذريعـــةٍ

يغـــول البـــلاد ســومـــهـــا وبريدها

✡✡✡✡

ويعـمـلـة أرمي بهـا البـيـد والســرى

يقطع أجــواز الفــلاة رســيــمــهـــا

(١) قوية، ضخمة.

(٢) شديدة، صلبة.

(٣) طويلة العنق.

(٤) كثيرة اللحم.

(٥) سريعة.

(٦) ثقيلة في غير بطء.

(٧) بخية، قوية السير.

(٨) ديوان المثقب العبدي ١٦٥، ٢٦، ٨٨، ٢٤١ .

وسنام ناقته سامق مرتفع وعنقها طويل صلب ترفعه إلى سنانها إذا سارت[1]:

ينبي تَجـاليـدي واقـتـادها
نـاوٍ كـرأس الفـدن المُـؤيَدِ
تَنمي بنهـاض إلى حـاركٍ
ثم كـركن الحجـر الأصلَدِ

حتى الذئب يكون له نصيب في أوصاف المثقب[2]:

تشـد بدائم الخطران جـثل
خـواية فـرج مـقلاتٍ دهين

ثم يتناول حركتها فهي سريعة، نشيطة، لا يحتاج الأمر معها إلى سوط يحثها على المسير[3]:

تعطيكَ مشـيـاً حَسناً مـرةً
حـثك بالمروَدِ والمُحصَـدِ

وعبر عن سرعتها بأن هراً علق بمعقد حزامها ينهمها، وتطرده عن نفسها ولكنه لا يتراجع وإنما يزيدها أذى، فتجد في سيرها، هاربة، فارة[4]:

بصـادقـةِ الوجـيـف كـأن هراً
يبـاريهـا ويـأخـذُ بالوضين

والناقة وهي مسرعة تقذف الحجارة ويصطدم الحصى الغليظ بجانبيها في باطن الوادي فيسمع له عزف جميل[5]:

(1) نفس المصدر ٢٣، ٢٨، تجاليد: جسم، اقتاد: الرحل، ناو: مرتفع، فدن: قصر، مؤيد: موثق نهاض، عنق، حارك: سنام، تنمي: ترفع.

(٢) نفس المصدر ١٨٠، جثل: كثير، خواية: فرجه، مقلات دهين: ناقة قليل.

(٣) نفس المصدر ٢٢، مرود: حديدة اللجام، محصد: حبل أو سوط.

(٤) نفس المصدر ٩٥، ١٧٠، الجنب: الهر، مقعد غرزها: مكان رحلها، الوجيف: السير، الوضين: حزام الرحل.

(٥) ديوان المثقب العبدي ١٧٨، ٣٥، المشقتر: المتفرق من الحصى، القردد: الأرض الغليظة.

تصك الجانبين بمشقتر
له صوتُ أبحُ من الرنين

✡✡✡✡✡

وتسمع تعزافاً له رنةً
في باطن الوادي وفي القَرددِ

وتمضي رغم الأهوال والشدائد في أرض مقفرة، خلت إلا من صور الجنادب وأصوات البوم وهي ترحل في كل وقت، فيِّ الليل والنهار، وفي شدة الهاجرة التي تلفح الوجوه وتغير الألوان[1]:

أمضي بها الأهوال في كل قفرة
ينادها صداها آخر الليل بومها
أنص السرى فيها بكل هجيرة
تغير ألوان الرجال سمومها

وتسير في أرض غليظة وطرق ممتدُة، ليست على استواء واحد، صلدة الحجارة كثيرة الحصى[2]:

فرُحتُ بها تُعارضُ مُسبَكِراً
على ضحضاحِهِ وعلى المتون

ويخبرنا المثقب أنه أخو سفر وجواب أرض يقطع البيداء راغباً في حر الظهيرة وقد استراحت الشمس في قبة السماء وانتشر السراب كالريط والبرود[3]:

أعادل ما يدريك أن رب بلدةٍ
إذا الشمس في الأيام طال ركودها
وأمت صواديح النهار وأعرضت
لوامع يطوي ريطها وبرودها

---

(١) نفس المصدر ٢٤٩، الصدى: طائر في الليل يسير، السرى: السير ليلاً.

(٢) نفس المصدر ٢٠٥، المسبكر: المستوى من الأرض، تعارض: تباري، ضحضاح: ماء قليل، المتون: الأرض الصلبة، لاحب: طريق، منفهق: واسع، برجد: ثوب.

(٣) نفس المصدر ٨٦ قال الأنباري «أراد وقت شدة الحر وثبوت الشمس في كبد السماء»، الصواريح: الطيور، أمت: اشتد حرها، يطوي ريطها: شبه السراب ببياض.

وتنام الناقة وتعرس ليلاً عندما ينال منها التعب فتبرك على ثفناتها حيثما انتهي بها المسير(١):

والقـــيت الزمـــامَ لهـــا فنامت
لعـــادتهـــا من الســـدف المبين

وفي بعض الأحيان تنام عند ملتقى الطرق وبجانب البحر(٢):

فـــبت وباتت بالتنوفـــة ناقـــتي
وبات عليـــهـــا صـــفني وقـــتودها
علـى طرق عنـد اليـــراعـــة تارة
توازي شـريم البـحـر وهو قـعـيدها

أما طعام الناقة فهو علف من النوى المدقوق والورق المتساقط من شجر السدر يكثر مثله في منطقة القطيف حيث النخيل الذي يستخدم نوى تمره علفاً للإبل والعناية بطعام الناقة أمر حيوي لتبقى في نشاط دائم واستعداد مستمر(٣):

كـــســـاها تامِكاً قـــرداً عليـــهـــا
ســـواديُّ الرضـــيـــح مع اللجـين

وحياة المثقب مع الناقة حياة مشقات، فلا هي تستريح، ولا هو يريح، انظر إليه الوقت آخر الليل، وأمر عاجل أتاه، فينهض، وينهض راحلته ويهيء متاع السفر، فتدرك مراده، وتشتكي من كثرة أسفاره وتتأوه حزينه متألمة، فمشقة الرحلة وعنت السفر يصيبان منها شيئاً كثيراً، ولكن ما الحيلة، إنها تذعن، وترضى، إن فيها صبراً جميلاً على المكروه ونزولاً مستكيناً الخطب الملم، ويدنو منها، يمد لها الزمام ويشد الرحل، ويمضي بها أعز صديق وأكرم رفيق، حقا إنه وصف رائع ومن أدق ما عرف الناس في وصف الإبل(٤):

---

(١) نفس المصدر ١٨٤ .

(٢) ديوان المثقب العبدي ٩٠ التنوفة: الصحراء والقفر من الأرض، القتود: اداة الرحل، اليداعة: مكان.

(٣) نفس المصدر ١٧١ .

(٤) نفس المصدر ١٩٤ .

تقـــول وقـــد درأت لهـــا وضـــيني:
أهـــذا ديـــنـــه أبـــداً وديـــنـــي

أكـل الـدهـر حـل وارتحـــــالٌ
أمـــا يُبـــقي علي ومـــا يقـــيني

ويقول الكفراوي(1): «أليست الناقة شريكة البدوي في أفراحه وأحزانه، ومعوانه على بلوغ مآربه وإمضاء همومه، وبذا قويت الرابطة بينهما حتى ليكاد يناجيها بخلجات نفسه وتناجيه».

ولئن وقف شعراء الجاهلية عند أمور هامة في الناقة أبرزها ما يتعلق بجسمها وأعضائها وما يتناول أحاسيسها ومشاعرها، وما يدور حول مهمتها والعناية بها فإن المثقب قد وقف عند هذه الأمور جميعها وحدثنا حديث الخبير المعجب بكل ما يتصل بناقته وسفينة صحرائه وليس أدل على هذه الخبرة من أنه جمع لها خمس صفات في بيت واحد من الشعر ننشده معه(2):

عـــرفـــاء، وجـناء، جُـــمـــاليـــة
مـكـربـة أرســـاغـــهـــا، جـلـمـــد

وقد طال الكلام، وامتد الحديث عن الناقة، وكان أمامنا هذا الفيض الزاخر من الشعر فيها، وحار الدارسون في أوصافها، فتعددت الأسباب وتباينت الآراء وتمايزت الأقوال، فقد قيل: إن هذا الوصف جسر يمتد طويلاً أو قصيراً يجتازه الشاعر من الغزل إلى المديح وإن هذا الوصف أيضاً لون من المغامرات وضرب من الهوايات، وآية من التفنن وقدرة على احتمال المخاطر وتسلية للهموم، وتعبير عن الحياة والزمان ورمز للحيوان وللأمومة في حياة الجاهليين.

وكل تلك الأقوال تجوز في ناقة المثقب إلا أننا نرى أن وصف المثقب لناقته إنما يحدث عن فتوته وقوته، فناقته صورة مطابقة تمام المطابقة لواقع حياته وانعكاس شديد لحالته النفسية، بل نستطيع أن نزعم أنها تقدم لنا المثقب من خلال الحديث عنها وفيها، فهي قوية قوة نفسه، وعالية علو همته وضخمة ضخامة عظيمة وعظمة المهمة التي ينهض

(1) الكفراوي: الشعر العربي بين التطور والجمود ٣٧ .
(2) ديوان المثقب العبدي ٢٦ .

بأعبائها، وسريعة سرعة حركته وتنقلاته، فالسفير لابد أن يكون نشيطاً، وسريعاً، ودؤوباً وهي مصابرة مثابرة، تحتمل الشدائد وتعتسف المخاطر تدفعه من أرض إلى أرض ومن شاطئ إلى شاطئ وتحمله من بلد إلى بلد في حر الرمضاء وسموم الفلاة وقفار الداوية وفي هدأة الليل وهجيرة النهار وهي تتألم كما يتألم وتشكو مثلما يشكو، وتنكر عليه ما ينكره على غيره، إنها باختصار عظيمة متألمة وإنه عظيم متألم، ألم نقل: إنها صديق عزيز ورفيق معين ولذا كان المثقب يفر من واقعه إليها أكثر الحالات ويرى نفسه فيها غالب الأحيان.

شعر المدح: ـ

مدح المثقب ملكين من ملوك المناذرة الأول عمرو بن هند والثاني النعمان بن المنذر الملقب بأبي قابوس، فإذا ما تتبعنا أشعاره في ابن هند نجدها قليلة ولا تسعفنا بمعلومات واضحة تغطي مدى العلاقات السياسية التي كانت تربط بين المثقب والملك أو بين المناذرة والعبديين.

ففي القصيدة الرائية يصرح الشاعر بأنه لم يأت بلاط عمرو بن هند، ولكنه يستحق المدح، ويجدر بالإنسان أن يسافر إليه ويلقاه، فهو واسع الملك، يحكم من سيف الخليج حتى أرض الحجاز، والملك بسام الثنايا، وضاح الوجه، من نسل حجر الكندي، ودوحة المناذرة فهو خالص النسب، نقي الدم[1]:

وإلى عمرو وإن لم آته
تجلب المدحة أو يمضي السفر
واضح الوجه، كريم نجره
ملك السيف إلى بطن العشر
حجري، عائدي، نسباً
ثم للمنذر إذ جلّى الخمر
باحري الدم، مر طعمه
يبرئ الكلب إذا عض وهر

(١) ديوان المثقب العبدي: ٦٨ .

وفي القصيدة النونية يصرح المثقب بمشروع رحلة إلى بلاط الملك عمرو وأنه سيشد الرحال إليه، فإن أمراً عاجلاً أتاه، والملك صاحب نجدة ومروءة وذو حلم وسماحة، وبعد ذلك نجد عتاباً قاسياً وموقفاً حاداً يصل إلى واحدة من اثنتين فإما إخوة ومودة وإما خصومة وعداوة[1]:

إلى عـــمـــرو، ومن عـــمـــرو اتتنى

أخي الـنـجـــدات والحـلـم الرصـين

وهذه الأبيات تثير أسئلة كثيرة.. فما الأمر الذي أتاه؟ وهل كان دعوة من الملك أم مجرد خبر تناهى إليه؟ وما هو موقف الشاعر من تلك الدعوة وذلك الخبر؟ وهل وصل المثقب الحيرة وحلّ في بلاط عمرو بن هند وأنشده قصيدته النونية؟

وأغلب الظن أن أنباء وصلت إليه بعد معركة حنو قطر[2] وبعد ضربة دوسر الموجعة في العبديين تطلب إليه الحضور، فاستعد للرحيل ليسوي الأمور ويبسط شؤون القبيلة بين يدي الملك.

ويبدو أن المثقب كان بين الرجاء في مروءة الملك والطمع في مكان لائق لقومه وبين الخشية من عواقب الرحلة والخوف من تبدل حال ابن هند الذي كان سريع الغضب والمخادعة، ومع ذلك فقد عقد المثقب عزمه على أن يكون صريحاً أمام الملك ويطلب إليه «ايضاحاً» عن موقفه من العبديين فإما عداوة فيستعدون ويحذرون وإما مودة ويعود السلام بين الحيرة والبحرين.

أما خبر وصول المثقب الحيرة فقد أشار إليه بعض الباحثين[3] لكننا نستبعد هذا الخبر ونرده لعدة أسباب: فالمثقب يصرح بأنه لم يأت قصر ابن هند والمصادر التي بين أيدينا لا تؤكد خبر الوصول.

---

(١) ديوان المثقب ٢٠٨ .

(٢) البكري: معجم ما استعجم ٢٠٨٢ .

(٣) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٨٤/١، شعراء النصرانية ٤٠٠.

فابن قتيبة[1] لم يذكر شيئاً عن رحلة المثقب إلى الحيرة، واكتفى بالإشارة إلى أنه عاش زمن عمرو بن هند، وشعر المثقب لا يحدثنا بشيء عن هذه الرحلة فالمدح في قصيدته جاء في نصف بيت من الشعر وهو أمر غريب، ومن المستغرب أيضاً أن يخاطب الشاعر الملك بمثل هذه القسوة والحدة في داخل قصره وبين يديه.

والذي نظنه أن المثقب عزم على الرحيل لكنه أحب أن يطلع على رأي الملك قبل أن يمثل بين يديه لإذاع قصيدته النونية.

أما الملك الثاني الذي مدحه المثقب من ملوك المناذرة فهو النعمان أبو قابوس، فذكر أن هذا الملك طوقه بجميل لا ينساه أبد الدهر وأسبغ عليه نعمة لا ينكرها مدى حياته، فهو الذي أطلق سراح جمهرة العبديين وأسراهم مما ألهج لسان الشاعر بالثناء والتكريم، والنعمان من أصل كريم ونسب رفيع يتفوق على غيره كما يفوق نجم السعود سائر النجوم ويبالغ في قوة النعمان وقدرته إذ إنه يخضع الجبال الراسية ويقودها بأمراسه اذا ما استعصت عليه، فلا يعيقه أمر ولا يقف أمامه مانع وهو أيضاً لا يتفوق بنسبه فحسب، وإنما يتفوق بحزمه وجوده على سائر الملوك[2]:

فإن أبا قابوس عندي بلاؤه

جزاءً بنعمى لا يحلّ كنوَدها

إلى ملك بذَّ الملوك بسعيه

أفاعيلُه حزمُ الملوك وجودها

والرجل الثالث الذي مدحه المثقب هو خالد بن أنمار أحد رجالات عبدالقيس فقد قام بمأثرة حميدة وشفاعة رشيدة عند النعمان، وخالد رجل كريم، جفانه مترعة، يعطي بكثرة وعطاؤه يتقدم الآخرين ومجلسه هادئ فيه يلتقي ذوو العقول المفكرة وأصحاب الآراء السديدة فلاسفه ولا طيش وإنما تعقل واتزان والمال عنده وسيلة لا غاية فإذا ما أنفق هذا

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٩٥ .

(٢) ديوان المثقب.

المال فإنما يقصد سمعة باقية ومحمدة دائمة وعرضاً مصوناً فما فائدة المال؟ إذا لم يصن العرض ويحفظ الشرف ويطعم الضيف ويوسع على المحتاج:[1]

إنما جـاد بشـاس خـالد
بعدما حاقت به إحدى العظم
باكر الجفنة ربعي الندى
حسن مجلسه غير لطم

وإذن أرسل المثقب مدائحه في اثنين من ملوك المناذرة وواحد من عبدالقيس وأغلب الظن أنه شخصية بارزة من العبديين وكان يتمتع بحظوه عند النعمان بن المنذر.

ونتسائل كيف أقدم المثقب على مدح الملكين؟ والأول منهما وهو عمرو بن هند أوجع العبديين بكتيبة دوسر وفي منازلهم بقطر والثاني وهو النعمان بن المنذر وجه إليهم ضربة قاسية بكتيبة الجأواء وقضى على تمردهم في عمان، فمدحه لعمرو بن هند سبق وأن تحدثنا عنه وأما مدحه للنعمان بن المنذر فالأمر معه في غاية البساطة، ألم نقل إن المثقب كان سيد القبيلة وشاعرها وسفيرها في الملمات؟. ولهذا راح السفير ينتقل بين الحيرة والبحرين يبسط القضايا، ويعالج المواقف ويلتمس السبل ليبقي على شأن قبيلته ويبحث عن حلول ناجحة تحفظ لها مكانتها وكرامتها فلا يريدها أن تظل جريحة مكلومة ولا يرغب في أن تصبح خاملة الذكر تقعد إزاء الهزيمة بعد أن عيرها الشعراء وتقولوا عليها، فقد قال عن المتلمس الضبعي يحرض قومه على عصيان المناذرة[2]:

كونوا كبكر كما قد كان أولكم
ولا تكونوا كعبدالقيس إذ قعدوا
يعطون ما سئلوا والخط منزلهم
كما أكب على ذي بطنه الفهد

وراح المثقب يشهد للمناذرة بالقوة والغلبة، ويسعى إليهم في بلاطهم يسوّي الخلافات ويطلب السلام، وكان هذا المنطلق الفكري وذلك السعي الأدبي أمرين يرضيان

---

(١) ديوان المثقب ٢٢١ العظم: الأمور العظيمة، الجفنة: القصعة وفي رواية منزع الجفنة: أي ملآنة، ربعي الندى: مبكر العطاء. لطم: سفه وطيش.

(٢) ديوان المتلمس الضبعي ٢٠٤ .

النعمان بن المنذر الذي يأمر بإطلاق سراح الأسرى ويقرب منه العبديون فيبتهجون لهذه المكرمة الكبيرة.

والأمر في مدح خالد بن أنمار أيضاً يسير، فالرجل من الشخصيات الهامة في عبدالقيس آله ما آلت إليه الأمور في قبيلته وأحزنه سوق جمهرتها إلى الحيرة وخصوصاً المزق الشاعر وكان خالد يتمتع بمكانة مرموقة عند المناذرة ويحظى بتقدير كبير[1] فهب يستغل هذه المكانة وذلك التقدير ويساهم في الجهود المبذولة من أجل السلام وإطلاق سراح الأسرى، ويبتهج المثقب لهذا العمل الخير ويمدحه بقصيدته الميمية.

وبقي أن نقول: إن المثقب ترفع عن الاستجداء ولم يمدح طمعاً في الكسب ولا رغبة في العطاء ولم يرق ماء وجهه من أجل المال فعنده منه الكثير وبلاده ثرية غنية وإنما هو يعتمد المدح سلاحاً فكرياً يستخدمه في كل المجالات التي تعود بالنفع والخير على قومه العبديين فهو ملتزم أشد الالتزام بمبدأ الدفاع عن القبيلة بالحكمة والتعقل، ويحق لنا أن نزعم أن جهوده حققت لعبدالقيس ما عجزت عن تحقيقه السيوف والرماح في حرب التمرد الأخيرة في عمان.

أغراض أخرى:

فيما عدا الغزل والظعن والناقة والمديح يبقى أمامنا الفخر والحكم، أما شعر الحكم فلا نريد أن نقف عنده حتى لا نكرر ولأننا أوردناه فيما سبق من الدراسة الموضوعية.

أما الفخر فقد جاء عند المثقب في قسمين: الأول فخر بنفسه والثاني بقبيلته، فهو يعتز بنسبه، ويفخر بمكانة أسرته العريقة في المجد والرئاسة والشعر وهو من نسل معد، وبيته في الذروة من عدنان، وهو هامة بين قومه الذين هم فرع أشم في عبدالقيس:

أنا بيتي من معد الذرى

ولي الهامة والفرع الأشم

والاعتزاز بالصفات الكريمة والقيم الأخلاقية شيمة عربية تحلى بها المثقب وحرص على أن يذيعها في شعره فهو يرعى حقوق الجيران، ويكرمهم، لا يغتاب أحداً، ولا يلغ في أعراض الناس، يصفح عن المسيئين ويتسامح مع الجاهلين، لا يؤذي مشاعر الناس ولا ينالهم بسوء في أندية القبيلة ومجالسها، أما المال فينفقه صيانة للعرض ودفاعاً عن الشرف:

---

(١) ابن دريد: الاشتقاق ٣٣٠ .

أُكـــرمُ الجـــار وأرعى حـــقـــه

إن عـــرفـــان الفـــتى الحق كـــرم

وكـــلام ســيئ قـــد وقـــرت عنه أذناي

ومـــــابي مـن صـــــمـم

ولبـــعض الصـــفح والإعـــراض عن

ذي الخنا إبقى وإن كـــان شـــتم

والمثقب جواد كريم، يكرم الأضياف شتاء، فهو يطلب أن توقد ناره وترتفع منارة عالية تنادي الأضياف ليلاً، وقد طرق بابه ضيف ذات ليلة فلقيه بالترحاب وقام إلى نياقه السمان ينحر واحدة منها طعاماً لضيفه:

وقلتُ ارفـعـاها بالصـعـيـد كـفى بهـا

مُـنـادٍ لســــارٍ لـيـلـةً إن تـأوَّبـا

أما اعتزاز المثقب بقبيلته فلا حد له، دافع عن أمجادها، وفخر ببطولاتها وشفع في أسراها وأجهد نفسه في تسوية شؤونها، وآذى فؤاده في سفارتها، وكل هذا يهون مادامت القبيلة عزيزة الجانب عالية المكانة.

فالعبديون لا يقيمون على ضيم، وهم يدافعون عن أنفسهم ويصدون الاعتداء عليهم، يحمون المنازل، ويحافظون على الحمى، وكثيراً ما حاربوا القبائل الأخرى ثم عادوا منتصرين، يحملون الغنائم ويسوقون الأسرى، وهم قوم كريمة أفعالهم، حميدة صفاتهم، مصونة أعراضهم، يكرمون الأضياف ويذبون عن المحارم:

ونـحـمي عن الثـغـر المخـوف ويتـقي

بغـارتنا كـيـد العـدى وضـيـومـهـا

صـبـرنا لـهـا حـتى تفـرّج بأسنا

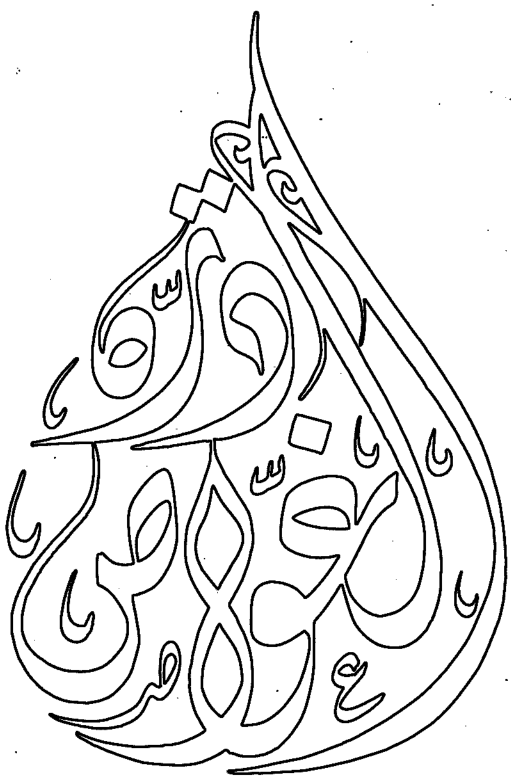
وفـئنا لنا أسـلابهـا وعظيـمـهـا

نعـد لأيام الحـفـاظ مكارمـاً

فـعـالاً وأعـراضـاً صـحـيحـاً أديمهـا

والأمر في هذا الفخر أنه جاء قليلاً، وقد يعود السبب «غير ضياع الشعر» إلى أن المثقب كان رجلاً واقعياً لا يكثر من ذكر أمجاد قومه، وإذاعة أخبارهم، فعبدالقيس معروفة المكانة على أرض البحرين.

أما الفخر بنفسه فإنه لم يكن أيضاً يسعى لإبراز ذاته، وإظهار مكانته أليس هو زعيم القبيله وشاعرها، و«وزيرها المتجول» فهو فيها في أعلى مراكز الرفعة والسيادة، غير محتاج إلى إعلان أو دعاية، إنه المثقب العبدي وكفى.



الدراسة الفنية

اللغة والأسلوب:

أشرنا في الدراسة الفنية السالفة إلى أن شعر العبديين جاء في ألفاظ سهلة ومعان واضحة وكذلك كان شعر المثقب سهل الألفاظ، عذب العبارات، واضح المعاني، تنساب كلماته صافية رقراقة في شعر الغزل والظعن والحكمة، فليس أعذب من عبارات نونيته التي أعجب الباحثون برقة ألفاظها ووضوح معانيها وقرب تناولها وهو يقول في مقدمتها:[1]

أفاطم قبل بينك متعيني
ومنعك ما سألت كأن تبيني

وليس أسهل من هذا الشعر ولا أوضح من معانيه وهو يتحدث عن الوفاء وحفظ العهد في ميميته الشهيرة إذ لا نجد فيها غرابة الألفاظ ولا جفاف الكلمات أو غموض العبارات[2]:

لا تقولن إذا ما لم ترد
أن تتم الوعد في شيء «نعم»
فإذا قلت: «نعم» فاصبر لها
بنجاح الوعد، إن الخلف ذم

(١) ديوان المثقب العبدي ١٣٦.

(٢) ديوان المثقب العبدي ٢٢٧.

لكن المثقب يتجاوز السهولة والعذوبة إلى شيء من الخشونة والغموض في شعر الناقة فنجد عسراً ومشقة في الألفاظ بدون الاستعانة بالمعاجم اللغوية فعندما تحدث عن طعام ناقته يستخدم عبارات ليست مكشوفة المعاني فيقول[1]:

كساها تامكاً قرداً عليها

سوادي الرضيخ مع اللجين

وعندما يصف سنامها المرتفع وجسمها الضخم يقول في كلمات شاقة[2]:

ينبي تجاليدي واقتادها

ناوٍ كرأس الفدن المؤيد

وإذا تناول طريق سيرها واصطدام الحصى بأخفافها قال في عبارة غليظة[3]:

فنهنهت منها والمناسم ترتمي

بمعزاء شتى لا يرد عنودها

والمثقب أكثر شعراء القبيلة استخداماً للمفردات الأعجمية ولكلمات البيئة البحرانية وأكثر من هذا فإن بعض كلماته لم ترد في معاجم اللغة، فالقشارى جمع لم تذكره المعاجم، والأقواع لغة عبدية لبيادر التمر ومسطح الحبوب[4]:

وطار قشارى الحديد كأنه

نخالة أقواع يطير حصيدها

---

(١) ديوان المثقب العبدي ١٧١، تامك: سنام، قرد: ملبد، سوادي: الغث والنوى، الرضيخ: النوى المدقوق يخلط مع الحنطة طعاماً للإبل، اللجين: ما يلجن به العلف.

(٢) ديوان المثقب العبدي ٢٣، التجاليد: الجسم، الاقتاد: الرحل، ناو: مرتفع، الفدن: القصر.

(٣) ديوان المثقب العبدي ٩٩، نهنهت: كفكفت، المناسم: اطراف الأخفاف، المعزاء: الأرض الغليظة والحصى فيها، شتى: ليست مستوية، عنود: المخالف في سيره.

(٤) ندس الصمدر ١١٣، قشارى: جمع قشر وقشارى الحديد ما تقشر وتتطاير منه عند المقارعه ووقع السلاح بعضه على بعض، والأقواع: المكان الذي ليس فيه حجارة ولا حصى وهي البيادر، وانظر الدراسة الموضوعية.

ولطم، «بضم اللام وفتح الطاء» بمعنى سفه وقال الأنباري «غير لطم» أي لا يتلاطم في مجلسه وفي «المفضليات»[1] أن هذا الجمع ليس في المعاجم[2]:

باكـــر الجــــفنة، ربعي الندى

حــسن مــجلســـه، غــيــر لطم

وغير الألفاظ الفارسية التي تناولناها في الدراسة الفنية «البخت» فهي لفظه فارسية استخدمها المثقب عندما وصف ظعائن فاطمة[3]:

يشـــبــــهن الســــفين وهن بخت

عــــراضــــات الأباهر والشـــؤون

ويستخدم المثقب المرادفات فالقرن بمعنى النفس والدين بمعنى العادة فإذا تحدث عن قطيعته لصاحبته اعتمد القرون فقال[4]:

لعلك إن صـــرمت الحــــبل مني

أكــون كــذاك مــصــحــبــتي قــروني

وإذا أرحل ناقته وشد حزامها وهي تشكو إليه كثرة الرحيل استعمل لفظة دين بمعنى عادة فقال[5]:

تقـــول إذا درأت لهــــا وضــــيني

أهــــذا ديـــنــــه أبــــداً وديـــنــــي

والمثقب في هذا البيت يبتدع في المعنى وينتقل من الوصف إلى المناجاة[6]، وقيل عن هذه المناجاة بأنها أجمل ما قيل في الشعر العربي[7].

(١) المفضليات ٢٩٤، ضبطها الأستاذان احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون بفتح الطاء وضمها لطم يكون جمعاً ومفرده لطيم بمعنى ملطوم.

(٢) ديوان المثقب العبدي ٢٢٣ .

(٣) نفس المصدر ١٤٩ .

(٤) نفس المصدر ١٦٤ .

(٥) ديوان المثقب العبدي ١٩٥ .

(٦) البكري: سمط اللآلئ ١١٣/١ .

(٧) الدكتور طه حسين: حديث الأربعاء ١٦٥ .

ويستعمل المثقب الأضداد بكثرة في شعره فالهاجد للنائم واليقظ، والسدف للظلام والنور أو للنهار والليل، والجلل للعظيم واليسير، والسليم للملدوغ والسالم وغير ذلك من الكلمات، وكل لفظة منها إنما كانت في الأصل لمعنى واحد ثم تداخل المعنيان عن جهة الاتساع فأصبحت من الأضداد فالسدف أصلها الستر فكأن النهار إذا أقبل ستر ضوؤه ظلمة الليل وكذلك الليل إذا أقبل سترت ظلمته ضوء النهار فأصبحت السدفة للظلمه والضوء[1].

والمثقب يستعمل لفظة السدف عندما تنام الناقة فيقول[2]:

والقـــيت الزمـــام لهـــا فنامت
لعـــادتهـــا من الســــدف المبين

كذلك يصف النوق السمان فيأتي بلفظة الهاجد من الأضداد ويقول[3]:

وقـــمت إلى البـــرك الهـــواجـــد فـــاتقت
بكومـــاء لم يذهب بهـــا النـي مـــذهبـــا

وظاهرة الأضداد عند المثقب تدل على قدرته الشعرية وتكشف عن ثروته اللغوية فلا تضيق أمامه السبل ولا تمتنع عليه الضروب وإنما يستخدم المفردات استخداماً واسعاً في الفنون الشعرية، وقال قطرب في هذا المجال[4] «إنما أوقعت العرب اللفظين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساع في كلامهم وإن الكلام واسع عندهم وإن مذاهبه لا يضيق عليهم».

والمثقب يبتدع في الألفاظ فيثني كلمة بدرة على استخدام المذكر فيقول «بدرين» بدلاً من «بدرتين» وهذا واضح في البيت التالي من داليته[5]:

---

(١) ابن الانباري: الأضداد ص ٨ .

(٢) ديوان المثقب العبدي ١٨٥ .

(٣) نفس المصدر ١٢١ .

(٤) ابن الانباري: الأضداد ص ١٠ .

(٥) ديوان المثقب العبدي ١٢، المسند: الدهر.

ألا بـــــــــدري ذهـب خـــــــالص

كل صـــــــبــــاح آخــــــر المسـند

والمسألة عند المثقب أنه يستخدم ألفاظ بيئته ولغة عصره ويستعين بمفردات حضارية دون إسفاف أو ضعف بلا سقوط أو ابتذال، وهو في سهولة غزله وخشونة أوصافه متين التراكيب، واضح العبارة، وشعره كما يقولون شريف بنفسه وشريف بصاحبه.

المقدمات والتصريع:

ينفرد المثقب العبدي بين سائر الشعراء العبديين بالقصائد الطوال فهو أطولهم قصيدة إذ بلغت نونيته الشهيرة سبعة وأربعين بيتاً بينما وصلت داليته إلى خمسة وثلاثين، وكانت بقية قصائده ما عدا اثنتين تزيد عن عشرين بيتاً وهو أمر له قيمته بالمقارنة مع شعراء قبيلته الذين أشرنا إلى أن أكثر شعرهم جاء في مقطوعات ويعتني بالمقدمات الغزلية والطللية عناية فائقة ويهتم بها اهتماماً شديداً فقد جاءت المقدمة الغزلية في خمس قصائد والمقدمة الطللية في قصيدة واحدة من بين القصائد السبع المتبقية في ديوانه.

وقد عالجنا في شعر الغزل وفرة المقدمات الغزلية وعرفنا أن تلك المقدمات ترتبط بموضوعات القصائد ارتباطاً وثيقاً وأن الوحدة النفسية تنسحب عليها جميعها[1] وفي القصيدة التي جاءت فيها المقدمة الطللية نجد أيضا توافقاً بين المقدمة والموضوع فالمثقب تؤلمه أحداث قومه وتحزنه المصائب التي حاقت بهم فقد أصيبت الأموال وساءت الأمور وتبدلت المنازل والديار ورحل القوم عنها ولهذا أشار المثقب قائلا[2]:

فــإن تك أمــوال أصــيــبت وحــولت

ديار فــقــد كنا بدار نقــيــمــهـــا

وهكذا الحال في ديار صاحبته فقد رحل عنها أهلها فأقفرت وأجدبت وتغيرت معالمها واختلتف أوصافها، ووقف الشاعر فيها فثارت ذكرياته القديمة وحن إلي

(١) انظر: شعر الغزل عند المثقب.

(٢) ديوان المثقب العبدي ٢٥٣.

سالف عهده ووده فيها، فدعا لها شأن بقية شعراء الجاهلية بوابل من الأمطار وبغيث من الديم وقال:(١)

الا حــيــيــا الدار المجــبل رســومــهــا
تهــيج علينا مــا يهــيج قــديمهــا

والمثقب كذلك يحرص كل الحرص على المطالع المصرعة فكل قصائده جاءت مصرعة إلا واحدةبـوالأمثلة كثيرة(٢):

ذاد عــنــي الــنــوم هــم بــعـــــــــــــــدهــم
ومــن الــهــمّ عــنــاء وســـــــــــــــقــم

✡✡✡✡

هل لـهـــذا القلب ســــمع أو بصـــــر
أوتـنـاه عن حـــــبــــيـب يدكــــــر

✡✡✡✡

ألا إن هــنــداً أمس رث جـــــــــديدهــا
وضنت ومـــا كـــان المتـــاع يؤودهــا

ومن كل ما ذكرنا يتضح لنا أن المثقب اعتنى بالمقدمات الغزلية والطللية وحرص على التصريع حرصاً كبيراً واهتم بالقصيدة من حيث «الكم» فهي طويلة عنده، ومن هنا يمكننا أن نؤكد بأن المثقب كان يختلف من الناحية الأدائية عن شعراء العبديين.

وقد تكون ثمة أسباب لهذه المغايرة وذلك الاختلاف فهو من ناحية الأداء يلتقي مع الشعراء الجاهلين أكثر ما يكون، وكأنه لايريد أن يتأخر عنهم في هذا التقليد الذي أرسوا دعائمه ووفروا له كل ظروف الحفظ والصون في المقدمات والمطالع والطول وقد

---

(١) ديوان المثقب العبدي ٢٣٤، المجبل: المتغير، رسوم: آثار، ذهاب الغوادي: مطر السحاب.

(٢) ديوان المثقب العبدي ٢١٦، ٥٧، ٨٢ .

يكون لمهمة السلام التي انتدب لها أثر في حجم القصيدة عنده فإن الإطالة تتفق وتلك المهمة، كل هذا قد يكون بيد أنا وجدنا شعره قد جاء مغايرا عن شعراء قبيلته في حجم القصيدة ومقدمتها وتصريعها.

الصور البيانية:

تزحم أشعار المثقب صور حسية يعرضها علينا في لمحات خاطفة وقصيرة، لكنها لاقطة دقائق الأشياء للهوادج ومن فيها من الحسّان، وللنوق تهبط في الوديان وتعلو مع الحزوم فتبدو سفناً عظيمة.

وأكثر الصور وفرة في شعره التشبيه بنوعيه: الصريح والتمثيلي وتتمثل روافده في البيئة البحرانية وعالم الحيوان والطير، والسماء بنجومها وكواكبها.

ومن الغريب أن تختفي تماماً صور الحرب والقتال والأسلحة من أشعاره فلم يشبه بسيف أو برمح أو بسهم، ولعل هذا يعكس لنا مدى كراهيته للحروب والخصومات ومبلغ حبه للهدوء والسلام.

والمثقب أكثر شعراء العبديين تأثراً بالبيئة البحرية وأوسعهم استخداماً لها في تشبيهاته، فالناقة عنده سفينة سابحة وهو ملاح ماهر ودموعه لؤلؤ ثمين.

فهو يرحل على ناقة ضخمة تمضي به وسط بحر من الرمال وكأنها سفينة طويلة مدهونة تمخر عباب الماء وتشق أمواج البحر المتلاطم(١):

كـــأن الكور والأنســـاع منهـــا
علــى قــــرواء مــــاهــرةٍ دهــين
يشـق الماء جـــؤجـــؤها وتعلـو
غــــوارب كل ذي حــــدب بطـين

(١) ديوان المثقب العبدي ١٨٨، ١٩٠، الكور: الرحل، الأنساع: حبل الرحل، قرواء: سفينة طويلة، دهين: مدهونة، جؤجؤ: صدر، الغوارب: الأمواج، الحدب: ارتفاع الموج.

ويمضي المثقب فوق ناقته وهي تتمايل به فوق الرمال وكأنما هو ملاح تتقاذف الأمواج سفينته على صفحه الماء[1]:

كاني واقتادي على حمشة الشوى
يجور صراري بها ويقيمها

أما دموعه وقد سالت على خديه وتساقطت متتابعة إثر بعضها كانت حبات لؤلؤ انفرط عقدها[2]:

مرمعلات كسمطي لؤلؤ
خذلت أخراته فيه مغر

ومن مظاهر الحياة الاقتصادية يستخدم المثقب في تشبيهاته الحملاج والمطرقة والثوب والقوع، فهو عندما يصف الخيل وقد نضحت عرقاً يستخدم الحملاج فيقول[3]

تنبع من أعطافها وجلودها
حميم وأضت كالحماليج قودها

وإذا وصف الناقة بالقوة والصلابة استعان بمطرقة الحداد فقال[4]:

فسلّ الهم عنك بذات لوث
عذافرة كمطرقة القيون

وعندما يصف الطريق الواضح وقد هبت عليه الرياح وخططته الرمال يستعمل الثوب المخطط ويقول[5]:

في لاحب تعزف جناته
منفهق القفرة كالبُرجد

---

(١) ديوان المثقب العبدي ٢٤٧، الاقتاد: عيدان الرحل، حمشة الشوى: اليدان والرجلان، يجور: يميل.

(٢) ديوان المثقب العبدي ٦٤ .

(٣) ديوان المثقب العبدي ١١٢، الحملاج: الذي ينفخ به الصائغ.

(٤) نفس المصدر ١٦٥ .

(٥) نفس المصدر ٣١، اللاحب: الطريق، منفهق: واسع.

وفي وصفه للمغتاب الذي يلغ في أعراض الناس يستخدم صورة الأسد الجائع من عالم الحيوان فيقول(١):

لا تراني راتعاً في مجلس
في لحوم الناس كالسبع الضرم

ومن عالم الطير يستخدم القطا أكثر ما يكون فمعرس الناقة عنده معرس القطا ليلاً(٢):

كأن مواقع الثفنات منها
معرس باكرات الورد جون

والمثقب يرسم صورة طريفة للناقة وحالها مع الهر الذي علق بمقعد خزامها وراح ينهها ويحثها على السرعة فهي تجد في سيرها وتمضي بأقصى سرعتها ناجية منه وكأنها هي طائر القطا التي اشتد عطشها فهي لا تألوا طيراناً لتروي ظمأها(٣).

كأن جنياً عند معقد غرزها
تراوده عن نفسه ويريدها
تهالك منه في النجاء متهالكاً
تقاذف إحدى الجون حان ورودها

وذباب أنياب الإبل إذا صرفت تغريد حمام في أعشاشها وقال الأصمعي يجوز أن تكون في خصب فتسمع صوت الذباب في المرعى وكأنه غناء الحمام في الوكون(٤):

وتسمع للذباب إذا تغنى
كتغريد الحمام على الوكون

---

(١) نفس المصدر ١٥٤ .

(٢) نفس المصدر ١٧٤، الثفنات: ما مس الأرض من أعضاء البعير، واليدين والكركرة وهي خمس.

(٣) ديوان المثقب العبدي ٩٨.

(٤) ديوان المثقب العبدي: ١٨٢ .

وتسترعي مخيلة المثقب نجوم السماء وأهمها عنده نجم السعود فهو حين يمدح النعمان بن المنذر وقد فاق سائر الملوك بسداد رأيه وكرم نسبه تحضره صورة نجم السعود فيقول:[1]

وجـــدتُ زناد الصـــالحين تمينـه
قـديماً كمـا بذَّ النجـومَ سُـعـودها

وهكذا ترى أن المثقب يستخدم صوراً حسية واضحة، يسوقها في تشبيهات خاطفة وليست معقدة مستخدماً الطبيعة متحركة وساكنة في وضوح وصدق وفي واقعية واتزان.

ولا يخلو شعر المثقب من الاستعارات الجميلة فناقته تتأوه وتشكو والمنايا يتخاسين الزول، والنعمان يقود الجبال والهموم تزور ليلاً، وغيرها من الاستعارات الأخرى ونجد عنده الكنايات، فمستكن الجوف كناية عن الدم جاء في قوله[2]:

فــرحــبت أعلى الجنب منهــا بطعنة
دعت مــستكن الجــوف حتى تصـببا

ويستخدم المثقب من الأصباغ اليديعية الطباق استخداماً مفرطاً وترد المقابلة عنده بكثرة وشمول، فالطباق عنده يعكس المفارقات والحالات النفسية التي تهيمن عليه وكأنما هو حريص كل الحرص على أن يتبين الأمر ويستوضح المواقف بين حالتين من سلم وحرب وود وصد وهكذا... فنراه يطابق بين أرين وكنّ، وظهرن وسدلن، وعلون وهبطن، وباطل وجد، وخير وشر، وغث وسمين، ومن يجد يحمد ومن يبخل يذم، ونعم ولا والأمثلة على ذلك في الأبيات التالية:

ظهـــرن بكلة وســـدلن رقـــمــاً
وثقبن الوصـــاوص للعـــيـــون

✡✡✡✡

(١) ديوان المثقب العبدي: ١٠٣ .

(٢) نفس المصدر: ١٥٨، ١٥٦، ١٦٣، ٢٠٠، ٢١٣، ٢١١، ٢٢١، ٢٢٧ .

علون رباوة وهبطن غيبا

فلم يرجعن قائلة لحين

✡✡✡✡

فأبقى باطلي والجد منها

كدكان الدرابنة المطين

✡✡✡✡

أالخيرُ الذي أنا أبتغيه

أم الشرُ الذي هو يبتغيني

✡✡✡✡

فإما أن تكون أخي بحق

فأعرف منك غثى من سميني

وإلا فاطرحني واتخذني

عدواً أتقيك وتتقيني

✡✡✡✡

فأجابت بصواب قولها

من يجد يحمد ومن يبخل يذم

✡✡✡✡

حسن قول «نعم» من بعد «لا»

وقبيح قول «لا» بعد «نعم»

بحور الشعر:

جاءت القصائد السبع التي بقيت لنا من شعر المثقب في أربعة بحور هي: الطويل، والوافر، والسريع، والرمل.

وكانت ثلاث قصائد من البحر الطويل وقصيدتان من الرمل وواحدة من الوافر وأخرى من السريع وكانت قصائد الطويل من حيث عدد الأبيات ثلث المادة تقريباً، والقصيدة التي من الوافر أقل من الثلث بقليل والقصائد المتبقية من السريع والرمل دون النصف.

وهذا الإحصاء نلاحظ فيه أن البحر الطويل هو الذي يغلب على البحور الأخرى عند المثقب وأنه كما عرفنا أكثر البحور الشعرية استعمالاً عند العبديين والجاهليين، وقد استغرق هذا البحر جميع أغراض الشعر ما عدا الظعن، وقد أشرنا إلى صفات هذا البحر فهو يستخدم في المهمات الجليلة والعظيمة وهو بحر شعراء النفس الطويل[1] يسبح فيه كل ذي صدر قوي ونفس مديد وحنجرة ضخمة[2].

ومهمة السلام واحدة من المهمات العظيمة التي اختار لها موسيقى البحر الطويل عندما مدح النعمان بن المنذر قائلاً:[3]

فــــإن أبـا قـــــابوس عـنـدي بـلاؤه

جـــــزاء بـنـعـــــمى لا يـحـل كـنـودهـا

والصلح بين القبائل المتنازعة مهمة جليلة اختار المثقب فيها موسيقى البحر الطويل عندما تحدث عن الإصلاح الذي قام به جده بين قبيلتي بكر وتغلب[4]:

أبـي أصلح الحـــيـــبين بكراً وتـغلبـــاً

وقـــد أرعـــشت بكر وخف حلومـــهـــا

والبحر الوافر أتى عند المثقب في جميع الأغراض الشعرية ما عدا الفخر وأكثر ما جاء في الظعن والغزل ومن صفات هذا البحر الرشاقة والخفة وأنه يصلح للأداء العاطفي؛ فيه عذوبة وسهولة، سريع النغمات، متتابع النبرات[5].

ويقول النويهي «إن هذا البحر يمتاز برنة موسيقية عذبة»[6] وقد تكون هذه الأوصاف هي التي جعلت الأذن تستريح في استقبال قصيدة المثقب النونية المشهورة التي جاءت في موسيقى البحر الوافر في خفة ورشاقة[7]:

(١) إبراهيم انيس: موسيقى الشعر ٩٥ وفي المرشد إلى فهم أشعار العرب ٣٦٢ .

(٢) علي الجندي: الشعراء وإنشاد الشعر ١٠٠.

(٣) ديوان المثقب العبدي ١٠٢ .

(٤) ديوان المثقب العبدي ٢٥٧ .

(٥) علي الجندي: الشعراء وإنشاء الشعر ١٠٦، وفي موسيقى الشعر ٧٦ .

(٦) محمد النويهي: تاريخ الشعر الجاهلي ٦١/١.

(٧) ديوان المثقب العبدي ١٦٠ .

وهـن عـلـى الـظـلام مـطـلـيــــــات

طـويـلات الـذوائـب والـقــــــــرون

واستخدم البحر الرمل في جميع الأغراض ما عدا وصف الناقة، وقد جاء أكثر ما يكون في الحكم والفخر ومن صفات هذا البحر الرقة والسهولة، تستريح له الأذن وتستمتع بموسيقاه[1] إذ عندما أراد المثقب أن يسوق حكماً سهلة استخدم موسيقى بحر الرمل فقال[2]:

إن شـــر الـنـاس من يـكـشـــر لـي

حين يـلـقـــاني، وإن غـــبت شــتم

أما البحر السريع فهو بحر الناقة فالقصيدة الدالية جاءت في موسيقى هذا البحر كلها تصف الناقة وهو كما يقولون بحر يمتاز بخفة الحركة وسرعة التدفق وفيه سلاسة وعذوبة[3] ونجد المثقب يستخدمه في وصف ناقته قائلاً:[4]

تـعـطيك مـــشـــيـــاً حـــسناً مـــرة

حـــثك بـالمـرود والمحـــــصـــد

أما القوافي في شعر المثقب فقد تكررت في أواخرها حروف الدال والنون والميم والراء والباء وهذه الحروف كما أشرنا من حروف القوافي الذلولة ومن الدرجة الأولى[5] عند الشعراء وهي نفس حروف القوافي عند العبديين وغيرهم ولم يستخدم المثقب حرف القاف في قوافيه.

---

(١) علي الجندي: الشعراء وإنشاد الشعر ١٠٦ وفي موسيقى الشعر ٨٢ .

(٢) ديوان المثقب العبدي ٢٢١، ٢٣٠ .

(٣) علي الجندي: الشعراء وإنشاد الشعر ١٠٧ .

(٤) ديوان المثقب العبدي ٢٢.

(٥) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر ٢٤٦، في المرشد إلى فهم أشعار العرب ٦/١ .

ولم يخل شعر المثقب من تكرار في القوافي وهو ما يعرف عند العروضين بالإيطاء ويقول بعض الدارسين: إنه مستقبح، ومع ذلك فقد أبيح للشعراء استخدامه بعد البيت السابع في القصيدة الواحدة[1] وجاء الإيطاء عند المثقب عندما كرر كلمة «حين» ثلاث مرات ليست متباعدة في نفس القصيدة[2]:

لمن ظعن تطالع من ضبيب
فما خرجت من الوادي لحين

✿✿✿✿

علون رباوة وهبطن غيبا
فلم يرجعن قائلة لحين

وما عدا الإيطاء والإقواء الذي أشرنا إليه في دراستنا الفنية نجد شعر المثقب قوياً قوة نفسه وخفيفاً خفة روحه فيمتاز بموسيقى فخمة في المدح والفخر وبموسيقى ناعمة رشيقة في الظعن والغزل وسهلة خفيفة في الحكم.

وانفرد شعر المثقب من بين سائر شعر العبديين بالموسيقى الداخلية فقد وفر في نونيته مناخاً موسيقياً داخلياً جميلاً ونغماً ناعماً رقيقاً تمثل في تلك النغمات الداخلية وفي حركات الظعن صعوداً مع الحزماء وهبوطاً في الوديان وظهوراً في الكلل واختفاء وراء الأستار وتثقيباً للوصاوص وإظهاراً للمحاسن والمفاتن وستراً للبشر المصون[3]:

أرين محاسناً، وكنن أخرى
من الديباج والبشر المصون

(١) عبدالله الطيب: المرشد إلي فهم أشعار العرب ٤٦/١ .

(٢) ديوان المثقب العبدي: ١٤٢، ١٦١، ١٦٣ .

(٣) ديوان المثقب العبدي ١٦٣، ١٥٦، ١٥٨ .

عند القدامى والمحدثين:

حظي المثقب بشهرة واسعة، ومكانة مرموقة، وظفرت أشعاره بحظ وافر من الرواية والاستشهاد بها، فترددت أبيات قصيدته النونية في قرابة أربعين مرجعاً وحسبه تقديراً أن أبا عمرو بن العلاء كان يستجيدها ويقول «لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه»[1].

وابن سلام[2] يعتبره أول شعراء البحرين وشعره من الجيد الفصيح، وقد أنتخب بعض قصائده ليدلل على جودة شعره وفصاحته.

وابن دريد[3] يقول عن بيته السابع والعشرين من قصيدته الدالية «بأنه لم يوصف الغبار بأحسن من هذا» وفيه يصف الشاعر ثوراً طردته الكلاب[4]:

يتبعُه في إثره واصل
مثل رشاء الخُلُب الأجردِ

ويقول ابن قتيبة[5] «قال الأصمعي سمعت أبا عمرو بن العلاء يستحسن هذا البيت للمثقب»[6]:

يصيخ للنباة أسماعه
إصاخة الناشد للمنشد

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٣٩٥ وخزانة الأدب ٤/٤٣١ .

(٢) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٢٧٢ .

(٣) ابن دريد: جمهرة اللغة ١/٢٣٩ .

(٤) ديوان المثقب العبدي ٤٧، الرشاء الحبل، الخلب: الليف، الأجرد: الأملس.

(٥) ابن قتيبة: المعاني الكبير ٧٥٣ .

(٦) ديوان المثقب العبدي: ٤١، النباة: الصوت، الناشد: الطالب.

ويقول ابن فضل الله العمري في شعره[1] «غرد بقصائده كل مغرد وأنشدت في كل مورد»، وأعجب الشعراء القدامى بشعر المثقب وتأثروا به وصاغوا على منواله قصائدهم فالطرماح بن حكيم أخذ من قصيدة المثقب البيت التالي:[2]

ظهرن بكلة وسدلن رقماً
وثقبن الوصاوص للعيون

فصاغ على منواله وقال:[3]

ثقبن وصاوصاً حذر العذارى
إلى من الهوادج للعيون
نطقن بحاجة وطوين أخرى
كطي كرائم البز المصون

وأخذ الطرماح أيضاً من شعر المثقب البيت التالي جميعه:[4]

تسد بدائم الخطران جثل
خواية فرج مقلات دهين

وقال في ذنب ناقته:[5]

تسد بمضرجي اللون جثل
خواية فرج مقلات دهين

وقال ابن قتيبة:[6]، ومما سبق إليه المثقب وأخذ منه قوله في الناقة:

كأن مواقع الثفنات منها
معرس باكرات الورد جون

---

(١) العمري: مسالك الأبصار ٧٣/٩ .
(٢) ديوان المثقب العبدي: ١٥٦ .
(٣) ديوان الطرماح: ٥٢٩ .
(٤) ديوان المثقب العبدي: ١٨٠ .
(٥) ديوان الطرماح: ٥٣٣ .
(٦) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٩٦/١ .

فأخذه عمر بن أبي ربيعة وقال:[1]

على قلوصين من ركابهم
وعنريسين فيهما شجع
كأنما غادرت كلاكلها
والثفنات الخفاف إذ وقعوا
موقع عشرين من قطا زمر
وقعت خمساً خمساً معاً شيع

وأخذه ابن مقبل فقال:[2]

كأن موقع وصليها إذا بركت
وقد تطابق منها الزور بالثفن
مبيت خمس من الكدرى في جدد
يفحصن عنهن باللبات والجرن

وأخذه ذو الرمة فقال:[3]

كأن مخواها على ثفناتها
مُعرس خمس من قطاً متجاور
وقعن اثنتين واثنتين وفردة
حزيداً هي الوسطى بصحراء حائر

وأخذه الطرماح وقال:[4]

كأن مخواها على ثفناتها
مُعرس خمس وقعت للجناحن
وقعن اثنتين واثنتين وفردة
يبادرن تغليساً سمال المداهن

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٣٣٨ .
(٢) ديوان ابن مقبل ٣١٠ .
(٣) ديوان ذي الرمة ٢١٣ .
(٤) ديوان الطرماح ٤٩١ .

وأخذ النابغة الذبياني بيت المثقب الذي يقول فيه:(١)

فــإني لو تخــالفني شــمــالي
خــلافك مــا وصلت بهــا يميني

وقال النابغة:(٢)

فلو كــفي اليــمين بغــتك خــوفــاً
لأفــردت اليــمين من الشــمــال

وأخذ عمرو بن الأهتم بيت المثقب الذي يقول فيه:(٣)

وقــمت إلى البــرك الهــواجــد فــاتقت
بكومــاء لم يذهب بهــا النى مــذهبــا

وقال عمرو:(٤)

وقــمت إلى البــرك الهــواجــد فــاتقت
مــقــاحــيــد كــوم كــالمجــادل روق

وأعجب المحدثون بشعر المثقب فأمضى طه حسين(٥) ساعة معه في حديث الأربعاء قال خلالها «إنني أرى أن هذا الشعر من أروع ما قاله الناس لا في العربية وحدها بل وفي غيرها من اللغات» وتحدث عن قصيدته النونية فقال: «تقرأ القصيدة فتروعك معانيها وتروقك ألفاظها وتعجبك جزالتها»، وقال في أسلوب المثقب بأنه متين رصين، شديد التأثير في النفوس وهو رقيق في وصف الإبل عند رحيلها.

---

(١) ديوان المثقب العبدي: ١٣٩ .

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/١٦٠ وقال: «إن المثقب تاثر بالنابغة» والصحيح كما ذكر الأستاذ احمد شاكر ان المثقب اقدم من النابغة.

(٣) ديوان المثقب العبدي: ١٢١.

(٤) المفضليات ٣٦١، المقاحيد: الإبل العظام، المجادل: القصور.

(٥) طه حسين: حديث الأربعاء ١٦٤ .

ويدرس القناوي[1] قصيدته النونية ويقول في أسلوبه «أسلوب المثقب سلس سهل لاعيب فيه» ويستجيد فيها البيتين التاليين:[2]

وهن على الرجائز واكنات قواتل كل أشجع مستكين

ظهرن بكلة وسدلن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

ويدرس شكري فيصل[3] جانباً من غزله ويقول عنه «إنه شاعر فحل، يصدر عن إحساس عاطفي يسربله ثوب نفسي ملون، ويوفر لصوره طاقة خصبة، ويثير الانتباه عن طريق الأشياء الصغيرة».

ويدرس عمر فروخ[1] بعض شعره ويقول فيه «غريب الألفاظ، متين التراكيب وقصيدته (نعم، لا) بارعة فصيحة سهلة».

ويقول خير الدين الزركلي[2] وهو يترجم له في اختصار شديد «شعر المثقب جيد فيه حكمة ورقة».

ويدرس حسين عطوان[3] مقدمة قصيدته النونية فيقول «تقف مقدمة المثقب في النونية علماً شامخاً بين سائر المقدمات التي تنبض بالحياة، وهي تروقنا بعذوبتها وصفاء أسلوبها».

---

(١) القناوي: الوصف في الشعر العربي ٣١٨ .

(٢) ديوان المثقب العبدي ١٥٠، ١٥٦ .

(٣) شكري فيصل: تطور الغزل ١٠١، ١٤١ .

(٤) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ٤٠٢، ٤١٢ .

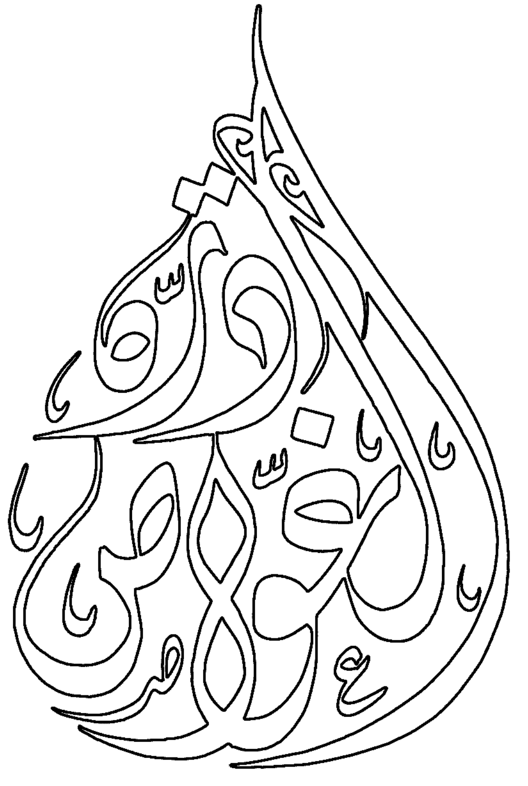
(٥) الزركلي: الأعلام ٥/٣ .

(٦) حسين عطوان: مقدمة القصيدة العربية ١٨١ .

وأخيراً يقول الأستاذ حسن كامل الصيرفي محقق ديوان المثقب[1]: «يتميز الشاعر بدقة الوصف، وقوة الملاحظة، ورهافةالحس، وتوثب الخاطر، وابتداع المعاني».

وبعد، فهذه أمثلة عرضناها وأقوال قرأناها للتدليل على تلك المكانة وذيوع الشعر، فلئن كان المثقب مقلاً في أشعاره فإنه وقف بهذا الشعر علماً شامخاً بين سائر الشعراء، وكان صوتاً قوياً فرض نفسه على ذاكرة الأجيال وترددت أشعاره على امتداد الخليج العربي، فهو صوت الساحل ونداء الصحراء وابن البحرين وشاعر عبدالقيس.

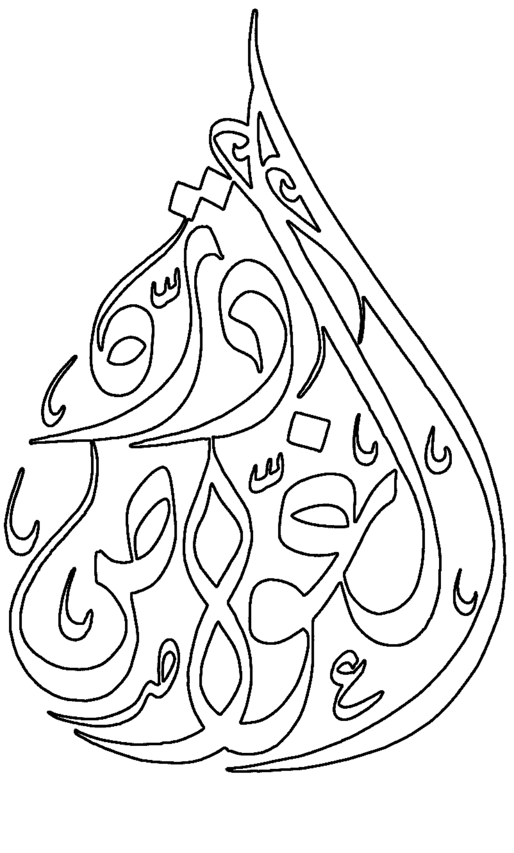
(١) الصيرفي: مقدمة الديوان ٢٢.



القسم الثاني

ديوان عبدالقيس

جمع وتحقيق



٥٠١

١ - المفضَّل العَبْدي(*)

(البحر الوافر)

ألمْ ترَ أن جيرتَنا استقلُّوا
فنيتُنا ونيتُهُم فَريقُ(١)

فدمعي لُؤلؤٌ سلسٌ عراهُ
يَخِرُّ على المهاوي ما يَليقُ(٢)

عَدَت ما رمت إذ شحطتْ سُليمي
وأنت لذكرها طرِبٌ مشوق(٣)

فودِّعْها وإن كانت أناةً
مُبتَّلةٌ لها خلقٌ أنيق(٤)

تُلَهي المرءَ بالحُدثانِ لَهْواً
وتَحْدِجُهُ كما حُدج المُطيق(٥)

(*) هو عامر بن معشر بن اسحم بن عدي بن شيبان بن سويد بن عذرة بن منبه بن نكرة بن لكيز بن افصى ابن عبدالقيس. وسمي مفضلاً لأن قصيدته هذه فضلته، ويقال لها «المنصفة». ومن هنا فضلنا أن تكون أول قصيدة في الديوان.

(١) استقلوا: نهضوا مرتحلين. النية: الوجه الذي ينويه المسافر. فريق: متفرقة. وفي اللسان نية فريق متفرقة.

(٢) عراه: خروقه والعروة طوق القلادة ويريد ينحدر دمعي تحدر اللؤلؤ. المهاوي: المواضع التي يهوي فيها. والمهواة الهواء بين الجبلين. يليق: يثبت ويحتبس.

(٣) عدت مارمت: تجاوزت ما تطلبه وتبغيه. شحطت: ارتحلت وبعدت.

(٤) الأناة: الحليمة وأيضاً الفاترة في النهوض. المبتلة: التامة الخلق والطيبة.

(٥) الحدثان: الحديث. تحدجه: تغلبه بدلها وحديثها. المطيق: البعير الذي يطيق الحمل. والمطيق المطوق. وتعبير الجمل أفضل لأن الحداجة تكون للجمل عادة.

فإنكَ لو رأيتَ غَداةَ جِئْنا
ببطْن أُثال ضاحِيةً نسوق(٦)

فداءٌ خالتي لبني حُيَيٍ
خُصوصاً يوم كُسُّ القومِ رُوق(٧)

همُ صبروا وصبْرُهم تَلِيدٌ
على العزَّاءِ إذْ بلغَ المَضِيق(٨)

وهم دَفَعُوا المنيةَ فاستقلَّتْ
دِرَاكاً بعدما كادتْ تَحيق(٩)

تَلاَقينا بغَيْبةِ ذي طُرَيفٍ
وبعضُهم على بعضٍ حَنِيق(١٠)

فجاءوا عارِضاً بَرداً وجِئنا
كسيل العِرضِ ضاقَ به الطريق(١١)

مَشَيْنا شطرَهُم ومشوا إلينا
وقلنا اليوم ما تَقْضِي الحُقوق(١٢)

رمينا في وجوههم برشْقٍ
تَغَصُّ به الحناجرُ والحُلوق(١٣)

---

(٦) اثال: جبل – معجم البكري ١٠٥/١ وهو لبني حنيفة في معجم ياقوت ٨٩/١ وقيل هو جبل بين البصرة والمدينة ويظهر انه قريب من اليمامة مكان المعركة. ضاحية: علانية، اي نسوق جيادنا جهاراً.

(٧) بنو حيي: فريق من عبدالقيس وذكر في مصادر اخرى لبني لكين، المنصفات ١٥. الكس: قصر الأسنان والروق طولها وفي الاختيارين ٢٤٤ يوم. كس القوم روق: يكلحون فيرى الأكس مكانه أروق بعد القتل.

(٨) التليد: القديم واصله المال القديم. العزاء: الشدة. المضيق: الشدة وعدم الصبر.

(٩) المنية: الحرب. دراكاً: مداركة وتتابعاً. تحيق: تقع.

(١٠) غيبة: منخفض من الارض. وقيل في سبسب ذي طريف: اي في أرض منبسطة ومقفرة. حنيق: غيظ وغضب. طريف: موضع في البحرين. من بلاد عبدالقيس ويروى قرب اليمامة وكانت لهم فيه وقعة، معجم البلدان ٣٤/٤.

(١١) العارض: السحاب يعترض في افق السماء. برد: بارد وبرد. العرض: الوادي.

(١٢) ما تقضى الحقوق: اي قضاء الحقوق فما هنا زائدة.

(١٣) الرشق: الرمي بالسهام. عض به: اشجاه واعترض حلقه.

كـــــأنَّ الـنُّبلَ بـيـنـهـم جــــــرادٌ
تُكفِّــيــه شــامـــيـــةٌ خَــرِيق[١٤]
وبسْلٌ أنْ ترى فـــيـــهم كَـــمِـــيّـــاً
كـبـــا لـيــديه إلا فـــيـــه فُــوق[١٥]
يُهَـــزْهِزُ صَـــعْـــدةً جـــرداء فـــيـــهـــا
سنـانُ الموتِ أو قـــرنٌ مَـــحــــيق[١٦]
وجـدنـا السِّــدْرَ خـــوَّاراً ضـعــيــفـــاً
وكـــان النبعُ منبــــتُــــهُ وَثيق[١٧]
لَقَـــينا الجــهْمَ ثَعْلبـــةَ بن سَـــيْـــرٍ
أَضـــرُّ بمن يُجـــمِّعُ أو يَسُـــوق[١٨]
لـدى الأَعْــــلامِ من تَـلَـعــــاتِ طِفْلٍ
ومـنـهـم من أضَجَّ بــه الـفَـــــرُوق[١٩]
فُـــحـــوِّطَ عن بنـي عـــمـــرو بن عـــوفٍ
وأبـنـاءُ العُـــمُـــور بـهـــا شَـــفِـــيق[٢٠]

---

(١٤) تكفيه: تقلبه. شامية: ريح تهب من الشام وتكون باردة. خريق: شديدة الهبوب وهي باردة جداً. فالرماية بينهم كانها جراد لعبت به الرياح.

(١٥) البسل: الحرام. محرم عليهم ان ترى فيهم فارس. الفوق: مشق راس السهم حيث يقع الوتر، واراد هنا السهم نفسه. أي ان الفارس لا يكبو إلا بسهم فهم شجعان لا يهربون من المعركة.

(١٦) الصعدة: القناة المستوية. القرن المحيق: القرن المحدد. وكانت العرب تجعل قرون الثيران مكان الأسنة. (المعاني الكبير ص ١٠٩٧).

(١٧) السدر والنبع: شجر تتخذ منه القسي وقسي السدر ضعيفة اما قسي النبع فقوية. ولذا قال الشاعر في (شرح الحماسة للتبريزي ١/١٥٢). فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض ابت عيدانه ان تكسرا.

(١٨) ثعلبة بن سير هو ثعلبة بن سيار من اعداء الشاعر وغير اسم ابنه للضرورة، (جمهرة اللغة ٣/٥٠٣) وكان ثعلبة قائداً من قواد بني لجيم في المعركة.

(١٩) الاعلام: الجبال. تلعات طفل: مكان في ارض المعركة. اضج: صاح والفروق موضع ماء في ديار بني سعد من تميم جيران عبدالقيس وهي بقرب هجر وبين اليمامة والبحرين (البكري ١٠٢٤).

(٢٠) بنو عمرو بن عوف من الذين اشتركوا مع ثعلبة ولجيم في معركة طريف. العمور: احياء من عبدالقيس تضم محارب والديل وعجل. لقد استطاع ثعلبة ان يرعى بني عوف ووجد كذلك في احياء العمور من شفق عليهم.

فَـــالقـــينا الرمـــاحَ وكـــان ضَـــرْباً
مَـــقِـــيلَ الهـــامِ كلُّ مـــا يَذوق(٢١)

وجـــاوزْنا المنونَ بغـــيـــرِ نِكْسٍ
وخـــاطِي الجلز ثعلبـــةُ دَمِـــيق(٢٢)

كـــأن هَزِيزَنا يوم التـــقـــينا
هزيزُ أباءةٍ فـــيـــهـــا حـــريق(٢٣)

بكـــلِّ قـــــــرارةٍ وبكـــل رَيْـــعٍ
بنانُ فـــتىً وجُـــمْـــجُـــمـــةٌ فَليق(٢٤)

وكم من ســـيِّـــدٍ منا ومنهم
بذي الطَّرْفـــاءِ منطقُـــهُ شَـــهـــيق(٢٥)

بكلِّ مَـــجَـــالةٍ غـــادرتُ خِـــرْقـــاً
من الفِـــتْـــيان مـــبـــســـمُـــهُ رقـــيق(٢٦)

فـــأَشْـــبـــعنا السِّـــبـــاعَ وأشْـــبَـــعُـــوها
فـــراحتْ كلهـــا تَئِقٌ تَـــفـــوق(٢٧)

---

(٢١) مقيل الهام: موضع أعلى الراس أي كان ضرباً شديداً يطيح بالرؤوس. كل ما يذوق: أي نحن وهم. ومن هنا سميت (بالمنصفة) من الإنصاف والعدل.

(٢٢) النكس: الضعيف وهنا السهم الضعيف. الخاطي: الغليظ الصلب وهو الرمح. الجلز: السنان. الثعلب: ما دخل في السنان من الرمح. الدميق: الداخل أي أحكم تركيبه. وفي الاختيارين ٢٤٨، خاضوا الموت بقائد غير نكس وحاوطوا الموت بكل سيف ورمح غليظ.

(٢٣) الهزيز: الصوت وفي رواية الهرير: وهو الصوت أيضاً وهو للرياح. الأباءة: الأجمة والغابة من القصب.

(٢٤) القرارة: المطمئن من الأرض. الريع: المكان المرتفع.

(٢٥) ذو الطرفاء: نخل لبني عامر بن حنيفة اليمامة وفي الاختيارين ٢٤٩ موضع والطرفاء أيضاً نوع من النبات، وقيل الطرفاء عين ماء (جغرافية كحالة) ١٧٥. منطقه شهيق: انقطع كلامه. إلا من الشهيق.

(٢٦) مجاله: أرض. الخرق: الكريم. مبسمه رقيق: وضاح الثنايا.

(٢٧) تئق: ممتلئ. تفوق: أخذها البهر وشخصت الريح من صدرها.

تركنا العُرْجَ عاكِفةً عليهم
وللغرْبانِ من شِبَعٍ نَغيق[٢٨]

فأبكينا نساءَهُم وأبكوا
نساءً ما يسُوغُ لهن ريق[٢٩]

يُجاوبن النِّياحَ بكل فجرٍ
فقد صَحِلتْ من النَّوح الحُلُوق[٣٠]

قَتلنا الحارثَ الوضّاح منهم
فخرَّ كانّ لِمتَه العُذُوق[٣١]

أصابته رماحُ بني حُيَيٍّ
فخرَّ كانه سيفٌ دَلُوق[٣٢]

وقد قتلوا به مِنّا غُلاماً
كريماً لم تُؤَشّبْه العُرُوق[٣٣]

وسائلةٍ بثعلبةَ بن سَيْرٍ
وقد أردتْ بثعلبةَ العَلُوق[٣٤]

وأفْلَتَنا ابن قُرّان جريضاً
تمرُ بِهِ مُساعفةٌ حَروق[٣٥]

(٢٨) العرج: الضباع. نغيق: صوت الغراب.

(٢٩) يسوغ لهن ريق: ينزل بسهولة.

(٣٠) النياح: النائحات. صحلت: بحت ويجاوب بعضهن بعضاً عند الصباح.

(٣١) الحارث الوضاح: من أعداء الشاعر ومن قواد لجيم. العذوق من النخل: شماريخ النخل وفي الاختيارين ٢٥٠ كان لمته من الكروم.

(٣٢) سيف دلوق: سهل الخروج من غمده وهو اسهل واجود السيوف.

(٣٣) تؤشبه: تختلط به عروق رديئة، فهو صافي النسب.

(٣٤) ثعلبة بن سير: انظر ص ٤ . العلوق: الداهية والموت.

(٣٥) ابن قران: رجل آخر من بني لجيم. جريض: مغموم وشديد الهم. مساعفة حروق: فرس تشق الأرض مسرعة. وحروق أي يحترق في عدوه.

تشقُ الأرضَ شـــــائِلـةَ الذُنَابى
وهاديها كــأنْ جِـذْعٌ سَحـوق[٣٦]

فلمّا استيقنوا بالصَّبر منا
تُذُكِّرتِ العشائِرُ والحَزيق[٣٧]

فأبْقَينا ولو شئنا تركْنا
لجُيمـاً لا تقُودُ ولا تَسُـوق[٣٨]

وأنْعَمنا وأبْاسنا عليهم
لنا في كلّ أبياتٍ طَلِيق[٣٩]

التخريج

١ – الأصمعي، عبدالملك بن قريب (ت ٢١٦هـ): الأصمعيات، أصمعية ٦٩ ص ١٩٩، قال الأصمعي هو المفضل النكري من عبدالقيس، فالمفضل لأن منصفته فضلته والنكري من قبيلة نكرة من عبدالقيس.

٢ – الأخفش، علي بن سليمان بن الفضل (ت ٣١٥هـ): كتاب الاختيارين. رقم ٤٣ ص ٢٤١. عدد الأبيات ٤١ بيتاً من الشعر وقد زاد الأخفش ثلاثة أبيات هي:

(٣٦) الهادي: العنق لتقدمه وهديه لها. جذع وسحوق: ساق طويل للنخل. شائلة الذنابى: تمد بذنبها فهو أشد لعدوها وفي الاختيارين ٢٥٢. السحوق: الفرس الطويل الأجرد.
(٣٧) الخريق: الجماعة من الناس ويروى الحديق وهو حائط النخل وحديقته.
(٣٨) لجيم: قبيلة وهي لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم أعداء الشاعر والقبيلة التي كان بينها وبين عبدالقيس هذه الوقعة في الجاهلية. (الاشتقاق ٣٣٠) وقد وقعت الحرب بين العبديين وبني لجيم وبينهم نسب ومصاهرة. لا تقود ولا تسوق: يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها وأكثر ما يكون القود للخيل والسوق للإبل أي أنها لم تستطع قود الخيل ولا الإبل.
(٣٩) أباسنا: اظهرنا الباس والشجاعة. انعمنا: صفحنا. أبيات: بيوت ومساكن ففي كل بيت من بيوتهم أسير أطلقنا سراحه (المنصفات ٢٧).

وهم علوا الرمـــاح وانهلوها
إذا خـــام المهلهلة البـــروق[أ]
والقـــينا القنا حـــينا خـــؤونا
وامـــا المشـــرفي فـــلا يليق[ب]
فظل يخـــالس المذقـــات فـــيمـــا
يقـــاد كـــانه جـــمل ربيق[جـ]

والأبيات الثلاثة تحت أرقام: ١٣ – ١٩ – ٣٦ في الاختيارين، أما سائر الأبيات فهي في ترتيبها تختلف عن ترتيب الأصمعيات وذلك على النحو التالي: ١٠، ١٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢١، ١٨، ٧، ٨، ٩، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١ .

أما روايات الأبيات فتختلف أيضاً في بعض أبياتها.

البيت رقم ٣ برواية على السربال والشطر الثاني أيضا فانت لذكرها صب مشوق رقم ٤ لها بشر رقيق ٦ ببطن كراء. ١٠ بسبسب ذي طريف. ١١ كمثل السيل أن به الطريق. ١٢ أسقط هذا البيت من الاختيارين. ١٤ تصفقه شآمية. ١٦ يقلقل. ١٧ ضمآنا ومقعده وثيق. ٢٠ وأفناء العمور بها شقيق. ٢٤ بكل قرارة منا ومنهم. ٢٦ بكل قرارة غادرن خرقاً. ٢٨ تركنا الطير وأيضاً فللغربان. ٣١ تركنا الأبيض الوضاح. ٣٢ تعاوره وأيضا فزل وذلوق. ٣٣ لم نأشبه. ٣٤ وقد علفت. ٣٥ خروق. ٣٧ والحديق.

٣ – الخالديان، أبو بكر محمد ت (٣٨٠هـ) وأبو عثمان سعيد (ت ٣٩١هـ): الأشباه والنظائر ١٤٩/١ – ١٥١.

عدد الأبيات في الأشباه والنظائر ١٨ وترتيبها ١، ٧، ١٠، ١١، ١٤، ١٥، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٣٨.

(أ) علوا الرماح: سقوها وكذلك انهلوها واسقوها. خام: فتر. المهلهلة: الجبان. البروق الذي يبرق ولا يمضي.
(ب) يليق: لا يبقى ولا ينر.
(ج) المذقات: اللبن الممزوج بالماء. ربيق: مشدود.

وذكرت الرواة أن منصفات أشعار العرب ثلاثة أشعار أولها قصيدة عامر بن معشر ابن أسحم بن عدي من عبدالقيس.

البيت رقم ١٤ برواية تصفقه يمانية خريق، والأصمعية أفضل ورقم ٢٩ يجف لهن موق[1]، ورقم ٣١ تركنا الأبيض الوضاح.

٤ - البصري، علي بن أبي الفرج (ت ٦٥٩هـ): الحماسة البصرية.

رقم ١١٦ في ١/٥٣ - ٥٤. وترتيب الأبيات: ١، ١٠، ١١، ١٤، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٧، ٣٨.

وقيل: إن منصفات العرب ثلاث أولها قصيدة عامر بن أسحم بن عدي النكري. جاهلي وقيل شيباني. وهذا خطأ والصواب ما أثبتناه وارتأيناه. فقد أسقط البصري اسم أب الشاعر.

البيت رقم ١٠ براوية تلاقينا بسبب ذي طريف. ١١ كمثل السيل أن به الطريق. ١٤ تصفقه شآمية خريق. ٢٤ بكل قرارة منا ومنهم. ٢٩ ما يجف لهن موق. ٣٠ وقد بحت. ٣١ تركنا الأبيض الوضاح منهم. ٣٧ تذكرت العشائر والحقوق، وهذا أفضل.

٥ - البحتري، الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤هـ): الحماسة.

رقم ٢١٩ ص ٤٨ باب ٢٤، الإنصاف في الحرب قال المفضل العبدي. الأبيات: ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣١، ٣٣، ٣٤.

البيت رقم ١٠ برواية بسبسب ذي طريف. ١١ كمثل السيل ضاق به الطريق. ٢٣ كأن هريرنا (والهرير الصوت في الغابة). ٢٤ بكل قرارة منا ومنهم. ٢٧ فأشبعنا الضباع. ٣٣ وقد قتلوهم وأيضا ما تخونه العروق. ٣١ كأن سواد لمته العذوق.

٣٤ وسائلة بثعلبة بن شبل... وقد علقت بثعلبة العلوق.

---

(١) الموق: مؤخر العين.

٦ – ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب.

البيت رقم ٥ مجلد ٢ ص ٢٣١. البيت رقم ١٦ مجلد ١٠ ص ٣٢٨ وبرواية يقلب صعده، وفيه قال المفضل النكري يصف رمحاً عليه سنان من حديد أو قرن. البيت رقم ٣٠ مجلد ١١ ص ٣٧٨. رقم ٣٤ مجلد ١٠ ص ٢٦٦ براوية: وقد علقت بثعلبة العلوق. رقم ٣٦ مجلد ١٠ ص ١٥٤ برواية: كأن جذع سحوق (نصف البيت فقط) ويقول النخلة إذا طالت فهي سحوق.

٧ – ابن دريد، محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ): جمهرة اللغة.

البيت رقم ٣٢ جزء ٢ ص ٢٩٢ برواية: كأن جبينه سيف دلوق(*) رقم ١٠ جزء ٢ ص ١٨٣ برواية: بغيبة ذي طريف (وهو مكان شبيه بالغابة). رقم ١٦ جزء ٢ ص ١٨٢ برواية: يقلب صعدة. وأيضاً نقيع السم وكان العرب يأخذون القرون فيجعلونها موضع الأسنة من الرماح وقد وصف اليوم الماحق بأنه شديد الحرارة. رقم ٧ جزء ١ ص ٩٥ ويقول في شرحه ويكشرون عن أسنانهم من شدة الحرب.

٨ – ابن دريد: الاشتقاق.

البيت رقم ٣٢ ص ١٠٧. ورقم ٧ ص ٣٣١ رقم ٢٤ ص ٣٣١. ورقم ٢٩ ص ٣٣٢. رقم ٢٣ ص ٣٦٤، وبرواية هزيز أشاءة (والأشاءة الفسيلة من النخل). وقد وهم ابن دريد عندما قال: إن البيت (فداء خالتي لبني حيي) هو لجهم والصحيح أن جهماً هذا هو ابن الشاعر منقذ بن بشر الشني.

وقال ابن دريد في الاشتقاق: إن الشاعر من شعراء نكرة واسمه المفضل بن معشر صاحب المنصفة قالها في حرب بينهم في الجاهلية والصواب أن اسمه عامر بن مغشر ولقبه المفضل.

٩ – الجمحي، محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ): طبقات فحول الشعراء.

قال ابن سلام: المفضل من شعراء البحرين وهو المفضل بن معشر بن أسحم بن عدي بن شيبان بن سويد بن عذرة بن منبهة بن نكرة من عبدالقيس، وقد فضلته قصيدته التي يقال لها المنصفة وذكر مطلعها وهو البيت رقم ١.

(*) كان رجل من فرسان العرب هو الربيع بن زياد ويلقب دالقاً لكثرة غاراته.

وابن سلام ذكر ثلاثة من الشعراء المشهورين في البحرين وكلهم من عبدالقيس ومن قبيلة نكرة وهم المثقب العبدي والممزق العبدي والمفضل العبدي.

١٠ - ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ): المخصص.

ذكر البيت رقم ٧ غير منسوب في ١٥٠/١.

١١ - ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ): المعاني الكبير.

البيت رقم ٩ ص ٩٤٥ والبيت رقم ٣٧ ص ٩٤٥ أيضاً وعلق عليه: ولما عرفوا الصبر منا انهزموا وذكر اسم الشاعر فقال المفضل بن عبدالقيس. البيت رقم ٧ ص ٩٠٥ نسبه إلى النابغة الذبياني وهذا خطأ، البيتان ٢٢، ١٦ ص ١٠٩٧ قال المفضل بن عامر بن عبدالقيس ويقول: إن العرب يجعلون قرون الثيران مكان الأسنة.

١٢ - ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن.

البيت رقم ١٠ ص ٢٣٢ أورد عجزه فقط. البيت رقم ٣٦ ص ٤٠٢ برواية: جموع الشد شائلة الذنابى، وقال: يصف فرساً وهو المفضل العبدي.

١٣ - السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ): شرح شواهد المغني.

قال المفضل النكري من عبدالقيس وهو عامر بن معشر بن أسحم وسمي مفضلاً لأن هذه القصيدة فضلته وتسمى المنصفة وهو شاعر جاهلي، ذكر السيوطي الأبيات: ١، ٢، ٣، ٤ في صفحة ١٠٦٢. ١ - برواية: أحقاً إن جيرتنا استقلوا. ٣ - على الرملات إذ شحطت سليمى.

١٤ - الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ): الحيوان.

البيت ١٤ جزء ٥ ص ٥٦٤ قال المفضل النكري وبرواية تهيجه شآمية. خريق.

١٥ - العيني: شرح الشواهد ٢٣٥/٢.

١٦ - ثابت بن أبي ثابت من القرن الثالث الهجري: خلق الإنسان.

البيت رقم ٧ ونسبه إلى ابن خذاق العبدي وهو خطأ واضح. البيت رقم ٣٦ ص ٢٠٠ برواية: كأن تليلها جذع وسحوق، وقال هذا البيت المفضل النكري:

١٧ – ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو البغدادي (ت ٢٤٥هـ): ألقاب الشعراء في (نوادر المخطوطات) ٣١٦/٧.

قال عامر بن معشر العبدي وذكر البيت رقم ٢٩. وقال ابن حبيب المفضل فضلته منصفته في ٣١٦/٧.

١٨ – ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحق (ت ٢٤٤هـ): إصلاح المنطق.

البيت رقم ٣٤ قال المفضل النكري وذكر العلوق: وهي المنية وذلك في ص ١٦٨.

١٩ – ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، البيت رقم ٣٤ جزء ٤ ص ١٨٥.

٢٠ – المرادي: الحسن بن قاسم الجنى الداني في حروف المعاني، البيت رقم ١ برواية: أحقاً إن جيرتنا استقلوا.

٢١ – التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢هـ): شرح حماسة أبي تمام، البيت رقم ١٠ جزء ٢ ص ٢٦.

٢٢ – البكري، عبدالله بن عبدالعزيز ت ٤٨٧هـ: معجم ما استعجم.

البيت رقم ١٠ وبرواية: تلاقينا بغيظة ذي طريف (والغيظة بمعنى الأجمة والغابة في صفحة ٨٩١).

٢٣ – البكري: سمط اللآلئ، البيت رقم ٧ جزء ١ ص ١٢٥، وفيه قال عامر بن معشر بن أسحم العبدي.

٢٤ – العسكري، الحسن بن عبدالله بن سعيد (ت ٣٨٢هـ): شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ص ٤١٩.

قال المفضل بن عامر وقيل المفضل بن معشر العبدي من عبدالقيس صاحب القصيدة المنصفة، البيتان رقم ١، ٢٤ والأول برواية أحقاً إن جيرتنا استقلوا.

٢٥ – العسكري: ديوان المعاني.

البيت رقم ٧ في ٤٩/٢ وقد كلح من كراهة الحال وشدة الروع حتى تراه وكأنه أروق في الحرب.

٢٦ – الحلبي، عبدالواحد بن علي اللغوي (ت ٣٥١هـ): الابدال.

البيت رقم ١٦ في ٤٨٧/٢ برواية يباري صعدة جرداء فيها وأيضاً نقيع السم أو قرن محيق وقال: وأسنة العرب قبل عصر الحديد من قرون البقر الوحشي.

٢ - وقال المفضل العبدي

(الطويل)

ودُسْناهُمُ بالخيلِ من كلِّ جانبٍ
كما جَرَدَ الجارُودُ بَكْر بن وائلِ(*)

التخريج:

١ – ابن دريد: جمهرة اللغة ٢/٦٤. الاشتقاق ٣٢٧ ذكر عجز البيت فقط.

٢ – ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/٢٦٣.

٣ – ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/٢٢٦.

٤ – ابن سعد: الطبقات ٥/٥٥٩.

٥ – السهيلي: الروض الأنف ٢/٣٤٠.

****

(*) الجارود: سيد عبدالقيس وزعيمها في الجاهلية وهو بشر بن حنش كان أصاب إبله داء فخرج بها إلى بني بكر بن وائل ففشا الداء في إبلهم حتى أهلكها فقالت العرب كما جرد الجارود بكر بن وائل، وفي الطبقات أن أمه من بني شيبان واسمها درمكة بنت رويم، وفي الأعلام للزركلي أنه لقب بالجارود بعد وقعة اغار بها على بكر بن وائل فظفر بهم وجردهم وقيل: إنه غزا اخواله وجردهم، وفي الاصابة أن بلاد عبدالقيس أجدبت فتوجه الجارود إلى أخواله بني شيبان فقاتلهم وجردهم والصحيح أن أخواله في بني شيبان، لكنه قاتل بني بكر وجردهم فسمي بالجارود وهذا ما يخبرنا به بيت الشعر.

بكر بن وائل: القبيلة العدنانية التي كانت منازلها إلى الشمال من عبدالقيس وكانت بعض عشائرها وبطونها تسكن مع عبدالقيس في البحرين ومن بكر بن وائل قبيلة لجيم التي ذكرها المفضل في منصفته وهي في الحرب التي دارت بينهم في الجاهلية.

394

١ - المُمَزَّق العبدي(*)

(الطويل)

أَرِقْتُ فلم تخْدَعْ بعينيَّ وسنةٌ
ومَن يَلْقَ ما لاقيتُ لابُدَّ يَأْرقِ[١]
تَبيتُ الهمومُ الطارقاتُ يَعُدْنَنِي
كما تَعْتَري الأهوالُ راسَ المطلّقِ[٢]
وناجيةٍ عدَّيْتُ من عند ماجدٍ
إلى واحدٍ من غير سُخْطٍ مُفَرَّقِ[٣]
ترى أو تَرَاءى عند مَعْقد غَرْزِها
تهاويلَ من أجلادِ هرٍّ مُعلَّقِ[٤]
كأنَّ حَصى المعزاءِ عند فُروجِها
نوادي رحىً رضُاخَةٍ لم تُدَقّقِ[٥]
كأن نَضِيحَ البولِ من قُبل حاذِها
ملابُ عروس، أو ملادغُ أزْرقِ[٦]

(*) هو شاس بن نهار بن اسود بن جزيل بن حي بن عساس بن حي بن عوف بن سود بن غدرة بن منبه بن نكرة بن لكيز بن افصى بن عبدالقيس ولقب بالممزق بالفتح للبيت رقم ١٦ الذي ياتي في هذه القصيدة. (جمهرة ابن حزم ص ٢٩٩).

(١) تخدع: يدخلها النعاس، الوسنة: ثقل النوم.

(٢) الطارقات: النازلات، عاده: زاره، المطلق: الملدوغ والتطليق التنفيس عن الملدوغ ساعة.

(٣) الناجية: الناقة السريعة. إلى واحد: فريد في باسه وعلمه او غير ذلك.

(٤) تراءى: نظر وتكلف النظر إليه. غرزها: حزامها، تهاويل من الهول. اجلاد الهر: متاعبه يريد كان هراً علق عند مقعد حزامها انشب اظفاره فيها فهي تنفر وتسرع.

(٥) المعزاء: المكان الصلب الكثير الحصى، فروجها: ما بين قوائمها. النوادي: ما تطاير من الرحى عند رضخها النوى. رضاخة: من الدق والكسر.

(٦) نضيح: رش وخروج البول. الحاذ: ما يقع عليه الذنب من الفخذين. ملاب: نوع من الطيوب. ملادغ: مواضع اللدغ. ازرق: ذباب. وفي الحيوان للجاحظ ٣٩٠/٣ أن الذبان الأزرق يهلك الإبل.

وقد ضمُرتْ حتى التقى من نَسوعها

عُرَى ذي ثلاثٍ لم تكن قبلُ تَلتقي(٧)

وقد تَخِذتْ رجلي لدى جَنبِ غَرْزِها

نَسيفاً كأفحُوصِ القطاةِ المُطرِّق(٨)

أُنيخَت بجوٍ يصرخُ الديكُ عندها

وباتتْ بقاعٍ كادِئِ النبتِ سَمْلق(٩)

تُنَاخُ طليحاً ما تُراعُ من الشُذَا

ولو ظل في أوصالِها العَلّ يرْتقي(١٠)

تروحُ وتغدو ما يُحلُ وضينُها

إليك ابنَ ماءِ المزنِ وابن مُحرِّق(١١)

علوتم مُلوك الناسِ في المجد والتُقى

وغَربِ ندىً من عُروة العزّ يستقي(١٢)

وأنت عمودُ الدينِ مهما تَقُل يُقلْ

ومهما تضعْ من باطلٍ لا يُلحق(١٣)

---

(٧) النسوع: سيور الرحل.

(٨) النسيف: أثر ركض الرجل بجنبي البعير إذا انحص عنه الوبر. الأفحوص: مجثم القطاة ومبيتها. المطرق: التي حان خروج بعضها يقال طرقت القطاة وهي مطرقة وهي صفة تخص الإناث وقيل الطرق: المعدل.

(٩) جو: اسم اليمامة. قاع: مكان مستو أملس. كادئ النبت: أصابه البرد فلبده في الأرض أو أصابه العطش قابطا نبته والسملق: الأملس والديك. يصيح في القرى عادة.

(١٠) طليحاً: معيياً. الشذا: الأذى والشذا ايضا ذباب أزرق عظيم يقع على الدواب فيؤذيها. العل: القراد. يرتقي: يصعد.

(١١) الوضين: الحزام. ابن ماء المزن: ابن ماء السماء وماء السماء اسم أم المنذر الأكبر بن امرئ القيس. محرق هو الحارث بن عمرو بن عدي ومعنى ذلك أنه من نسل المناذرة.

(١٢) الغرب: الدلو العظيمة. يستقي: يأخذ.

(١٣) الدين: السلطان والملك. تضع: تسقط بها. يلحق: لا يحقق.

وإنْ يَجْبنوا تَشْجع وإن يَبْخلوا تجُدْ
وإن يَخْرقوا بالأمر تَفْصِلْ وتَفْرُق[١٤]

احقاً أبيتَ اللَّعنَ أن ابن فَرْتَنا
على غير إجرامٍ بريقي مُشَرقي[١٥]

فإن كُنتُ ماكولاً فكُن خيرَ آكلٍ
وإلا فأدْركني ولما أُمَزَّق[١٦]

أَكَلَّفتني أدواءَ قومٍ تركتُهمْ
وإلا تَدارَكْني من البحرِ أَغْرق[١٧]

فإن يُتْهِموا أُنْجِدْ خلافاً عليهمُ
وإن يُعْمِنوا مُسْتَحقِبي الحربِ أُعرِق[١٨]

فلا أنا مولاهمْ ولا في صحيفةٍ
كَفَلْتُ عليهم والكفالةُ تَعْتقي[١٩]

وظنِّي به أن لا يكدِّرَ نعمةً
ولا يقْلبَ الأعداءَ منه بمَعْبَق[٢٠]

---

(١٤) إن يخرقوا: يجهلوا ولا يحسنوا العمل. تفرق: تقضي وتفصل بين الحق والباطل.

(١٥) ابن فرتنا: اسم شخص وايضاً يراد به اللئيم. مشرقي: من الشرق بالماء والريق أي أنه له كالغصص في الطعام. ابيت اللعن: تحية ملوك المناذرة. وخاصة النعمان بن المنذر (ابو قابوس) ممدوح الشاعر.

(١٦) هذا البيت الذي كان سبب لقب الشاعر بالممزق (بالفتح). (المزهر للسيوطي ٤٣٥).

(١٧) ادواء قوم: تبعاتهم ومسؤولياتهم.

(١٨) إن يتهموا: ان يذهبوا الى تهامة، انجد، اصعد إلى نجد. يعمنوا: يذهبوا إلى عُمان. مستحقبي الحرب: حاملي عبئها. اعرق: اذهب إلى العراق. ويدل هذا البيت على ان قسماً من العبديين سكنوا عمان.

(١٩) تعتقي: تحتبس. فالكفالة تحبس صاحبها على الوفاء بما كفل.

(٢٠) يكدر نعمة: بالاعتذار. معبق: مقيم. يريد انه لا يدع لأعدائه مستقراً ولا يترك لهم مفراً.

التخريج:

١ – الأصمعي: الأصمعيات، أصمعية رقم ٥٨ ص ١٦٤.

٢ – ابن قتيبة: الشعر والشعراء، قال ابن قتيبة المزق العبدي جاهلي قديم وقال هذه الأبيات لبعض ملوك الحيرة، ص ٣٩٩.

الأبيات بالترتيب: ٣، ١١، ١٥، ١٦، ١٣، ١٧، ١٨، وقد جاء البيت التالي زيادة في أبيات ابن قتيبة التي اختارها للممزق. (البيت):

تبلغني من لا يدنس عرضه

بغدر ولا يزكو لديه تملقي

البيت رقم ٣ برواية إلى واجد بمعنى (الغنى).

البيت رقم ١٣ برواية:

فأنت عمود الناس مهما تقل نقل

ومهما تضع من باطل لا يحقق

البيت رقم ١٨ وبرواية:

فإن يعمنوا أشئم خلافاً عليهم

وإن يتهموا مستحقبي الحرب أعرق

٣ – البحتري: الحماسة رقم ١٨٤ ص ٢٢١، تحت باب ما قيل فيمن يؤخذ بذنب غيره. الأبيات ١٧، ١٨، ١٩، ١٦ بالترتيب، البيت رقم ١٨ بهذه الرواية:

فإن يبرموا أمراً أخالف عليهم

وإن يعمنوا مستحقبي الحرب أعرق

٤ – البصري، على بن أبي الفرج: الحماسة البصرية. جزء ١ ص ١٢٦ – ١٢٧، قال صاحب الحماسة: الممزق هو شأس بن نهار العبدي جاهلي يمدح النعمان بن المنذر الأكبر وكان قد همّ أن يغزو عبدالقيس فلما سمع القصيدة رجع عن ذلك. الأبيات: ٣، ٧، ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، بالترتيب وزاد على ذلك بيتين هما:

لتبلغني مالا يكدر نعمة
بغدر ولا يزكو لديه تملق

تحاسى يداها بالحصى وترضه
باسمر طراف إذا حمى مطرق

البيت رقم ٧ برواية قوى ذي ثلاث، رقم ٨ إلى جنب غرزها. رقم ٩ برواية:

وأضحت بجو يصرخ الذئب عندها
وكانت بقاع ناعم النبت سملق

البيت رقم ١٢ برواية:

علوتم ملوك الناس بالحزم والتقى
وغرب ندى من غرة المجد يستقي

البيت رقم ١٦ برواية:

فكن أنت آكلي، وقال النعمان لا آكلك ولا أسلمك لغيري يأكلك.

٥ - ابن منظور: لسان العرب. الأبيات: ١، ٢، ١٨، ١٦، ٨. البيت رقم ١ مجلد ٨ ص ٦٦ فلم تخدع بعيني نعسة. والقافية التي أوردها مضمومة. البيت رقم ٢ مجلد ١٠ ص ٢٣٢. البيت رقم ١٨ مجلد ١٠ ص ٢٤٨، وبرواية: فإن تتهموا أنجد خلافاً عليكم، البيت رقم ١٦ مجلد ١٠ ص ٣٤٣، ومجلد ١١ ص ٢١ نفس البيت. ويقول النعمان: لا آكلك ولا أدع غير يأكلك.

٦ - الجاحظ : الحيوان، الأبيات: ١٠، ٨، ٩، ٢، ١٦ ، البيت رقم ١٠ في جزء ٥ ص ٤٤١ برواية فباتت ثلاثاً لاتراع من الشذا. يصف شدة جزعها. البيت رقم ٨، ٩ في جزء ٢ صفحة ٢٩٨ وبرواية رجلاي في جنب غرزها. البيت رقم ٨ جزء ٥ ص ٥٨١. البيت رقم ٢ جزء ٤ ص ٢٤٩. البيت رقم ١٦ جزء ٤ ص ٢٤٨ وبرواية فكن أنت آكلي.

٧ – الحموي، ياقوت: معجم البلدان، الأبيات: ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩ بالترتيب في ص ٦/٢١٥.

٨ – ابن عبد ربه: العقد الفريد ، جزء ٢ ص ١٦٣ – ١٦٤. الأبيات ١١، ١٥، ١٦، ١٣ بالترتيب. أورد صاحب العقد أن الممزق العبدي هو شأس بن نهار بن أسرج، وهذا خطأ والصحيح أنه شأس بن نهار بن أسود ، البيت رقم ١٦ ورد في ٣٥٧/٣ وأيضاً في ٤/٣١٠.

٩ – الزجاجي: مجالس العلماء ، البيت رقم ٨.

١٠ – العيني، محمود: شرح الشواهد الكبرى ، البيتان رقم ٨، ١٦ في ٤/٥٩٠.

١١ – ابن سيده: المخصص ، البيت رقم ٨ في ١/٢١.

١٢ – ابن دريد: جمهرة اللغة ، البيت رقم ١٠ في ١/١١٣ وبرواية ظللت ثلاثاً لاتراع من الشذا البيت رقم ٨ وجد في ٢/٦، ٢/١٦٣، ٢/٣٧٢، ٣/٣٩، وقد فسر معنى المطرق الذي يعسر عليه المبيض، البيت رقم ١ في ٣/١١٣، البيت رقم ١٦ في ٣/١٤.

١٣ – ابن السكيت: تهذيب الألفاظ ، البيتان ١٧و ١٨ في ص ٤٨٥ وفيه قال أبو العباس هو الممزق (بالكسر) ولكن أبا الحسن قال هو الممزق (بالفتح) وهو الصحيح.

١٤ – ابن السكيت: إصلاح المنطق ، البيت رقم ١٨ في ص ٣٠٨.

١٥ – ابن أبي ثابت: خلق الإنسان، البيت رقم ٤ ص ٤٢.

١٦ – السيوطي: شرح شواهد المغني، البيت رقم ٨ ص ٢٣٣.

١٧ – الأصمعي: خلق الإنسان (مجموعة الكنز اللغوي) البيت رقم ٤ ص ١٧٠ وبرواية تهاويل من أجلاد هر مؤوم، والصواب أنها معلق لأن القافية (قافية).

١٨ – أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن، البيت رقم ٨ في ٤١١/١.

١٩ – المرصفي: رغبة الآمل من كتاب الكامل، القصيدة جميعها في ١/ ٩٤.

٢٠ – البكري: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، البيت رقم ١٦ في ص ١٧٩ وأيضا في ص ٣٧٣. البيت رقم ٨ وقد شرح البكري النسفة بمعنى الحجارة يقذف بها والنسيف بمعنى أثر ركوب الرجل الحصان أو الجمل.

٢١ – العسكري: شرح ما يقع من التصحيف والتحريف ، البيت رقم ١٦ ص ٤٥٧.

البيت رقم ١٧ برواية:

أكلفـــتني أدواء قـــوم تركـــتـــهم

مـتى يعـمنوا مسـتـحقبي الحـرب أعـرق

فقال العسكري هذا ليس كذلك وإنما الصحيح:

متى تعمنوا مستحقبي الحرب أعرق، أي متى تأتون عمان للحرب فأنا أذهب إلى العراق، وقال العسكري: هذه القصيدة لعبدالقيس وهي للممزق العبدي ابن أخت المثقب العبدي واسم الممزق شأس بن نهار وهو من بنى منبه من بني نكرة. وكان من عبدة الأوثان ومات كافراً.

٢٢ – الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. البيتان ١٥، ١٦ في ١٢٤/٣.

٢٣ – المسلم ، محمد سعيد: ساحل الذهب الأسود. البيتان ١٧، ١٦ بالترتيب في ص ٢٦٠، وقال عنه: يعد الممزق من فحول شعراء عبدالقيس.

٢٤ – البيت رقم ١٦ ورد في مراجع ومصادر عديدة نذكر منها:

١ – ابن سلام الجمحي	:	طبقات فحول الشعراء	ص ٢٣٠
٢ – الآمدي	:	المؤتلف والمختلف	ص ١٨٥
٣ – الأنباري	:	شرح المفضليات	ص ٥٩١

٤ – ابن حزم الأندلسي	:	جمهرة أنساب العرب	ص ٢٨٢
٥ – ابن قتيبة	:	المعاني الكبير	ص ٦٦٣
٦ – ابن دريد	:	الاشتقاق	ص ٣٣٠
٧ – السيوطي	:	المزهر	ص ٤٣٥
٨ – الجاحظ	:	البيان والتبيين	ص ١/٣٧٥
٩ – الثعالبي	:	التمثيل والمحاضرة	ص ٥٩
١٠ – الحميري	:	الحور العين	ص ٣١٦
١١ – ابن الآبار	:	إعتاب الكتاب	ص ٦٥٨
١٢ – ابن حبيب	:	ألقاب الشعراء	٧/٣١٦
١٣ – المبرد	:	الكامل	٢/١٧
١٤ – البلاذري	:	أنساب الأشراف	٥/٧٧
١٥ – البغدادي	:	خزانة الأدب	٣/٣٩٦
١٦ – النويري	:	نهاية الأرب في فنون العرب	٣/٦٦
١٧ – الزنجاني	:	تهذيب الصحاح	٢/٥٩٨

٢ - وقال الممزّق العبدي

(الطويل)

صَحا عن تَصابيهِ الفؤادُ المشوَّقُ
وحانَ من الحيِّ الجميعِ تَفَرُّقُ(١)

وأصبح لا يَشْفي غليلَ فؤادِه
قِطارُ السَّحابِ والرحيقُ المروَّقُ(٢)

لَدُنْ شالَ أحْداجُ القطينِ غُديَّةً
على جَلْهةِ الوادي مع الصبح تُوسق(٣)

تَطَالعُ ما بين الرَّجى قَراقر
عليهن سربالُ السرابِ يُرْقرق(٤)

وقد جاوزتْها ذاتُ نيرين شارفٌ
مُحرَّمةٌ فيها لوامعُ تَخْفق(٥)

بِجَأواءَ جُمْهورٍ كأن طريقَها
بُسرَّةَ بين الحَزْنِ والسَّهْلِ رَزْدق(٦)

---

(١) التصابي: شدة الكلف في الحب.

(٢) غليل فؤاده: حرارة قلبه. قطار السحاب: مطر السماء، جمع قطر وقطر جمع قطرة من الماء. الرحيق المروق: المصفى.

(٣) شال: ارتفع وارتحل. الأحداج: مراكب النساء. القطين: السكان. جلهة الوادي: جانباه. غدية: صباحاً. توسق: تعدل.

(٤) تطالع: ينظر إليها. الرجا: جبل قريب من كاظمة في البحرين (معجم البلدان ٣/٣٠). قراقر: اسم واد قرب ذي قار (معجم البلدان ٤/٣١٨).

(٥) ذات نيرين: طريق واسع صعب، نيرين بمعنى جانب. شارف: قديم من الطرق. محرمة: لم تلين بالسير فيها. اللوامع: السراب.

(٦) الجاواء: الكتيبة ذات الدروع (وهي للنعمان). جمهور: كثير. السرة: ما اتسع من بطن الأرض، الحزن الغليظ من الأرض. الرزدق: المستوية والممدودة (وهي من أصل فارس).

يشُولُ على أقطارِها القومُ بالقَنَا
تحوطُ على آثارِهِنَّ وتَلْحق(٧)

وقال جميعُ الناسِ: أين مصيرُنا
فاضْمَرَ منها خُبْثُ نفْسٍ مُمزِّق(٨)

فلما أتى من دُونها الرِّمْثُ والغَضَا
ولاحت لنا نارُ الفريقين تَبْرق(٩)

فوجَّهها غربيَّةً عن بلادنا
وودَّ الذين حولنا لو تُشرِّق(١٠)

فجالتْ على أجوازِها الخيلُ بالقنا
تُواضِعُ من قَرْنَي جَدُود وتَمْرق(١١)

فمن مُبلغُ النُّعمان ان أُسَيداً
على العينِ تعتادُ الصُّفا وتُمرِّق(١٢)

---

(٧) يشول: يرتفع، اقطارها: نواحيها. والقنا حائطة على آثارها ولاحقة بها.

(٨) خفي على الناس: المراد من التجمع ومقصد الكتيبة. واضمر تحتمل معنيين الأول: مكيدة الجيش ونيته الفاسدة، والثاني: خبث نفس النعمان فلم يظهر لأحد من الناس حتى أوقع للغزوة التي ارادها وهذا اكثر وافضل.

(٩) فلما اتى: تجاوزوا منابت الرمث والغضا وهي اشجار صحراوية. نار الفريقين نار الجيشين.

(١٠) وجهها غربية: عدل بالكتيبة نحو الغرب بعيداً عن بلاد عبدالقيس التي في الشرق.

(١١) جالت: اقبلت والرماح مشرعة. وجال ايضاً بمعنى اقبل وادبر. الأجواز: الأوساط (جنوب الخيل). تواضع: تسرع. قرني جدود: طرفاه. تمرق: تخرج من مرق السهم إذا خرج. وجدود اسم مكان في ديار بني سعد (معجم البكري ٣٧٢).

(١٢) اسيد: هو اسيد بن عمرو بن تميم. وفي المفضلية ٨١ فمن مبلغ النعمان ان ابن اخته. والواقع عندي انه شخص كان مؤيداً من قبل النعمان وقد تكون اسيد قبيلة. العين: موضع بالبحرين وهي عين محلم فوارة جميلة (معجم البلدان ١٧٩/٤). الصفا: نهر يتخلج من عين محلم (معجم البلدان ٤١١/٣). يمرق: ينفذ وفي رواية يمزق بمعنى يغني. ويحتمل ان يكون سمي الممزق بسبب هذا البيت ايضاً.

وأن لُكَيْـــــزاً لـم تـكُـنْ ربَّ عُـكَّـةٍ

لدُن صـرَّحتْ حُـجَّـاجُـهمْ فـتـفـرَّقـوا[١٣]

قَـضَى لجـمـيعِ الناس إذ جـاء أمْـرُهُمْ

بان يَجْنُبـوا أفْـراسَـهمْ ثم يَلحـقـوا[١٤]

لِتُـــبْلغني مَنْ لا يُكدِّرُ نِعْـــمَـــةً

بعُـــذْرٍ ولا يَزْكُـــو لديه الـتَّــمَلُّق[١٥]

يـؤُمُّ بـهن الحَـــزْمَ خِـرْقٌ سَـمَـيْـدَعٌ

أحَـذُّ كـصـدرِ الهُنْدواني مِـخْـفَق[١٦]

التخريج:

١ – الضبي: المفضل بن محمد (ت ١٦٨هـ)، المفضليات. المفضلية رقم ٨١ ص ٣٠١، وتحوي الأبيات التالية بالترتيب: ١، ٢، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ٨، ٩، ١٠. المفضلية ١٣٠ ص ٤٣٢ وتحوي جميع الأبيات الباقية.[١]

(١٣) لكيز: قبيلة الشاعر من عبدالقيس. عكة: وعاء من السمن. صرحت حجاجهم: خرجت من منى. وهو هنا يفخر بان قبيلته لكيز لا تتاجر بالسمن لكنها صاحبة سلاح وخيول. ويقول الشاعر (التبريزي ٣/١٣٠):

ولم يتجروا بالبز تحمله لـهم ‏ ‏ قلاص على اقوارها وبكار

ولكن إذا لم يتجر الناس بالقنا ‏ ‏ فنحن بالقنا والمشرفي تجار

(١٤) قضى: حكم. يجنبوا: يتركوا. يلحقوا: يغيروا. جاء الأمر بركوب الأبل وترك الخيل لتبقى نشيطة وقت الغارة والحرب.

(١٥) لا يكدر نعمة: لا يفسد إحسانه بالأذى. لا يزكو: لا ينمي لديه الخداع.

(١٦) يؤم: يقود بالحزم. خرق: كريم. سميدع: سيد. الأحذ: الخفيف. المخفق: الضروب.

(١) القصيدة فيها اضطراب وهلهلة، وكما يبدو ضاع منها بعض ابياتها، كما تقدمت فيها ابياتٌ وتاخرت اخرى، ومن المحتمل ان تكون اكثر من قصيدة تتحد في نفس القافية والوزن، ولهذا السبب قام المرزوقي والتبريزي بضم المفضليتين إلى بعضهما البعض واعتبارهما قصيدة واحدة هي التي بقيت ابياتها.

٢ – الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ)، شرح المفضليات. الأبيات التسعة في المفضلية رقم ٨١ جاءت في ص ٦٠١ وسائر القصيدة كاملة ص ٨٨٩ – ٨٩٠ مع اختلاف طفيف.[ب]، مفضلية رقم ٨١ بيت رقم ٢ بهذه الرواية:

وأصبح لا يشفي له من فؤاده

قطار السراب والرحيق المروق

رقم ١٢: فمن مبلغ النعمان أن ابن أخته، البيت رقم ١٣ لدن سرحت، والبيت رقم ١ صحا عن، البيت رقم ١٤ جاء أمرهم بدلاً من أفراسهم.

٣ – التبريزي: شرح اختيارات المفضل الضبي. أورد القصيدة كاملة ومجمعة وتحت رقم ٨١ ص ١٢٩٢، أما المرزوقي فأوردها تحت رقم ٧٥ ومجمعة أيضاً، البيت رقم ٢ برواية: وأصبح لا يشفي له من فؤاده، وكذلك في المرزوقي.

البيت رقم ٤ برواية سربال السحاب بدلاً من سربال السراب، البيت رقم ٩ برواية لاحت لنا، ورقم ١٢ برواية: يعتاد الصفا، البيت رقم ١٥ برواية يكفر نعمة.

٤ – الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. البيت رقم ١٢ في ٣/١٢٤، وبهذه الرواية (فمن مبلغ النعمان أن ابن أخته: على العين يعتاد الصفا ويمزق). وقال الألوسي والتمزيق. وعين الصفا موضع بالبحرين.

(ب) قال الأنباري عن الشاعر هو شاس بن نبهان بن اسود بن حريك والصحيح ما اثبتناه فهو شاس بن نهار بن اسود العبدي.

٣ - وقال الممزق العبدي

(الطويل)

ولو كنتُ في بيتٍ تُسَدُّ خُصَاصُهُ
حواليُّ من أبناء بَكْرة مَجْلِسُ[(١)]

ولو كان عندي حازيانِ وكاهِنٌ
وعلَّقَ أنجاساً عليَّ المُنَجِّس[(٢)]

إذاً لأتتني حيث كنتُ منيتي
يَخُبُّ بها هادٍ إليَّ مُعَفْرِسُ[(٣)]

التخريج:

١ - البحتري: الحماسة، ص ٩٧ رقم ٤٤١، باب ٥٢، وما قيل في اليأس من البقاء وحذر الموت، وترقبه وقلة الحيل فيه.

٢ - الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. البيت الثاني وغيره في ٣١٩/٢ والثاني بهذه الرواية. (فلو أن عندي جارتين وراقياً: وعلق أنجاساً على المعلق(*))، وهذا خلط مع القصيدة القافية المضمومة السالفة وعندي أن البحتري أصح من هذا.

---

(١) خصاصه: كل خلل او خرق في باب أو نحوه. بكرة: يبدو لي انها نكرة قبيلة الشاعر فهو من نكرة ومن عبدالقيس.

(٢) حازيان: من اطباء العرب القدامى. كاهن: من يدعى معرفة الأسرار. انجاس روبت هكذا وهي: الحجاب الذي يعلق على من يخافون عليه من الحسد. فالانحاس والانجاس من التعاويذ والتمائم.

(٣) يخب: يسير بها ركضاً. هاد: مبين. معفرس: يغلب ويصرع.

(*) التنجيس يشفي من العشق.

٤ - وقال الممزق العبدي

(الكامل)

ولو كنتُ في غُمْدانَ لستُ بِبَارحٍ
منه وشُدَّ خُصَاصُهُ بالطِينِ[1]
عندي شرابٌ ما اشتهيتُ ومأكلٌ
جاءتْ إليَّ منيَّتي تَبْغِيني

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ٩٧ رقم ٤٤٢، باب ٥٢، ما قيل في اليأس وحذر الموت.

(١) غمدان: قصر باليمن (معجم البكري ٣/١٠٠٢) وقيل هو قصبة صنعاء (معجم البلدان ٤/٢١٠). برح المكان: غادره وتركه. خصاصه: أبوابه، وسبقت في الأبيات السينية.

٥ - وقال الممزق العبدي

(الطويل)

ولن يستطيعَ الدهرُ تغييرَ خُلقهِ
لئيمٌ ولن يَسْطِيعَهُ مُتَكدِّمُ[(١)]
كما أنَّ ماءَ المُزْنِ ما ذِيقَ سائغٌ
زُلالٌ وماءُ البحرِ يَلْفُظُه الفمُ[(٢)]

التخريج:

١ - البصري، علي بن أبي الفرج: الحماسة البصرية، رقم ١٢٦ في ٢٨/٢.

٢ - البحتري: الحماسة، ص ٢١٩، رقم ١١٦٩، باب ١٣٢، ما قيل في نزوع المرء إلى أصله وشبهه بآبائه وأجداده، البيت الأول برواية: متكرم، والبيتان منسوبان لصالح بن عبدالقدوس، وفي ص ٢٢٦ من الحماسة للبحتري البيت الأول منسوب إلى يحيى بن زياد.

(١) متكدم: الذي قاتل كثيراً واثرت فيه الحروب.

(٢) سائغ: سهل.

٦ - وقال الممزق العبدي

(الطويل)

ألا مَنْ لعينٍ قد ناها حميمُهَا
وأرّقني بعد المنامِ هُمُومُها[1]

فباتتْ لها نفْسانِ شتّى هُمومُها
فنفسٌ تُعَزيها ونفسٌ تلومُها

التخريج:

١ - المرتضى، الشريف علي بن الحسين بن موسى العلوي ت ٤٣٦هـ: أمالي المرتضى. ص ٣٢٥ جزء ١، وتروى الأبيات لمعقر بن حمار البارقي.

٢ - الخالديان: الأشباه والنظائر. في ١/٧٤ وهما منسوبان إلى المعقر الأزدى من قصيدة طويلة له.

****

(١) حميم: من تحب وتهوى. ناها: بعد عنها.

402

١ - يزيد بن الخَذّاق(*)

(الكامل)

أعـددْتُ سـبـحـةَ بعـدمـا قـرَحتْ
ولبـسـتُ شِكّةَ حـازمٍ جَلْدِ(١)
لن تَجْـمـعـوا ودّي ومَـعْـتَـبَـتي
أو يجـمعَ السَّـيْـفـانِ في غِـمْـدِ(٢)
نُعْـمـانُ إنك خـائنٌ خَـدعٌ
يُخْـفي ضـمـيرُك غـيـر مـا تُبـدي(٣)
فـإذا بَـدَا لـك نـحتُ أَثْـلَـتِـنـا
فـعليكهـا إن كنتَ ذا حَـرْدِ(٤)
يـأبـى لـنـا أنّـا ذوو أَنَـفٍ
وأصـولُنا من مَـحْـتِـدِ المجْـدِ(٥)
إن تغـزُ بـالخَـرْقـاءِ أُسْـرتَنَا
تـلق الـكـتـائبَ دونـنـا تَـرْدِي(٦)

(*) هو يزيد بن الخذاق الشني العبدي، من بني شن بن افصى بن عبدالقيس، شاعر جاهلي قديم. وبعض المصادر تجعله يزيد بن خذاق (المرزباني ٤٩٥). وخذاق: فعال من خذق الطير: رَمى بذرقه.

وقال هذه القصيدة في هجاء النعمان بن المنذر فارسل كتيبته دوسر فاستباحتهم.

(١) سبحة: فرس الشاعر. قرحت: تمت أسنانها وكبرت وهي في الخامسة من عمرها. والقروح في الخيول بمثابة البذول في الإبل. الشكة: السلاح.

(٢) معتبتي: معاداتي وموجدتي.

(٣) نعمان: هو النعمان بن المنذر الملقب بابي قابوس ملك المناذرة والذي حكم (٥٨٢ - ٦١٣م).

(٤) الأثلة: الشجرة، مثل لعزتهم. حرد: تعمد وقصد.

(٥) محتد: اصل.

(٦) الخرقاء: كتيبة النعمان (انظر فصل الحرب). الخرق: الجهل. تردي: تتراكض وايضاً بمعنى الهلاك.

أحســبْـتَنا لحــمـــاً على وَضَمٍ
أم خِلـتَنَا في البـــاسِ لا نُجْـــدي[7]

ومكرتَ مُـــعْـــتليـــاً مَـــخَنُتنا
والمكرُ منك عـــلامـــةُ العَـــمْـــد[8]

وهززْتَ ســـيـــفَكَ كي تحـــاربَنا
فـــانظُرْ بسيـــيـــفك مَنْ بِهِ تُردي[9]

وأردتَ خـطـةَ حـــــــازمٍ بَطَـلٍ
حـــيـــرانَ أوْبَقَـــه الذي يُسْـــدي[10]

ولقـــد أضـــاء لك الطريقُ وانْـهَـــجَتْ
سُـــبلُ المهَـــالِكِ والهُـــدى يُعْـــدي[11]

التخريج:

١ – المفضل الضبي: المفضليات، مفضلية رقم ٧٨ ص ٢٩٥.

٢ – الأنباري: شرح المفضليات، ص ٥٩٥، ٥٩٦ قال يزيد بن الخذاق الشني العبدي، البيت رقم ١ برواية أعددت صمعر بعدما لقحت، وصمعر اسم فرس الشاعر، وسبحة وصمعر وسنعر أسماء مختلفة ترددت لفرس يزيد بن الخذاق.

البيت رقم ٥ برواية ونصيبنا في محتد المجد، البيت رقم ٦ برواية إن تغز بالملحاء (وهي كتيبة النعمان)، البيت رقم ٧ برواية أم خلتنا في الحرب لا نجدي.

(٧) الوضم: ما وقى اللحم من التراب من خشب وغيره. تجدي: تنفع.

(٨) المخنة: الأنف. اراد ما تذلنا به عند انفسنا، والمخنة ايضاً بمعنى الحريم. معتليًا: من العلو والقهر.

(٩) تردي: تهلك.

(١٠) اوبق: اهلك. يسدي الثوب: يثير. اراد أوبقه عمله. الخطة: الحالة.

(١١) انهجت: وضحت. يعدي: يعين ويقوى. يقول: وضح لك امرنا وإبصارك الهدى يقويك على الطريق.

٣ – التبريزي: شرح اختيارات المفضل الضبي. رقم ٧٨ جزء ٣ ص ١٢٧٧، البيت رقم ١ برواية أعددت صمعر بعدما لقحت، البيت رقم ٣ برواية غادر خدع، البيت رقم ٤ برواية في نحت أثلتنا، البيت رقم ٧ برواية ماجد بطل، ورقم ٨ برواية خطة خائن بطر، البيت رقم ٩ والهوى يعدي.

٤ – المرزباني: معجم الشعراء، البيت رقم ٢ ص ٤٨١، وقال عنه المرزباني يزيد شاعر جاهلي.

٥ – البغدادي: خزانة الأدب، البيت رقم ٢ في ٥٩٨/٣.

٦ – ابن الأعرابي: خيل العرب وفرسانها، البيتان ١، ٢ ص ٨٣ – ٨٤، البيت رقم ١ برواية أعددت صمعر بعدما قرحت.

٧ – ابن قتيبة: الشعر والشعراء، الأبيات: ٣، ٤، ٩ بالترتيب في ١/ ٣٨٧، رقم ٣ برواية: نعمان إنك غادر خدع، البيت رقم ٤ برواية: فعليكها إن كنت ذا جد، وقال ابن قتيبة: يزيد بن خذاق من عبدالقيس وهو وأخوه سويد قديمان عاشا زمن عمرو بن هند.

٨ – الخالديان: الأشباه والنظائر. الأبيات: ٢، ٨، ٤، ٩ بالترتيب في ١٣٦/١ – ١٣٧. البيت رقم ٢ برواية لن يجمعوا، وهذا أصح، البيت رقم ٤ برواية ماذا بدا لك، والصحيح فإذا بدا لك، البيت رقم ٨ ومكرت ملتمساً مذلتنا. البيت رقم ٩ برواية: وهززت سيفك لي كي تحاربني.

٩ – البكري: سمط اللآلئ، البيتان ٩، ١١ في ٧١٣/٢ – ٧١٤، وقال عنه البكري يزيد شاعر جاهلي قديم من شعراء عبدالقيس.

١٠ – البيت رقم ١١ ورد في المراجع والمصادر التالية:

أ – القالي في الأمالي في ٧٨/٢.

ب – مجموعة الكنز اللغوي ص ٢٢.

جـ - ابن قتيبة في المعاني الكبير ص ١٢٥٤.

د - الحلبي في الأبدال في ٢/٥٥٣.

١١ - البصري علي بن أبي فرج، الحماسة البصرية. رقم ١١٢ في ١/٥١ والأبيات: ٢، ٨، ٩ نسبها إلى سويد بن خذاق وهو أخو يزيد، البيت رقم ٨ برواية ومكرت ملتمساً مودتنا، البيت رقم ٩ برواية:

وشهرت سيفك كي تحاربنا
فانظر لنفسك من به تردي

ويزيد وسويد شاعران قديمان عاشا زمن عمرو بن هند، ويزيد هجا النعمان وسويد هجا قابوس بن هند.

٢ - وقال يزيد بن الخذَّاق(*)

(الطويل)

ألا هَلْ أَتَاهَا أنْ شِكَّةَ حَازِمٍ
لديَّ وأني قد صنعتُ الشُّموسا[1]

وداويْتُها حتى شَتَتْ حَبَشِيَّةً
كأنّ عليها سُنْدُساً وَسَدُوسا[2]

قصرْنا عليها بالمقِيظِ لِقاحنَا
رباعيةً وبازلاً وَسَديسا[3]

فآضت كتيْسِ الرُّبلِ تنزو إذا نَزَتْ
على رَبَذاتٍ يَغْتَلِين خُنُوسا[4]

نُعِدُّ ليوم الرَّوع زغفاً مفاضةً
دِلاصاً وذا غَرْبٍ أحدَّ ضَرُوسا[5]

(*) قالها الشاعر في هجاء النعمان بن المنذر والثورة عليه.

(١) الشكة: السلاح. الشموس: فرس يزيد بن الخذاق. صنعت: أحسنت القيام عليها.

(٢) الدواء: الصنعة للضمر. السندس: نوع من الثياب. السدوس: الطيلسان الأخضر. شتت حبشية: قال الأصمعي: أخضرت من العشب وذهبت شعرتها الأولى وسمنت. وشتت أيضاً بمعنى دخلت في الشتاء.

(٣) المقيظ: زمن القيظ والحر. الرباعية والبازل والسديس من أسنان الإبل. اللقاح: النوق الحوامل. والمعنى آثرناها بالبانها.

(٤) آضت: رجعت. الربل: نبت ينفطر في آخر الصيف فترعاه الظباء. وتيس الربل أنشط من غيره لما اتصل له من المرعى فهو ينزو مرتفع القوائم. تنزو: تثب. ربذات: خفيفات (القوائم). يغتلين: يرتفعن. خنوس تعقب واجتماع وهذا في المشي وفيه ارتفاع.

(٥) الزغف: الدرع اللينة. المفاضة: الدرع الواسعة. الدلاص: الدرع السهلة. الغرب: الحد وأراد به السيف. الأحذ: الخفيف. والضروس السيئ الخلق في الإبل.

نُجِيدُ عليها البَزُّ في كل مازِقٍ
إذا شَهِدَ الجمعُ الكثيفُ خَمِيسا(٦)

تحلّلْ أبيْتَ اللعنَ من قول آثمٍ
على مالِنا ليُقسِّمَنْ خُمُوسا(٧)

إذا ما قطعْنا رَمْلةً وعَدابَها
فإن لنا أمراً أحذُّ غَمُوسا(٨)

أَقيموا بني النعمان عنا صدورَكُم
وإلا تُقيموا كارهين الرُؤوسا(٩)

أكل لئيم منكم ومعلهج
يعد علينا غارة فخُبُوسا(١٠)

الا ابنَ المعَلّى خِلْتَنا وحسِبْتَنا
صراريَّ نُعطي الماكِسين مُكوسا(١١)

فإن تبعثوا عَيْناً تمنّى لقاءَنا
تجِدْ حول أبياتي الجميعَ جُلوسا(١٢)

---

(٦) البز: السلب والغلب. مازق: موقعه.

(٧) تحلل: قل إن شاء الله تعالى بعد يمينك الذي اقسمته. وكان النعمان ابو قابوس قد آلى على نفسه أن يغزو عبدالقيس وياخذ اموالهم ويقسمها اخماساً.

(٨) العداب: الحبل من الرمل. الأحذ: الشديد. الغموس: الغامض والنافذ والقاطع. والمعنى هنا: إذا قطعنا هذا السهل صرنا إلى امر شديد ندخل فيه (وهو يعني حرب النعمان).

(٩) اقيموا صدوركم: ازيلو عوجها والمعنى إذا لم تقبلوا ما ادعوكم إليه من مراجعة الحسنى وترك الشطط رجعتم صاغرين.

(١٠) معلهج: الذي ليس خالص النسب ولا كريم الأصل. الخبوس: الظلم.

(١١) الا ابن المعلى: اراد يا ابن المعلى. الصراري: الملاحون. الماكس: الجابي. المكوس: الضرائب. ابن المعلى: هو الجارود العبدي شخصية هامة وقوية في عبدالقيس ويروى ايضاً كابن المعلى مخاطباً النعمان حيث يقول له: لا تظننا ملاحين يرضون بجور الجائر عليهم ويدفعون المكوس عن ذلة وصغار.

(١٢) عيناً: طليعة. جلوس: مستعدين ومنتظرين القتال.

التخريج:

١ - المفضل الضبي: المفضليات، مفضلية رقم ٧٩ ص ٢٩٧.

٢ - الأنباري: شرح المفضليات، ص ٥٩٧ - ٦٠٠ أسقط البيت رقم ٦، البيت رقم ١ برواية: وإني قد ركبت الشموسا، البيت رقم ٣ برواية: بالمصيف، والبيت رقم ٤ برواية:

واحست كتيس الربل تنزو إذا نزت
على ذرعات يغتلين خنوسا

البيت رقم ٥ برواية: نعد واعد، ورقم ٩ برواية: صاغرين، البيت رقم ١١ برواية: لكابن المعلى.

٣ - التبريزي: شرح اختيارات المفضل الضبي، رقم ٧٩ ص ١٢٨٢ (وفي المرزوقي رقم ٧٤)، وقال يزيد بن خذاق العبدي هذه القصيدة، البيت رقم ٦ برواية في كل مأقط، والبيت رقم ٩ برواية: ضاغرين، والبيت رقم ١١ أكابن المعلى.

٤ - الجاحظ: الحيوان، البيتان رقم ٢، ١١ في ١/٣٤٩، ١/٣٢٧.

٥ - ابن دريد: جمهرة اللغة، البيت رقم ٢ في ١/١٧٣، البيت رقم ٣ في ١/٢٨٢، البيت رقم ٨ في ١/٢٤٦.

٦ - ابن الأعرابي: خيل العرب وفرسانها، ص ٨٣ البيتان ١، ٢ ونسبهما لسويد بن خذاق أخي يزيد وفي ص ٣٠ قال عنهما ليزيد وهذا الصحيح.

٧ - الكلبي: نسب الخيل في الجاهلية والإسلام، البيتان رقم ١، ٢ ص ٨٨.

٨ - أبو عبيدة: الخيل، الأبيات: ١، ٢، ٣، ٤ ص ١٣.

٩ - ابن قتيبة: المعاني الكبير، البيت رقم ٤ ص ٤١ وبهذه الرواية:

فاضت كتيس الربل تعدو إذا عدت
على ذرعات يغتلين خنوسا

١٠ – العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، البيت رقم ٨ ص ١٧٥، البيت رقم ٢ ص ٩٧.

١١ – الأخفش: كتاب الاختيارين، رقم ٧٧ ص ٤٧٣، البيت رقم ٢ وقال سدوس: بمعنى طيلسان أخضر، وأراد أنه صنع فرسه حتى مال لونها الى السواد.

١٢ – ابن السكيت: القلب والإبدال (مجموعة الكنز اللغوي) البيت رقم ٣ ص ٧٨ منسوب إلى سويد بن خذاق.

١٣ – البيت رقم ٢ ورد في المراجع والمصادر التالية:

أ – ابن دريد: جمهرة اللغة في ١/١٧٣.

ب – البكري: في التنبيه ص ٢١.

جـ – البكري: سمط اللآلئ في ١/٥٣، قال يزيد بن خذاق وذكر فرسه وقيل أراد بالدواء اللبن وكان أحسن ما يقومون به على الخيل فالدواء الصنعة وحسن القيام على الدابة.

د – ابن قتيبة: المعاني الكبير، ص ٨٧.

هـ – ابن دريد: الاشتقاق، ص ٣٥١.

٣ - وقال يزيد بن الخذاق

(البسيط)

هل للفـــتى من بناتِ الدهْر من واقِي

أم هل له من حِـمـــامِ الموت من رَاقي[١]

قـد رجّلُوني ومـا بالشّـعـر من شَـعَثٍ

والبـسـوني ثيـاباً غـيـرُ أَخْـلاق[٢]

ورفــعــوني وقــالوا: أيُمـــا رجُلٍ

وأَدْرجــوني كـــاني طيُّ مِـــخْـــراق[٣]

وأرسلوا فـتـيـةً من خـيـرهمْ نَسَـبـاً

ليـسندوا في ضـريح القـبـرِ أَطْبـاقي[٤]

وقـسَّـمـوا المالَ وأرْفَـضَتْ عـوائدُهُمْ

وقـــال قـــائلُهم: مـــات ابنُ خَـذَّاق[٥]

هـوِّنْ عليـك ولا تُولَـعْ بإشــــفـــاقِ

فـــإنما مـــالُنا للوارثِ البـــاقي[٦]

---

(١) بنات الدهر: احداثه ومصائبه. حمام: دنو والحمام قضاء الموت وقدره. الراقي: من الرقية. وراق هو الافضل (بحذف الياء).

(٢) الترجيل: تسريح الشعر. شعث: تفرق. اخلاق: ممزقة وبالية.

(٣) طي مخراق: عمامة يلهو بها الصبيان.

(٤) يسندوا : يريحوا ويضعوا. اطباق: مفاصل، واجزاء الجسم.

(٥) ارفضت عوائدهم: ذهب الزوار. والشاعر هنا (ابن خذاق) يرثي نفسه قبل الموت.

(٦) ولع: لزم، إشفاق: خوف.

التخريج:

١ - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحت عنوان ابنا خذاق ويزيد القائل في ٣٨٦/١[أ].

٢ - المفضل الضبي: المفضليات، مفضلية ٨٠ ص ٢٩٩، نسبها المفضل إلى الشاعر الممزق العبدي وكذلك ثعلب فيما نقل الأنباري أنه قال: الممزق أول من ذم الدنيا، لكن أبا عبيدة في شرح الأنباري أيضاً قال: إنها ليزيد بن خذاق وهذا الصحيح لأنه رثى نفسه.

الأبيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٦ بالترتيب وزاد المفضل البيت التالي:

كأنني قد رماني الدهر عن عرض
بنافذات بلا ريش وأفواق[ب]

والبيت رقم ١ برواية واقٍ وراقٍ وهذا أفضل، والبيت رقم ٢ برواية وما رجلت من شعث والبيت رقم ٤ برواية ضريح الترب.

٣ - الأنباري: شرح المفضليات، ص ٦٠١ الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٦، بالترتيب وزيادة البيت الأخير في المفضلية ٨١، البيت رقم ١ برواية واق وراق، البيت رقم ٢ برواية قد رجلوني وما رجلت من شعث، البيت رقم ٤ برواية:

وأرسلوا فتية من خيرهم حسباً
ليسندوا في ضريح الترب أطباق

وفي الأنباري أيضاً يروى البيت رقم ٣ وأدرجوا في بياض الريط أرواقي.

(أ) نقل ابن قتيبة في «الشعراء» والبكري في «السمط» عن أبي عمرو بن العلاء أن القصيدة ليزيد بن خذاق وأن يزيد هذا قال أول شعر قيل في ذم الدنيا وتجمع أغلب المصادر على نسبتها ليزيد. ويبدو لي أن هذا هو الصحيح وذلك لمجيء البيت الخامس وفيه مات ابن خذاق، وفي نسخه فينا: أودى ابن خذاق. وسبب آخر هو أن يزيد ابن الخذاق كان هجاء فقد ثار على مجتمعه وتمرد على سلطة المناذرة ولذلك شكا الدهر والدنيا ورثا نفسه.

(ب) العرض: الجانب. النافذات: السهام. الأفواق: جمع فوق مجرى الوتر من السهم. والذي يبدو لي أن هذا البيت حقه أن يكون بعد الأول مباشرة فيستقيم المعنى أكثر.

٤ - التبريزي: شرح اختيارات المفضلي الضبي، رقم ٨٠ ص ١٢٨٩ جزء ٣ وهي ليزيد بن خذاق، الأبيات ١، ٥، ٢، ٣، ٤، ٦، بالترتيب مع زيادة بيت المفضلية الأخيرة بين رقم ١ ورقم ٥[أ]، البيت رقم ٥ بهذه الرواية:

إذ غمضوني وما غمضت من وسن

وقال قائلهم: أودى ابن خذاق[ب]

البيت رقم ٢ ورجلوني وما رجلت من شعث، البيت رقم ٤ برواية: من خيرهم حسباً، وأيضا وفي ضَرِيح الترب.

٥ - المرزباني: معجم الشعراء، البيت رقم ٣ ص ٤٩٥ وبهذه الرواية:

وغسلوني وما غسلت من نقل

وأدرجوني كأني طي مخراق

٦ - ابن عبد ربه: العقد الفريد، باب المراثي في ٣/٢٤٤، الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، بالترتيب، ويقول صاحب العقد الفريد تحت باب من رثى نفسه ووصف قبره وقال ابن قتيبة بلغني أن أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره يزيد بن خذاق الشني، البيت رقم ٣ برواية وطيبوني، البيت رقم ٦ جاء في باب الصبر على المصائب، في العقد الفريد أيضاً في ٣/١٠٦.

٧ - البكري: سمط اللآلئ، الأبيات: ١، ٢، ٤، ٥، ٦ بالترتيب في ٢/٧١٣ وذكر البكري رواية أبي عمرو بن العلاء أنها ليزيد بن الخذاق الشني وأيدها، البيت رقم ١ برواية من واق، من راق، البيت رقم ٤ أرسلوا فتية من خيرهم حسباً.

٨ - ابن قتيبة: عيون الأخبار، الأبيات: ١، ٢، ٣، ٦ بالترتيب في ٢/ ٣٠٨.

٩ - العسكري: جمهرة الأمثال، الأبيات: ١، ٢، ٥، ٦ بالترتيب ص ٢٠٧.

(أ) هذا يتفق مع ما اوردناه في الصفحة السابقة، وترتيب التبريزي فيه كثير من الصحة والجودة.

(ب) المفضل المفضليات ص ٣٠٠ (وهذا يتفق مع نسخة فينا).

١٠ - العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، البيت رقم ٦ ص ٣٨٢ ويقول العسكري: وفي شعراء عبدالقيس يزيد وسويد ويزيد جاهلي قديم وهو الذي قال هذه الأبيات.

١١ - الجمحي ، بن سلام: طبقات فحول الشعراء، البيت رقم ١ ص ٢٣٣ وفيه اختلف في القائل فذكر أن العسكري قال: أول من رثى نفسه يزيد وأورد كلام أبي عمرو بن العلاء أيضاً، كذلك أورد البيت رقم ٦ ص ٧٠ وبدون نسبة.



٤ - وقال يزيد بن الخذاق

(الطويل)

نَبَتْ عـيـنُهـا سـفـاهاً وراقـهـا
فـتـىً دون أضـيـافِ الشـتـاءِ شَروبُ(١)
فـتـىً يوم تلقـاهُ صـبـيـحـةَ ديمةٍ
سـمـاكـيـةٍ لهـا السـحـابُ سَكُوبُ(٢)
دَهِينُ القَـفـا يُدْني قَـبـيـعـةَ سـيـفِـهِ
ومـا كلُّ أصـحـابِ السـيـوف صَلِيبُ(٣)

التخريج:

١ - أبو تمام: الوحشيات، رقم ٣١٦ ص ٢٢٢ باب الهجاء قال يزيد بن خذاق.

ن: الأشباه والنظائر، البيتان ١، ٣ في ٩/١ بالترتيب، البيت الأول برواية ها بمعنى بكت، البيت رقم ٣ برواية يدني تبيعة سيفه، وأيضا وما كل أصحاب السيوف نجيب، ويضيف الخالديان في «الأشباه والنظائر». قوله: فتى دون أضياف الشتاء شروب، نهاية في الهجاء فلا يضيف في الشتاء من العرب إلا المبرز في السماحة لشدة البرد وصفر البيوت، كما أن الزاد في الشتاء قليل، وفي الصيف كثير.

---

(١) نبت عينها: بعدت وولت وقبحت وفي رواية اخرى بكت. راقها: اعجبها. شروب: كثير الشرب.

(٢) سماكية: سمك، ارتفع، فهي مرفوعة من سمك السماء اي رفعها.

(٣) دهين القفا: كناية عن البخل وعدم المبالاة. قبيعة السيف: التي تكون على راس قائم السيف وهي التي يدخل القائم فيها، وهي ما على طرف مقبضة من فضة وذهب ايضاً.

٥ - وقال يزيد بن الخذاق

(الطويل)

ذريني أسير في البلاد لعلّني
أُفيدُ غنىً فيه لذي الحقِّ مَحْمل[1]

فإن نحن لم نَمْلك دفاعاً لحادث
تُلم به الأيامُ فالموتُ أَجْمل[2]

أليس كبيراً أن يُلم ملَمةً
وليس علينا في الحُقوق مُعَول[3]

التخريج:

المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤٨١ قال يزيد بن خذاق العبدي وهو شاعر جاهلي.

(٣) يلم ملمة: تنزل به نازلة شديدة. المعول: المستغاث والمعتمد.

٦ - وقال يزيد بن الخذاق(*)

(الطويل)

ولما رأيتُ الدهرَ وعْراً سبيلُهُ
وأبْدى لنا ظَهْراً أجبَّ مُسلَّعا[1]
ومَعْرفةً حصّاءَ غيرُ مُفاضةٍ
عليه ولوناً بالعَثانين أجْدَعا[2]
وجبهةَ قردٍ كالشِّراكِ ضئيلةٍ
وصعَّرَ خديه وأنفاً مُجَدَّعا[3]
هنالك ذكرتُ الذاهبين أُولي النُّهى
وقلت لعمرو والحُسام ألا دَعا؟[4]
فإني أرى الحيّين كعباً ودارِماً
أصابهم دهرٌ وإنْ كان مُفْجِعا[5]

(*) هذه القصيدة وردت تحت عنوان شاتم الدهر العبدي وأحياناً العبقسي ومن قول أبي عمرو بن العلاء السابق: إن يزيد أول من قال شعراً في ذم الدنيا وشتم الزمان، لذلك أرى أن تكون هذه القصيدة ليزيد لأنه هو الذي هجا الزمان من شعراء عبدالقيس وأبيات هذه القصيدة جاهلية بدلالة الألفاظ والمضامين فيها.

(١) الأجب: المقطوع وتستعمل في الأصل للجمل المقطوع السنام. المسلع: المشقق.

(٢) المعرفة: منبت عرف الفرس. حصاء: لا شعر عليها. غير مفاضة: غير مرسلة الشعر. بالعثانين: المغبر. الأجدع: المقطوع الإذن والأنف.

(٣) الشراك: سير النعل على ظهر القدم. صعر: أمال عنقه تكبراً. والشاعر هنا جعل للدهر ظهراً أجب ومعرفة حصاء ولوناً كالعثانين وجبهة كالقرد وقد صعر الدهر خديه وشمخ بأنفه المجدوع.

(٤) عمرو: شخص خاطبه الشاعر. الحسام: السيف. ألا دعا: اتركا.

(٥) كعب، دارم: من بني تميم.

أرى كلَّ مـــافــونٍ وكلَّ حَـــزَنْبَلٍ
وترعـيــةٍ شــهـداريةٍ قــد تَضَلَعـا(٦)

وسـامىَ المعـالي يَبْـتـغـيـهـا لنفســه
فــيــا لك دهراً لا يزالُ مُــروِّعــا(٧)

التخريج:

١ - أبو تمام: الوحشيات، رقم ٣٦٢ ص ٢٢٠ باب الهجاء، وذكر اسم الشاعر فقال: شاتم الدهر العبدي.

٢ - الآمدي: الموازنة بين الطائيين، الأبيات ١، ٢، ٣ بالترتيب في ٢٥٨/١، قال صاحب الموازنة هذه الأبيات لشاعر أعرابي تملح بهذه الاستعارات في هجائه للدهر وجاء بها هازلاً، ومن مثل تلك الاستعارات احتطب أبو تمام وغيره من الشعراء فأبو تمام يقول:

يـا دهر قـــوم من أخــدعـيــك
فكم أضـجـجـت هذا الأنام من خـرقك

والبيت رقم ٢ برواية ولوناً ذا عثانين.

٣ - العسكري: كتاب الصناعتين، الأبيات ١، ٣، ٢ بالترتيب ص ٣٠٣، والبيت رقم ٢ برواية ولوناً ذا عثانين أنزعا.

٤ - الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، الأبيات: ١، ٢، ٣ ص ٤٣٠، قال شاتم الدهر العبقسي.

٥ - المعري: رسالة الغفران، الأبيات: ١، ٣، ٤، بالترتيب ص ٣٦١، البيت رقم ١ برواية:

ولما رأيت الدهر وعــراً ســبـيـلـه
وأبدي لنا وجــهــاً أزب مــجــدعــا

البيت رقم ٣: ولوى بالعثانين أجدعا. البيت رقم ٤ برواية: ذكرت الذاهبين أولي الندى.

---

(٦) مافون: سيئ. حزنبل: قصير. ترعية: من الرعاية. شهدارية: اسم مكان. تضلع: امتلاء.

(٧) مروع: مخيف.

٧ - وقال ابن خذاق

(وتنسب إلى يزيد)(*)

(الوافر)

لقــد علمتْ عُـمَـيْـرةُ أن جَـاري
إذا ضَنَّ الـمُـنَمِّى من عِـيـالي(١)
فـإنـي لا أضِنُّ علـى ابـن عـمـي
بـنصـري في الخُطوبِ ولا نَوَالي(٢)
ولـسـت بقـائلٍ قـولاً لأحْظى
بقـولٍ لا يُصـدِّقـه فَـعَـالى(٣)
ومـا الـتـقـصـيرُ قد علمتْ مَـعـدٌّ
وأخـلاقُ الدنيَّـةِ من خِـلالي(٤)
وجـدتُ أبي قـد أوْرثـه أبُوه
خِـلالاً قـد تُعـدُّ من المعـالي(٥)
فـأكـرمُ مـا تكونُ عليَّ نفـسي
إذا مـا قلَّ في الأزمـاتِ مـالي(٦)

(*) يبدو أن هذه القصيدة قد تجمعت أبياتها وتداخلت من أبيات لشاعرين الأول يزيد بن الخذاق الشني من عبدالقيس جاهلي، والثاني بشر بن منقذ وهو الأعور الشني من شن من عبدالقيس اسلامي، وقد وقع القالي والبكري في هذا الإشكال فلم يفصلا في الشعر فتارة هو للأعور وتارة لابن خذاق.
ولذا فقد رأيت أن أورد القصيدة كاملة وانبه على ان بعض الأبيات تحمل روحاً إسلامية مثل رقم ١١، ١٢، ١٣، وسواء أكانت لابن خذاق أم للأعور الشني فالذي يشفع لها أنها لعبدالقيس (ابن خذاق هو يزيد في عيون الأخبار في ٣٠٨/٢) وفي انساب الخيل للكلبي ٩٠.
(١) المنمي: الذي يزيد وينمو ويكبر وهي بمعنى الغنى، ويروي المثمر.
(٢) نوال: عطاء.
(٤) الدنية: الأمر السيئ.

فتحسُنُ سيرتي وأصونُ عِرضي
ويجمُلُ عند أهلِ الرأي حالي[7]

وإن نلتُ الغنى لم أغْلُ فيه
ولم أَخْصُصْ بجفوتِيَ الموالي[8]

ولم أَقْطع أخاً لأخٍ طريفٍ
ولم يذمُمْ لطرفته وصالي[9]

وقد أصبحتُ لا احتاجُ فيما
بلوتُ من الأمور إلى سُؤالي[10]

وذلك أنني أدّبتُ نفسي
وما حلتُ الرجالَ ذوي المُحالِ[11]

إذا ما المرء قصَّر ثم مرَّتْ
عليه الأربعون من الرِّجالِ[12]

ولم يلحقْ بصالحِهم فدعه
فليس بلاحقٍ أُخْرى الليالي[13]

وليس بزائلٍ ما عاش يوماً
من الدنيا يحُولُ على سَفَالِ[14]

التخريج:

١ - القالي: الأمالي، الأبيات ٥، ٦، ٧ ص ٢٠٣ جزء ٢، أما بقية الأبيات ص ٢٠٧ جزء ٢ وقال أبو علي القالي: إنها لابن الخذاق العبديّ ص ٢٠٣ ثم قال: هي للأعور الشني ص ٢٠٧.

---

(٨) جفوة: ابتعاد. الموالي: القبيلة ومواليها.

(٩) الطرفة: الحديث الجيد مطرف من المال: مكتسب حديثاً. وصال: دوام، مواظبة.

(١١) ماحل: احتال. خادع: خاصم.

(١٤) سفال: نزول وذل وهبوط.

٢ - البكري: سمط اللآلئ، في ٢/٨٢٦ قال البكري: الشعر للأعور الشني إلا أبياتاً منه إنما التبس الأمر على مَنْ قال: إنها لابن خذاق من أجل شعر ابن خذاق الذي على الوزن والروى، والغريب أن البكري يورد البيتين ١٠، ١١ ويقول: هما للأعور الشني ثم يقول بعد ذلك: هذا الشعر ليزيد بن خذاق.

٣ - البصري: على بن أبي الفرج، الحماسة البصرية، رقم ١٧٦ ص ٦٨ جزء ٢، الأبيات بالترتيب: ١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ومنسوبة إلى الأعور الشني واسمه جهيم من شن، ويقول صاحب الحماسة تنسب إلى يزيد بن خذاق، وهم البصري فجهيم هو ابن الشاعر الأعور الشني وكان له ولدان جهيم وجهم وهما شاعران.

٤ - الخالديان: المختار من شعر بشار، ص ٩١ الأبيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ - منسوبة إلى الأعور الشني.

٥ - الآمدي: المؤتلف والمختلف، البيتان ١٢، ١٣، للأعور الشني بن عبدالقيس ص ٩١.

٦ - مجهول: مجموعة المعاني، ص ٣٠ البيتان ١٢، ١٣.

٧ - البحتري: الحماسة، في صفحات ٧١، ١٠٣، ١٤٤، ٢٣٥، أبيات متناثرة ومنسوبة إلى الأعور الشني.

٨ - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، الأبيات جميعها منسوبة إلى الأعور الشني ص ٦٣٩.

٩ - الخالديان: الأشباه والنظائر، في ٢/ ١٢٧.

****

3294

١ - قال سُوَيْد بن الخذّاق(*)

(الطويل)

جــزى اللّهُ قَــابوسَ بن هنـدٍ بفـيـعلِهِ
بـنـا واخــاهُ غَــدْرةً وآثـامـــا(١)
بما فـــجُــرا يوم العَطِيف وفــرّقــا
قــبـائلَ أحْـلافـاً وحـيّـاً حَـرَامـا(٢)
لـعل لَبُـــــونَ الــمُـلكِ تمنـعُ دُرُّهـا
ويبـعثُ صـرفُ الدهرِ قـومـاً نِيـامـا(٣)
وإلا تُغــــادِيْنـي المنيّـــة أغْـــشـكم
على عـدواء الدهر جـيـشـاً لُهـامـا(٤)

التخريج:

ابن قـتـيـبـة: الشـعـر والشـعـراء، ص ٣٨٧ رقم ٦٥٨، سـويد ويزيد ابنا خـذاق من عبدالقيس وهما قديمان كانا زمن عمرو بن هند.

(*) هو اخو يزيد بن الخذاق فهو شني وعبدي وقد عاش زمن عمرو بن هند ويذكر هنا اسم اخيه قابوس واسم اخ اخر لم يذكره لنا ولعله اراد عمرو بن هند نفسه.

(١) قابوس بن هند: اخو عمرو بن هند حكم من بعده ودام حكمه ٤ سنوات، جواد علي ١١٤/٤.

(٢) العطيف: لعله القطيف وهو الاصح.

(٣) لبون الملك: نياق.

(٤) تغاديني: تتركني. عدواء: شواغل صنائع. اللهام: الكثيف.

٢ - وقال سويد بن الخذاق

(الطويل)

أبَى القلبُ أن ياتي السديرَ وأهلَهُ
وإن قيل عيشٌ بالسَّديرِ غزيرُ[١]
به البقُّ والحمّى وأسدٌ خفيةٌ
وعمرو بن هندٍ يعتدي ويجورُ[٢]
فلا أنذرُ الحيُّ الذي نزلوا به
وإني لمن لم يأتِهِ لَنَذيرُ[٣]

التخريج:

١ – ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٣٨٦ رقم ٦٥٧، وسويد مع أخيه يزيد قديمان كانا زمن عمرو بن هند، البيت الثالث ليس في الشعر والشعراء.

٢ – ديوان سلامة بن جندل ص ٢٤٠ والأبيات منسوبة إليه.

٣ – البصري علي بن أبي الفرج: الحماسة البصرية ص ٢٠٢/٢ تنسب إلى سويد.

٤ – ابن الأنباري: شرح القصائد الجاهليات، ص ١١٥ وتنسب للذهاب العجلي وقيل: إن القصيدة للجمال بن سلمة من جذيمة من عبدالقيس وهذا بعيد وقيل: إن البيت الأخير زاده أبو عبيدة.

---

(١) السدير: قصر من قصور المناذرة.

(٢) خفية: اجمة ملتفة يتخذ فيها الأسد عرينه.

٣ - وقال سويد بن الخذاق

(الطويل)

كَـبـرتُ وطال الـعـمـرُ حـتى كـأنما
رَمَى الدهر منيَ كلُّ عُـضْـوٍ باهْزَعـا[١]
غنمْتُ بعـيـري شَـيخ من سُـئِلتْ بـه
فـتـاةُ بني من كـان ازْمـان تُبَّـعـا[٢]

التخريج:

السجستاني، أبو حاتم بن سهل بن محمد (ت ٢٥٠هـ): المعمرون والوصايا، ص ٤٠

وقد عاش سويد بن خذاق من عبدالقيس ٢٠٠ سنة وقال في هذه الأثناء هذين البيتين.

(١) يبدو لي أن هذين البيتين من ناحية القافية والوزن والمضمون لشاتم الدهر العبدي الذي هو يزيد ابن الخذاق العبدي وإنهما من قصيدته السابقة التي وردت تحت رقم ٦، ص ٣٦٥ وردت في الوحشيات ص ٢٢٢.

(٢) اهزع: أخر سهم في الكنانة. تبع: من القدامى الهالكين.

٤ - وقال سويد بن الخذاق

(الطويل)

وليس الغنى والفقرُ من حيلةِ الفتى
ولكنْ أحَاظٍ قُسِّمَتْ وجُدُودُ[١]

التخريج:

١ - ابن دريد: جمهرة اللغة، في ٦٢/١ ويقال: إنه (هذا البيت) ينسب إلى المعلوط القريعي.

٢ - البصري، على بن أبي الفرج: الحماسة البصرية، في ٢٠٢/١ منسوبه إلى أعرابي من قريع ضمن ٤ أبيات من قصيدة له:

متى يرى الناس الغني وجاره
فقير يقولوا عاجز وجليد

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً
فمطلبها كهلاً عليه شديد

(١) أحاظ: جمع حظ. جدود: حظوظ.

٥ - وقال سويد بن الخذاق

(الطويل)

ضَـرَبَتْ دوسـرُ فـينا ضَـرْبةً
أثبـتتْ أوتادَ ملكٍ فاسْـتَـقَـرّْ[١]
فـجـزاك اللّهُ من ذي نـعـمةٍ
وجـزاه اللّهُ من عـبـدٍ كَـفَـرْ[٢]

التخريج:

١ – المفضل الضبي: المفضليات، ضمن شرح مفضلية ٧٨ ص ٢٩٥ قال سويد أخو يزيد هذين البيتين.

٢ – ابن دريد: الاشتقاق، سويد قائل هذين البيتين.

٣ – ابن دريد، الجمهرة، قال ابن خذاق في ٣/٣٦١.

٤ – ديوان المثقب العبدي – تحقيق حسن كامل الصيرفي ص ٧٤ وص ٧٨ والبيتان منسوبان إلى المثقب العبدي من قصيدة رائية له ويبدو هذا هو الصحيح.

---

(١) دوسر: إحدى كتائب النعمان بن امرئ القيس وكانت لتنوخ (المناذرة) ومعها كتيبه اخرى هي الشهباء وكانت دوسر اخشن الكتائب واشدها بطشاً وكانت من قبائل العرب واكثرها من ربيعة وسميت دوسر اشتقاقاً من الدسر وهو الطعن، وفي تحقيق الصيرفي ٧٦ دوسر كتيبة مشهورة لملوك لخم يضرب بها المثل.

(٢) جزاك الله مخاطباً عمرو بن هند، وجزاه الله مخاطباً المتمرد على عمرو بن هند.

٦ - وقال سويد بن الخذاق

(الوافر)

صَفيٌّ وابن أمي والمُواسي
إذا ما النفسُ شارَفَت الوريدا

التخريج:

الكنز اللغوي، ص ١٩٩.

٧ - وقال ابن خذاق العبدي

(الكامل)

امنع من الأعداءِ عِرضكَ لا تكُنْ
لحماً لآكِلِهِ بعودٍ يُشْتَوى

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ١٦٩ رقم ٨٩٨، باب ١٢٧ ما قيل في المجازاة بالسوء ومنع الناحية.

****

418

١ - ثعلبة بن عمرو(*)

(المتقارب)

أأسْمَاءُ لم تسألِيّ عن
أبيكِ والقومُ قد كان فيهم خُطُوبْ(١)

وإن عريباً وإن ساءَني
أحبُّ حبيبٍ وأدنى قريب(٢)

سأجعلُ نفسي له جُنَّةً
بشاكي السلاح نَهيكٍ أريب(٣)

وأهلكَ مُهرَ أبيك الدواءُ
ليس له من طعامٍ نصيب(٤)

(*) هو ثعلبة بن حزن بن زيد مناة بن الحارث بن ثعلبة بن سليمة بن مالك بن عامر بن الحارث بن أنمار ابن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس، ويقول شارح المفضليات ص ٢٥٣ والظاهر عندنا أن أباه اسمه عمرو ولقبه حزن وهذا أصح.

وذهب الأصمعي أن ثعلبة بن عمرو رجل من بني شيبان حليف في بني عبدالقيس لكن ابن دريد يؤكد أنه من فرسان عبدالقيس وشعرائهم ص ٣٢٨ ويتفق هذا مع المفضليات (وهو الصحيح).

(١) أسماء: ابنة الشاعر وقيل بل هي أسماء أم حزنة امرأة من بني سليمة من عبدالقيس، والأول أفضل لأنه يخاطبها قائلاً: لم تسالي عن أبيك. أما أم حزنة فهي أم الشاعر وينسب إليها أحياناً فيقال ابن أم حزنة، خطوب: أحداث وأمور.

(٢) عريب: فرس الشاعر وعن المرزوقي أنه اسم رجل، ويذكر أن منزلة عريب ارفع منزلة رغم إساءته إليه، ولذا يبدو لي أن عريب رجل أساء إلى الشاعر.

(٣) الجنة: الوقاية. شاكي السلاح: سلاحه ذو شوكه. النهيك: الشجاع. الأريب: الداهية. الشاعر يكن لعريب وداً ويفديه بنفسه.

(٤) الدواء: ما يداوى به الفرس للضمر وأراد أهلك المهر ترك الدواء، فالشاعر هنا يسوق خبر مهره الذي أهلكه ترك الدواء والرعاية الجيدة.

خــــلا أنـهـم كـلـمــــــا أَوْردوا
يُضـيّحُ قَـعْـبــاً عليــه ذَنوبْ(٥)

فـيــصــبحُ حــاجلةُ عــينهُ
لحِنْو استِـهِ وصـلاهُ غُـيـوب(٦)

فـاعــددْتُ عــجْلَى لحـسنِ الدواءِ
لم يـتلمَّسْ حـشــاها طَبـيـب(٧)

أخي وأخــوكَ ببطنِ النُسَـيْــرِ
لـيس بـه من مَــعَــدٌ عَــريب(٨)

فـــاقــسم بـاللّـه لا يَـأْتـلـى
واقــســمتُ إن نِلْـتُـه لا يَؤُوب(٩)

فـاقــبلَ نحــوي على قُــدْرةٍ
فلمــا دنا صــدَّقَــتــه الكَذوب(١٠)

أحـــال بـهـــا كــفُّــهُ مُــدْبراً
وهل ينجــيـنْك شـــدٌّ وعَــيـب(١١)

(٥) الضيـاح: اللبن الممزوج بالماء. يضيح: يسقي. القعب: القدح. الذنوب: الدلو. كلما أوردوا إبلهم سقوه قعباً من لبن.

(٦) حاجلة: غائرة. حنو استه: حرفها. الصلاه: ما حول الذنب. غارت عينه وغاب عجزه ونتات عظامه فهو ضعيف هزيل.

(٧) عجلى: اسم فرس الشاعر. اعددت عجلى: لم يصيبها عنت فتحتاج إلى بيطار وهنا يشير إلى انه قام على خدمتها واحسن صنعتها ورعايتها فهي سليمة لا عيب فيها.

(٨) النسير: موضع بديار عبدالقيس (منازل عبدالقيس). عريب: احد، وينتقل الشاعر هنا إلى تصوير لقاء بينه وبين احد اعدائه في بطن النسير.

(٩) لا ياتلي: لا يقصر بها. لا يؤوب: لا يرجع.

(١٠) اقبل نحوي مقتدراً. الكذوب: النفس. وقد كانت كذبته إذ اطمعته في دم الشاعر.

(١١) احال بها: الضمير للفرس، ولى هارباً. الشد: الجري. الوعيب: الكثير. الكف: الشمال لان العنان بها. والمعنى هل تنجو بان تستوعب ركض فرسك اجمع.

فَـــتــبـــعـــتُـــهُ طعنةُ ثرَّةٌ
يســيلُ على الوجــه منهــا صــبـيـب[١٢]
فـــإن قـــتلتـــه فلـم آلُـه
وإن ينْجُ منهـــا فـــجُــرْح رَغــيـب[١٣]
وإن يَـلْـقـني بـعــــدهـا يـلـقـنـي
عليــه من الذُلِ ثوبٌ قَــشـــيـب[١٤]

التخريج:

١ – المفضل الضبي: المفضليات، مفضلية رقم ٦١ ص ٢٥٣.

٢ – الأنباري: شرح المفضليات، ص ٥١١ – ٥١٤ ويذكر روايات لبعض الأبيات، رقم ١ يروى (يا أسم ألم تسألي) والأصمعي (أسماء ألم تسألي)، رقم ٧ (أعددت عجلى ليوم الهياج) وروى حماد (أعددت عجلى لنقع الصباح)، رقم ٩ (أقسم ينذر نذراً دمي.. وأقسمت إن جئته لايؤوب)، رقم ٨ (أخي وأخوك لبطن المسيب)، رقم ١١ (وهل ينجيك ركض وعيب) وحماد (وهل ينجبك ملع وعيب)، رقم ١٢ يروي الأصمعي (يسيل على المتن منها صبيب).

٣ – التبريزي: شرح اختيارات المفضل الضبي، رقم ٦١ ص ١١٢٩ جزء ٣، قافية مضمومة وقد أورد جميع الأبيات كما في المفضليات وأشار إلى روايات منها.[أ] رقم ٦ فتصبح، رقم ٧ رواية حماد (وإعددت عجلى لنقع الصباح). ١١ روايه حماد (وهل ينجيك ملع وعيب). ١٢ الأصمعي (يسيل على المتن منها).

---

(١٢) الثرة: الواسعة في مخرج الدم، ويورد الأصمعي: يسيل على المتن منها صبيب، لأنه الشاعر طعن عدوه وهو مول.

(١٣) لم آله: لم اقصد فيه. الرغيب: الواسع. إن أصابته الطعنة وقتلته فذلك أردت وإن صح منها فقد تركت له جرحاً واسعاً.

(١٤) القشيب: الجديد. يلقياني وقد البسته مذلة لا تبلى.

(أ) فارس شاعر وساق نسبه فهو ثعلبة بن حزن بن زيد بن الحارث بن ثعلبة بن سليمة بن مالك بن عامر ابن الحارث بن أغار بن عمرو بن وديع بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس، وقد نسب إلى امه فقيل ابن ام حزنة (نوادر المخطوطات ٨٩/١).

٤ - الأخفش: كتاب الاختيارين، رقم ٤٤ ص ٢٥٣[أ] جميع الأبيات، قال رجل من شيبان حليف في عبدالقيس، والأبيات بهذا الترتيب عند الأخفش: ٢، ٣، ١، ٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١١، ٧، ١٢، ١٣، ١٤، البيتان الثاني والثالث القافية بائية مكسورة وبقية الأبيات القافية مضمومة، رقم ٤ أهلك، رقم ٦ فتصبح، رقم ٨ لبطن المسيب، رقم ١١ أمال بها كفه وأيضاً ركض وعيب، ٧ بهذه الرواية:

فأردفته كصفاة المسيل

لم يتلمس حشاها طبيب[ب]

رقم ١٢ وأتبعته، وأيضاً: يسيل على النحر منها صبيب.

٥ - القالي: الأمالي، البيتان ٤، ٦ في ١/١١.

٦ - ابن الأعرابي: أسماء خيل العرب وفرسانها، البيت رقم ٧ ص ٨٤.

٧ - البكري: التنبيه، ص ٢٠ الأبيات: ١، ٤، ٥، ٦، ٩، ١٢، ١٣ بالترتيب وبقافية بائية مضمومة، البيت رقم ٥ برواية يضيع قعباً، والصحيح يضيح أي يشرب، البيت رقم ٩ برواية لأقسم، والبيت رقم ١٢ برواية فاتبعته، وأيضاً: يسيل على النحر منها صبيب، رقم ١٣ فإن قتلته فلم أرقه، وذكر البكري أن الشعر لثعلبة بن عمر الشيباني يخاطب أسماء أم حزنة امرأة من بني سليمة من عبدالقيس وهذا الشيباني طعن أبا أسماء، وقد بينا أن أم حزنة هي أم الشاعر وأن أسماء هي ابنته.

٨ - البكري: سمط اللآلئ، في ١/٥٢ - ٥٣ الأبيات: ١، ٤، ٦، ٩، ١٢، ١٣، البيت رقم ١٠ في ١/٣٣٠.

(أ) ٦١ في الأنباري والتبريزي، ٥٦ في المرزوقي، ٧٢ في المفضليات بالمتحف البريطاني والقصيدة في رواية المفضل مقيدة القافية وإطلاقها عن الأصمعي.

(ب) رواية المفضليات أفضل. وصفاة المسيل: اتان المسيل وهي صخرة شديدة صلبة لأنها تشرب الماء وتصيبها الشمس فتصلبها.

٩ - البكري: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، البيتان رقم ١٢، ١٣ في ص ١٣٨، البيت رقم ١٢ برواية يسيل على النحر منها صبيب، والبيت رقم ١٣ برواية فإن ينج منها فلم أرقه، وكانت العرب تزعم أن الرجل إذا طعن آخر فنفث الطاعن عليه ورقاه يبرأ المطعون.

١٠ - البيت رقم ٨ في المصادر والمراجع التالية:

أ - البكري: معجم ما استعجم، ١٣٠٨/٤ قال ثعلبة بن أم حزنة وبرواية أخي وأخيك (بالكسر).

ب - الزمخشري: الأمكنة والمياه والجبال، رقم ٥٧ ص ٢١٦ قال ثعلبة العبدي وبرواية:

اخي واخـــوك ببطن النســـيـــر
وليس بـهـــا من مـــعـــد عـــريب

ج - البغدادي: مراصد الاطلاع، ١٣٧١/٣ قال ثعلبة بن عمرو: والنسير موضع في بلاد العرب به يوم لهم.

١١ - الأصمعي: كتاب الإبل (مجموعة الكنز اللغوي)، ١٨٦ البيت رقم ٦ قال أحد بني سليمة وهو ثعلبة بن عمرو العبدي.

١٢ - ابن منظور: لسان العرب، رقم ٦ مجلد ١١ ص ١٤٦، رقم ٤، ٥ بمجلد ١٨ ص ٣٠٦ عن الأصمعي لثعلبة بن عمرو العبدي. رقم ٤، ٦ مجلد ١٣ ص ١٠٦.

١٣ - ابن أبي ثابت: خلق الانسان، ص ١٤٤ قال أخو بني سليمة العبدي، وذكر البيتين رقم ٤، ٦.

١٤ - ابن قتيبة: المعاني الكبير، البيت رقم ٤ في ١/ ٨٧ قال ثعلبة بن عمرو العبدي.

١٥ - ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، البيت رقم ٨ ص ١١٤.

٢ - وقال ثعلبة بن عمرو(*)

(الطويل)

لِمَنْ دِمَنٌ كـأنهنّ صحائِفُ
قـفـارٌ خـلا منها الكَثـيبُ فـواحِفُ(١)

فـمـا أحـدثتْ فـيـهـا العُـهـودُ كـأنما
تَلَعّبُ بالسمّانِ فـيـهـا الزُّخـارف(٢)

أَكبُّ عليها كـاتبٌ بدواته
يـقـيمُ يديه تـارةً ويُخـالـف(٣)

رجـا صُنْعـه مـا كـان سـاجـيـاً
ويرفعُ عـيـنيه عن الصنعِ طارف(٤)

وشـوهـاءَ لـم تُـوشَـمْ يـداهـا ولـم تُـذلْ
فـقـاظتْ وفـيـهـا بالوليدِ تَقـاذُف(٥)

(*) القصيدة في الفخر والحرب تحدث فيها الشاعر عن فرسه ودرعه ورمحه وقوسه وسيفه وكلها عتاده في الحرب.

(١) الدمن: جمع دمنة آثار الناس وما سودوا بالرماد. صحائف: كتب. وأراد ما فيها من النقش والكتابة. الكثيب: قرية بالبحرين لبني محارب بن عبدالقيس (معجم البلدان ٤٣٨/٤) وواحف أيضاً موضع في بلاد عبدالقيس (معجم البلدان ٣٤٣/٥).

(٢) العهود: الأمطار. السمان: الأصباغ.

(٣) يسوي سطوره مرة ويخالف اخرى ويجئ بها على غير استواء ويقول ابو عمرو: شبه آثار الدار بكتب الفرس لأنها مخالفة لكتب العربية.

(٤) ساجياً: ساكناً. الطارف: العين وما يطرفها. صور انكبابه على الكتابة والرسم.

(٥) شوهاء: الحسنة الخلق والمرتفعة وهي فرس ثعلبة. لم توشم يداها: نقيه وليس بها عيب. فقاظت: أتى عليها القيظ. التقاذف: التدافع. الوليد: العبد.

وتُعطيكَ قبل السَّوطِ ملءَ عنانِها
وإحضارَ ظبيٍ أخطأته المجادِفُ(٦)
بَلَلتُ بها يوم الصراخ وبعضهم
يخبُّ به في الحيِّ أورقُ شارف(٧)
ببيضاءَ مثل النُّهى ريح ومدَّه
شآبيبُ غيثٍ يحفِشُ الأُكْم صائف(٨)
ومُطَّردٍ يُرضيكَ عند ذَوَاقِهِ
ويمضي ولا ينأدُ فيما يُصادف(٩)
وصفراءُ من نبعٍ سلاحُ أعدُّها
وأبيضُ قصالُ الضريبةِ جائفِ(١٠)
عتادُ امرئٍ في الحرب لا واهنِ القوى
ولا هو عمّا يقدرُ اللّهُ صارف(١١)
به أشهدُ الحربَ العَوانَ إذا بدتْ
نواجذُها واحمرُّ منها الطَّوائف(١٢)

(٦) ملء عنانها: تعطيك عدواً كثيراً وسريعاً دون سوط. إحضار: عدو. المجادف: ما يجدف به الإنسان من رمي وغيره.

(٧) بللت بها: ملكتها. الصراخ: الاستغاثة. يقول اجبت عليها من استغاث. الأورق: البعير لون الرماد، ويقال له الأم الإبل. شارف: هرم وكبير..

(٨) البيضاء: الدرع. النهى: الغدير. والعرب تشبه الدرع بالغدير. ريح ومده: اصابته الريح فالغدير اصفى وانقى. الشابيب: الدفعة من المطر. يحفش: يقشر. الأكم: المرتفعات. صائف في الصيف. في البيت إقواء لأن صائف صفة الغيث. إلا إذا كان مرفوعاً على القطع.

(٩) المطرد: الرمح. يرضيك عند ذواقه: يعجبك وانت تقلبه. يناد: يرجع وينعطف. فهو يمضي في المطعون لانه ماض.

(١٠) الصفراء: القوس. النبع: شجر يتخذ منه القسي والسهام. الأبيض: السيف. قصال: قطاع. جائف: يبلغ الجوف.

(١١) عتاد: عدة المحارب، فالشاعر هنا قد اعد هذه الأسلحة التي ذكرها. يقدر الله: يقضي.

(١٢) العوان: القوية. الطوائف: النواحي. احمرت نواحيها لكثرة ما سفك من دماء.

قــتــال امــرئ قــد أيقنَ الدهرَ أنه
من الموتِ لا ينجــو ولا الموتُ جــانف[١٣]
ولـو كنتُ في غُـمْـدان يحــرُسُ بابَهُ
أراجــيلُ أُحْــبُــوشٍ وأســودُ آلف[١٤]
إذاً لأتـتـني حــيث كنت منيُّـــتي
يـخُبُّ بـهـــا هــادٍ لإثْري قـــائـف[١٥]
أمنْ حَـــذَرٍ آتي المـهـــالكَ ســـادِراً
وأيةُ أرضٍ ليس فــيــهــا مَــتَــالف[١٦]

التخريج:

١ - المفضل الضبي: المفضليات، مفضلية ٧٤ ص ٢٨١، تحت عنوان قال ثعلبة بن عمرو العبدي.

٢ - الأنباري: شرح المفضليات، ص ٥٥٩ - ٥٦٢ وأورد منها ١٢ بيتاً فقط وقد حذف منها الأبيات: ٤، ١١، ٣، ١٣، وأورد قال ثعلبة بن حزن العبدي، البيت رقم ٢ برواية: بالسمار (وهو صبغ)، والبيت رقم ٣ برواية: يسوي سطوره مرة ويخالف، البيت رقم ٩ برواية: ومطرد يروي إذا لم تصب به، البيت رقم ١٠ برواية: وأبيض أني للبوائق خائف.

٣ - التبريزي: شرح اختيارات المفضل الضبي، رقم ٧٤ ص ١٢٢٤، البيت رقم ٢ برواية: تلعب بالسمار، والبيت رقم ٦ برواية: أخطأتها بدلاً من أخطائه، والبيت رقم ٨ برواية: مثل النهى قد مد ماء، والبيت رقم ١٠ بهذه الرواية:

---

(١٣) جانف: مائل بمعنى أن الموت لا يدعه.
(١٤) غمدان: حصن منيع في اليمن وهو قصبة صنعاء. أراجيل: رجال جمع أرجال وهي جمع راجل. الأحبوش: الحبش. الأسود: الحية السوداء. الآلف: الأنس بالمكان.
(١٥) يخب: يسرع. قائف: يقوف الآثار أي يتبعها.
(١٦) السادر: لا يهتم بشيء وهو اللاهي. متالف: مهالك. وهو هنا يقول: أية أرض ليس فيها متالف فيستسلم للقدر ويعترف بأن الاحتراس لا يفيد ولا ينفع.

وصـــفــراء من نبـع ســلاحي، وصـــبــغـــة

وابيض قـــصــــال الضـــريبـــة جـــائـف

ويروى: وأبيض أنى للبوائق جائف. (والصبغة بمعنى السهام) وهذه القصيدة عند المرزوقي رقم ٦٩.

٤ – البحتري: الحماسة، ص ٩٧ رقم ٤٤٠ باب ٥٢، ما قيل في اليأس من البقاء وحذر الموت وترقبه وقلة الحيل فيه، البيتان رقم ١٤، ١٥ لثعلبة بن حزن العبدي، البيت رقم ١٤ أسقطت منه الواو، البيت رقم ١٥ برواية: يخب بها هاد إلي وقائف.

٥ – الأصفهاني: الأغاني، في ١٣/٨ طبعة بيروت، الأبيات: ١٤، ١٥، ١٦ منسوبة إلى أبي الطمحان القيني فقد عاتبته امرأته وكان لصاً خبيثاً وأكثرت من لومه فقال الأبيات الثلاثة الماضية، البيت رقم ١٤ برواية:

لـو كـنـت فـي ريمـان تحـــــرس بـابـه

أراجـــيل أحــــبــــوش واغــــضف آلف

والبيت رقم ١٦ برواية:

فـــمـن رهبـــة آتى المتـــآلف ســـادراً

وأية أرض ليس فـــيـــهـــا مـــتـــالف

والاضطراب هنا بائن في الأبيات وأرجح أنها لشاعرنا ثعلبة بن عمرو وليست للقيني.

٦ – أوس بن حجر: ديوان شعره، البيتان رقم ١٤، ١٥ ص ٧٤، البيت رقم ١٤ برواية:

ولـو كـنـت فـي ريمـان تحــــرس بـابـه

أراجـــيل أحــــبــــوش واغــــضف آلف

وفي اعتقادي أن القصائد الفائية وعلى ذات الوزن تداخلت أبياتها مع بعضها البعض.

٣ - وقال ثعلبة بن عمرو

(الوافر)

فكان أخي زعيمَ بني حُيَيٍ
وكلُّ قبيلةٍ ولهمْ زعيمُ[١]

كأني يومَ فارعةِ المُنَقَّى
على أني كظمتُ لها أميم[٢]

هجمتُ بحدِ سيفي ثم جاشتْ
إليَّ النفس وابْتهشت رَعُوم[٣]

ألومُ النائباتِ من الليالي
وما تدري الليالي من ألُوم[٤]

بلى إن المنيَّة لو أُصيبتْ
بمقتلِهِ هي الثأرُ المُنيم[٥]

التخريج:

١ - أبو تمام: الوحشيات، ص ١٣٦ باب المراثي قال ابن أم حزنة العبدي.

---

(٢) فارعة المنقى: يوم من أيام العرب. الأميم: من ضرب على أم راسه.

(٣) جاشت: ثارت. رعوم. اسم امرأة.

(٥) المنيم: الذي لا يدعه نيام.

٢ - البصري: علي بن أبي الفرج: الحماسة البصرية، رقم ١١٠ جزء ١ ص ٢٤٩، البيتان ٤، ١ بالترتيب، والأول بهذه الرواية:

وكان أخي زعيم بني تميم
وكل قبيلة فلها زعيم

وزاد البصري بيتاً آخر هو:

وكان إذا الشدائد أرهقتني
يقوم بها وأقعد لا أقوم

وأوردها البصري في باب الرثاء وقال: قال ابن أم حزنة واسمه ثعلبة بن حزن بن زيد مناة، ويقول أيضاً: وقد رواها الخالديان لمالك بن نويرة، ولم نجدها في الخالدين.

٤ - وقال ثعلبة بن عمرو(*)

(الكامل)

ولقـــــــد حَلَبْتُ الدهرَ أشْطُرَهُ
وعـــــرفتُ مـــــا آتي من الأمــــرِ

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ١٠٣ رقم ٤٧٥ باب ٥٤، ما قيل في تحكيم الدهر الإنسان بالتجارب والعظات، وتحت اسم قال ابن أم حزنة.

(*) نسب إليه في نوادر المخطوطات تحقيق عبدالسلام محمد هارون بيت الشعر التالي:

نهيتكم ان تحملُوا هُجناءكم　　　على خيلكم يوم الرهان فتُدركوا

قال ذلك الشاعر ابن أم حزنة العبدي من شعراء ربيعة ٨٩/١. وله شعر كثير، وفي اعتقادي ان هذا الشعر لعمرو بن مبردة العبدي في الاسلام كما في المرزباني ص ٢٤٠.

٥ - وقال ثعلبة بن عمرو(*)

(السريع)

تَهَزَّأتْ عِرسي واستنكرتْ
شَيبي ففيها جَنَفٌ وازْدرارُ[١]

لا تُكْثري هُزْءاً ولا تعجبي
فليس بالشيب على المرء عارُ[٢]

عَمْرَكِ، هل تدرين أنّ الفتى
شبابُه ثوبٌ عليه مُعَارُ[٣]

التخريج:

١ - السجستاني، أبو حاتم: المعمرون والوصايا، ص ٤١ عاش عمرو بن ثعلبة بن عبدالقيس ٢٠٠ سنة وقال في ذلك حين كبر وهان على أهله[أ].

٢ - البصري، على بن أبي الفرج: الحماسة البصرية، ٢١/١ وأورد ثمانية أبيات في مقدمتها الأبيات الثلاثة لثعلبة بن عمرو وقال: قال المثقب عائذ بن محصن العبدي جاهلي وتروى لثعلبة بن يزيد[ب] أحد بني سليم وهو الأكثر[ج].

****

---

(١) ارجح ان تكون هذه الأبيات من قصيدة لثعلبة بن عمرو لعدة أسباب منها رواية ابن حاتم لها، وذكرها لأدوات الحرب وفنون القتال والخيل وتصدق صفات ثعلبة الفارس السيد، بقية أبيات القصيدة ذكرها الأستاذ حسن كامل الصيرفي ص ٢٧٤ ونسبها إلى المثقب العبدي وهي ثمانية أبيات من الشعر ويقول: إنها لم ترد في زيادات الطبعة البغدادية.

(٢) عرس: زوجي. جنف: ميل.

(٣) قيل: إن هذا البيت وضعه خلف الأحمر.

(أ) أخر أبو حاتم اسم الشاعر وقدم اسم أبيه والصحيح هو ثعلبة بن عمرو.

(ب) هو ثعلبة بن يزيد والصحيح ما ذكرناه في المفضلية ٦١.

(ج) وهو الأكثر دليل على أن الأبيات لثعلبة بن عمرو، وهذا ما رأيناه.

١ - عمرو بن أسوى(*)

(الطويل)

ومــــا أنـا بـالـنـاسـي الـخـلـيـلَ ولا الـذي
تُـغـيّــر إن طـال الزمــان خــلائِقُــه[١]

ولــســت بمــنّــانٍ عــلــى مــن أودُه
بِـبــرٍ ولا مــســتـخـدمٍ من أُرافِـقُــه[٢]

التخريج:

١ - البحتري: الحماسة ص ٦٧ رقم ٣٠٦، باب ٣٥ ما قيل في صحة المودة وحفظ الإخاء والشاعر عمرو بن أسواء العبدي.

٢ - مجهول: مجموعة المعاني ص ٢٩ ما قيل في مكارم الأخلاق، والبيتان لرجل من عبدالقيس.

٣ - المسلم، محمد سعيد: ساحل الذهب الأسود ص ٢٦٨.

(*) يرد احياناً اسم الشاعر عمرو بن اسواء العبدي، والصحيح انه اسوى وقد وردت في اللسان بمعاني متعددة ومنها اسوى: بمعنى اساء ثم عوفي من علة فيه.

٢ - وقال عمرو بن أسوى

(الطويل)

ألا أبلغا عمرو بن قيسٍ رسالةً
فلا تجزعنْ من نائب الدهر واصبرِ[١]
شحطْنا إياداً عن وقاعٍ وقلصتْ
وبكراً نفينا عن حياض المُشقَّرِ[٢]

التخريج:

١ - الحموي ياقوت: معجم البلدان ١٣٤/٥، قال الشاعر عمرو بن أسوى العبقسي.

٢ - الأنصاري: تحفة المستفيد، ص ٢٨/١ عند الحديث عن المشقر.

---

(١) عمرو بن قيس: اسم شخص ولعله من عبدالقيس.

(٢) إياد: القبيلة التي نازعتها عبدالقيس ونزحت إلى العراق، انظر منازل عبدالقيس. وقاع: مواقعة وقتال. وهو اسم مكان يقال له نطاع. قلصت: قصرت في المدافعة. بكر: القبيله العدنانية التي سكنت بجوار عبدالقيس. المشقر: حصن لعبدالقيس، انظر منازل عبدالقيس.

٣ - وقال عمرو بن أسوى

(البسيط)

كــأن عــاليـــهــا دُرجٌ وأسنـــفَلهـــا
بُرجٌ وســـائِرَها بـالشِّـــيـــذ منصَــوب[١]

٤ - وقال عمرو بن أسوى

(الكامل)

وتـركْنَ عـنتـــرَ لا يُقـــاتلُ بـعـــدهـا
أهلَ القطيفِ قـــتـــالَ خـــيلٍ تنقعُ[٢]

التخريج:

البيت رقم (١) المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤١، قال الشاعر عمرو بن أسوى بن عساس بن ليث بن حداد بن ظالم العبدي من بني وديعة بن لكيز وهو شاعر جاهلي.

البيت رقم (٢) الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٣٧٨/٤، قال عمرو بن أسوى العبدي في مجال الحديث عن القطيف، وقال هي لبني جذيمة بن عبدالقيس وهي مدينة بالبحرين وقصبتها وأعظم مدنها.

****

(١) درج: سفيط صغير تدخر فيه المراة طيبها وادواتها، ودرج ايضاً: مدرج. البرج: الحصن.

(٢) القطيف: قرية لبني جذيمة بن عبدالقيس وهي مدينة هامة وكانت قصبة البحرين ايام عبدالقيس، انظر: المنازل.

١ - الجَمَّال العبدي(*)

(الطويل)

ومستلحم بادي النواجذ قد رأى
حياضَ المنايا والرماحُ شوارعُ[١]

عطفتُ عليه والرماحُ كأنها
خلال القنا قرنٌ من الشمسِ طالعُ[٢]

التخريج:

١ - البحتري: الحماسة، ص ٤٦ رقم ٢١٠، باب ٢٢ ما قيل في إغاثة الملهوف ومنع الرفيق في الحرب.

٢ - الخالديان: الأشباه والنظائر ١/ ٢٠١، البيتان نسبا إلى مزاحم العقيلي والأول منهما برواية: ومستلحم بين الأسنة قد رأى.

٣ - المسلم: ساحل الذهب الأسود، ص ٢٦٠ هو شاعر جاهلي.

(*) الجمال العبدي: شاعر جاهلي من بني جذيمة من عبدالقيس كان فارساً شجاعاً (ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال ١١٥) مستلحم: فارس مغوار. النواجذ: الأسنان. شوارع: مرفوعة. عطف: هجم.

٢ - وقال الجمال العبدي

(البسيط)

لا النائِبــاتُ لـهــذا الدهر تقْطعني
والصـبــرُ مني على مـا نـابني خُلُقُ[١]
إن الكريمَ صـبـورٌ كـيـفـمـا انصـرفتْ
بـه الصُـروفُ إذا مـا أَفْلقَ الفَـرَقُ[٢]

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ١٢٨ رقم ٦٤٣، باب ٧٥ ما قيل في الصبر على المصائب والتجلد للشامتين وترك الاستكانة.

(١) تقطعني: تهلكني.
(٢) افلق: ظهر. الفرق: الفزع.

٣ - وقال الجمال العبدي

(البسيط)

السيفُ والرمحُ لي خِدنانِ قد شَهِدَا
أني شجاعٌ فما داناني الأَسَدُ[1]
إذا شددتُ على قومٍ هزمتُهم
ببأسٍ ذكري فلا يبقى لهم مَدَدُ[2]

التخريج:

الخالديان: الأشباه والنظائر، ٤٤٨/٢ قال الجمال العبدي.

---

(١) خدنان: صديقان وصاحبان.

(٢) مدد: قوة.

٤ - وقال الجمال العبدي

(الطويل)

وبيّن حواشي البُرد مني ابنُ صخرةٍ
تَرَدَدُ فيه سُنمّةُ فهْوَ أكلفُ[(١)]
مُضِبٌ لدى أحقادهِ مُتربِّدٌ
تخالُ أعالي جلده تَتَقرّفُ[(٢)]
له نُقَطٌ سودٌ وحمرٌ كأنما
يجلِّلُه للعين بُرْدٌ مُفَوّفُ[(٣)]
إذا ما رَقَى الراقُونَ لم يخفِ الرُّقَى
وكان الذي يرقّي له منه أخْوفُ[(٤)]

التخريج:

الخالديان: الأشباه والنظائر، ٢٤٩/٢ قال الجمال العبدي، قال يشبه نفسه بالأفعى.

---

(١) ابن صخرة: كناية عن الأفعى. أكلف: متغير يميل إلى الحمرة.
(٢) مضب: خفي. متربد: متغير. تتقرف: يصبح ذا لون أحمر.
(٣) مفوف: ثوب مفوف فيه خطوط بيضاء على الطول.
(٤) الراقون: أصحاب التمائم والتعاويذ.

٥ - وقال الجمال العبدي

(الطويل)

إذا ضِقْتَ في أمرٍ عليك صعوبةً
فاصْعِبْ به حتى تذِلَّ مراكبُه[1]

وأمرٍ على مكروهِهِ قد ركبتُهُ
فكان بحمدِ اللهِ خيراً عواقِبُه[2]

التخريج:

١ - البحتري: الحماسة، رقم ١٧٧ ص ٤٠، باب ١٦ ما قيل في حمد عاقبه ركوب المكروه عند الحرب، البيت الأول ورد أيضاً في ص ١٦٩ رقم ٩٠٠ باب ١٠٧ وتحت عنوان ما قيل في المجازاة بالسوء ومنع الناحية.

٢ - مجهول: مجموعة المعاني، ص ٢٠، البيت الأول تحت باب ما قيل في الحزم والاحتياط.

٣ - المسلم: ساحل الذهب الأسود، ص ٢٦١ قال الجمال العبدي وهو شاعر جاهلي.

---

(٢) بحمد الله: تعبير إسلامي، ويبدو أن أبيات شعراء آخرين قد تداخلت مع أبيات الجمال العبدي، وهذا [illegible] له أسماء: الجمال العبدي وحمل بن المعلى العبدي والمعلى بن الجمال العبدي، وقد عاش [illegible] العبدي زمن الجاهلية بينما عاش حمل بن المعلى زمن الخوارج ونسب إلى الجمال شعراً إسلامياً لم نثبته هنا فقد روي له في البحتري قطعة ص ١٦٤ تضم معاني وألفاظاً إسلامية. ونستبعد أيضاً أن يكون الجمال وهو من جذيمة قد تسربت إليه الأفكار الدينية عند الموحدين فذكر ما ذكر في شعره من المعاني والألفاظ الإسلامية.

٦ - وقال الجمال العبدي

(الطويل)

نصحتُ لعبد القيس يوم قطيفها
وما خيرُ نصحٍ قيل لا يُتَقَبَّلُ[(١)]

فلو أن قومي طاوعوني لأصبحوا
بمنزلةٍ فيها عن الشر مِزْحَلُ[(٢)]

ولكنّ قومي طاوَعُوا أمرَ عاجزٍ
جبانٍ إذا ثار للحرب قَسْطَلُ[(٣)]

فأوردَهُم حتى إذا اختلف القنا
تولّى به نهدُ المَرَاكِل هَيْكل[(٤)]

لقد عزَّتِ الدنيا رجالاً فأصبحوا
بمنزلةٍ ما بعدها مُتَحولُ[(٥)]

التخريج:

ابن الشجري: الحماسة، ١/١٩٦ والأبيات للجمال العبدي.

****

- تداخلت أبيات هذه القصيدة مع قصيدة حمل بن المعلى العبدي والتي قافيتها مكسورة ومنها:

فقد كان في أهل القطيف فوارس — حماة إذا ما الحرب شدت بيذبل

(١) يوم القطيف: من معارك عبدالقيس وأشار إليه عمرو بن أسوى.

(٢) مزحل: ابتعاد.

(٣) قسطل: غبار المعركة.

(٤) نهد: مرتفع. المراكل: الأرجل. هيكل: ضخم.

١ - جَذَل بن أَشْمط العبدي(*)

(مجزوء الكامل)

أأُمــام إن الـدهرَ أهـلـكَ صَـرْفُـه إرَمــاً وعــادا[١]
وابتَــزَّ داوداً وأخــرج منَ مــســاكنهــا إيادا[٢]
وسمـا فـأدرك أسـعـدَ الخـيـراتِ قـد جـمـع العَـتـادا[٣]
البـيضَ والحَلَق والمضـاعفَ نسـجُـه وحـوى التِّـلادا[٤]
وتناولت أسـبـابُه الضُّـحّـاكَ قـد نَقَبَ البـلادا[٥]
وله الكتـائبُ يجنبُـون الخـيل كُـمْـتـاً أو وِرَادا[٦]
فـسـعى لهم والدهرُ يُحـدثُ بعـد صـالحـةٍ فسـادا[٧]
فكان ذلك لم يكن إلا الـتَّـذكـرَ حين بادا[٨]
أبُنَيَّ إن القِـدْرَ لم تفـضَـحْ أباك ولا الرَّمـادا[٩]
أبنيَّ كن كـأبيك يُطرقُ في الملِمـةِ أو يُغـادى[١٠]

(*) هو جذل بن اشمط ويرد اسمه احياناً جذل بكسر الجيم، وفي الوحشيات يرد جندل واحياناً اخرى يرد تحت عنوان ابن اشمط العبدي.

(١) امامه: اسم ولده. صرف الدهر: نوائبه وأحداثه. إرم وعاد: قبائل بائدة.

(٢) ابتز: استلبه قهراً. داؤد: الشاعر الإيادي. وإياد قبيلة: الشاعر التي غلبتها عبدالقيس فنزحت إلى العراق.

(٣) اسعد الخيرات: رجل فارس.

(٤) البيض: السيوف. الحلق المضاعف نسجه: الدروع. التلاد: الأموال.

(٥) الضحاك: رجل قديم. نقب: طاف وهجم وغزا.

(٦) يجنبون وفي رواية يجلبون. وجنب: لا تركب إلا في الحرب. الكمت: الرمادي. ورد: جاء مسرعاً.

(٧) سعى لهم: داهمهم.

(٩) القدر: إناء الأكل، الكرم.

(١٠) يغادى: يباكر.

التخريج:

١ - أبو تمام: الوحشيات، رقم ٣٥٩ ص ١٦٢ تحت عنوان الأدب، والشاعر هو جندل بن أشمط العنبري وهو على الصواب العبدي.

٢ - البحتري: الحماسة، ص ٩١ رقم ٤٠٦ باب ٤٩ ما قيل في غلبة الزمان وإفنائه الأمم، الأبيات من رقم ١ إلى رقم ٧، رقم ٢ برواية: واحتط، ورقم ٦ يجلبون وهو الأصح، وكذلك شقرا بدلاً من كمت(*)، رقم ٧ برواية: فاحتطه، والأبيات جاءت لابن أشمط العبدي.

٣ - ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ١٤٧، الأبيات رقم ١، ٣، ٤، ٦، ٧، ٩ بالترتيب، رقم ٣ برواية: ورمى فانزل أسعد الخبرات، رقم ٤ برواية: بالبيض والحلق المقدد سرده، ورقم ٧ برواية: فخطفته والدهر يترك بعد صالحة فسادا، ورقم ٩ برواية: أأمام إن القدر لم تلعن أباك ولا الرمادا.

(*) الكميت من الخيل: ما كان لونه بين الأسود والأحمر وهو الهادي، وأما الشقر من الخيل: فهي تجمع بين اللون الأحمر والأصفر.

٢ - وقال جذل بن أشمط

(الرمل)

قَعْدَكِ اللهُ لما تُخْبري
يا ابنةَ العَمْري عن أهل قَطَرْ[١]

تركوا جارَهُم تاكلُه
ضَبعُ الوادي وترميهِ الشجر[٢]

فَيَمينُ اللهِ لا انساهُم
أبداً ما ساعد الشمسُ القمر[٣]

غدرتْ شَنٌّ بجيرانِهِمْ
إنّ شنّاً ما علِمْنا لَغُدر[٤]

شَنَّةٌ لم يعلموا ماءَها
إنما ماؤك صابٌ وصَبَر[٥]

التخريج:

١ - أبو تمام: الوحشيات، رقم ٣٦٣ ص ٢٢١ تحت باب الهجاء، قال جندل بن أشمط العميري العبدي.

٢ - ابن دريد: جمهرة اللغة، ص ٤٠٧/٢ البيت الأخير وبهذه الرواية:

شنة ما عطنوها ماءها
إنما ماؤك صاب ومصر

وينسب البيت إلى ابن الخذاق العبدي وهو يزيد.

---

(١) قطر: بلاد عبدالقيس، انظر المنازل.

(٥) شنة: صفة ملازمة. صاب: هطل. صبر: مر.

٣ - وقال جذل بن أشمط

(المنسرح)

لا ينفعُ الهاربَ الفرارُ من
الموتِ إذا ما تقاربَ الأَجَلُ[١]

تعدو المنايا على أُسامةَ
في الخيس عليه الطَّرْفاءُ والأَسَلُ[٢]

وتصرعُ الطائرَ المدوِّمَ في
الجوِّ ويشقَى بريبةِ الوَعِلُ[٣]

مُرٌّ إذا ما هززْتَ أَثْلَتَه
وهو زلالٌ كأنه عَسَلُ[٤]

التخريج:

١ - البحتري: الحماسة، ص ١٠٠ رقم ٤٥٤ باب ٥٢، ما قيل في اليأس من البقاء وحذر الموت وترقبه وقلة الحيل فيه، وذكر الأبيات الثلاثة الأولى، وفي ص ١١٢ رقم ٥٣٠ باب ٦١، ما قيل في اللين والشدة والمجازاة، ذكر البيت الرابع.

(٢) الخيس: الغابة الملتفة. الطرفاء: السلاح. الأسل: الرماح. أسامة: الأسد.

(٤) الأثلة: الفرع والشجر والأصل.

٤ - وقال جذل بن أشمط

(البسيط)

يـا هـنـدِ كـم يـكـونُ الـلـومُ والـفَـنَـدُ
لا تُـنكري رجـــلاً أثـوابُـه قَـــدَدُ[١]
إن أمسَ منفـــرداً فـــالبـــدرُ منفـرِدٌ
والـلـيثُ منفـــردٌ والســـيف مُنْفـــرد[٢]
أو كنتِ أنكرتِ بُرْدَيه وقـــد خَلِقَـــا
فـالبـحـرُ من فـوقـه الأقـذاءُ والزَّبد[٣]
أو كـان صَـرْفُ الليـالي عنكِ غـيَّـره
فـإن تحت ثيـابي ضـيـغمٌ أسـد[٤]

التخريج:

العبيدي، محمد عبدالرحمن: التذكرة السعدية للأشعار العربية، ص ١٥٤ رقم ٩٨ قال جذل بن أشمط العبدي.

****

---

(١) الفند: ضعف العقل. قدد: ممزقة.

(٣) خلق: بلي ورث.

قال عمرو بن سلمة

(الكامل)

مـــا زلـتُ أضـــربُه وأنـعَى مـــالـكاً
حـــتى تركتُ ثيـــابَه كـــالخَـــيْـعَلِ[1]

وتـركتُ مـــســنَدَه ومـــــوضـعَ رحلِـهِ
طيـــــراً تـوقعُ حــــوله كـــــالنزُلِ[2]

تجـــري الدمـــاءُ على مـــحـاسنِ وجـهـهِ
والنفسُ ســاجـــمــةٌ كـمـــاءِ المفْـصَلِ[3]

وقال أيضاً:

لعــمـــركَ لو لاقـــيتَ عـــمــرو بن فـــرْتَنَا
لآبَ بـهِ من شـــاهـدِ الســـيـفِ غـــادرُ[4]

التخريج:

١ - أبو تمام: الوحشيات، ص ١٨ رقم ٢١ باب الحماسة، الأبيات الثلاثة الأولى ويقول أبو تمام: إن الشاعر من كلب ويقال له عامر.

٢ - المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤١، الشاعر هو عمرو بن جبير بن سلمة العبدي، وقال عنه: النكري وهو جاهلي.

****

(١) الخيعل: ضرب من الثياب. مالك: اسم المرثي من عبدالقيس.

(٢) المسند: مكان الذي يسند إليه. النزل: النازلة.

(٣) المفصل: صدع في الجبل يسيل منه الماء. ساجمة: متصببة.

(٤) عمرو بن فرتنا: رجل. آب: قصد.

عمرو المُحَاربي(*)

(الطويل)

سـقَى جَـدَثُ الريَّان كل عـشـيَّـةٍ
من المُـزْن وكَّـافُ العـشي دَلُوحُ(١)
أقـام لفـتـيـانِ العـشـيـرةِ سَـهْـوةٌ
لهمْ منكحٌ من حـربهـا وصَـبُـوح(٢)
فـيـا من رأى مـثل الهـراوةِ مَنْكِحـاً
إذا بل أعطافَ الجـيـادِ جُـروح(٣)
وذي إبلٍ لولا الهـراوةُ لـم يـثـبْ
له المالُ مـا انشقَّ الصـبـاحُ يَلوحُ(٤)

(*) هو عمرو بن محارب بن مزيد من بني محارب من عبدالقيس.

(١) الريان: هو الريان بن حويص من بني عامر من عبدالقيس كان فارساً مغواراً. جدث الريان: قبره. الوكاف: المطر المنهمر. المزن: السحاب. دلوح: كثير الماء.

(٢) سهوة: فرس سهلة. الصبوح: الشراب.

(٣) الهراوة: فرس الريان بن حويص وهي لعبدالقيس وكانت تسمى هراوة الأعزاب لأن الريان كان يعطيها للفقراء من قومه ومن العرب ليغزوا عليها، حتى إذا تاهل أحدهم نزعوها وأعطوها عزباً آخر. وقال لبيد يذكر هراوة الأعزاب:

لا تسقني بيديك إن لم ألتمس ... نعم الضجوع بغارة أسراب
تهدي أوائلهن كل طمرة ... جرداء مثل هراوة الأعزاب

(٤) يثب: ياتي اليك.

التخريج:

١ – الكلبي: أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام، في ص ٩٠ وقال عمرو المحاربي من عبدالقيس.

٢ – ابن الأعرابي: أسماء خيل العرب وفرسانها، ص ٨٤ قال: عمرو المحاربي من عبدالقيس.

٣ – العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ص ٤٨٠.

٤ – الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، في ٢/١٢٣(*).

****

(*) وذكر أبو محمد بن دريد أن الهراوة تسمى أوره وبعضهم يسميها الهراوة.

قال أنس بن مُسَاحق

(المتقارب)

ألا أَبْلِغَـــا خُلَّتي راشِـــدًا
وصنوي قَـــديماً إذا مَــا اتَّصلْ[1]

بأن الدقـــيقَ يهـــيجُ الجليلَ
وأن العـــزيزَ إذا شـــاء ذَلْ[2]

وأن الحَـــزَامـــةَ أن تصْـــرفـــوا
لحيٍ ســـوانا صـــدورَ الأَسَلْ[3]

فـــإن كنتَ ســـيِّدنا ســـدْتَنا
وإن كنت للخـــالِ فـــاذْهبْ فَـــخُلْ[4]

التخريج:

١ - المرصفي: أسرار الحماسة، ص ١، ٢ باب الحماسة، ما قيل في النصيحة، قال رجل من عبدالقيس وهو شاعر جاهلي وأورد الأبيات.

---

(١) خلتي: صديقي. راشد: اسم هذا الصديق. صنوي: ابن عمي والصنو من النخل له رأسان، ويروى هذا البيت - قديماً وصنوي إذا ما تصل، ومعنى اتصل انتسب.

(٢) يروى الشطر الثاني: وان العزيز إذا ساء ذل، ويبدو لي أن هذا افضل.

(٣) الحزامة: من الحزم والسداد والأسل: الرماح.

٢ - البحتري: الحماسة، ص ١٣٧ رقم ٧٠٣ باب ٨١ ما قيل في جر صغير الأمر للكبير، أورد البحتري البيت الثاني فقط: قال أنس بن مساحق العبدي.

٣ - ابن منظور: اللسان، في ١٠/ ١٠٢، البيت رقم ٢ وبرواية: وإن الغريب إذا شاء ذل.

٤ - أبو عبيدة: مجاز القرآن، البيت رقم ٤ في ١/١٢٧(*).

****

(*) ذكر في الكتاب لسيبويه ص ١٩٢ وفي خزانة الأدب للبغدادي ص ٣/٤٣٩ البيت التالي بدون قائل:

ضعيف النكاية أعداءه ... يخال الفرار يراخي الأجل

وفي اعتقادي ان هذا البيت من شعر انس بن مساحق العبدي.

قال حَدَّار بن ظالم(*)

(الطويل)

لعمري لقد أردتْ سيوفُ ابن ضَجْعَمٍ
غداةَ التقوا مِنا خطيباً وياسرا(١)

أهان الرجالَ بعده فكأنما
يرى بالرجال الصالحين الأباعِرا(٢)

فلا تَبْعدنْ إما لقيتَ ابن مالكٍ
سبيل التي فيها لقيتُ المَعَاذِرا(٣)

التخريج:

محمد بن حبيب: أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام «مجموعة نوادر المخطوطات» ٦/١٢٧.

****

(*) الشاعر: حدار بن ظالم بن ذهل بن عجل العبدي وفي رواية اخرى حذاد وحداد.

وقد ورد في نوادر المخطوطات ان داؤد بن هبالة بن ضجعم من قضاعة كان ملكاً على بلاد الشام فغلبه ملك الروم وأبقاه على ملكه، لكنه طلب إليه ان يغرو بلاد عبدالقيس فاخذ معه زهير بن خباب الكلبي وفي أرض العبديين قتل شريفاً من اشرافهم هو هداج بن مالك بن عامر بن الحارث بن انمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن افصى بن عبدالقيس ويبدو ان الذي قتله زهير لانه يقول:

فجعت عبدالقيس امس بجدها وسقيت هداجاً بكاس الأول

وعلى أثر ذلك قال الشاعر العبدي حدار هذه الأبيات.

(١) ابن ضجعم: جد داؤد بن هبالة الذي غزا عبدالقيس. الياسر: لاعب الميسر والقمار وهو هداج.

(٢) الأباعر: جمع بعير.

(٣) ابن مالك: هو هداج. المعاذر: الحجج.

قال مالك بن ثعلبة

(الطويل)

تركنا شَريحاً قد علتْهُ بصيرةٌ
كحاشيةِ البُردِ اليَماني المُحبَّرِ[1]

ونحن فجعنا أم عضبان بابنها
ونحن كسرنا الرمحَ في عين حَبْتَر[2]

ونحن تركنا مسمعاً متجدّلاً
رهينة ضبعٍ تعتريهِ وأنْسُر[3]

التخريج:

البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، في ١/ ١١٥، قال ذلك بمناسبة مقتل الحطم البكري واخرين في هجر.

****

(١) شريح: اسم المقتول. بصيرة: الدم النافذ والمتصبب.
(٢) المحبر: المخطط . حبتر: اسم رجل، وقيل هو القصير ويجوز أن يكون خبثر.
(٣) مسمع: من المقتولين.

قال توبة بن مُضرَّس(*)

(الطويل)

وسـائلةٍ عن توبةَ بن مُضَرَّسٍ
وهانَ عليها ما أصاب به الدهرُ(١)

وسائِلةٍ أخرى حفي سؤالُها
إذا ذكرتُه فاض من دمعها غُزْرُ(٢)

رأتْ إخوتي بعد ائتلاف تفرقوا
فلم يبق إلا واحد منهم شَفْرُ(٣)

فلا وأبيكَ الخيرَ ما كان إخوتي
معازيل أبراماً إذا جاردَ القَطْرُ(٤)

أَرَبَّ بهم ريبُ المنونِ كأنما
على الدهرِ فيهم أن يفرِّقهم نَذْرُ(٥)

التخريج:

١ - أسامة بن منقذ ت ٥٨٤هـ: المنازل والديار، تحقيق مصطفى حجازي، القاهرة ١٩٦٨، ص ٤٥١ وفي ص ٤٥٢ أورد أسامة لتوبة بن مضرس العبدي قطعة شعرية أخرى منسوبة إلى شاعر آخر، ومنها:

(*) هو توبة بن مضرس العبدي وأورد البحتري في حماسته شاعرين آخرين هما توبة بن مضرس الأسدي وله قطعة ص ٢٤ وأيضاً توبة بن مفرس التميمي وله قطعة ص ٣٠.

(٢) غزر: غزيز كثير. الحفي: العارف بالأمر حق المعرفة.

(٣) شفر: مفرد.

(٤) معاذيل: عزل من السلاح. أبرام: ضجرون. جارد: قل.

(٥) أرب: أقام. نذر: عهد.

وقـــــائلـة لما رأت شـــــيب لمتي

لهــاويلهــا: وأبال شــعــر أبي الجــعــد

٢ - البحتري: الحماسة ص ٢٢٨ رقم ١٢٢٧ باب ١٣٨ ما قيل في مصير الكثرة إلى القله وأورد البيتين رقم ٣، ٥ برواية أخرى قافيتها دالية:

رأت إخــوتـي بعــد التــلاقي تفــرقــوا

فـلـم يبـق إلا واحـــــد منهـم فـــــرد

تقـــســـمـــــهم ريب المنون كـــأنما

على الدهر فــيــهم أن يفــرقــهم عــهــد

٣ - البصري، على بن أبي الفرج: الحماسة البصرية في ١/ ٢٥١ وقال عنه توبة بن مضـرس القـدري والصـواب العـبـدي وأورد البيـتين رقم ٣، ٥ بقـافـيـة داليـة كالبحتري، ورواية ٣ رأت إخوتي بعد اجتماع، ورقم ٥ تقسمهم ريب المنون.

٤ - ابن منظور: لسان العرب في ٤/ ٤١٩، البيت رقم ٣ وبرواية: رأت إخوتي بعد الجميع تفرقوا، والقافية رائية، وقال شعر الواحد للبعير.

٥ - مجهول: مجموعة المعاني، القسطنطينية ١٣٠١، البيت رقم ٥ بقافية رائية تحت باب ما جاء في الغير والحوادث وتبدل الزمان.

****

قال مسعود بن سلامة

(الطويل)

أقِلِّي عليَّ اللومَ إني صائرُ
إلى جَدَثٍ تسفى عليه الأَعَاصرُ(1)

ألم تعلمي أن قد تَرحَّلَ إخوتي
جميعاً وإخواني الذين أُعاشِر(2)

وأفردتُ سهماً في الكنانة واحداً
سيرمى به أو يكسرَ السهمَ كاسِرُ(3)

إذا سار مَنْ خلف الفتى وأمامَه
وأوحش من حُدَاثِهِ فهو سائر(4)

التخريج:

١ - البحتري: الحماسة، ص ٢٠٥ رقم ١٠٧٠ باب ١٢٢ ما قيل في الكبر والهرم، الأبيات جميعها عدا الثالث منها.

٢ - أسامة بن منقذ: المنازل والديار، ص ٤٤٩، وأورد البيتين الثالث والرابع، وأورد أنهما لمسعود بن سلامة العبدي.

٣ - ابن الشجري: هبة الله العوي (ت ٥٤٢هـ)، الحماسة الشجرية، قيل: إنها لمسعود بن سلامة العبدي، ولعامر بن وائلة، وقد تمثل بها معاوية عندما بلغه موت سعيد بن أبي العاص وعبدالله بن عامر.

٤ - محاضرات الراغب الأصفهاني، رقم ٣.

٥ - تهذيب ابن عساكر، رقم ٤.

****

---

(٤) أوحش من حداثه: كبر وهرم وأصبح وحيداً.

قال شاعر من محارب(*)

(الطويل)

معاقِلُنا في الحرب جُرْدٌ كأنها
أَجَادِلُ في جوِّ السماءِ كواسِرُ(1)

وسُمرٌ من الخَطيِّ ذاتُ أسنةٍ
وبيضٌ كأمثال البُروق بواتر(2)

إذا ما انتَضَيناها ليوم كريهةٍ
رأيت لها هامَ العِدى تتطاير(3)

وما أدرك الساعون فينا بوترهِمْ
ولا فاتَنا من سائرِ الناس واتر(4)

فلا تُوعِدُونا بالغَوَارِ فإننا
بنو الحربِ ربَّتنا ونحن أصَاغر(5)

(*) يبدو لي أن هذا الشاعر هو مسعود بن سلامة العبدي وأن هذه الأبيات من قصيدته السابقة وهي ذات الوزن والقافية.

(١) معاقل: خيول. وشبه الحصون بالخيول. والجرد: الخيول القصيرة الشعر. أجادل: صقور.

(٢) سمر: رماح. بيض: سيوف.

(٣) انتضى: استل. كريهة: حرب.

(٤) الساعون: السائرون بالشر بين الناس.

(٥) الغوار: الغارة.

التخريج:

١ – ابن الشجري: الحماسة الشجرية، ص ٥، ٦ في ١/٥٠٦، باب الشجاعة والقوة.

٢ – البصري، علي بن أبي الفرج: الحماسة البصرية في ١/٦٢، الأبيات الثلاثة الأولى فقط، وقال هي لرجل من محارب بن عبدالقيس.

٣ – ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص ١٩٤ ماده سحامه، البيت رقم ٥ للشاعر عامر بن الكاهن وبهذه الرواية:

ولا توعـــدونا بالغـــوار فـــإننا

بنو عـمنا فـيـها حـمـاة مـغـاور

****

قال سلمة بن أبي حبابة

(البسيط)

إنــي أنــا المــرءُ لا يــعــطــي عــلــى تِــرَةٍ
ولا يقــرُّ على الضــيم إذا غُــشِــمــا[1]

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ٢٧ رقم ١٠٧ باب ٩، ما قيل في الاستسلام على الذل بعد الامتناع.

****

قال مالك بن عُروة

(الطويل)

لا تحــســبــوا أنا نَسِــينا بحــابلٍ
حُـريزَ الندى والعـسكرَ المُـتَـبَـدِّدا[2]
ولا تَسْـتـريثُـونا فـإنا كـاننا
وسُمْـر العـوالي فـيكم اليـوم أو غـدا[3]

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ٣٠ رقم ١٢١، باب ١٠ ما قيل في التحريض على القتال بالثأر وترك قبول الدية.

****

---

(١) تره: ثار. غشم: ظلم.

(٢) حابل: اسم مكان. حريز: الحرز الشيء الثمين.

(٣) تستريث: تستمهل.

قال ربيعة بن توبة

(الطويل)

ولو كان شيءٌ فائِتَ الموتِ أحرزتْ
عمايةُ إذ راح الأَغَرُّ المُوقَّف[1]
يَرُود بأرضٍ ماؤُها في قِلاتِها
يصيفُ بها بعد الربيع ويخْرِف[2]
إذا شاء طَلْعٌ أو أراك وسَخْبَرُ
لديه وذو ظلٍّ من الغار أَجْرَف[3]
يُكسِّرُ أطرافَ البَشَام بُروقه
ومن دونه هضْبٌ منيفٌ ونَفْنَف[4]
فما زال عنه الحينُ حتى سما له
أبو صبيةٍ طاوٍ من الزاد أَعْجف[5]
يُعالجه عن نفسه وبكفّه
مذربةٌ زرقٌ وفرعٌ مُعطَّف[6]

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ٩٩ رقم ٤٥٣، باب ٥٢ ما قيل في اليأس من البقاء وحذر الموت وترقبه وقلة الحيل فيه.

****

(١) عماية: غواية. الأغر الموقف: الذي حنكته الأيام فاغتر بها.

(٢) يرود: يطلب المرعى. قلاتها: أوعية.

(٣) اجرف: أصابه السيل. سخبر: نوع من النبات.

(٤) البشام: نبات طيب الرائحة. بروق: برق الرعد. هضب: مكان مرتفع وعال. نفنف: مخضر.

(٥) أعجف: هزيل. الحين: الهلاك.

(٦) مذربة: حادة. طاو: جائع.

قال نَشْبة بن عمرو

(البسيط)

يا أيهـا الـمُـقْـتَـفي بالدهر يمدحُـهُ
لا تـامـنٌ فـسـادأ بـعـد إصـلاحِ[1]
كم كـان عند بني النعـمـانِ من جُنَنٍ
ومن سـيـوفٍ مَـبـاتيـرَ وأَرْمـاحِ[2]
ومن جـيـادٍ تُـغـالي في شكائِمِـهـا
مـثل القِـداح دَحـتْـهـا بسْطةُ الراحِ[3]
بـادوا فلـم يكُ أولاهم كـآخـرهـم
وهل يُتـمَّم إصـلاحٌ مـا بإصـلاحِ[4]

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ٢١٥ رقم ١١٣٥، باب ١٢٩ ما قيل في تعاقب السعود والنحوس على المرء.

****

---

(١) المقتفي: الذي يجري وراءه.

(٢) جنن: تروس. مباتير: حادة.

(٣) تغالي: تسرع وهي عظيمة. دحتها: بسطتها.

قال أسامة بن ربيعة

(البسيط)

الدهرُ يومان ليلٌ لا خفاءَ به
وذو حُجَوَلٍ ترى أقرانه جددا[1]

لا يَبْليان ويبلى ما سواهما
من قبلنا أفنيا الأموالَ والولدا[2]

التخريج:

١ - البحتري: الحماسة، ص ٩٤ رقم ٤٢٣، باب ٥٠ ما قيل في اختلاف الليل والنهار، وقد حذفت عن أسامة أول حرف وأصبح سامة بن ربيعة العبدي والصحيح أنه أسامة.

٢ - العبيدي، عبدالرحمن: الأدب في الخليج العربي، ص ١٢، ذكر البيتين وقال: إنه من المدرسة الفكرية حيث تلقى المعرفة التي نورت ذهنه فعرفته بحقيقة الحياة.

٣ - الأنصاري، محمد جابر: لمحات من الخليج العربي، ص ١٣١، الشاعر هو أسامة بن ربيعة ولم يذكر له شعراً.

****

(١) حجول: حجل: مشى متريثاً. جدد: جديد. والجدد: الأرض الغليظة. اقران: نظائر.

قال مُويلك بن قابس

(الطويل)

إذا أعــجــبــتكَ الدهرَ حــالُ من امــرئٍ
فــدعْــهُ ووكِّل حــالَهُ والليــاليــا[1]
يُغــيِّــرْنَ مــا أبصــرْتَ من صــالحٍ به
وإن لم يكن فــيــمــا ترى العينُ آليــا[2]

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ٢١٥ رقم ١١٣٤، باب ١٢٩ ما قيل في تعاقب السعود والنحوس على المرء.

****

قال النعمان بن حنظلة

(الطويل)

وإني لأســتــبــقي امــرءَ الســوءِ عــدَّةً
لــعــدو عــريضٍ من القــوم جــانبِ[3]
أخــافُ كــلابَ الأبعــدينَ وهرْشَــهــا
إذا لم تهــارِشْــهــا كــلابُ الأقــارب[4]

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ٢٤٩ رقم ١٣٤١، باب ١٥٨ ما قيل في استبقاء مودة أهل الشر من الأقارب والعفو عنهم والاستعداد بهم لغيرهم في سائر الأعداء.

****

---

(١) اليا: صاحب نعمة.

(٣) استبقى: أبقى. عدة: تهياة. لعدو عريض: رجل منهم.

(٤) هرش: ساء خلقه.

قال عروة بن سنان العبدي

(الكامل)

وعلى قَـــدَام حـــملتُ شِكّةَ حـــازمٍ
في الـروعِ لـيس فـــؤادُهُ بمُـثَـــقِّلِ[1]

أمـــا إذا مـــا أقـــبلتْ فـــمَطارةٌ
كـــالجـــذع شـــذّبه نَفيّ الـمِنْجل[2]

أمـــا إذا مـــا أعـــرضت فنبـــيلةٌ
ضـــخمٌ مكان حـــزامِـــهـــا والـمِـــرْكل[3]

أمـــا إذا تشـــتـــدُّ فـــهي نعـــامـــةٌ
تنفي سنـابِكُـهـــا صـــلابَ الجَنْدل[4]

التخريج:

١ – الجاحظ: الحيوان، في ١/٢٧٥، الأبيات جميعها ما عدا البيت الأول.

٢ – ابن الأعرابي: أسماء خيل العرب وفرسانها، ص ٨٤ والشاعر من بني محارب المشـهورين بالحرب، البيت رقم ١، ويحتمل أن يكون عروة هذا هو أبو عفراء وعنده فرسان هما العتر وقدام.

****

(١) قدام: فرس الشاعر. مثقل: شديد وايضاً بمعنى تباطا.

(٢) مطارة: قوية سريعة. نفي المنجل: ما يقص المنجل منه فهي خفيفة رفيعة.

(٣) نبيلة: جيدة الأصل. المركل: الطريق والمركل بالكسر الرجل من الراكل.

(٤) سنابك: أرجل. صلاب الجندل: الصخور الصماء الصلبة، فرس نهد المراكل واسع الجوف، عظيم المراكل.

قال أبو عفراء المحاربي

(الوافر)

دَلَفتُ لهم بصدرِ العَنْزِ لما
تحامَتْها الفوارسُ والرجالُ[1]

التخريج:

ابن الكلبي: أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام، ص ٨٩، قال الشاعر أبو عفراء ابن سنان بن شريط المحاربي من عبدالقيس في الحديث عن فرسه.

****

قال الجعشم بن عوف[*]

(الرجز)

حتى متى الجَعْشم في الأحياءِ[2]
ليس بذي أيدٍ ولا غَناءِ[3]

التخريج:

السجستاني: المعمرون والوصايا، ص ٤١.

****

(١) دلفت: طلعت عليهم. العنز: فرس الشاعر، ولعبدالقيس خيول كثيرة منها الشموس ليزيد بن الخذاق وسبحة كذلك وشوهاء وعجلى لثعلبة بن عمرو والهرواة للريان وهبود لعمرو بن الجعيد وخيول بني عامر والعنز فرس ابي عفراء بن سنان بن شريط بن عرفطة المحاربي من محارب عبدالقيس وفي التاج عن ابي محمد الاسود ان فرس ابي عفراء بن سنان هي العنز، وفي القاموس وشارحه ان العنز اسم سيف لابي عفراء وكان معوجاً.

(*) الجعشم: بن عوف من جذيمة من عبدالقيس عاش ٢٠٠ سنة حتى هرم ومل الحياة وهان على أهله. وذكر السجستاني ان من بين الذين عاشوا طويلاً سطيح وزعم أنه من عبدالقيس.

(٣) ايد: قوة.

قال حريث بن الزبرقان العبدي

(الرجز)

قد التقينا وكلانا حُر[1]
جوّابُ أرضٍ في يديه شَر[2]
مُهَنَّد منه الردى يَخر[3]
ألأمنا اليوم الذي يَفِر[4]

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ٣٩ رقم ١٦٩، باب ١٤ ما قيل في ذم الفرار والتعيير به.

****

قال ربيعة بن ليث

(الطويل)

فإن لم أزُرْ سعدَىٰ بجُرْدٍ كأنها
صُدور القنا يطلُعن من كلِّ مَطْلعِ[5]

****

قال عامر بن زيد مناة العبدي

(السريع)

قد حَصت البيضة رأس امرئٍ
جلدٍ على الأهوالِ صبّار[6]

(٥) جرد: خيول. مطلع: مكان.

(٦) حصت: اخذت. البيض: الخوذة.

التخريج:

السيوطي، جلال الدين: المزهر، ص ٤٣٦، تحت باب من لقب من الشعراء بيت شعر قاله، أورد السيوطي أربعة من شعراء عبدالقيس: المثقب العبدي والممزق العبدي وهذين الشاعرين ربيعة بن ليث العبدي ويدعى المطلع، وعامر بن زيد مناة العبدي ويدعى الحصيص وهو من بني سليمة من عبدالقيس.

****

وقال عمرو بن حنثر

(البسيط)

سائل قميئةَ هل أعشيتُه فرسي
أم هل كررتُ عليه ثم ثنّيتُ(١)

التخريج:

المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤١، قال عمرو بن حنثر العبدي وقيل خنثر.

****

(١) اعشيته: اعشى: أعطى. وأعشى بمعنى ساء بصره ويحتمل أن يكون أغشيته بمعنى داهمته وأغشاه أيضاً حمله على القدوم.. قميئة: اسم شخص وربما شاعر من عبدالقيس (الشعر والشعراء ١/٣٩٩).

وقال شهاب بن العيّف

(مشطور الرجز)

لا هُمَّ إن الحارث بن جبَلَهْ[1]
زنّا على أبيه ثم قتَله[2]
وركب الشانخة المحجله[3]
وكان في جاراته لا عهد له[4]
فأي أمرٍ سيئ لا فعله[5]

التخريج:

١ – البغدادي: خزانة الأدب ٤/٢٢٩، وشهاب بن العيف أحد بني سليمة من عبدالقيس.

٢ – محمد بن حبيب: من نسب إلى أمه من الشعراء (مجموعة نوادر المخطوطات) ص ٥ الأبيات رقم ١ برواية الحارث ورقم ٢ برواية: عق أباه ظالماً وقتله، ورقم ٥ برواية: وأي فعل سيئ، والشاعر هو عمارة بن العيف.

٣ – ابن منظور: لسان العرب ١٤/٣٦٠، البيتان رقم ١، ٢.

٤ – ابن سيده: المخصص ١٤/٣، ١٦/٢٣، البيتان رقم ١ ، ٢ برواية: زنأ بمعنى ضيق عليه.

٥ – عبدالسلام هارون: معجم شواهد العربية ص ٥٢٠.

****

(٢) زنا على ابيه: ضيق عليه.

(٣) الشانخة: الفعلة القبيحة.

قال شاعر من عبدالقيس

(الطويل)

ومن حُولَةِ الأيامِ والدهْرِ أننا
لنا غنمٌ مقصورةٌ ولنا بَقَرْ[1]

التخريج:

الأنصاري: النوادر في اللغة، ١٣٤، قال ذلك رجل من عبدالقيس أدرك الإسلام.

****

وقال آخر من عبدالقيس

(الطويل)

ولستُ لإنسيٍ ولكن لملأَكٍ
تنزَّلُ من جوِّ السماءِ يصُوبُ[2]

التخريج:

أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٣٣، نسبه إلى رجل من عبدالقيس يمدح النعمان بن المنذر ونسب البيت أيضاً لأبي وجرة وإلى علقمة بن عبدة.

****

(١) الحولة: الكثير الاحتيال. مقصورة: محبوسة.

(٢) ملأك: ملاك. يصوب: ينزل بغزارة.

أخت سعد بن قُرط(*)

(مجزوء الرجز)

يا سعدُ يا خيرَ أخٍ نازعتَ دُرَّ الحَلَمَةْ[1]
يا ذائدَ الخيلِ ومُجْتابِ الدِّلاصِ الدُّرِمه[2]
سيفُك لا يَشفى بِهِ إلا السنادِ السَّنِمه[3]
يا سعد كم أوقدْتَ للأضيافِ ناراً زَهِمه[4]
جاد على قبرِكَ غيثٌ من سماءٍ رَزِمه[5]

التخريج:

١ - أبو تمام: الوحشيات، ص ١٤٠، وأنشدها أبو تمام في شعر القبائل.

٢ - البكري: سمط اللآلئ، ٢٢٨/١، والبيت الأول برواية: يامر يا خير أخ، ويروى أيضاً: ياقر، وأيضاً: يا عمرو يا خير أخ، والصواب ما أثبتناه ونسب الشعر إلى سالم بن دارة، البيت رقم ٤ يا خير من أوقد للأضياف ناراً حجمه، وبعدها زياده طفيفة، لا يشقى به إلا للعسير السنمه.

(*) أخت سعد بن قرط : شاعرة من عبدالقيس من بني جذيمة، وقالت ترثى اخاها.

(١) در الحلمة: شدة الضباب، الحليب.

(٢) الدلاص: الدروع. الدّرمة: الملساء.

(٣) السناد السنمة: النوق الطويلة القوائم، المستديرة السنام.

(٤) ناراً زهمة: ناراً حامية وعليها حطام كثير.

(٥) رزمة: شديدة البرد والمطر.

٣ – القالي: الأمالي، ١/٦٣ والأبيات ١، ٤، ٢، ٣، ٥ بالترتيب وزاد القالي بيتين بين الرابع والثاني وقال: هي لامرأة ترثي أخاها، والبيتان هما:

يا جالب الخيل إلى الخيل تعادي أجمه

يثبت نوراً أرجا جرجاره والنيمه

٤ – ابن منظور: لسان العرب، مادة رزم، البيت الأخير.

٥ – ابن الأنباري: شرح القصائد الجاهليات، البيت الأول ص ٥٢٤.

٦ – المرزباني: أشعار النساء عن شعر القبائل، وهو مخطوط، وفيه أن أخت سعد اسمها تنهاه، الورقة ٦٤.

٧ – صقر عبدالبديع: شاعرات العرب، ص ١٧٨.

****

ابنة حكيم بن عمرو العبدية

(الطويل)

أيرجـــو ربيعٌ أن يؤوبَ وقــد ثوَى
حكيمٌ وأمِــسى شـــاوه بمُطبَّقِ(1)

فــإن كنتم قــومــاً كِرامــاً فـعـجّلوا
له جُــراةٌ من بأسكمْ ذاتُ مــصْــدَق(2)

فـــإن لم تنالوا نيلَكمْ بسـيـــوفكمْ
فكونوا نســاءً في المُــلاءِ المُــخَلّق(3)

وقـــولوا ربيعٌ ربُكم فــاســجـدوا له
فــمــا أنتم إلا كـمِــعْــزى الجَــبلّق(4)

التخريج:

١ - البحتري: الحماسة، ص ٣١ رقم ١٢٤ باب ١١ ما قيل في الامتناع عن الصلح.

٢ - بشير يموت: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص ١٠٤ قالت الشاعرة ترثي أخاها وتحرض قومها على أخذ ثأره، وهي من شاعرات الجاهلية.

٣ - عبدالبديع صقر: شاعرات العرب، ص ٨٢.

٤ - محمد سعيد المسلم: ساحل الذهب الأسود، ص ٢٦٢. البيتان رقم ١، ٢ وبرواية أن يعود بدلاً من يؤوب.

****

(1) ثوى حكيم: هلك ومات. وربيع: رجل من عبدالقيس ولعله الربيع بن حوثر. شاوه: الشاو: الأمد، وهو بعيد الشاو: عالي الهمة. مطبق: قبر وهو اصلاً السجن تحت الأرض.

(٤) معزى الجبلق: قطعان الغنم على الجبل، البيت الاخير فيه الفاظ إسلامية مما يدل على أنه قيل زمن الإسلام ويبدو ان الشاعرة ادركت الإسلام ويحتمل ايضاً ان تكون قد تسربت إليها افكار الموحدين في عبدالقيس.

قالت أم النَّحيف(*)

(الطويل)

لَعَمْري لقد أخلفتَ ظني وسُؤْتني
وحزتَ بعصياني الندامةَ فاصْبِرِ(١)
ولاتكُ مِطْلاقاً ملولاً وسامح
القرينةَ وافْعلْ فعلَ حرٍّ مُشهَّرِ(٢)
فقد حُزتَ بالورهاءِ أخبثَ خَبْثةٍ
فدعْ عنك ما قد قلتَ يا سعدُ واحْذرِ(٣)
تَربصْ بها الأيامَ علَّ صروفَها
سترمي بها في جاحِمٍ مُتَسعِّرِ(٤)
فكم من كريمٍ قد مناهُ إلهُهُ
بمذمومةِ الأخلاقِ واسعةِ الحَرِ(٥)
فطاولَها حتى أتتْها منيةٌ
فصارت سَفاةً جثوةً بين أقْبُرِ(٦)

(*) أم النحيف: شاعرة من بني جذيمة من عبدالقيس كان ابنها قد تزوج امراة نهته عن زواجها فابى، وبعد الزواج أراد طلاقها فلم ترضَ امه عن ذلك وحذرته وطلبت إليه ان يصبر عليها إلى أن تموت. ويبدو ان هذه الشاعرة هي أم سعد بن قرط اخو الشاعرة أخت سعد بن قرط، وقد أدركت الإسلام ورحلت إلى البصرة (المرزباني - مخطوط - اشعار النساء)، والنحيف ابنها وهو سعد بن قرط من بني جذيمة.

(٣) الورهاء: الحمقاء. دع عنك: عندما هم بطلاقها والمعنى اصابك بهذه الزوجة الحمقاء فساد عظيم فاترك ما تكلمت به في امر الطلاق واحذر أن تعود إليه.

(٤) الصروف: النوائب والمحن.

(٥) الحر: فرج المراة.

(٦) سفاة: الكومة من التراب. جثوة: حجارة مجمعة.

فاعْقبَ لما كان بالصبرِ مُعْصِماً
فتاةٌ تمشي بين إتْبٍ ومِئْزر[7]

مُهَفْهفَة الكشحينِ محطوطة المَطَا
كهمٍّ الفتى في كل مبدَىً ومحْضَر[8]

لها كَفَلٌ كالدعْصِ لبَّدَهُ الندى
وثغرٌ نقيٌّ كالأقاحي المُنوَّر[9]

التخريج:

١ – أبو تمام: الحماسة، ص ٥٥٩ باب شعر النساء.

٢ – بشير يموت: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص ١٠٢.

٣ – عبدالبديع صقر: شاعرات العرب، ص ٤٤٤.

٤ – المرزباني: أشعار النساء (مخطوط). ورقة ٦٠ وتحت: عنوان شعراء عبدالقيس.

****

(٧) معصم: محصن. إتب: نوع من الثياب.

(٨) مهفهفة الكشحين: خميصة البطن، دقيقة الخصر. محطوطة المطا: مصقولة. كهم الفتى: كما يهواها.

(٩) الدعص: ما استدار من الرمل، وهي تصف المرأة التي تريدها لابنها بانها رقيقة الخصر ضامرة البطن وناعمة الظهر ولها كفل عظيم وثغر مجلو الأسنان وطيب الرائحة.

شاعرة من عبدالقيس

(الطويل)

أَبوا أن يفـــرُّوا والقَنا في نحـــورهِمْ
ولم يبتـغـوا من رهبـةِ الموت سُلَّمـا[1]

ولو أنهم فَـــرُّوا لكانوا أعـــزّةً
ولكن رأوا صـبـراً على الموتِ أكرمـا[2]

التخريج:

١ – البحتري: الحماسة، ص ٣٧ رقم ١٦١، باب ١٤ ما قيل في ذم الفرار والتعيير به.

٢ – مجهول: مجموعة المعاني، ص ٢٩ تحت باب في النجدة واليأس قالت امرأة من عبدالقيس.

٣ – الخالديان: الأشباه والنظائر، ٣٠٥/٢ منسوبان لماوية بنت الأحب (وبنت الأحب امرأة من هوازن، في الجمهرة في ٢١٩/١).

٤ – البصري، على بن أبي الفرج: الحماسة البصرية ٣٢/٢، ونسبت إلى ماوية بنت الأحب في رثاء بنيها مع بيت آخر هو:

هوت أمـــهمْ مـــاذا بهم يوم صُــرّعـــوا
بجـــيْـشـــان من أوتاد مُلك تهـــدّمـــا

٥ – التبريزي: شرح الحماسة، في ٢٠١/٢ منسوبان إلى أم الصريع.

****

شاعرة من عبد القيس

(الطويل)

خـرجتُ لأعـتـادَ القـبـورَ فلم أجـدْ
سـوى جَـدَثٍ ضُـمَّتْ عليـه الصـفـائحُ(١)
فـيـا وقـعـةَ الدنيـا فـهـلا بغـيْـرِهِ
فـجـعْتِ البـواكي تَرُحـتْكِ المـتـارِحُ(٢)

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ١٠٥ رقم ٤٨٥ باب ٥٦، ما قيل في عتاب الدهر على فجيعة الأهل والأقارب.

****

(١) الصفائح: الحجارة العريضة. اعتاد: أزور.

(٢) ترحتك المتارح: أحزنتك الآلام.

قال رجل من عبد القيس

حليف لبني شيبان.

(الوافر)

ولمّا أن رأيتُ بني حُيَيٍّ
عرفتُ شناءَتِي فيهم ووِتْري[1]
رميْتهمُ بوجرةَ إذ تواصَوا
ليرْموا نحْرَهَا كثباً ونَحْري[2]
إذا نفذتْهم كَرّتْ عليهم
كأن فُلوها فيهم وبكري[3]
بذات الرِّمْثِ إذ خَفَضوا العوالي
كأن ظُباتِها لهبانُ جَمْرِ[4]
فلم أنْكلْ ولم أجْبنْ ولكن
يممتُ بها أبا صخرِ بن عمرو[5]

---

(١) شناءة: بغض. وتر: ثار.

(٢) وجرة: اسم فرس الشاعر. كثب: عن قرب.

(٣) نفذتهم: نفذت فيهم. فلو: ولد الفرس أو الأتان، يقول من شدة طلبي وطلب فرسي لهم كأني أطلب فيهم ولدي البكر وهيَ كذلك.

(٤) ذات الرمث: واد لبني أسد. العوالي: الرماح. ظباة: حد السيف. لهبان: اشتعال النار. (وفي معجم البلدان ٥/٣٨٠ من ديار غطفان).

(٥) أنكل: أجبن. يممت: قصدت بطعنتي. أبو صخر بن عمرو: رجل كان بينه وبين الشاعر ثار وادركه الشاعر منه.

شَكَكْتُ مــــجــــامعَ الأوصـــالِ منه
بنـافـــــذةٍ علـى دهشٍ وذُعْـــــــر[٦]

تـركتُ الـرمـحَ يـبـــــرقُ فـي صـــــلاه
كــــان سِنانـه خُـــــرطومَ نَسْــــــر[٧]

فـــــإنْ يَـبْـــــرأْ فلـم انـفُـثْ عليــــه
وإن يـهلكْ فـــــذلك كـــــان قَـــدْري[٨]

التخريج:

١ – المفضل الضبي: المفضليات، مفضلية رقم ١٣، ص ٧٠، نسبها بعضهم ليزيد بن سنان.

٢ – الأنباري: شرح المفضليات، ص ١٢١، ١٢٢ ويقول فيها: إن الذي قالها هو يزيد بن سنان في قتله أبي عمرو بن صخر القيني وكان سباهم يوم ذات الرمث، البيت رقم ٤ كأن ظباتهن جميم جمر، رقم ٥ شددت على أبي صخر بن عمرو، رقم ٦ مجامع الأمطاء وجامع الأمعاء، وأيضاً دهش وفتر.

٣ – التبريزي: شرح اختيارات المفضل الضبي، ٣٤٩/١٢ رواها أحمد ولم يروها عكرمة ويقال: إن الشعر ينسب إلى سنان بن أبي في قتله أبا صخر بن عمرو، وكان سباهم يوم ذات الرمث، والقصيدة رقم ١٣ في الأنباري وليست في مخطوطة شرح المرزوقي وقد أسقطها التبريزي سهواً ثم استدركها ونقل معظم شرحها وروايتها عن الأنباري. والتبريزي يقول (أبو صخر بن عمرو) والأنباري يرى أنه (أبو عمرو بن صخر القيني).

(٦) الأوصال: المفاصل ومجتمع العظام. مجامع: مواضع الاتصال. نافذة: طعنة نافذة وقوية. دهش وذعر: استغراب وخوف من شدة الأمر وصعوبته.

(٧) الصلا: وسط الظهر. خرطوم: منقار النسر.

(٨) المعنى هنا أن يبرأ ولم يكن برؤه من رقية مني رقيت بها لأني لم أرد أن يبرأ وأن يهلك، فذلك الذي قدرت له وأردت به.

٤ – ابن الكلبي: نسب الخل في الجاهلية والإسلام، البيت رقم ٢، ص ٢٣.

٥ – ابن الأعرابي: أسماء خيل العرب وفرسانها، البيتان ٢، ٣ ص ٧٠.

٦ – ابن منظور: اللسان، ٢٧٨/٩٤ البيت رقم ٥.

٧ – أبو عبيدة: النقائض، البيتان ٥، ٧ ص ١٠١٦.

****



قال عبدالله بن جِنح النكري(*)

(الكامل)

زَعَم الغواني إن أردْنَ صَريمَتي
أن قد كبِرْتُ وأدبرتْ حاجاتي(١)

وضحكْن مني ساعةً وسألْنني
مُذ كم كذا سنة أخذتُ قناتي(٢)

ما شبتُ من كبرٍ ولكنّي امرؤٌ
أغشى الحروبَ وما تشيبُ لِداتي(٣)

أحمي أناسِي أن يُباح حريمُهُم
وهم كذاك إذ عُنيتُ حماتي(٤)

من معشرٍ يابى الهوان أخوهم
شُمُّ الأنوفِ جَحَاجِحُ سادات(٥)

عزُّوا وعزَّ بعزِّهم من جاوروا
وهم الذُّرى وغلاصِمُ الهامات(٦)

إن يُطلبوا بجريرةٍ يَنْأَونها
أو يطلبوا لا يُدْرَكوا بِتِرات(٧)

التخريج:

١ - الأصمعي: الأصمعيات، أصمعية رقم ٣٠ ص ١١٤ وقد أنشدها خلف الأحمر.

٢ - الأصفهاني: الأغاني، البيتان ٥، ٧، ١٠٣/٦ منسوبان إلى الوليد بن يزيد.

٣ - العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ص ٣٩٣ قال وكيع القطامي، الأبيات الثلاثة الأولى ويقول العسكري: إنها تنسب إلى عاد بن شنيم من بني ثعلبة بن عبدالله بن جنح النكري من قدماء عبدالقيس.

****

(*) لم نعثر على ترجمة لهذا الشاعر إلا أن العسكري أورد انه من بني ثعلبة من عبدالقيس وهو قديم، ويبدو لي انه حدث تحريف في اسمه فحذف اسمه وبقي هذا الاسم الذي نسب إليه الشعر.

(١) صريمتي: قطيعتي. أدبرت: مضت.

(٢) أخذت قناتي: أخذت عصاتي.

(٥) جحاجح: السادة الكرماء.

(٦) غلاصم: الشرف. أصلها راس الغلصوم.

(٧) جريرة: الجناية. يناونها: يبتعدون عنها.

قال شاعر من عبد القيس

(الطويل)

ولو كنتُ في أعلى عـمـايةَ يافـعـاً
مع العُصْمِ دوني صخْرَها وجنودَها(١)
إذاً لأتتْني حيث كنت منيتي
يحثُّ بها هادٍ إليَّ يقودها(٢)

وقال أيضاً:

ألم ترَ أن الدهر يأتي بصرْفِهِ
على كلِّ من تحوي البلادُ من الإنسِ(٣)
ولو لم يمتْ ممَّن ترى غيرَ واحدٍ
لكنتُ جديراً أن أخاف على نفسي(٤)

وقال أيضاً:

ألم ترَ أن الدهرَ يومٌ وليلةٌ
وأن الفتى يسعى بحبْلَيْه عانِيا(٥)
يروحُ ويغدو والمنيَّةُ قصدُهُ
ولابدَّ يوماً أن يُلاقي الدَّواهيا(٦)
ضلالٌ لمن يرجو الخلودَ وقد رأى
صُروفَ الليالي يَقْتَلِعنَ الرَّواسيا(٧)

التخريج:

البحتري: الحماسة، ص ١٠٠ رقم ٤٥٧، ٤٥٦، ٤٥٥، باب ٥٢ ما قيل في اليأس من البقاء وحذر الموت وترقبه وقلة الحيل فيه.

****

(١) العصم: البقايا.
(٥) العاني: الخاضع والعنوة أخذ الشيء قصراً والعاني الأسير.
(٧) الرواسي: الجبال.

المصادر والمراجع

المصادر القديمة

الآمدي : أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت ٣٧٠هـ)

(١) المؤتلف والمختلف ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة الحلبي وشركاه القاهرة ، ١٩٦١م .

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف القاهرة، ١٩٦١م.

ابن الأثير : أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ)

(٣) الكامل في التاريخ ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٥م.

الأخفش : أبو الحسن علي بن سليمان آل فضل (ت ٣١٥هـ)

(٤) كتاب الاختيارين ، تحقيق فخر الدين بن قباوة ، مطبعة الكتبي دمشق، ١٩٧٤م.

الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)

(٥) تهذيب اللغة ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب العربي – مطابع سجل العرب، القاهرة ، ١٩٦٧م.

الأشناندانى : أبو عثمان سعيد بن هارون (ت ٢٨٨هـ)

(٦) معاني الشعر، جمعية الرابطة الأدبية ، دمشق ، ١٩٢٢م.

ابن الأعرابي : أبو عبد الله محمد بن زياد (ت ٢٣١هـ)

(٧) أسماء خليل العرب وفرسانها ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٢٨م.

الأصمعي : عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ)

(٨) الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف مصر، ١٩٥٥م.

(٩) كتبال الإبل (مجموعة الكنز اللغوي) تحقيق أوغست هلنر ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٠٣م

(١٠) كتاب خلق الإنسان (مجموعة الكنز اللغوي) تحقيق أوغست هلنر، المطبة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٠٣م.

(١١) فحولة الشعراء ، شرح محمد عبد المنعم خفاجي وطه الزيني ، مطبعة المنيرية القاهرة ، ١٩٥٣م.

الأعشى : ميمون بن قيس بن جندل

(١٢) الديوان ، شرح وتعليق محمد حسين ، المطبعة النموذجية، نشر مكتبة الآداب بالجمامين، ١٩٥٠م.

امرؤ القيس : ابن حجر بن الحارث الكندي

(١٣) الديوان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٨م.

الأنباري : أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار (ت ٣٠٥)

(١٤) شرح ديوان المفضليات ، تحقيق كارلوس يعقوب لايل ، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ، ١٩٢٠م.

ابن الانباري : أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ)

(١٥) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

(١٦) الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الكويت ، ١٩٦٠م.

الأنصاري : أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت (ت ٢١٥هـ)

(١٧) النوادر في اللغة ، تصحيح سعيد الشرتوني، المطبعة اليسوعية ، بيروت ١٨٩٤م.

البحتري: أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت ٢٨٤ هـ)

(١٨) الحماسة ، تصحيح وتحقيق الأب لويس شيخو ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

البصري: صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين (ت ٦٥٩هـ)

(١٩) الحماسة البصرية ، تحقيق مختار الدين أحمد ، طبع وزارة المعارف للحكومة الهندية ، ١٩٦٤م.

البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)

(٢٠) خزانة الأدب ، مطبعة بولاق، ١٣٧٠هـ

البكري : أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ)

(٢١) معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ

(٢٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٦م.

(٢٣) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، تحقيق إحسان عباس وعبدالمجيد عابدين ، الخرطوم ، ١٩٥٨م.

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ).

(٢٤) فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وأخيه ، دار النشر بيروت ، ١٩٥٧م.

(٢٥) انساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله، معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية ودار المعارف بمصر ، ١٩٥٩م.

التبريزي : ابو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢ هـ)

(٢٦) شرح اختيارات المفضل الضبي ، تحقيق فخر الدين بن قباوة، مجمع اللغة العربية، دمشق ، ١٩٧٢م.

(٢٧) شرح القصائد العشر ، طبع كارلس لابل ، دار الإمارة ، كلكتا ١٨٩٤م.

ابو تمام : حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٢٨هـ)

(٢٨) ديوان الحماسة، تعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، مطبعة محمد علي القاهرة ، ١٩٥٥م.

(٢٩) الوحشيات، تحقيق عبد العزيز الراجكوتي وزاد في حواشيه محمود شاكر، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣م.

ابن ابي ثابت : ابو محمد ثابت (من علماء القرن الثالث الهجري) .

(٣٠) خلق الإنسان ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الكويت ، ١٩٦٥م

الثعالبي : ابو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ)

(٣١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، نهضة مصر للطباعة والنشر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

(٣٢) لطائف المعارف ، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه ، ١٩٦٠م.

(٣٣) التمثيل والمحاضرة ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦١م.

ثعلب : أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (ت ٢٩١ هـ)

(٣٤) مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر، ١٩٤٨م.

الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)

(٣٥) الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الحلبي وشركاه ، مصر ١٩٤٥م.

(٣٦) البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦١م.

الجرجاني : علي بن عبد العزيز (ت ٣٦٦هـ)

(٣٧) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق علي محمد البجاوي وزملائه، دار إحياء الكتب، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، ١٩٥٨م.

الجمحي : محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ)

(٣٨) طبقات فحول الشعراء، شرح محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢م.

ابن جني: أبوالفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)

(٣٩) المحتسب ، تحقيق علي النجدي وآخرين ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

(٤٠) الخصائص ، تحقيق الشيخ محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتاب الحديثة، القاهرة ، ١٩٥٥م.

ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن امية بن عمرو (ت ٢٤٥هـ)

(٤١) المحبر ، تحقيق إيلزة شنيتر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف حيدر آباد ، ١٩٤٢م.

(٤٢) مختلف القبائل ومؤتلفها ، نشر وستفيلد ، طبع مكتبة المثنى ، بغداد، ١٨٥٠.

(٤٣) من نسب إلى أمه من الشعراء (مجموعة نوادر المخطوطات) تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٥م.

(٤٤) ألقاب الشعراء (مجموعة نوادر المخطوطات) تحقيق عبد السلام هارون.

(٤٥) أسماء المغتالين من الأشراف (مجموعة نوادر المخطوطات) تحقيق عبد السلام هارون

ابن حجر : أوس

(٤٦) الديوان ، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت ، ١٩٦٠م

ابن حزم : علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ)

(٤٧) جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م.

الحلبي: أبو الطيب عبد الواحد بن علي (ت ٣٥١ هـ).

(٤٨) الابدال ، تحقيق عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق ، ١٩٦٠م.

الحميري : ابو سعيد نشوان (ت ٥٧٣هـ)

(٤٩) الحور العين ، تحقيق كمال مصطفى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٨م.

ابن أبي خازم : بشر الأسدي

(٥٠) الديوان ، تحقيق عزت حسن، دمشق ، ١٩٦٠م.

الخالديان : أبو بكر محمد (ت ٣٨٠) وأبو عثمان سعيد (ت ٣٩١هـ)

(٥١) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين ، تحقيق السيد محمد يوسف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٨م.

ابن الخطيم : قيس

(٥٢) الديوان ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار العروبة ، القاهرة ١٩٦٢م.

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)

(٥٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٥٦م.

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ)

(٥٤) الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مؤسسة الخانجي، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٨م.

(٥٥) جمهرة اللغة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر آباد ، الدكن ١٣٤٣هـ وطبعة المثنى ببغداد.

الدينوري : أحمد بن داؤد (ت ٢٨٢ هـ)

(٥٦) الأخبار الطوال ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩١٢م.

الزبيدي: أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني (ت ١٠٢٥هـ)

(٥٧) تاج العروس ، طبعة بيروت ، ١٩٦٦م وطبعة المطبعة المنيرة ١٣٠٦هـ.

الزجاجي : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق (ت ٣٤٠هـ)

(٥٨) مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الكويت، ١٩٦٢م

الزمخشري : أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)

(٦٠) الأمكنة والمياه والجبال ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، مكتبة السعدون ببغداد.

الزوزني : أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)

(٦١) شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٦١م.

السجستاني : أبو حاتم سهل بن محمد (ت ٢٥٠هـ)

(٦٢) المعمرون والوصايا ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مطبوعات الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦١م.

ابن سعد : محمد (ت ٢٣٠هـ)

(٦٣) الطبقات الكبرى، دار صار، دار بيروت ١٩٥٧م.

ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحق (ت ٢٤٤ هـ).

(٦٤) القلب والإبدال (مجموعة الكنز اللغوي) تحقيق أوغست هنز، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٣م.

(٦٥) تهذيب الألفاظ، تحقيق الأب لويس شيخو المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩٥.

(٦٦) إصلاح المنطق، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٤٩م.

السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١هـ)

(٦٧) الروض الأنف، مطبعة الجمالية، مصر، ١٩١٤م.

ابن سِيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)

(٦٨) المخصص، طبعة بولاق، ١٣١٦ هـ.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)

(٦٩) المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٨م.

(٧٠) شرح شواهد المغني، مطبعة محمد مصطفى، القاهرة، ١٣٢٢ هـ.

(٧١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

ابن الشجري: هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت ٥٤٢هـ)

(٧٢) الحماسة الشجرية، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م.

الشماخ : ابن ضرار الذبياني بن حرملة

(٧٣) الديوان، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م

الضبعي : المتلمس.

(٧٤) الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، مطابع دار الكاتب العربي، ١٩٧١م.

الضبي: المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر بن سالم (ت ١٦٨هـ)

(٧٥) المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٤٣م.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

(٧٦) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ١٩٦٧م.

طرفة بن العبد (ت ٥٦٤ م)

(٧٧) الديوان ، تحقيق علي الجندي ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٩٥٨م.

ابن الطفيل : عامر العامري

(٧٨) الديوان ، دار بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٣م ونشرة لايل ، دار المعارف.

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ)

(٧٩) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق محمد علي البجاوي ، مطبعة نهضة مصر، القاهرة.

ابن عبد الحق : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩ هـ)

(٨٠) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٤م.

ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٢٣٨هـ)

(٨١) العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٨م.

أبو عبيدة : معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)

(٨٢) مجاز القرآن ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، مطابع الخانجي، مصر ١٩٥٤م.

العسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ)

(٨٣) الإصابة في تمييز الصحابة ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، ١٩٣٩م.

العسكري : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ)

(٨٤) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، تحقيق عبد العزيز أحمد ، مطبعة الحلبي ، القاهرة، ١٩٦٣م.

(٨٥) كتاب الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي وزملائه ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٢م.

(٨٦) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، تحقيق عزّة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٠م.

(٨٧) ديوان المعاني، مكتبة المقدسي ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ.

العسكري: أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد (ت ٣٨٢ هـ)

(٨٨) المصون في الأدب ، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٠م.

العمري: ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ)

(٨٩) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد زكي ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٢٤م.

العيني : بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ).

(٩٠) شرح الشواهد ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، ١٩٦٨م.

الفيروزآباوي : محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)

(٩١) القاموس المحيط ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٣٤٤هـ

القالى : أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ)

(٩٢) الأمالي ، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٢٦م.

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)

(٩٣) الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، بمصر، ١٩٦٦م

(٩٤) عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ١٩٦٣م.

(٩٥) المعاني الكبير ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ١٩٤٩م.

(٩٦) المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٠م.

(٩٧) تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه.

[illegible] يا بن محمد بن محمود (ت [illegible])

(٩٨) آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٠م .

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)

(٩٩) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق على الخاقاني، مطبعة النجاح ، بغداد ، ١٩٥٨م.

القيرواني: ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ)

(١٠٠) العمدة ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ، القاهرة ١٣٥٣هـ ، طبعة بيروت ١٩٧٢م.

ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)

(١٠١) البداية والنهاية، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ.

ابن الكلبي : أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ)

(١٠٢) الأصنام، تحقيق أحمد زكي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

(١٠٣) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام ، تحقيق أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٥م.

(١٠٤) جمهرة النسب ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٦م.

لغذة : الحسن بن عبد الله الأصفهاني (قرن ٣ هـ)

(١٠٥) بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر ود. صالح العلي ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٦٨م.

المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)

(١٠٦) الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق زكي المبارك، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٩٣٧م.

المثقب : عائذ بن محصن (ت ٥٨٧ ق. م)

(١٠٧) الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٧١م.

المرزباني : أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤ هـ)

(١٠٨) معجم الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة الحلبي، القاهرة ، ١٩٦٠م.

(١٠٩) أشعار النساء ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية ، ١٣٦٧هـ

(١١٠) الموشح ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مطبعة لجنة البيان العربي مصر ، ١٩٦٥م.

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)

(١١١) مروج الذهب، ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٨.

ابن المعتز : عبد الله بن المعتز بن المتوكل (ت ٢٩٦هـ)

(١١٢) طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٦ م

المعري : أبو العلاء أحمد بن عبد الله التنوخي (ت ٤٤٩ هـ)

(١١٣) رسالة الغفران ، تحقيق بنت الشاطىء ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٠م

ابن مقبل : تميم.

(١١٤) ديوان شعر، تحقيق عزة حسن، دمشق ، ١٩٦٢م.

المقدسي : شمس الدين محمد الشافعي البشاري (ت ٣٧٥ هـ)
(١١٥) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبعة دي غويه ، ليدن ، ١٩٠٦م
ابن المقرب : جمال الدين علي (ت ٦٢٩هـ)
(١١٦) ديوان شعر ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مصطفى الحلبي وشركاه القاهرة ، ١٩٦٣م.
ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور (ت ٧١١هـ)
(١١٧) لسان العرب، دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٧٤ ، طبعة بولاق ١٣٠٠م.
ابن منقذ: اسامة (ت ٥٨٤هـ)
(١١٨) المنازل والديار ، تحقيق مصطفى حجازي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ١٩٦٨م
مؤلف مجهول:
(١١٩) مجموعة المعاني، مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ، ١٣٠١هـ
الميداني : أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨ هـ)
(١٢٠) مجمع الأمثال ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ.
ابن النديم: محمد بن إسحق (ت ٣٨٣هـ)
(١٢١) الفهرست ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، ١٣٤٨هـ
النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ)
(١٢٢) نهاية الأرب في فنون العرب، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٦٣م.
ابن هشام : أبو محمد عبد الله بن عبد الملك (ت ٢١٨هـ)
(١٢٣) السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة الحلبي وشركاه.
الهمداني: أبومحمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٢هـ)
(١٢٤) صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن بليهد النجدي ، مطبعة السعادة القاهرة ، ١٩٥٣م.
ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)
(١٢٥) معجم البلدان ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٥٥م.
(١٢٦) معجم الأدباء ، دار المأمون ، القاهرة ، ١٩٥٨م.
اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ)
(١٢٧) تاريخ اليعقوبي ، تحقيق صادق بحر العلوم ، النجف ، ١٩٦٤م.

المراجع الحديثة

الأحسائي: محمد بن عبد الله آل عبد القادر

(١٢٨) تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، القسم الأول، مطابع الرياض، ١٩٦٠م.

الأسد : ناصر الدين

(١٢٩) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م.

الأفغاني: سعيد

(١٣٠) أسواق العرب في الجاهلية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٠م

الآلوسي : محمود شكري

(١٣١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، طبعة محمد بهجة الأثري، مطابع دار الكتاب العربي، مصر ١٣٤٢هـ.

الأنصاري : محمد جابر

(١٣٢) لمحات من الخليج العربي، الشركة العربية ، البحرين ، ١٩٧٠م

بروكلمان : كارل

(١٣٣) تاريخ الأدب العربي ، تعريب عبد الحليم النجار، دار المعارف ، مصر ١٩٦١م.

ابن بليهد : محمد بن عبد الله النجدي

(١٣٤) صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، مطبعة السعادة ومطبعة الإمام ، القاهرة ١٩٥١م.

البهبيتي : نجيب محمد

(١٣٥) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠م.

جاد المولى : محمد أحمد وزملاؤه

(١٣٦) أيام العرب في الجاهلية ، مطبعة الحلبي ، مصر ، ١٩٤٢م

الجندي : علي

(١٣٧) الشعراء وإنشاد الشعر ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٩م.

الجندي : علي محمد

(١٣٨) شعر الحرب في العصر الجاهلي ، مكتبة الجامعة ، بيروت ، ١٩٦٦م.

حسن : عبد الحميد

(١٣٩) الأصول الفنية للأدب ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

حسين : طه

(١٤٠) حديث الأربعاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢م.

(١٤١) في الأدب الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٢٧م.

(١٤٢) في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦م.

حسين : محمد محمد «دكتور»

(١٤٣) أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة ، الإسكندرية ، ١٩٦٠م.

(١٤٤) الهِجاء والهجاؤون في الجاهلية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٦٤ م

حوراني : جورج فضلو

(١٤٥) العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة سيد يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨م.

الحوفي: أحمد محمد

(١٤٦) المرأة في الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٤م

(١٤٧) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٣م.

الخضري : محيى الدين.

(١٤٨) الخليج العربي ، دار الحياة ، دمشق ، ١٩٧٠م.

خليف : يوسف عبد القادر

(١٤٩) الشعراء الصعاليك ، دار المعارف، مصر ، ١٩٦٦م.

الخليفة : الشيخ عبد الله بن خالد وعبد الملك الحمر

(١٥٠) البحرين عبر التاريخ ، المطبعة الشرقية ، البحرين ، ١٩٧٠م.

الدباغ : مصطفى مراد

(١٥١) جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام ، جزءان ، منشورات دار الطليعة بيروت، ١٩٦٣م.

(١٥٢) قطر ماضيها وحاضرها ، منشورات دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦١م.

الدقاق : عمر

(١٥٣) مصادر التراث العربي ، مكتبة دار الشرق ، بيروت ، ١٩٧٢م.

ددوزه : محمد عزة .

(١٥٤) تاريخ الجنس العربي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦١م.

رفلة: فيليب وأحمد سامي

(١٥٥) جغرافية الوطن العربي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٥م

الزركلي : خير الدين

(١٥٦) الأعلام ، قاموس تراجم ، بيروت ، ١٩٦٩م.

زكي : أحمد كمال

(١٥٧) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، دار الكاتب العربي القاهرة ، ١٩٦٩م.

زيدان : جرجي

(١٥٨) تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٧م.

سالم : سيد عبد العزيز

(١٥٩) تاريخ العرب في العصر الجاهلي ، بيروت ، ١٩٧١م.

سيديو : لويس أميل

(١٦٠) مختصر تاريخ العرب ، مطبعة محمد أفندي مصطفى ، القاهرة ، ١٨٩١م.

شيخو: الأب لويس

(١٦١) شعراء النصرانية ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٩٠ م.

(١٦٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ، ١٩١٢م

صقر : عبد البديع

(١٦٣) شاعرات العرب ، قطر، المكتب الإسلامي ، ١٩٦٧م.

ضيف : شوقي

(١٦٤) العصر الجاهلي «تاريخ الأدب العربي» دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٠م

(١٦٥) في النقد الأدبي، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢م.

طالب: حسن علي

(١٦٦) أدباء من البحرين، المطبعة الشرقية، البحرين، ١٩٦٧م.

الطيب: عبد الله

(١٦٧) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر، بيروت ١٩٧٠م.

العبيدي: عبد الرحمن

(١٦٨) الأدب العربي في الخليج العربي ، مطابع الرياض ، ١٩٥٧م.

العبيدي : خضير نعمان

(١٦٩) البحرين من إمارات الخليج العربي ، مطبعة المعارف ، بغداد.

العريض : كريم علي وصلاح المدني

(١٧٠) من تراث البحرين الشعبي ، مطبعة سيما ، بيروت.

عطوان : حسين

(١٧١) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠م.

(١٧٢) وصف البحر والنهر في الشعر العربي ، المطبعة الأردنية ، عمان ١٩٧٥م.

علي : جواد

(١٧٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨م.

العلي: صالح أحمد

(١٧٤) محاضرات في تاريخ العرب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٨م.

(١٧٥) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦١م.

(١٧٦) الأدب العربي في آثار الدارسين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦١م

عفيفي : عبد الله

(١٧٧) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، القاهرة ، ١٩٢١م.

العقاد : عباس محمود

(١٧٨) اللغة الشاعرة ، مكتبة غريب ، القاهرة.

العناني: حسن صالح وأحمد الدومي

(١٧٩) العلاء بن الحضرمي «سلسلة أبطال الإسلام» ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٩٦٩م.

فروخ : عمر

(١٨٠) تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٩م.

فيصل : شكري

(١٨١) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٩م.

القناوي : عبد العظيم علي

(١٨٢) الوصف في الشعر الجاهلي ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ١٩٤٩م.

القيس : نوري حمودي

(١٨٣) الطبيعة في الشعر الجاهلي ، دار الإرشاد ، بيروت ، ١٩٧٠م

(١٨٤) الفروسية في الشعر الجاهلي ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٤م

كحالة : عمر رضا

(١٨٥) جغرافية شبه جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٤٤م.

(١٨٦) معجم أعلام النساء، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٥٩م.

(١٨٧) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٢٩م.

ماجد : عبد المنعم

(١٨٨) الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

الملوحي : عبد المعين

(١٨٩) المنصفات ، مطابع وزارة الثقافة والسياحة ، دمشق ، ١٩٦٧م.

المسلم : محمد سعيد

(١٩٠) ساحل الذهب الأسود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٢م.

المرصفي : سيد علي

(١٩١) أسرار الحماسة لمحب اللغة والأدب ، مطبعة أبي الهول ، القاهرة ١٩١٢م.

(١٩٢) رغبة الآمل في كتاب الكامل ، مطبعة النهضة ، القاهرة ١٩٢٧م.

ناصف : مصطفى

(١٩٣) الصورة الأدبية ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨م.

النبهاني: محمد بن خليفة

(١٩٤) التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، المطبعة المحمدية، القاهرة ، ١٣٤٢هـ.

النجم : عبد الرحمن عبد الكريم.

(١٩٥) البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج ، مطبعة الجمهورية بغداد ، ١٩٧٣م

النص : إحسان

(١٩٦) العصبية القبلية ، دار اليقضة العربية ، بيروت، ١٩٦٤م

النويهى : محمد

(١٩٧) الشعر الجاهلي ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٦م

هارون : عبد السلام محمد

(١٩٨) معجم شواهد العربية ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٧٢م

الهاشمي : علي

(١٩٩) المرأة في الشعر الجاهلي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٠م

يموت : بشير

(٢٠٠) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، بيروت ، المكتبة الأهلية ، ١٩٣٤م.

الدوريات والمقالات:

(١) الثقافة، العدد ٦٣٣

(٢) العرب، أعداد سنة ١٩٧٠م

(٣) التربية، قطر ١٩٧١م

(٤) الإعمار، أبو ظبي ١٩٧١م

(٥) البحرين، عدد خاص صادر عن دار النهار ، بيروت ١٩٧٢.

بالإضافة إلى انتفاعي بالمصادر الأجنبية:

(1)The Encyclopaedia of Islam . vol l, Leiden Brill 1960 New Edition.

(2) Bahrein Island by Fereydown Adamigat 1955

(3) THe Persian Gulf George Pllen &Unain, London 2nd Eda. 1943

****

الفهــرس

- تصدير، عبدالعزيز سعود البابطين ـــــ ٣

- المقدمة ـــــ ٥

القســم الأول : الدراسة ـــــ ٩

الفصل الأول - قبيلة عبدالقيس ـــــ ١١-١٠٧

- نسب عبد القيس ـــــ ١١

- منازل عبد القيس ـــــ ١٧

- الحياة الاجتماعية ـــــ ٣٨

- الحياة الاقتصادية ـــــ ٥٣

- الحياة الدينية ـــــ ٨٨

- العلاقات الخارجية ـــــ ٩٦

الفصل الثاني - الشعراء ـــــ ١٠٩-١٤٩

- قائمة بأسمائهم ـــــ ١٠٩

- مصادر شعرهم ـــــ ١١١

- ظاهرة الضياع ـــــ ١٣٠

- ظاهرة الانتحال ـــــ ١٣٧

- توثيق الشعر ـــــ ١٤٣

الفصل الثالث - الدراسة الموضوعية ـــــ ١٥١-٢١١

- شعر الحرب والقتال ـــــ ١٥١

- شعر السلام والإصلاح ـــــ ١٨٢

- نظرات في الموت والحياة ١٩١
- الرثاء ٢٠٠
- موضوعات أخرى ٢٠٤
الفصل الرابع - الدراسة الفنية ٢١٣-٢٥٩
- الخصائص اللغوية والأسلوبية ٢١٣
- المقطوعات الشعرية ٢٢٢
- عدم الحرص على المقدمات وندرة التصريع ٢٢٨
- الواقعية ٢٣٢
- التصوير الفني ٢٣٩
- ظواهر عروضية ٢٥٢
الفصل الخامس - المثقب العبدي ٢٦١-٣١٩
- حياته ٢٦١
- الدراسة الموضوعية ٢٧٣
- الدراسة الفنية ٣٠٠
القسم الثاني : ديوان عبد القيس (جمع وتحقيق) ٣٢١
- المصادر والمراجع ٤٣٨
- الفهرس ٤٥٤

****